أنماط الصراع السياسي

والتطور الإبداعي في شعر الجواهري

د.جلال عبد الله خلف



أنماط الصراع السياسي
والتطور الإبداعي في شعر الجواهري

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2015/8/4147)

خلف، جلال عبدالله

أنماط الصراع السياسي والتطور الإبداعي في شعر الجواهري / جلال عبدالله خلف :-
عمان:- دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٥

( ) ص

ر.إ: (2015/8/4147).

الواصفات:/ الشعر العربي//النقد الأدبي//التحليل الأدبي /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-96-177-0



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـــوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

أنماط الصراع السياسي
والتطور الإبداعي في شعر الجواهري
(1917- 1963)

د.جلال عبد الله خلف

الطبعة الأولى

2016 م — 1437 هـ

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

سورة المجادلة / 11

الفهرس

التمهيد

إضاءات في العلاقة بين السياسة والأدب

الفصل الأول

مرحلة الاحتلال

الفصل الثاني

مرحلة الانتداب

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال

الفصل الرابع

مرحلة الثورات والانقلابات

الفصل الخامس

الجواهري والخصائص الفنية في شعره السياسي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين (محمد بن عبد الله) (ﷺ)، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وبعد:

إذا قيل قديما، بأنّ الشعر (ديوان العرب)، فإنّ الجواهري قد جسّد تلك المقولة في العصر الحديث، بعدما أرّخ في شعره أحداث قرن كامل تقريبا، (1900م) (1997م) سجّل فيه عبر قصائده الثرّة...تأريخنا السياسي الحديث. وقد وقف فيه الجواهري موقف الشاعر الثائر، والسياسي المثقف، والمفكر، والفيلسوف، والمؤرخ، والمحرّض الجماهيري، والإصلاحي المتبصر بأمور الحياة، هادفا تحقيق مشروعه الحضاري والتحرري والنهضوي، المنسجم مع تطلعات الجماهير، بعد أن ألزم الشاعر نفسه بالتعبير عن أمانيها وطموحاتها الإنسانية، مما كان له الأثر الكبير في تربية ملكة حبّ الوطن، وحبّ الإنسان المعذّب، وحبّ الحياة، فرنّ صدى شعره في الآفاق، آفاق النفس والروح والقلب، فضلا عن جمال أسلوبه، وروعة بيانه، ورصانة عباراته وجزالتها، فقد جمع في شعره بين عنف الصراع وشدّته وإثارته، ورقّة الإبداع وعذوبته وسحره المكتنف لجمال غموضه وغموض جماله، ولعلّ تلك النقائض المثيرة للجدل، كانت وراء انجذابي نحو سوح الجواهري الشعرية، والوقوع في شراكه لاختياره عنوانا لكتابي هذا وقد اسميته بـ (أنماط الصراع السياسي والتطور الإبداعي في شعر الجواهري). وإنّي لأحسب أنّ هذا العنوان جديد، ذلك لأنني وقبل أنْ أقدم على كتابة هذا الموضوع، فكرّت فيه عميقا من كلّ جوانبه، وتأمّلت فيمن يكون قد سبقني إليه، فظهر لي- بعد البحث والتحري- أنه لم تكتب به دراسة جامعية أو نقدية من قبل. وبدأت - وبعد الاتكال على الله- لملمت أطراف موضوعي، وقرأت عنه ما تيسر لي من مصادر ومراجع، فتبين لي بعد جهد طويل، بأنني أطلب غاية لا تدرك، وذلك بسبب تشعب الموضوع وسعته وعمقه، ولكونه من الموضوعات السياسية التي لم يكتب عنها إلا الشيء اليسير، قياسا إلى غيرها؛ لعدم خلوّ مسالكها من المخاطر والمكاره، فظلت بعيدة عن أقلام الكتّاب، وما زالت في ظلال النسيان، لعدم نهوض الدراسات الأدبية نهوضا يعنى بمثل هذه الجوانب الأدبية بعقلية جديدة، وبوعي ثقافي جديد. وكان عليّ أن أواجه مهمّتي، وأنْ أرسو على بَر الحقيقة في خضم ما تجمّع لديّ من كمّ هائل من بحر المعلومات، عبر رحلة البحث المضنية.

أمّا الصعوبات التي واجهتني خلال تلك الدارسة، فشأني في أغلبها شأن الدارسين الآخرين في ظل الظروف الراهنة، ويقف في مقدمتها ندرة الكتاب، وصعوبةالحصول عليه.

وقد اتّخذت من المنهج التحليلي الوصفي دليل عمل في الدراسة، حيث قرأت خلاله شعر الشاعر، ملاحقا في الوقت نفسه كلّ ما سقط من شعره في دواوينه المختلفة، لاسيما تلك القصائد التي حذفتها اللجنة المشرفة على ديوانه المعروف بطبعة (وزارة الإعلام)، كما أنّها ضمّت قصائد (العشرينات) إلى نهاية (السبعينات)، أمّا ما بعد ذلك التاريخ، فقد جمع (محمد جواد الغبّان)من مختاراته الشعرية:أسماها (مختارات الغبّان من ديوان الشعر العربي)التي تضم فيما تضم أغلب ما نظمه الجواهري في (الثمانينات) و(التسعينات)، مما لم تحوه طبعة (وزارة الإعلام العراقية)، كما قرأت - بشكل معمّق- جميع الكتب السياسية والتاريخية، لجميع المراحل التي عاصرها الجواهري؛ ليتسنى لي ربط شعره بتلك الأحداث، ولاستنباط الدوافع المستترة وراء قصائده السياسية، كاشفا في الوقت نفسه عن الجوانب الإبداعية في شعره السياسي.

وبعد أن تكاملت مادة البحث بين يديّ، وجدت أنّها تقتضي أنْ أقسّم الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، حاولت في التمهيد إيضاح طبيعة العلاقة بين السياسة والأدب، فعرضت لها في خمسة مباحث، تناولت في (المبحث الأول)، أثر الجانب السياسي في الإبداع الأدبي، مبينا فيه بأنّ الشاعر هو ابن بيئته، مرتبط بأحداث عصره، ولمّا كان الحدث السياسي هو الطاغي، فقد انعكس على شعره، فأصبح العامل والفلاح والجماهير الكادحة أدوات مهمّة في مجال إبداعه وتجربته الفنية.

أمّا (المبحث الثاني)، فقد عرض - وبشكل مفصّل - تعريف الشعر السياسي قديما وحديثا، وتبين أنّ جميع التعاريف يمكن حصرها في مضمون واحد:هو أن الشعر السياسي ذلك الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدول الداخلي، أو بنفوذها الخارجي، ومكانتها بين الدول، بذلك يقوم الشعر السياسي على مفهوم تحديد موقف المواطن من السلطة، والتعامل معها، بعدما أوضحت ما طرأ عليه من تغيير عبر مراحله المختلفة، لاسيما مرحلة العهد العباسي، الذي شهد فيه الشعر السياسي تطورا فنيا ملحوظا كما سيأتي.

أمّا (المبحث الثالث)، فقد تناول شعر الجواهري بين السياسة والفن، إذ استطاع بموهبته الشعرية، وذكائه الفطري، أن يجمع بين عنف الأحداث، وجماليّة الفن في شعره، وقد

وفّق أيّما توفيق بالجمع بين ثورية الموقف السياسي وثورية الشكل الفني، بعد أن مزج ذاته الإبداعية بذات الشعب الملهم لهذا الإبداع، وقد أنتجت تلك العلاقة نظاما لغويا مغايرا للغة الشعر الكلاسيكي، موحيا بولادة أدب وطني عصري.

أمّا (المبحث الرابع)، فقد تناول- وبشكل مسهب- الصراع بين الشاعر الملتزم والحاكم، إذ إنّ مسؤولية الأديب تدفعه وتلح عليه للمشاركة في الكفاح والعمل على نصرة الحق، وتنبيه الناس إلى معرفة ما يحيط بهم من ظلم وجور، وقد تميّز الشعراء العراقيون بذلك، إذ حملوا راية الشعر العربي الملتزم، بالرغم من جور السلطات العثمانية، والانكليز، ومرحلة الحكم الملكي.

أمّا (المبحث الخامس)، فقد خصّص لصراع الجواهري مع الحاكم، مبيّنا فيه الأسباب البيئية، والاجتماعية، والدوافع النفسية التي جعلت من الجواهري شخصا عنيفا يصرخ في وجه الملوك والسلاطين، عبر مسيرة حياته، رافضا في الوقت نفسه جميع إغراءاتهم؛ ليعيش قرنا من الصراع، وهو يعانق الموت ولا يركبه.

أمّا (الفصل الأول)، فكان لمرحلة الاحتلال وقسمته على أربعة مباحث:

درست في(المبحث الأول)الساحة السياسية في عصر الجواهري، فقد خاض الشاعر الجواهري صراعات حادة في مرحلة الاحتلال، والانتداب، والاستقلال، وقد أثرت تلك الصراعات الكبيرة -التي شكلت فيما بعد تاريخ العراق الحديث - في شخصيته وأدبه.

أمّا (المبحث الثاني)، فتناول الاحتلال البريطاني للعراق، وموقف العراقيين في الذّود عن حماهم، لاسيما بعد أنْ تعاظم لديهم الوعي الوطني، وقد أفهمت بطولاتهم الانكليز بأنّهم قوة لا يستهان بها برغم عدم تكافئهما.

أمّا (المبحث الثالث)، فقد تناول تنديد الجواهري بالمستعمر، من خلال مواقفه التي جسدها في أشعاره، التي رسخت بدورها مفهوم الوطنية في الشارع العراقي، عبر محاورها المختلفة، مثل:صيحات التنديد المتجه نحو مكافحة المستعمر، وصيحات الاستنهاض المتجه نحو الشعب، بغية القيام بالثورة، بذلك عُدّ الجواهري مُعلّما كبيرا في الحلم، والشعر، والحياة، والحرية، والكفاح من أجل الاستقلال الوطني.

أمّا (المبحث الرابع)، فقد تناول الجواهري والثورة على المستعمر، بعدما أيقن بأنّ المستعمر لا يفهم سوى لغة الكفاح المسلح للتسليم بحق الشعوب، فساند ثورة (الجزائر)

و(المغرب) والثورات العراقية، كما خلّد مواقف الشعوب الأخرى في نضالها ضد الغزاة، كما في قصائده (سواستبول) و(ستالينغراد) و(يوم الجيش الأحمر) وغيرها.

أمّا (المبحث الخامس)، فتناول (ثورة العشرين) في شعر الجواهري، بوصفها أضخم حدث في تأريخ العراق الحديث. ويُعدّ الجواهري - برغم صغر سنه - من أبرز شعرائها، حيث كتب أولى قصائده فيها مثل: (العزم وأبناؤه) و(ثورة العراق) و(الثورة العراقية)، فكانت أشعاره تتحدث عن بطولات الثوار، وما سطّروه في ساحات الوغى من مآثر يفتخر بها التاريخ، وفي أحيان كثيرة كانت قصائده بمثابة رسم لخطط المعركة، وتوجيه لها، وتحريض على مواجهة الغازي المحتل إيمانا منه، بأنّ الحياة لا تنقاد إلّا لمكابد، وأنّ النصر لا يأتي إلّا لمقارع، وأنّ ثمن الحرية هو الدم:فعلى الرغم من فشل الثورة، وملاحقة الانكليز لشعرائها، إنّ الجواهري بقي يحمل لواءها، ويشعل فتيلها، استنهاضا للهمم لمعاودة الكرّة.

أمّا (الفصل الثاني)، فقد خصصته لمرحلة الانتداب، واشتمل على أربعة مباحث:

أمّا (المبحث الأول)، فقد تناول فرض الانتداب على العراق رسميا في (25) نيسان (1920) بحسب الاتفاق السري الذي جرى في باريس سنة (1916) بين (مارك سايكس) ممثل بريطانيا و(جورج بيكون) ممثل فرنسا، والقاضي بأنْ يكون العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني.

أمّا (المبحث الثاني) فتناول (فيصل) ملكا على العراق، وقد جاء تنصيبه بعد تلك الضربات الموجعة، التي تلقتها بريطانيا على يد الثوار الرافضين لفكرة الانتداب، فأذعنت بريطانيا مكرهة على تتويج الملك (فيصل الأول) ملكا على العراق عام (1921)، بذلك تأسست دولة العراق الحديثة على يديه، ثم توطدت خلال حكمه الذي استمر (أحد عشر) عاما، تميزّت بالمنجزات الكثيرة، التي تمخّضت عن سياساته المتزنة التي من خلالها استطاع بأنْ يمسك دفّة السفينة المتلاطمة بشتى الأفكار والاتجاهات والنزعات، فأحسن قيادها في بحر يتقاسمه، جشع الانكليز بنهب البلد، وطموحات الشعب بالحرية والاستقلال.

أمّا (المبحث الثالث)، فتناول الجواهري مع الملك (فيصل) في (البلاط)، بعدما فضّله على صاحبيه (الزهاوي) و(الرصافي)؛ لأنّه رأى فيه شاعر العراق الأول، غير أنّ الجواهري رأى في تلك الوظيفة (البروتوكولية) تقييدا لحريته الشعرية، فقدّم استقالته من (البلاط)، لينتقل إلى عالم الصحافة، بإصداره لجريدة(الفرات)الناطقة بلسان الحكومة.

أمّا (المبحث الرابع)، فقد تناول الملك في شعر الجواهري بين المدح والهجاء، فقد كان الجواهري شاعر (البلاط) ما يزيد على (ثلاثة عشر)عاما، مرّ خلالها بتقلبات غريبة، جسّدها في قصائده بصورة أدبية بارعة، وقد تمثلت بمرحلة (العشرينات) التي جاءت في جُلّها مدحا للملك، باستثناء قصيدة: (ثورة الوجدان)، أمّا مرحلة (الثلاثينات) وما بعدها، فقد أطلق الجواهري العنان للسانه، موجها سهامه نحو الملك وحاشيته، محطّما بذلك كل مقدسات البلاط.

أمّا (الفصل الثالث)، فتناول مرحلة الاستقلال، وتضمن (خمسة) مباحث:

أمّا (المبحث الأول)، فقد تناول رحلة الجواهري مع الملك (غازي)، إذ لم يكن غازي شخصا مقنعا للجواهري، وقد وصف حكمه بأنّه أسوأ مرحلة في تاريخ الحكم الملكي، وأنّ مدائحه الأولى فيه لم تكن إلّا لإرضاء والده الملك فيصل، وقد ذمّه في قصائد أخرى، كما في (معرض العواطف) و(لعبة التجارب) و(حالنا اليوم).

أمّا (المبحث الثاني)، فقد غطّى رحلة الجواهري مع الوصي (عبد الإله)، فقد سعى (عبدالإله) لردّ الاعتبار للشاعر الجواهري، ليتخذ منه شاعر البلاط ثانية، كما في عهد عمّه (فيصل)، كما أدرك (عبد الإله) أنّ للجواهري طموحا يبغي تحقيقه، لذا فقد رشحه لكرسي (النيابة) أكثر من مرة، ونتيجة لذلك، فقد توطدت علاقتهما حتى بلغت مرحلة من الثقة المتبادلة، أنّ (عبد الإله) كان يستشيره في القرارات التي يتوقف عليها مصير البلاد، كما فعل ذلك في اتفاقية (بورتسموث1948).

أمّا (المبحث الثالث)، فقد تناول رحلة الجواهري مع (نوري السعيد) وقد بينت فيه أنّ معرفته به ترجع إلى أيام (البلاط) في (العشرينات) وتوطدت بشكل أعمق في مرحلة (الثلاثينات)، وكعادته فقد أطراه بأكثر من قصيدة، لقاء ما قدم له من معروف، ولكن سرعان ما انقلب الجواهري عليه، حينما شعر بأنّ (نوري السعيد) يستغله لمآربه الخاصة، فهجاه في قصائده هجاء مرّا، كما في قصيدة: (في مؤتمر المحامين) وعلى إثرها تعرض لمضايقات كثيرة، اضطرته إلى مغادرة العراق إلى مصر عام (1951).

أمّا (المبحث الرابع)، فقد تناول مرحلة تنصيب الملك (فيصل الثاني) ملكا على العراق، وقد ألقى الجواهري قصيدة بالمناسبة، وعدّها غلطة كبرى لم يسامح نفسه عليها طوال حياته، ولرد الاعتبار لنفسه، فقد هجا الملك في قصيدته:(كفارة وندم)، وعلى إثر مضايقات كثيرة غادر العراق أيضا إلى سوريا، متخذا منها نقطة انطلاق لمهاجمة الحكم في العراق، كما في قصيدة (خلفت غاشية الخنوع) و(ذكرى المالكي) وبعد مضي(سنتين) عاد إلى العراق، ولم تمض سوى أشهر قلائل حتى قامت ثورة(1958).

أمّا (المبحث الخامس)، فقد تناول مواقف الجواهري المندّدة بالحكم الملكي. فقد عُدّ الجواهري من الشعراء القلائل الذين أحصوا على الحاكم سلوكه وتصرفاته، وقد مثلت قصائده صرخات احتجاج وإدانة لمرحلة الحكم الملكي من خلال فضحه التناقض بين وضع الأقلية الحاكمة، وأوضاع الأكثرية الساحقة من جماهير الشعب، لقد استجمع كل مفردات النقد السياسي وأفرغها جملة واحدة على رؤوس رجال المنظومة الملكية، لاسيما في مرحلة (الثلاثينات)، مما شكل مصدر إزعاج مباشر للحكومة، وكان من جرّاء ذلك أنْ تعرضت جميع الصحف التي أصدرها للغلق والتغريم، كما تعرض هو للسجن والتنكيل لأكثر من مرة.

أمّا(الفصل الرابع)، فتناول مرحلة الثورات والانتفاضات، وقد تضمن(ثمانية) مباحث:

أمّا (المبحث الأول)، فقد تناول انقلاب (بكر صدقي)على حكومة (ياسين الهاشمي) الوطنية، وتشكيل حكومة الانقلابيين برئاسة (حكمت سليمان)، ومن ثم استقالتها مرغمة بعد اغتيال (بكر صدقي) وتمرد الجيش عليها بسبب الأحداث التي عصفت بالبلاد.

أمّا (المبحث الثاني) فقد تناول رحلة الجواهري مع قادة الانقلاب، حيث كان الجواهري من أوائل المرحبين بهم، طمعا في تغيير الأوضاع، وقد دعا الجماهير إلى مؤازرتهم، والوقوف معهم، بعد إصداره جريدة ناطقة باسمهم، ونصّب الجواهري من نفسه حكيما وناصحا، موجّها إرشاداته إلى قادة الانقلاب، مطالبا إيّاهم بالفتك بخصومهم من رجالات العهد السابق؛ لأنهم في موضع يتطلب ذلك، إذ لا رحمة مع من لا يعرف الرحمة. وعندما أيقن الجواهري بأنّ الانقلابيين لم يحققوا شيئا له ولشعبه، انقلب عليهم، وكتب في جريدته.وبصريح العبارة: ((والآن فلئن مات الانقلاب فليعش الرأي العام والسلام)).

أمّا(المبحث الثالث)، فقد تناول ثورة(رشيد عالي الكيلاني) (1941)، التي جاءت نتيجة سياسات الانكليز المجحفة، وقد فرّ(الوصي)على إثرها، وتم تشكيل حكومة (الدفاع الوطني) وانتهى الأمر باحتلال بغداد ثانية من قبل الانكليز.ولتجنيب الشعب المخاطر دخل القادة الأربعة(إيران)لاجئين سياسيين، بعد قتال مرير مع قوات الاحتلال.

أمّا (المبحث الرابع)، فقد تناول موقف الجواهري من حركة (مايس1941)، حيث كان من أوائل المؤيدين لها، وأنّه كان ضمن من فرّوا إلى إيران بعد فشل الحركة، ثم عاد إلى العراق بعد أن هدأت الأوضاع فيه.

أمّا (المبحث الخامس)، فقد تناول اتفاقية (بورتسموث1948)، التي أعدّت للعراق بعد الحرب العالمية الثانية؛ لربطه بعجلة الاستعمار لسنوات طوال، موضّحا موقف الجواهري الرافض لها، وأنّ الأسباب التي ذكرها الوصي لم تكن لتقنعه، فأعلن براءته منها في صحيفته، ثم استقال من (البرلمان) احتجاجا، وما أن أعلنت بنود الاتفاقية، حتى هبّت الجماهير من كل

حدب وصوب، مسترخصة الدماء والأرواح، فأجبرت الوصي على إلغاء الاتفاقية، وإسقاط حكومة (صالح جبر).

أمّا (المبحث السادس)، فتناول الجواهري وشهداء الوثبة الذين سقطوا برصاص الشرطة من فوق جسر (الصرافية) بما فيهم شقيقه (جعفر)، الذي كتب فيه قصيدته المشهورة (أخي جعفر)، ثم شفعها بقصيدة (يوم الشهيد)، وظلّ دم جعفر يصرخ في ضمير الجواهري على مرّ الأيام حتى كانت ثورة (1958)، ليلوذ بمفجر الثورة طالبا الانتقام من قتلة شهداء الجسر.

أمّا (المبحث السابع)، فتناول الجواهري وثورة (14تموز1958) إذ لم يدُر بخلد الجواهري يوما أن يصبح ذلك الشخص الخجول زعيما لهذه الثورة العظيمة، وأنْ يصبح هو أحد المقربين منه، وشاعره الأول بلا منازع، وأنْ يزوره في بيته؛ ليعلن أمام الملأ بأنّ هذا البيت قد أنضج ثورة تموز.

أمّا (المبحث الثامن)، فتناول (عبد الكريم قاسم) في شعر الجواهري بين المدح والهجاء، لقد انجذب الجواهري بكُلّه نحو (عبد الكريم قاسم)، بعدما انبهر بأطروحاته، إذ رأى فيه هادي الأمة ومنقذها من الاستعباد والاستبداد، فقال في مدحه شعرا لم يقله في أحد من قبل، كما في قصيدة (عيد أول أيار) و(أنشودة السلام) و(المستنصرية) و(جيش العراق)، غير أنّ تلك المودّة لم تدم طويلا إذ وقعت الجفوة بينهما، ليصبح الشاعر الذي أنضج الثورة خصما لدودا لقائد الثورة، وتكون تموز أشد مأساة نزلت بالجواهري، ففي أقل من (عامين ونصف) اتهم بأكثر من تهمة في العهد الجمهوري، وسيق إلى أكثر من محكمة، بسبب مقالاته التي أزعجت (الزعيم) مما دفعه إلى تضييق الخناق عليه، والحد من تصرفاته، ونتيجة لتلك المضايقات فقد تحوّل (عبد الكريم) إلى شبح مرعب يطارده في نهاره، وكابوس مخيف يكتم أنفاسه في ليله، ولم يكن من بُدّ أمامه سوى الفرار من جمهورية الزعيم، لاسيما بعدما علم بأنّ هناك مخططا لتصفيته، فغادر العراق إلى (لبنان)، ومنها إلى (براغ)، وما أن استقر به المقام حتى انفجر كالبركان ليصب حمم شعره على رأس مهجوه (عبد الكريم قاسم).

أمّا (الفصل الخامس)، فتناول الخصائص الفنية في شعر الجواهري السياسي وتضمن خمسة مباحث:

أمّا (المبحث الأول)، فتناول أثر الشعر في تطور اللغة، وذلك من خلال منح الشاعر حق الإبداع، والخلق، والتوليد، بعد اعتماده على شبكة من العلاقات الجديدة بين مفردات اللغة، بغية توسيع آفاقها، وتطوير أساليبها إلى أبعد مدى.

أمّا (المبحث الثاني)، فقد خصص لدراسة اللغة الشعرية في قصائد الجواهري السياسية، عبر استخدامه كل حيل اللغة من البساطة الكاملة إلى البلاغة المعقدة، كالخروج على المألوف،

أو وضع المفردة في سياق جديد، أو من خلال الإيجاز والأطناب والحذف، والتكرار، والطباق والجناس، أو غيرها من الأساليب.

أمّا (المبحث الثالث)، فتناول إبداع الجواهري في صور شعره السياسي، وذلك بإعادة رؤية الأشياء الخارجية على وفق رؤيته الخاصة النابعة من داخله، بعد امتزاج تجربته الذاتية مع الواقع الموضوعي.

أمّا (المبحث الرابع) فتناول أثر الأحداث السياسية في أوزان الجواهري، موضحا أنّ لكل وزن خصائص تميزه من غيره، فما يناسب غرضا لا يناسب غيره، لاختلاف التناسب الصوتي بينهما.

أمّا (المبحث الخامس) فتناول أثر الأحداث السياسية في قافية الجواهري، إذلا شك إنّ هناك علاقة بين نوع القافية وأفكار الشاعر الباطنية ، كما ان اتساع دائرة الاحداث السياسية وتسارعها قد دفع بالجواهري الى اعتماد القافية المتنوعة في القصيدة الواحدة، بل انه كان يعدُّ القافية جزءا مكملا للتركيب اللغوي في البيت الشعري ، وهذا الارتباط ليضع ايدينا على جملة من الخصائص الفنية في المدلولات السياسية التي اتسمت باللغة السهلة التي لا تعقيد فيها ولا التواء والمتتبع لديوان الجواهري يجد ذلك بوضوح.

وانتهى الكتاب بخاتمة أوجزت فيها عملي، وأبرز ما توصلت إليه من نتائج في الموضوع الذي لم يخل من صعوبات فنية ومنهجية. فآمل أن أكون قد وفّقت في بحثي هذا، وأعتذر سلفا عمّا يكون فيه من نقائص وعيوب لا يسلم منها أي باحث، ذلك لأن الكمال لله وحده، ولكن حسبي أنني اجتهدت على وفق ما قادني إليه المنهج، والرؤيا والحياد، والأمانة العلمية، فإنْ أصبت فبسداد من الله، وإنْ أخطأت فمن نفسي.

المؤلف

التمهيد

إضاءات في العلاقة بين السياسة والأدب

التمهيد

أثر الجانب السياسي في الإبداع الأدبي

لاشك في أن الأدب العربي، قد شهد حركة تجديدية، عمّت الساحة العربية في منتصف (القرن الماضي)، لذا كان لزاما علينا الرجوع إلى الوراء لمعرفة المؤثرات التي ولّدت الإبداع الأدبي لدى أدباء ذلك العصر.

إنّ الأدب- وكما هو معلوم- وليد البيئة وانعكاس للحياة، وقد فطن النقاد إلى هذا الجانب، إذ أوضحوا أن للبيئة أثرا كبيرا في حياة الأدباء وإنتاجهم الأدبي.

ولعل أفضل من خاض هذا الغمار، هو الناقد الفرنسي (هيبولت تين)، إذ أولى تلك الناحية اهتماما كبيرا، وأرجع إليها سر النبوغ والعبقرية[1]، كما أشار إلى ذلك -أيضا- الدكتور (شوقي ضيف)، الذي أكد ضرورة دراسة البيئة وتفهمها، وسبر أغوارها، حيث قال: ((نحتاج في دراستنا لأدب أي أمة من الأمم، أن نعرف الأحداث الكبرى، التي أثرت في حياة منشئيه، لأنّ الأدب في حقيقته مرآة ناصعة، ينعكس عليها ما يصيب أهله من أحداث عامة وظروف خاصة.))[2] فشعر كل أمة من الأمم، ((صورة من واقعها وأحداثها، يستلهمه من تجاربها وصراعها مع ذلك الواقع وتلك الأحداث، تعبيرا عن مأساتها، وتمثيلا لكينونتها.))[3]، لأنّ الشاعر ابن بيئته، لذا كان لكل عصر لغته وشاعره، بل غرضه الذي شاع فيه، دون غيره من الأغراض، نتيجة ارتباطه بأحداث العصر، وقد مر الشعر العربي منذ نهاية القرن (التاسع عشر) إلى نهاية (الحرب العالمية الثانية) بتأريخ أدبي مرتبط بأحداث العصر السياسية والفكرية[4]، وهو أخطر مرحلة مرت بها الأمة العربية في سيرها الحضاري والتأريخي الطويل[5]، ((فالأحداث التي وقعت في هذه المرحلة جعلت الشاعر إزاء مجموعة من

(1) ينظر: في الأدب والنقد: د.محمد مندور: 72. مطبعة نهضة مصر:.1949.

(2) الأدب العربي المعاصر: د.شوقي ضيف: 1، دار المعارف: القاهرة: 1997.

(3) الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر: د.عناد غزوان: 5. في ضمن كتاب(الشعر والفكر المعاصر)، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة كتب الجماهير، مطبعة الشعب، بغداد: 1974.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 14.

(5) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: أحمد قبّش: 7.دار الجيل-بيروت-1971.

المتناقضات، وحالات التوتر الشديد، تكتنف عمله الفني في بناء القصيدة التقليدية وأسلوبها وقاموسها. توتر بين جدة المضامين[1]، وتعقّد المشاكل، وعنف التجارب والمشاعر التي خلص بها من أثر الحرب العالمية، التي داهمت المجتمع العراقي وتقاليده وأعرافه.))[2]

وبعد أن أصبح العراق ضمن دائرة النفوذ البريطاني، تفتحت الأذهان على معايير جديدة لم تألفها، واختلطت المثل القديمة بالجديدة، فكان نتاجا من مزيج غريب متنافر، فضلا عن آراء دخيلة قد صاحبت الغزو ولم تكن معروفة من قبل[3].

إنّ الشعر في كل تلك المراحل قد تأثر بالتطور الفكري في مجموعه، ((وأنّ كل هذه المؤثرات - الداخلية منها والخارجية - كانت تخلق مجتمعا جديدا بين المثقفين والمتعلمين- على الأقل- في الأزهر والجامعات المماثلة له في شرق العالم العربي. ومن هذا المجتمع الذي فتح عينيه على مظاهر جديدة من الآداب، انبعث شعراء جدد توالوا على مسرح الشعر العربي في (المائة) سنة الأخيرة، وكان لكل منهم اتجاهه.))[4]، بذلك يكون الشعر قد تأثر بالحركات الفكرية، وأثّر في استمرارها وتطورها على السواء[5].

---

(1) وقد اغفل كثير من النقاد تطورين مهمين، قد سبقا هذا التطور، وكان تأثيرهما واضحا في البنية الفنية للشعر السياسي آنذاك. فالأول: الشعر السياسي (للبارودي) وحنينه إلى الوطن، وتصوير أحداثه الكبرى، وقد امتاز بالبعد عن التكلف، فضلا عن موضوعات سياسية، خلع عليها طابع الجدة. والثاني: بعد إعلان الدستور سنة (1908)، الذي تحرر الإنسان العراقي بسببه من الخوف، فأبدع في مجال الشعر السياسي، مما أدى إلى توسيع دائرة الشعر القومي الوطني، والذي أدى بدوره إلى تطور الشعر تطورا واضحا في صوره وأدائه وأساليبه. ينظر: في الأدب الحديث: عمر الدسوقي: 1 : 225. وينظر: خيري الهنداوي (حياته وشعره): يوسف عز الدين: 29. وينظر: الشعر السياسي العراقي: د.إبراهيم الوائلي: 319.وينظر: فلسفة الفن في الفكر المعاصر.د.زكريا إبراهيم: 108: القاهرة: 1966.

(2) تطور الشعر الحديث في العراق: د.علي عباس علوان: 56. منشورات وزارة الإعلام: بغداد: 1975.

(3) ينظر: خيري الهنداوي (حياته وشعره): د.يوسف عز الدين: 29: القاهرة: 1965.

(4) تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي المعاصر: عبد الكريم غلاب: 144. في ضمن كتاب(الشعر والفكر المعاصر): تأليف مجموعة من الأساتذة، منشورات وزارة الإعلام، جمهورية العراق، مطبعة الشعب، بغداد،1974.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 121. وينظر: الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: يوسف عزالدين: 3: دار العودة: بيروت: 1972.

وقبل أن نتحدث عن مدى تأثير تلك التيارات في بنية الشعر العربي ونسيجه، علينا أن ندرك أنّ تلك الأحداث العظيمة التي هزت كيانه، قد حولت الشاعر العربي من (الرومانسية) إلى (الواقعية) نتيجة شعوره العميق بمسؤوليته تجاه أمته، وأنّ الشاعر العراقي قد واكب الحركة السياسية بكل مراحلها، وضحّى بكل شيء من أجل تغيير الواقع[1]، ((فكانت التأثيرات الرومانسية تتشظى على صخرة الواقع العراقي. فالهاجس الوطني الذي جسدته الحركات السياسية، والانقلابات العسكرية، والأحزاب الوطنية، وآثار الحرب الكونية الأولى، وسيطرة بريطانيا على العراق...كل تلك العوامل أسهمت إلى حد كبير في قمع الهاجس الرومانسي.))[2]، حيث إنّ هذا الوعي قد اقترن بظهور طبقة من الشعراء في المجتمع العربي تؤمن بالحرية، وتدعو إلى الديمقراطية، مما جعل الشاعر يقترب من الشعب، ويعيد في وظيفته في الحياة، فصار يفكر كيف ينظم؛ ليحسب من الشعراء العاملين النافعين[3].

ومن خلال ذلك، نستطيع القول أنّ: ((القرن التاسع عشر قرن القوميات الإنسانية الجديدة، فقد تجاوزت مفهومها الفطري، وتحولت إلى مبدأ مرتبط بأفكار ومشاعرتتجاوز الفرد إلى المجتمع.))[4]، بذلك يكون الأدب العربي، قد مر بالدور نفسه الذي مر به الأدب الغربي في أزمان حروبه، حيث انتعش فيها الأدب الحماسي القومي، الذي يؤكد الاتحاد والقوة، ويقول مؤرخو الأدب: ((إنّ التاريخ يشهد في دور من أدواره تدفق هذا القدر من الأدب الوطني، المثير للهمم والحافز إلى العمل))[5]، بذلك تحول الشعر من المعارك الكلامية إلى الواقع[6]، وأصبح العامل والفلاح والجماهير الكادحة، أدوات الهام الفنان في مجال إبداعه الفني[7]، وذلك بسبب

---

(1) تنظر: مجلة الأديب: العدد3، 13(آذار)1954.

(2) capture\2003. http\www.Al-Bayan caoe\Al-Bayan issue 164 whtm hay war

(3) مجلة الهلال: العدد2 س 46 (ديسمبر) 1937.

(4)التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: ماجد السامرائي: 11.دار الحرية للطباعة: بغداد: 1983.

(5) محاضرات في نشوء الفكرة القومية: ساطع الحصري: 54، مطبعة الرسالة: القاهرة: 1951.

(6) ينظر: مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي: طراد الكبيسي: 29: وزارة الثقافة والإرشاد: دمشق: 1974.

(7) ينظر: الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: د.يوسف عز الدين: 4.

تأثيرات الجانب السياسي في نفسية الشاعر وتجربته الفنية، فباتت موضوعات الشعر السياسي تحتل أكثر من نصف دواوينهم[1].

وهذا ما يؤكد لنا صحة النظريات النفسية والاجتماعية القائلة : ((بأنّ ما يحدث لنا في محيط السياسة، يؤثر في جميع نواحي حياتنا الأخرى، وأنّ ما يحدث لنا في محيط السياسة يتوقف على تكويننا النفسي والانفعالي.))[2]

ويذكر الدكتور: (علي عباس علوان)، أنه نتيجة تلك التحولات نتلمس درجة من الجدة في الشعر العربي، بسبب ما طرحته من قيم وأفكار ومسميات:(كالوطنية) و(الحرية) و(العدالة الاجتماعية) و(السياسة[3])، فهي بلا شك مفاهيم جديدة مغايرة للقديم، يمكن تسميتها بـ((جديد الكلاسيكية في العراق))، ((وهو طرق المواضيع السياسية والاجتماعية الحديثة والمختلفة كليا عن الموضوع السياسي في القصيدة العربية قديما والمبني-أساسا- على الصراعات القبلية، وأيام العرب، وصراعات الطوائف والأحزاب في العصر الأموي.))[4]

إذاً فحركة التجديد جاءت نتيجة عوامل سياسية، ((في ظروف الثورة والنهضة القومية الجديدة على الاستعمار والاحتلال والصهيونية؛ ولهذا برزت ملامح الثورة في مختلف جوانب الحياة، فكان لابد للشعر أن يكون متقدما في الثورة على التقاليد الشاملة لمظاهر المجتمع العراقي المتخلف))[5].

إنّ الحياة السياسية المتطورة، هي التي أخرجت الشعراء من المجال التقليدي الضيق إلى آفاق واسعة؛ ليصبحوا فيما بعد كبار شعراء دعاة الثورة[6]. وقد حاول الشعر العربي الحديث

---

(1) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 111.

(2) العقل الناضج: هـ.أ.أ.أوفر ستريت: ترجمة عبد العزيز القومي ومحمد عثمان مؤسسة(فرنكلن) للطباعة والنشر: 1957.

(3) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 111.

(4) الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: صبيح جابر: 16، دار الشؤون الثقافية: بغداد: 2007.

(5) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 304.

(6) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 153.

ومن أشهر شعراء الدعوة للثورة العراقية: ((محمد باقر الشبيبي، ومحمد رضا الشبيبي، ومن واصفي الثورة وموقدي نارها، محمد مهدي الجواهري ومهدي البصير)): ينظر: نفسه.

في تلك المرحلة، ((أن يكون إيقاعا لهذه الثورة وتفجيرا لرموزها الحضارية والإنسانية، وتجليا واضحا لحركة هذه الثورة وتناقضاتها، واندفاعها الصارخ العنيف للتحقق والاستمرار...وأصبحت الصفة الرئيسة التي تلتصق بهذا الشعر كونه شعرا ثوريا...وأنه يحمل هما جماليا، وهمّا حياتيا، فتكشفت للشاعر موضوعات جديدة من رؤيته الشعرية))[1].

إنّ الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، هي التي دفعت الشعراء نحو التخلص من نمط الشعر الكلاسيكي[2]؛ ((ليدخلوا بشعرهم مدخلا حسنا إلى معالجة الموضوعات والأغراض الجديدة، التي اقتضتها ضرورة العصر وأحداثه الجسام.))[3]

ومن الجدير ذكره أن هذه المحاولات الإبداعية، جاءت مرافقة لحركات الاستقلال والتحرر، وشملت كل الأقطار، ولذلك سميت المرحلة هذه بـ(تيار التحرر والتجديد)[4].

إنّ الشعر في هذه المرحلة لم يكن خاليا من التقليد، ولكن تخلله شيء من الجديد بتناولهم مشاكل العصر بسبب الاستعمار[5]. المهم أنّ التجديد الثوري كان له أثره في الشعر العربي ((وامتزج هذا الأثر بالأفكار الإصلاحية، التي كانت تراود المثقفين الشعراء آنذاك، فكان في شعرهم شيء من الجدة- وقد تخلص من جمود اللغة والأسلوب - غير أنّ شعربعضهم كان نوعا من الخطب الوعظية.))[6]، لان التجديد الثوري في الفن ليس معناه الهدم، وإنما هو رفض لبعض التقاليد، وتطوير لبعضها الآخر، لاسيما تقاليد الفن التقدمية[7]، وهو ما يتفق مع وجهة شعراء النضال والصراع الذين آمنوا بالتجديد التدريجي[8]، غير أن الدكتور: (علي عباس علوان)، يقلل من شأن هذا التطور، معللا ذلك بأنّ شعراء تلك المرحلة لم يكونوا مؤمنين بالتجديد، ولم تتشرب قلوبهم به، كما أنّ تقلب الشعراء في مواقفهم، وعدم التأكد من

---

(1) لغة الشعر العربي الحديث: د.السعيد الورقي: 226: القاهرة: 1979.

(2) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 398.

(3) تاريخ الشعر العراقي الحديث: 10.

(4) تاريخ الشعر العراقي الحديث: 10.

(5) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: د.رؤوف الواعظ: 46، دار الحرية للطباعة: بغداد: 1974.

(6) تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 150.

(7) ينظر: الأممية في الشعر السوفييتي: عليم كيشوكوف: 47. في ضمن كتاب (الشعر والفكر المعاصر).

(8) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 43.

صدق تجربتهم، قد أوقع الدكتور (علوان) في حيرة من أمره، مما جعله بأن يقر بعدم تمكنه من رصد مقدار حركة التطور في تلك المرحلة[1].

وإذا كان الدكتور (علوان)، قد قلل من أهمية ذلك التطور، فإنّ آخرين قد عدوا الشعر السياسي، سببا في ركود الشعر وجموده؛ بفقده عنصر الخيال، الذي هو أهم عناصر الإبداع في النص الأدبي، يقول الدكتور (ماجد السامرائي): ((إذا كان واقع الشعر التقليدي في العراق يشير إلى محاكاته للواقع بحقائقه، فإن الشعر السياسي القومي كان أكثر مباشرة إلى واقعيته...ولاشك أنّ نقل الحقائق وإعادتها دون فعل من ذات الشاعر، يضعف الخيال في القصيدة، وهو أحد عناصرها))[2] ، ويعلل الباحث: (عباس توفيق)، ذلك بأنّ الأدب الثوري، غالبا ما يبعد الأديب ويغفله عن الجانب الفني، ((وكان من نتيجة هذه العناية أن حظي المضمون الواقعي غالبا بالتقريظ والثناء، وأغفل الشكل والقيم الفنية الأخرى))[3]، أما الباحث: (إبراهيم الوائلي) فقد حطّ من قدر ما تطور، مفضلا الشعر السياسي الفني القديم على الحديث قائلا: ((إن الشعر السياسي في كل موضوعاته، لا يستطيع أن يسامي الشعر القديم في قوة الأداء والتعبير.))[4].

ومهما يكن من قول، فإنّ هذه الآراء تعكس وجهة نظر أصحابها، بيد أن النقاد على شبه إجماع ((بأنّ القصيدة العربية لم تنته إلى هذه البنية، إلا نتيجة لمجموعة من الخطوات والتطورات الموضوعية والفنية والنفسية، شاركت في خلقها مجموعة من الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية.))[5]

والشعر السياسي مسهم - وإلى حد كبير- في تطور الجانب الإبداعي، إذ لا فجوة ولا تناقض بين الجانب السياسي والفني[6]، فالسياسة والفن وجهان لعملة واحدة، إذ لا انفصام

---

(1) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 130، 118، 124.

(2) التيار القومي في الشعر العربي الحديث: 44.

(3) نقد الشعر العربي الحديث في العراق: عباس توفيق: 166. دار الرسالة للطباعة: بغداد: 1978.

(4) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: د.إبراهيم الوائلي: 126.بغداد: 1961.

(5) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 6.

(6) ((ولم يكن من السهل على مؤرخي الأدب، أن يغفلوا أثر السياسة في الأدب، وأثر الأدب في السياسة. وانقسم الكتاب والنقاد واختلفوا في العلاقة بينهما، ومعنى هذا أن النقاش مازال قائما حول وظيفة الأدب

بينهما بل، ((وأنّ خصوصية الغرض السياسي لم تقف عائقا أمام قدرات الشعراء المبدعين.))[1]، إذ لا يمكن أن يكتب النجاح لأي شعر سياسي، ما لم يكن أسلوبه أسلوبا فنيا راقيا، يقول الجواهري: ((أنا لا أفهم شعرا أو فكرا أو فنّا، يحاول أن يبلغ المستوى الثوري، وهو مهلهل الأسلوب.))[2]

إنّ الشعر الذي نقصده ((هو الذي يخلق الثورة فنيا، ولا يستمد قوته وخلوده من إعادة إنتاجها، وسرد مشاهدها بحماس ثوري وهتاف سياسي أمام المتلقي؛ ليثير عزيمته انسجاما مع أحداثها ونجاحاتها وتضحياتها، إذ إنّ هذا النوع من الأدب سرعان ما ينتهي بانتهاء فورة الغضب، خلافا للنوع الأول الذي تميز به أدباء العراق. فالأدب هو التعبير الفني عن أيدلوجية معينة.))[3]، إنّ التغيير في شكل القصيدة وفي المضمون الثوري، ينبغي أن لا يكون على أساس القيم الجمالية[4]، وذلك على اعتبار أنّ الفن ليس محاكاة للواقع، بل هو إبداع للأشكال التي يمكن أن يتطور الواقع منها واليها؛ لكي يعطي الحياة الجميلة ما ليس فيها[5].

إنّ الشعر ينطوي على مضامين اجتماعية وذاتية، تحدد قضية الشاعر، التي يدافع عنها من خلال حركته الإبداعية ومعطياته الفنية، ((ولذلك كان الالتزام بمواجهة الفن البرجوازي، والمدارس الرومانسية في الشعر والفن.))[6]، وقد أدرك (ماوتسي تونج) قيمة العلاقة بين السياسة والفن، فطالب بالوحدة بينهما قائلا: ((ليس هناك فن من أجل فن، أو فن فوق الطبقات، أو فن مواز للسياسة أو مستقل عنها، أما نحن فنطالب بالوحدة بين السياسة والفن،

والأديب، ومازال الأخذ بأحد المذهبين الأدبيين المشهورين. مذهب الفن للفن، أو مذهب الفن الملتزم موضع خلاف ونزاع.)) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 5. وينظر: الأدب المقارن: د.محمد غنيمي هلال: (389-384) : دار العودة: بيروت: 1962.

(1) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 451.

(2) الجواهري فارس حلبة الأدب: محمد جواد الغبّان: 162.دار المدى للثقافة وللنشر بغداد: 2006

(3) ممارسات في النقد الأدبي: يمنى بالعيد: 78.وينظر الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 64.

(4) ينظر: في قضايا الشعر المعاصر (دراسات وشهادات): ادونيس: 159: جمع عبد الله أبو هيف: تونس: (بلا تاريخ). وينظر: الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 133.

(5) ينظر: الرؤيا في شعر البياتي: محي الدين صبحي: 9: دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد: 1988.

(6) الالتزام والتصوف في شعر عبد الوهاب البياتي: عزيز السيد جاسم : 4: دار الشؤون الثقافية العامة بغداد: 1990.

الوحدة بين المحتوى السياسي الثوري، وبين الشكل الفني، على أرقى درجة ممكنة من الكمال، فالأعمال الأدبية والفنية الخالية من الجودة الفنية، لا أثر لها مهما كانت تقدمية.))[1]

والشاعر العراقي وازن - وبشكل دقيق - بين التزامه الوطني والفني، ممسكا بزمام الأمر ضمن موقفيه الوطني والفني[2]. وقد امتاز بذلك الجيل (الخمسيني) و(الستيني)، حيث مزج بين الرؤية القومية، والموقف الإنساني، مؤطرا برؤيا متفتحة[3]، ويمكن القول: ((بأنّ استيعاب الشعراء للواقع المعاصر، وإدراك العمل بوصفه فنا، وخلقا للجمال... كل ذلك قد عمّق المواقف الجمالية للشعراء.))[4]

إنّ الشعر السياسي ينبغي له أن يبحث عن رؤى فنية جديدة، مخالفة للتعابير السائدة، ولا ينبغي أن يكون خاليا من الجمال الفني[5]، وذلك ((لأنّ رؤيا الشاعر تستجيب لتجارب الحياة استجابة فنية، وهذه الاستجابة التي تأتي على شكل رؤيا، إما أن تكون تفسيراً للحياة، أو اقتراحاً لنمط آخر من الحياة.))[6]، وهذا ما يتطلب بحثا دائما عن رؤى فنية جديدة، قد تكون مخالفة لما هو سائد ومألوف من أساليب تعبيرية، وقواعد فنية، تناقلتها عصور الشعر العربي لقرون عدة من الزمن، الأمر الذي ينسجم مع رؤية (مايكوفسكي) في هذا الجانب، التي تؤكد أنّه لا يوجد ضابط جمالي، لأنّ ماهية الضابط الجمالي، هي الخروج عليه. فالكاتب كما يرى بعض الدارسين لا تتجسد أصالته في أسلوبه حسب، وإنما في طريقة تفكيره وقناعاته[7]. وبناء على ذلك فانّ، ((الفن ليس مجرد إعادة صنع الحياة حسب، وإنما تكوين لها أيضا، إذا هذه هي الحقيقة التي تساوي الفعل الثوري، التي ظل شعراء العراق الرواد في العصر الحديث يبحثون عنها، وهم في ذلك يشبهون (بوشكين) و(تولستوي) و(غوركي)، حيث كتب هؤلاء المبدعون على وفق الطريقة الخاصة التي فكروا بها ونظروا، وفهموا الناس

(1) في ندوة الأدب والفن : ماوتسي تونج : 46. دار النشر باللغات الأجنبية : بكين : 1968.

(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: د.جليل عطية: منشورات الجمل: ألمانيا: 1998.

(3) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 413.

(4) الأممية في الشعر السوفيتي: 47.

(5) ينظر : الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 66.

(6) الرؤيا في شعر البياتي: 31.

(7) ينظر: الرواية العربية: خورشيد فاروق: 75: دار الشرق: القاهرة: 1975.

والحياة بموجبها، لقد عاشوا ما كتبوا وكتبوا ما عاشوه.))[1] فالسعادة والسلام لا يتفقان مع الإبداع الفني، فالإبداع ابن الحساسية المرهفة[2] وأنّ جلّ الأدباء يولدون من رحم الثورات والأزمات، وأنّ أضخم الإنتاج الأدبي يتكون بعد الانقلابات السياسية والاجتماعية[3]، ولا إبداع في ظل الترف والدعة، ((إنّ المصائب والبؤس من الحركات المضطربة التي يولد بعدها الأدباء ...إن العبقريات موجودة في كل زمن، ولكن العباقرة يظلون تائهين عائمين حتى تقع الأحداث التي يصطلي الناس بحرارتها، فيصفها العباقرة، ويجعلون من حرارتها دفئا للقلوب والنفوس.))[4]، مما يعني أنّ الجانب السياسي مؤثر، ومحرك أساس في عملية التطور الإبداعي، غير أنّ التأثير لم يكن دفعة واحدة، وإنما كان على وفق مراحل أبرزها :-

- مرحلة السلفية اللغوية والأسلوبية.
- مرحلة الانعكاس الفكري والتأثر بالشعر الغربي.
- مرحلة التطور الهيكلي للقصيدة العربية وتطور الرؤيا الشعرية في الشكل والمضمون[5]

((إنّ الأحداث السياسية المتسارعة أدت إلى تغير مادي في حياة فئات من سكان العالم العربي، وأدت إلى ضرورة قيام ثورة أعمق من قبل على الشعر العربي شكلا ومضمونا))[6] فتغيير المضمون يستوجب تغيير الشكل، ((وإنّها لمفارقة غريبة أن نرى اليوم في المجتمع العربي شعراء يؤمنون بالاشتراكية والشيوعية، ويعبرون عن إيمانهم بالطرق ذاتها التي عبر بها الشعراء القدامى))[7] فالمناخ السياسي هو الذي أدى إلى فرز أشكال أدبية، وبرر ظهور

---

(1) الأفكار والأسلوب: أ.ف.تنشترين: ترجمة: حياة شراره: 37: طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية: بغداد: (بلا تاريخ).

(2) ينظر: علم النفس والأدب: سامي الدروبي: 233: مطابع دار المعارف بمصر: القاهرة: 1971.

يقول بتهوفن: ((إن الحساسية تلتهمني التهاما فما يمس الآخرين مسا يجرحني أنا جرحا.)) المصدر نفسه والصفحة.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 6.

(4) تيارات أدبية بين الشرق والغرب: إبراهيم سلامة : 300: مطبعة أحمد مخيمر: القاهرة : 1952.

(5) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 144.

(6) الشعر والمجتمع: علي الحلي: 36. مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث: 1974. منشورات دار الإعلام – الجمهورية العراقية – سلسلة كتب الجماهير دار الحرية للطباعة: بغداد: 1974. وينظر: الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: 3.

(7) المصدر نفسه: 33.

الشعر الحر وتعايشه مع الشطرين؛لتصب جميعها في خدمة القضايا الوطنية والاجتماعية[1]، باحثا في الوقت نفسه عن لغة تعبير جديدة في نضاله من أجل معايير خلقية جديدة..خالقا نكهة العصر، وموسعا المجال الذهني لتداعي الصور، ومكثفا الشعر عن طريق تقريب المفاهيم البعيدة[2]((فولّد شعرا جديدا هو الشعر الحر، وحمل بين طياته معالم رؤية جديدة.))[3] وما كُتب في الشعر(الجزائري)خير دليل على ذلك ((حيث تضمن أشكالا متنوعة في شكل القصيدة، معبرا أصدق تعبير عن نقطة تحول في مسار الحركة الشعرية الحديثة، بذلك يعد الشعر السياسي(الجزائري)أول تحوّل مهم في تاريخ الحركة الشعرية، بعد التحول الذي شهده العصر الأموي والعباسي.))[4] لأنّ المضمون الثوري غيّر من طابع الشعر، وجعله يتجه إلى الجماهير العريضة، وهذه العملية أفضت إلى محاولات تجديد اللغة الشعرية جذريا[5]، وذلك من خلال أشكال جديدة وتقنيات أسلوبية جديدة:كالتنوع في القوافي، واستخدام مجازات، وكلمات جديدة. ((فوعي الأديب السياسي للغة عصره .ومعرفته بتجربته، ورجاحة عقله، وخبرته بطبائع الناس، ودرجات تفكيرهم ما عسى أن يكون للغته وكلماته من صدى وأثر في الأذهان، فيحسن الاختيار ويضع الأشياء في مواضعها.))[6] بذلك يكون الأدب، ((قد توجه وجهة جديدة، من أهم معالمها ترك الألفاظ القديمة، واستعمال الكلمات المختارة.))[7]، وتلك المظاهر تتجلى في قصائد الشيخ:(إبراهيم اليازجي) لاسيما في قصيدته:((تنبهوا واستفيقوا أيها العرب.....)) وبعض قصائد (إلياس صالح)[8]، ولكن (الزهاوي) كان أوسع أفقا منهما،

---

(1) ينظر: مجلة الطريق: العدد(4): 1997.

(2) ينظر: الأممية في الشعر السوفيتي: 57.

(3) الشعر والمجتمع: 33.

(4) الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: عثمان سعدي: 17: دار الحرية للطباعة: بغداد: 1981.

(5) ينظر: الأممية في الشعر السوفيتي: 57.

(6) الأصول الفنية للأدب: عبد الحميد حسين: 62.مطبعة العلوم: القاهرة: 1964.

(7) الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: 3.

(8) ينظر: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر: جرجي زيدان: 287: 2: القاهرة: مطبعة دار الهلال: 1922.

وأعمق نظرة، وقصيدته المشهورة[1] تعد بداية التجديد في الشعر السياسي، وقيل إنّ التجديد السياسي كان على يد (شوقي)[2] و(الرصافي). والحقيقة أنّ التجديد الفعلي للشعر السياسي والفني، قد تشكل نسيجه الحقيقي على يد (الجواهري) فهو قد تأثر (بشوقي) و(الرصافي)، وأخذ عنهما، وتفوّق عليهما، إذ استطاع أن يجمع بين ظاهرة التمرد السياسي والفن الشعري، أو بمعنى آخر بين السياسة والفن[3].

ومن خلال ذلك نستطيع أن نستنتج بأنّ الشعر السياسي قد مرّ بمراحل فنية مختلفة، فتحول من الرومانسية إلى الواقعية، ومن المضمون إلى الشكل بشقيه: (التفعيلة) و(المنثور)، وهكذا يبقى الشعر في تطور مستمر، طالما أنّ هناك فكرا متجددا، ((فقد أصبح الشعر يتطلع إلى قيمة موسيقية جديدة، حتى يحقق الثورة كاملة. وما نحن بمتشبثين بالتفعيلة، ولكن لا يجب أن تلغى مادام القراء لم يهتدوا بعد إلى أساس موسيقى جديد، يقبله الذوق العام، ويعتمد على أسس فنية وعملية ذوقية، تتفق مع المضامين الجديدة، ومع الصور الشعرية، التي هي شيء آخر غير المضمون وغير الشكل. مازلنا إذا في حاجة إلى أن تبلغ الثورة الشعرية مداها، ولن تبلغه إلا إذا بلغت الثورة الفكرية المدى الذي يمكن أن تصل إليه))[4].

أما مضمون الشعر بعد تلك الهزات العالمية لم يعد مجرد صوغ كلمات رنانة، وإنما اتجه إلى العناية بالتجربة الشعبية في إطار إنساني، وأخذ يكتب ما عاناه من أزمات، ويسّجل ما يحسّه من آلام[5]، بذلك كان للأحداث السياسية أثرها البيّن في عملية التطور الإبداعي.

---

(1) ومن أبياتها قوله:

لهفي على بغداد من بلدة   قد عشش العزّ بها ثم طار

ينظر: الكلم المنظوم: الزهاوي: 268: دار مصر للطباعة القاهرة: 1955.

(2) قيل إنّ الشاعر(أحمد شوقي) هو الذي استحدث الشعر السياسي؛ ليوجه سهامه من خلاله إلى صدر المستعمر. ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 23.

(3) ينظر: الجواهري والطغاة: د. سعيد عدنان: 3،7،8،10. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: د.فاخر ميا: 75 إلى48. وينظر: الشاعر الحاكم والمدينة: جبرا إبراهيم جبرا: 43 إلى 87.

(4) تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 180.

(5) ينظر: الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: 3.

الشعر السياسي :مفهومه ومراحله

أولا :مفهوم الشعر السياسي

أ- تعريف السياسة:

((المصطلح مشتق من الكلمة الإغريقية (Polis) وتعني: مجتمعا سياسيا لمواطنين مرتبطين بدولة مدنية.))[1] وقيل:((إنّ السياسة مجموعة قرارات يتخذها عنصر سياسي، أو مجموعة سياسية بشأن اختيار الأهداف.))[2]، هو ما يتفق في مضمونه مع التعريف الحديث للسياسة، التي تعني: ((حكم الأمم أو فن هذا الحكم، وهي كما تتصل بنظم الدولة في الداخل، تتصل أيضا بنظمها والتزاماتها مع الدول الأخرى.))[3]

إنّ كل تلك التعاريف السابقة، لا تختلف عن مفهوم السياسة عند العرب قديما، كونها تعني:((تدبير شؤون الناس، وتولي أمورهم، والرياسة عليهم، ونفاذ الأمر فيهم.))[4]وقيل هي:((صلاح الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات وأتم الغايات.))[5]

وقد عدّ (إخوان الصفا) السياسة من العلوم الإلهية، وهي عندهم أنواع منها: السياسة النبوية، والسياسية الملوكية، والسياسة العامة، ثم السياسة الخاصة[6]، وإذا نظرنا إلى تلك الأقسام وجدنا أنّ الثلاثة الأولى منها، هي التي تتصل بموضوعنا من حيث اتصالها بتنظيم الجماعات- بعدما تتكون - وتدبير شؤونها الدينية والدنيوية.[7]

---

(1) المعجم السياسي الحديث: د.احمد عطية السعيد: 343.

(2) المصدر نفسه: 317.

(3) تاريخ الشعر السياسي : احمد الشايب: 3 ،4: القاهرة: مطبعة السعادة: 1953.

(4) لسان العرب، والقاموس المحيط: مادة: (سوس).

(5) رسائل إخوان الصفا: 1 : 314.دار صادر، بيروت: 1957.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 1: 207.

(7) ينظر: تاريخ الشعر السياسي: 4.ط: 4 : مكتبة النهضة المصرية: 1976.

ب- الشعر السياسي:بناء على ما سبق من تعاريف، يمكن القول بأنّ الشعر السياسي:

((هو هذا الفن من الكلام الـذي يتـصل بنظـام الدولـة الـداخلي أو بنفوذهـا الخـارجي ومكانتهـا بيـن الـدول))[1]

ثانيا: مراحل الشعر السياسي:

بعد أن وقفنا على حقيقة الشعر السياسي من خـلال تعريفاتـه الـسابقة - ولأجـل إزالـة الغموض عن بعض جوانبه- فقد أضيفت إليه قيود منها، أنه ليس بالضرورة أن يعـبر عـن رأي المجتمع، ولا تشترط فيه الأدلة، وليس مـن الـضروري أن يكـون تعـبيره عـن الـسياسة[2]. وأنّ فلسفة صراع الشعراء مع الحاكم عبر القرون تتوافق مع التعـاريف الـسابقة للـشعر الـسياسي في مدلوله، ((لأنّ السياسة: تعني بالـضرورة وجـود الـصراع واتفـاق الـرأي، وبـدون الـصراع لا تكون هناك أية حاجة إلى السياسة.))[3]، وقد ذهب بعض النقاد إلى عد شعر المدح الذي ينـشده شعراء القبائل في زعمائهم من الشعر السياسي[4]، وبذلك يمكـن القـول بـأنّ الـشعر الـسياسي، هو ظاهرة سياسية بارزة- عبر التـاريخ - تكـشف عـن ((صـلة الأدبـاء بالقبيلـة، أو بالخلفـاء والوزراء والملوك والسلاطين والأمراء، وتأييد سياستهم وسلطانهم أو الخروج عليهم.))[5]

يقوم الشعر السياسي إذاً علـى مفهـوم تحديـد موقـف المـواطن مـن الـسلطة، والتعامـل معها[6]. ثم تطور الشعر السياسي إلى مفهوم أعمق، لتـصبح وظيفـة الأدب الاجتمـاعي تعطـي معنىً سياسـيا عنـد كـثير مـن النـاس[7]، ومـن ثـم تجـاوز مفهـــوم القطريـة إلـــى القوميـــة والأممية[8]، فتناولوا مشكلات الشرق، وما خلفه الاستعمار من الجهل والتـأخر، وإذا بقـصائد

---

(1) تاريخ الشعر السياسي: 4.

(2) ينظر: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: 12.

(3) المعجم السياسي الحديث: 343.

(4) ينظر: في رحلة الفكر والتجول: هادي العلوي: 13.

يقول هادي العلوي: ((بذلك تعد الهاشميات من الشعر السياسي))المصدر نفسه والصفحة.

(5) الأديب والالتزام: محمود الجومرد: 101.مطبعة المعارف : بغداد: 1980.

(6) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 111.

(7) ينظر: الأديب والالتزام: 101.

(8) فعلى سبيل المثال لا الحصر تنظر: قصائد الجواهري: (شهيد العرب) الأعمال : 2 : 182. (فلسطين والأندلس) الأعمال: 4 : 529. (اطفـالي وأطفـال العـالم) الأعمـال: 5 : 827. (فرصـوفيا): الأعمـال: 5 : 846. (أيهـا الـوحش، أيهـا

تتحدث عن النهضة والحقوق[1]. فعلى الرغم من إقرارنا بتطور مفهوم الشعر السياسي، إنّ النقاد قد تضاربت أقوالهم حول تحديد تأريخه، غير أنّ الجمع الأكبر متفق على أنه موجود منذ القدم، يقول أحمد الشايب: ((هذا الضرب من الشعر كان في كل عصوره وآفاقه، من أبرز المقاييس في رسم الجانب السياسي لحياة العرب ونظمهم حتى البدائية منها أو الشبيهة بالبدائية، وكان وسيلة مهمّة من وسائل التعبير، التي تناولت السياسة منذ العصر الجاهلي، فقد كانت القبيلة العربية آنذاك أشبه ما تكون بالصورة المصغرة للدولة))[2]، بوصفها ذات مكان ووحدة ونظام ورئيس يشرف عليها وكانت صلتها بالقبائل الأخرى تشبه صلات الدول الآن[3]. وإذا عرضنا الشعر الجاهلي في جملته. وجدناه قبائليا يخضع في تجاربه لسيادة القبيلة ومكانتها بين القبائل، فهو يستمد مقومات القبيلة في إطارها الداخلي إذ يعتز بها ويمدح رجالها وأعمالها، وقد يثور عليها[4]، كما فعل الشعراء (الصعاليك) بقيادة (عروة بن الورد) مع ثلة من الذين معه، ممن أذلتهم الأوضاع السياسية والاجتماعية[5]، ((وقد كان هؤلاء من قبائل شتى جمعتهم الفكرة، فذابوا فيها والتزموها، وقاتلوا وسلكوا الأخطار في سبيلها، فضلا عن ذلك أنّ شعرهم يمتاز بالصدق والصراحة والقوة والنجدة والمروءة))[6]، فهذا (عروة بن الورد) الذي يلقبونه (بعروة الصعاليك) يقول:

دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيها لذي الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

فان نحن لم نملك دفاعا بحادث ... تلم به الأيام فالموت أجمل[7]

الاستعمار): الأعمال: 4 : 601.(سواستبول): الأعمال: 3 : 400.(ستالينغراد) : الأعمال : 3 : 408. (يوم الجيش الأحمر): الأعمال: 3 : 412.

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد حسين: 1 : 60.مكتبة الآداب: الإسكندرية: 1954.

(2) تاريخ الشعر السياسي: 4.

(3) ينظر: في الأدب المقارن : عبد الرزاق حميدة: 107: مطبعة العلوم: 1948.

(4) ينظر: الشعر السياسي العراقي في (القرن التاسع عشر): 122.

(5) ينظر: التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري: 17.

(6) الشعر السياسي العراقي (في القرن التاسع عشر): 124.

(7) شعراء النصرانية في الجاهلية: لويس شيخو: 6: 885: مكتبة الآداب: القاهرة: (بلا تاريخ). وينظر: حماسة أبي تمام: 2: 45. شرح العلامة التبريزي : مراجعة محمد عبد المنعم خفاجي : مطبعة محمد علي صبيح: 1995.

ويعد تلك المرحلة بدأ الشعر الإسلامي السياسي[1]، مرحلة جديدة، ممثلة بـ (حسان بن ثابت) و(كعب بن مالك) و(عبدا لله بن رواحه) ممن التزموا بالإسلام، ودافعوا عنه، وقاتلوا في سبيله.

ومن الجدير بالذكر((أنّ الشعر السياسي، قد تطور واتسع نطاقه من حيث الموضوعات، نتيجة لتطور الحكم والنظم عند العرب، بعد ظهور الدعوة الإسلامية.))[2]، وينفي الباحث (هادي العلوي) فكرة التطور عن مرحلة (العهد النبوي) سوى أنّ الشاعر لا يرجو مكافأة على ما يكتب، حيث يقول: ((على أن التجارب الجديدة التي شملها اصطلاح الشعر السياسي، لم تخرج عن أغراض الشعر القديمة، من مديح وهجاء ورثاء وحماسة، كما لم يطرأ تبدل مهم في مضامينها الفكرية أو صورها الشعرية، وربما كان (الهدف) هو الفاصل الوحيد بينها وبين الأغراض السالفة: هنا لم تكن المصلحة الشخصية للشاعر تقف وراء نتاجه الشعري، بل ارتباطه بالجماعة التي ينتمي إليها.))[3]، ثم يستطرد القول: ((بأنّ الشاعر السياسي يكتب تحت تأثير الالتزام، دون أن ينتظر المكافأة المعتادة من أوليائه باستثناء ذلك، لا يمتاز الشعر السياسي من التقليدي بأية ميزة))[4] وجاء (العصر الأموي) فنشطت الأحزاب التي اتخذت من الدين الإسلامي شعارا لها مثل: الحزب الأموي الحاكم، ثم العلويين، ثم الخوارج، ثم الزبيريين[5]. فقد كان لكل تلك الأحزاب شعراؤها، يعتقدون بعقائدها، ويذودون عنها فتشتد أشعارهم حماسة باشتداد الصراعات، التي ساعدت على توجيه الشعر السياسي وتطوره. فمثلا حينما ظهر الخوارج... ((برز منهم شعراء ملتزمون، خرجوا على تقاليد الجاهلية والعصبية القبلية، ولم يسلكوا طريق الشعراء: (الفرزدق) و(جرير) و(الأخطل)، الذين عاصروهم، ومن أشهر شعرائهم (عمران بن حطان) وهو من فحول شعراء الخوارج))[6].

---

(1) يقول هادي العلوي: ((إن الشعر السياسي بدا في عهد النبوة واستمر في العهدين الراشدي والأموي.)): في رحلة الفكر والتحول: 13.

(2) الشعر السياسي العراقي (في القرن التاسع عشر): 124.

(3) في رحلة الفكر والتحول: 13.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) ينظر: الشعر السياسي (في القرن التاسع عشر): 124. وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 111.

(6) الكامل: المبرد: 3: 262. مراجعة: محمد أبو الفضل والسيد شحاتة: دار النهضة: مصر: 1967.

ومما يجدر ذكره، فضلا عن تلك الفرق والأحزاب، ظهرت طائفة جديدة من الصعاليك، ((يصح أن نسميها طائفة الصعاليك السياسيين، وقد ساعدت الأوضاع السياسية المضطربة على نشأتهم وظهورهم...وكلهم كانوا من الفقراء، وقد تمثلوا الأوضاع السياسية تمثلا دقيقا، وكانوا أشد حقدا، وأعنف تمردا، وأكثر خطرا.))[1]

ولما انتقل الحكم إلى العباسيين، توجه الشعر السياسي إلى تأييد البيت الهاشمي، ثم انقسم على شطرين:شطر مع الجانب العباسي، وآخر مع العلويين.[2] ويذكر انّه ((عند النهايات الأخيرة للقرن الأول الهجري انتشرت في العراق، وبعض أقاليم الدولة قصائد سياسية، عرفت فيما بعد باسم (الهاشميات)، على يد (الكميت بن زيد الأسدي)، فكانت جزءا من تيار أدبي ظل جاريا حتى نهاية عصور الخلافة.))[3] وهذه مرحلة أخرى جديدة، مرّ بها الشعر السياسي العربي، وقد شهد تطورا فنيا ملحوظا ((فهو بدل من أن يمدح الشخص انتقل إلى المدح السياسي، وبدلا من أن يهجو الأمويين هاجم سياستهم، ثم ذهب إلى ابعد مدى، فوصف الوضع المعاش السيئ للجماهير، واضعا يده على التناقض الحاد بين معيشتها ومعيشة الطبقة الحاكمة))[4]. وهكذا استمر الشعر السياسي في طريقه المرسوم يؤيد ويناوئ، ولكنه في أواخر (العصر العباسي) حتى نهاية (القرن التاسع عشر) قد استحال معظمه إلى مدح وتأييد للحكم أيا كان[5].

((إنّ الشعراء قد مسحوا ما بقي للشعر من كرامة، فالمصلحة متبادلة، بين السلطان والشاعر.المدح يقابله العطاء الجزيل))[6] وهي أسوا مرحلة في تاريخ الأدب العربي.

---

(1) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي: د.حسين عطوان: 72. دار المعارف بمصر: 1970.

(2) ينظر: الشعر السياسي في (القرن التاسع عشر): 125.

(3) في رحلة الفكر والتحول: 13.

(4) في رحلة الفكر والتحول: 14.

(5) ينظر: الشعر السياسي في القرن التاسع عشر: 25.

(6) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 30. وممن بحث هذه الأغراض: إبراهيم الوائلي (الشعر السياسي في القرن التاسع عشر) ويوسف عز الدين: (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وداود سلوم (تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين).

شعر الجواهري بين السياسة والفن

يعد الجواهري من أغزر الشعراء الذين كتبوا في الشعر السياسي على مدى قرن تقريبا، إذ لا تخلو أية قصيدة من قصائده الشعرية من طرق أبواب السياسة تصريحا أو تلميحا، وإذا كان شعراء (الأندلس) قد وظّفوا الطبيعة في الغزل والرثاء، فإنّ الجواهري قد وظف الشعر السياسي في جميع الأغراض الشعرية - وبشكل فني- كما في قصائده: (في رثاء شيخ الشريعة)[1]، و(مبادلة العواطف)[2]، و(يا فراتي)[3]، و(على حدود فارس)[4]، و(على كرند)[5]، و(في الربيع)[6]، و(سلمى على المسرح)[7].

لقد استطاع ((أن يجمع مابين عنف الأحداث، وجمالية الفن، وأن تتوحد في أعماقه وفي شعره ملامح تلك الشخصية التي كان يراها موزعة مابين (الرصافي) الشاعر السياسي المتمرد المبتعد عن روعة الفن وجمال الصورة، وبين (شوقي) الفنان المصور))[8]. فمن هذا المزيج المتجانس، فضلا عن المزاج الشخصي، ودرجات العنف، وحب الناس والتحسين، ومدى القابلية على التطور والتأثر والتأثير، استطاع الجواهري أن يبتكر في الأدب العربي موضوعا جديدا - ولأول مرة في تاريخ الشعر السياسي- يصح تسميته بـ (الأسس الفنية للشعر السياسي)[9].

---

(1) الأعمال الكاملة: الجواهري: 1 : 58.دار الحرية للطباعة والنشر: بغداد: 2001.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 73.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 111.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 126.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 128.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 133.

(7) الأعمال الكاملة: 2 : 239.

(8) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 258.

(9) في حوار الدكتور علي جواد الطاهر مع شاعر العرب الأكبرمحمد مهدي الجواهري:
((هل استطاع الشعراء العرب أن يجعلوا من السياسة شعرا؟. الرصافي وحده مع الاحتياط فيما يتعلق بالناحية الفنية..إن مزاج الرصافي لم يكن مغامرا بلا حدود.وشوقي لا يشق له غبار، لو لم يقيد شعره بالعثمانيين، وكان مستحيلا أن يتمرد.)) ينظر: مجلة الكلمة العدد الثاني: 46 لسنة 1972.

إنّ الجواهري قد جمع مابين الفن الراقي، والواقعية والسياسية، مما جعل الشعراء الشباب يقلدون طريقته في شعره السياسي، كما يقول (السياب): ((وكأنهم يحسّون أنّ هذا اللون من الشعر يكاد يكون مكتملا، إن لم يكتمل فعلا على يد الجواهري))[1] فهو من أولئك الشعراء النادرين الكبار ((الذين حققوا هذا الارتقاء، وصنعوا ما هو خاص بهم، وما هو عام في الشعب كله، وبلغوا في لحظة توتر، أن يمزجوا ذاتهم الإبداعية بذات الشعب الملهم لهذا الإبداع))[2] فشعره إذن موزع بين الروعة الفنية، وما يمليه التاريخ، وتوجهه الحياة، مبتغيا المثل العليا بالتعبير والتفكير[3] فارتقاء الجواهري لهرم الشعر السياسي، إنما جاء بعد جهد جهيد.

إنّ الجواهري في السنوات التالية بعد (ثورة العشرين)، وحتى (الثلاثينات)، كان شعره السياسي، يفتقر إلى التفكير العلمي المنظم[4]. وفي مرحلته الثانية((التي تمثلها (الأربعينات) التي تشير إلى تخطّيه حدوده السابقة المعروفة، وحدود التقليد الشعري (الكلاسيكي)؛ ليصبح رائدا للمدرسة الكلاسيكية الجديدة، وكانت مجموعة المتغيرات التي حدثت في الحياة السياسية والفكرية في العراق هي التي أوجدت هذه الانعطافة في تجربته الشعرية، ولعل أبرزها انقلاب (بكر صدقي)(1936)، وقد كان شعره في هذه المرحلة سجلا ممتازا، وتصويرا دقيقا لتطلعات الحركة الوطنية، وأصبحنا نقرا له شعرا غير ما عرفنا للشاعر))[5].

إنّ قصيدة (أبو العلاء المعري)، تعد طفرة حقيقية في حياة الجواهري في مجالي الفكر والفن، فهو يتناول موضوعا سياسيا، يتعلق بصراع الطبقات، ولكن بأسلوب فنّي أخّاذ، من خلال لغته الشعرية، إذ استطاع توظيف العلاقات ما بين المفردات كما في قوله:

---

(1) التجديد في الأدب العربي: بدر شاكر السياب: 3. تنظر: جريدة الحرية: العدد908(16 حزيران 1957). وينظر: الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958: 319. وينظر: الصراع بين القديم والجديد: د.محمد حسين الاعرجي: 34.

(2)الجواهري شاعر التجديد والثورة: فاخر ميا: 23.دار المرساة للطباعة والنشر: سوريا-اللاذقية-2006.

(3) ينظر: شعراء من بلادي: علي إبراهيم: 18: منشورات حمد: بيروت ط1 : 1968.

(4) ينظر: في رحلة الفكر والتجول: هادي العلوي: 21، 23.

(5) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 281، 282، 283. وينظر: الجواهري وهوية المعاناة الفكرية: د.يونس الجنابي: 7.بحث مقدم إلى اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في27/ 3/ 2003.

قِـفْ بـالمعرّة وامـسحْ خـدّها التربـا | واسـتوح مـن طـوّق الـدّنيا بمـا وهبـا
وزمـــرةُ الأدب الكـــابي بزمرتـــه | تفرّقـــتْ في ضـــلالات الهـــوى عـــصبا
تـــصيّدَ الجـــاهَ والألقـــاب ناسيـــة | بـــأنّ في فكـــــــرةٍ قدســـيةٍ لقبـــا[1]

إذ نجد أنّ هناك علاقـة ((مـابين زمـرة الأدب -والكـابي بزمرتـه) ومـابين (الألقـاب) في الشطر الأول من البيت الثالث، والشطر الثاني من البيت نفسه، حيث جاءت لفظـة (لقبـا) في (مناسبة) أحسن الشاعر استغلالها))[2]

لقد عبّـر الجـواهري عـن الجهـاد والكفـاح بالغنائيـة، وبالأسـلوب الفـني الـذي امتـاز، بالمبالغات وبالتجسيم وباستخدام الجناس، والتلاعب بالألفاظ[3]، فضلا عن ((تلاحـم عناصـر الصور الشعرية، ومن ثم استخدامه للرمـز وصـولا إلى غايـات وطنيـة))[4]، كمـا نجـد ذلـك بوضوح تام في قصائد سياسية أخرى أمثال (عبد الحميـد كرامـي)[5] و(إلى الـشعب المـصري)[6] و(الدم الغالي)[7] و(في مؤتمر المحـامين)[8] و(المحرقـة)[9] و(الـدم يـتكلم بعـد عـشر)[10] و(سـبيل الجماهير)[11]، فالجواهري في تلك القصائد جدد الأغراض الشعرية، فأنشأ أدبا وطنيا عـصريا، بدلا من الاكتفاء بالأدب التقليدي، فالأشكال الأدبيـة الـتي كانـت سـائدة آنـذاك هـي:المقامـة، والقصيدة التقليدية بأغراضها المعروفة، غير أنّ الجـواهري قـد جـدد تلـك الأغـراض وألبـسها روحا عصريا جديدا[12]، يقول الجواهري في قصيدة (تنويمة الجياع):

---

(1) الأعمال الكاملة: 422: 3.

(2) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 287.

(3) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 31.

(4) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 281.

(5) ديوان الجواهري: 1 : 96.المكتبة العصرية بيروت: 1967.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 584.

(7) الأعمال الكاملة: 4 : 624.

(8) الأعمال الكاملة: 617: 4.

(9) الأعمال الكاملة: 2: 268.

(10) الأعمال الكاملة: 2: 272.

(11) الأعمال الكاملة: 2 : 239.

(12) ينظر: تنويمة الجياع وعصرية الأغراض الشعرية: محمد أمين احمد: 3. في ضـمن البحـوث المقدمـة لمهرجـان الجواهري الأول في 27 / 7/ 2003.

نـــامي جيـــاع الـــشعب نـــامي	حرســـــتك آلهـــــة الطعـــــام
نـــامي فـــإن لم تـــشبعي	مـــن يقظـــة فمـــن المنـــام
نـــامي علـــى زبـــد الوعـــود	يـــداف في عـــسل الكـــلام
نـــامي علـــى نغـــم البعـــو	ض كأنـــه ســـجع الحمامـــر
نـــامي فـــان صـــلاح أمـــ	فاســـد في أن تنـــامي[1]

إن الجواهري في تلك القصيدة، لم يخرق قاعدة مألوفة كالخروج على الوزن مثلا، ولكن رغم ذلك نستطيع أن نستشف منها الفن الأصيل؛ لأنه جمع في شعره بين العاطفة والخيال والفكرة، فمزجها مزجا شعوريا...يتماوج فيها صدى أفكاره المصيرية. فيتجدد فيها الزمن، وتتجدد الأحداث، فيرى الإنسان المعذب، فيرى كأنّ الحادثات والمصائب هي، مادامت البشرية في صراع دائم مع الطواغيت، ((فكل حدث جديد يرى نفسه في شعر الجواهري جديدا، وكل غرض من أغراض شعره، يتجدد معنى ومضمونا وفكرا))[2]، فالجواهري ((يمثل مطلق الصلاحية، في أن يكون لسان الأمة في أحداثها المعاصرة))[3]، فقصائده كما يصفها (جبرا) ((مونولوغ درامي تتفجر بالسخرية المترعة بالألم والحسرة على بني قومه، الذين رضوا بالسكوت على الظلم.))[4]، وبعد أن أيقن الشاعر بأنّ التصريح لم يعد يحملهم على الثورة، انتقل بهم إلى أسلوب التلميح والكناية، وبصورة مقلوبة في مفاهيمها، غريبة في مداليلها، بعيدة في مراميها ومقاصدها، متسمة بالسخرية المتشعبة؛ لتشمل كل الحياة، وبأسلوب فني متصاعد، بتصاعد صور السخرية، وذلك من خلال، ((وصل أجزاء الكناية بأضدادها باستمرار؛ ليحقق الإثارة))[5]، فالشاعر لا يميل إلى((الهجاء المقذع والشتم الصريح،

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 612.

(2) الجواهري وتنويمة الجياع: 2.

(3) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 19. وتنظر: مجلة المعرفة السورية: العدد: 281 لسنة: 1985.

(4) الشاعر والحاكم والمدينة: جبرا إبراهيم جبرا: 74، في ضمن محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية.

(5) نفسه.

والإدانة المباشرة، بقدر كونه يحتج ويصنع النكتة الساخرة))[1]، فهو بدلا من أن يرثي الجياع وفقرهم ثم موتهم وفناءهم، أخذ يربت على ظهورهم، طالبا منهم أن يناموا على جوعهم، فمع جوعهم وتضورهم يكون الأمان والسلام، فرثاؤه في (ترنيمة الجياع) لم يكن نوعا من البكاء أو ذرف دموع التماسيح، كما يفعل العملاء والمحتلون[2]...، بل كان نابعا ((عن القلق والشفقة يلبس فيه حس الفاجعة لبوس السخرية، مما لا نجده كثيرا في شعر الجواهري))[3]، وقيل هو نوع من اللامبالاة، واللاعقلانية في مواجهة الواقع عن طريق السخرية والتهكم الكاريكاتوري[4] فالجواهري يجعل المتلقي في جو شعري متأزم، فالصور تراقص، والنوم على نغم بعوض، كأنه سجع حمام...والعري والعراء يضفي على الجياع أثواب الغرام، ويدغدغ المتضور جوعا على مهد الأذى، وهو يتوسد خد الرغام. فهو يعبر عن مرحلة حالكة من مراحل تاريخ العراق، ألا وهي مرحلة الظلم والقهر في أثناء حكم المحتل وأذنابه للعراق. وتبقى القصيدة جديدة في موضوعها، طالما هناك محتل وظلم وفقر، فهي وإن كتبت في مرحلة مخصوصة، فانّ العبرة فيها بالعموم، وهنا تبدو رؤية الشاعر المبدع، ونبوءته الشعرية[5].

ومن خلال تلك القصيدة تتكشف لدينا صحة ما توصل إليه النقاد ((من توحيد العناصر الرئيسة في الشكل الفني، ويكشف بشكل خاص علاقة الشاعر بالواقع وبأفكاره، وبالقيمة الإبداعية))[6]. وظل الجواهري ملتزما بتوجهه الشعري، دون أن يؤدي بعض ما عاينه من تحولات سياسية وفنية إلى التحول عن الشكل التقليدي، ودون أن يتنازل- في الوقت نفسه- عن الوظيفة الثورية للشعر، فهو قد وفق أيما توفيق بالجمع بين ثورية الموقف السياسي، وثورية الشكل الفني. على هذا النحو وقع الجواهري في نظر الشعراء والنقاد بين نقيضين لا

---

(1) الخطاب التهكمي في شعر الجواهري: قيس كاظم الجنابي: 6. بحث مقدم إلى الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ضمن مهرجان الجواهري الأول في 26/ 7/ 2003.

(2) ينظر: الجواهري وترنيمة الجياع: 3.

(3) الشاعر والحاكم والمدينة: 74.

(4) ينظر: ديوان الشعر العربي: المقدمة: 2: ن،1.اختاره وقدم له أحمد سعيد ادونيس.

(5) ينظر: الجواهري وترنيمة الجياع: 3.

(6) الجواهري جدل الشعر والحياة: د.عبد الحسين شعبان: 11.بيروت- لبنان- دار الكنوز الأدبية: 1977.

يجتمعان:هما قمّة التقليد، وقمّة الحداثة، بوصفه الأب الروحي للشعر الحديث كما يقول (السياب)[1].

إنّ الشكل الشعري ليس هو مجرد شكل الإيقاع في القصيدة، فشكل القصيدة هو مجمل العناصر المتضمنة في عملية إعادة تنظيم اللغة العادية؛ لتصبح نسقا جديدا، وهذه العناصر توجد على المستويات اللغوية كافة:الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي. ولاشك في أنّ المنطلق الذي دفع الجواهري إلى هذا الامتلاك هو موقفه العصري في الحياة، وفي الفن معا، فهو قرين الفن والحياة، وقد أنتجت هذه العلاقة، تنظيما لغويا مغايرا للغة الشعر الكلاسيكي، لغة حية درامية بسيطة، لغة قادرة على تقديم منحنيات التجربة الفنية، بين الذاتي والموضوعي، بين الفكري (السياسي)، والشعور أو العاطفي (الوجداني)، مستفيدا في ذلك من منجزات الحياة اليومية الثائرة بطبيعتها، ومن تنوعات أنماط الوزن والقافية، في خلق إيقاعات حية رغم شكلها الأحادي[2]، ولعل هذه الخاصية جعلت الجواهرييصنّف ضمن أدباء العالم المعروفين، وأن تترجم أعماله إلى لغات أخرى[3].

الصراع بين الشاعر السياسي الملتزم والحاكم

انقسم الشعراء – عبر التأريخ – إلى صنفين اثنين:أحدهما يهيم في كل واد، ابتغاء المال، وهو قرين الحاكم ورفيقه، وآخر يصدع بما تأمره القيم والمبادئ، فهو عدو الحاكم وخصمه، ((لأنّ الشعر عندئذ يكون فعلا دافعا إلى فعل، يحرج أهل الحكم ويقلقهم، ويضطرهم إلى معالجته باللين حينا، وبالقسوة أحيانا، وتبقى إمكانية الفعل دائما ماثلة كسيف مصلت ما دامت القصيدة قائمة))[4]. وصاحب هذا النمط من الشعر، هو الشاعر الملتزم[5] ويصح تسمية أدبه بـ (أدب المتاعب) لأنّ مهمته، ((ليست في مجرد إقناع القارئ، بل في حمله على التفكير

---

(1) الثورة من الداخل: سيد بحراوي: 62. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل)، د.خيال الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999.

(2) ينظر: الثورة من الداخل: 62. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(3) ينظر: الأممية في الشعر السوفيتي: 55.

(4) الشاعر والحاكم والمدينة: 64.

(5) الأديب الملتزم: ((هو الذي يعتنق مبدأ إنسانيا، أو عقيدة، أو مذهبا دينيا، أو سياسيا أو اجتماعيا أو فلسفيا...ثم يلتزم به ويدعو إليه ويتحمل تبعاته، بنفس راضية مطمئنة.)): الأديب والالتزام: 34.

...إنّ الأدب طريق إلى إيقاظ الرأي، ولا أريد من الكاتب أن يريح قارئه ويلهيه، إنما أريد أن يطوي القارئ الكتاب فتبدأ متاعبه... فالكاتب مفتاح للذهن، يعين الناس على اكتشاف الحقائق والمعارف بأنفسهم لأنفسهم.))[1]، ويبرز هذا النوع من الأدب في المجتمعات التي تتعرض لرجات اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية؛ لأنه يجد نفسه ملزما بنصرة الحق[2]، فعندئذ يعبر عن فعله ((عن طموحات إنسانية وأمانيها وغضباتها، وأنّ عليه أنْ يفعل ذلك بصخب، وأن تكون لغته قادرة على رج الأفكار، وفرض البدهيات الخلاقة ، التي يبشر بها.))[3]، فهو المفكر الانقلابي المؤثر في الأجيال، وأنّ مسؤوليته أكبر من مسؤولية السياسي، التي عادة ما تكون محدودة بمدة لا تتجاوب معها الأجيال باستمرار[4] فالشعراء هم الذين يوقظون الشعوب، ويوجهونهم، ويضعون لهم المثل العليا[5]. يقول (شلي):((الشعراء كهنة الوحي الذي لا يدرك. هم مرايا الظلال الهائلة التي يلقيها المستقبل على الحاضر، الكلمات التي تقول ما لا تفهمه، الأبواق التي تصدح داعية إلى القتال، دون أن تعي ما توحيه، المؤثر الذي يحرك ولا يتحرك. إنّ الشعراء هم مشرعو العالم غير المعترف بهم))[6]. فالشاعر إنسان أعلى ميزه الله بقوة الفكرة، وحدة العاطفة وسمو الخيال، فهو من أصحاب الرسالات الفكرية، الذين يشعرون قبل غيرهم، ويفكرون أكثر من غيرهم في الكمال، ويتخيلون دون غيرهم ما وراء الواقع[7] إنه إنسان يدافع عن حرية الكلمة بحق، لا ليكسب من ورائها شيئا، ((إنه يقول الشعر، لميل في نفسه أو فكرة تضطرب في ذهنه أو لخاطرة عنت له، لا ليرضي حاكما، أو ليكسب عطاء.))[8]، فهو صوت الضمير في الأمة، خلق لقول الحقيقة، ثمة قرابة كبيرة تتضح أمام

(1) فن الأدب: توفيق الحكيم: 178.المطبعة النموذجية: 1952.

(2) ينظر: الأديب والالتزام: 34.

(3) الإنسان المتمرد: كاموا: 209. ترجمة نهاد رضا.منشورات عويدات: بيروت -لبنان-1975.

(4) ينظر: المنهج الفلسفي للرفض العربي: حازم مشتاق: 61: مطبعة جامعة بغداد: 1977.

(5) ينظر: الأديب والالتزام: 54.

(6) الحاكم والشاعر والمدينة: 65.

(7) ينظر: الشعر بين التطور والجمود : العوضي الوكيل: 104: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: 1964.

(8) تاريخ الشعر العربي الحديث: 754.

القارئ بين القرن (الثامن عشر) الانجليزي، وبين (النصف الأول) من القرن العشرين، لأسباب يجدونها وجيهة[1] ((إذ وجد كبار رجال المجتمع أنّ الشعراء أداة نافعة للسياسة. وكان الشعراء يعتبرون أنفسهم أصوات الضمير الاجتماعي، وعليهم أن يقفوا ضد المجتمع والسخف والادعاء والملق والفساد.))[2] والحقيقة أنّ الشاعر قد خاض غمار السياسة منذ زمن سحيق، فالشاعر مرآة مجتمعه منذ القديم، إذ كلما جدّت أحداث، هبّ لتصويرها لاسيما في المجتمعات غير المستقرة، التي تتعرض لهزات، وحروب واضطرابات سياسية، ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا الشعراء في العصور العربية، قد صوروا حياتهم، ويعد الشعر السياسي الظاهرة البارزة في ذلك الاتجاه[3].

إنَّ الشعراء قد تحولوا إلى سجل للأحداث لم يقف الشاعر مع الحاكم، بل وقف مع أبناء شعبه يبصرهم بحقوقهم[4]؛ ((لأنّ مسؤولية الأديب تدفعه، وتلح عليه، للمشاركة في الكفاح والعمل، على نصرة الحق، وتنبيه الناس إلى معرفة ما يحيط بهم من ظلم وجور.))[5] . بذلك بدأ الشاعر السياسي، يزاول مهمة رفض قيم الاستبداد، وراح يكسر بكل جرأة النظرية القديمة القائلة:بأنّ السلطان ظل الله على الأرض [6] .

إنّ الفنان تجلّ من تجليات الحرية، ولا يخضع لأي نظام آخر، بل يتحدى اي نظام، فالكفاح لا يخلق الفنان، بل الفن يجعلنا مقاتلين. الفنان يقف بسلاحه في وجه الدنيا[7]. إنّ على الأديب أن يشارك في القضايا المصيرية التي تخص أمته، وإلاّ أصبح مسيئا إذا لم يضع موهبته ونفوذه وشخصه في خدمة القضايا العادلة[8]، في خدمة المظلوم ضد الظالم[1]، وأنّ ما يدفع

---

(1) ينظر: من الغربة حتى وعي الغربة: فوزي كريم: 83.

(2) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: إليزابيث درو: 212: ترجمة: محمد إبراهيم الشوشي: بيروت: 1961.

(3) ينظر: الأديب والالتزام: 101.

(4) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 112.

(5) الأديب والالتزام: 101.

(6) ينظر: الخلافة: توماس ارنولد: 100: ترجمة جميل معلة: بغداد: 1969.

(7) ينظر: الإنسان المتمرد: كاموا: 261، 267.

(8) ((إن الشاعر (سبندر) دخل السياسة من أجل الدفاع عن (اسبانيا) ففشل وقال: ((أن الشاعر لم يخلق لسياسة بل للقلم.))الأديب والالتزام: 106. وفي أدبنا العربي شعراء كثر قد خاضوا غمار السياسة دفاعا عن الحق

الأديب نحو السياسة هو:((بأن ينعم بعالم جديد حر لا يقلقه الصراع لأجل السلطان، بين أمة وأمة، أو بين طبقة وأخرى.))[2]؛ لذلك انغمر كثير من الأدباء في الشرق والغرب ((في السياسة ومن النادر أن نجد أديبا معروفا إلاّ كانت له مشاركة في السياسة قليلة كانت أم كثيرة))[3]، والعراقيون أكثر شعوب العالم، ولعاً بالسياسة، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية[4]، بل أنّ ((الشعر العراقي أكثر شعر عربي ملتزم سياسيا في تاريخنا الحديث، وهذا هو الذي يفسر أهمية وغزارة مادته في الثورة الجزائرية، إذا ما قورن بشعر الأقطار العربية الأخرى.))[5]

إنّ أدب العالم الجديد، الذي ولدته الثورة، قد بدأ بالشعر[6]، وأنّ كل الثورات في العالم بدأها العلماء بالقلم[7]، لقد كان الواحد منهم ((داعية سياسية يطرح الهموم الجماهيرية قبل أن يهتم بمستوى إبداعه الفني...وكانوا يناضلون بقصائدهم وبالبندقية وسائر ألوان النضال.))[8] ومما يثير العجب أنّ هؤلاء الشعراء قد جهروا بالتنديد بالحكام، وراحوا يسلقونهم بألسنة حداد[9]. صحيح أنّ الشعر لم يؤثر في القرار السياسي، ولكنه استطاع تعبئة الجماهير، وتعرية الحكام وتعميق الوعي القومي[10]، بذلك أصبح الشعر سلاحا لمقارعة الحكام، ((ولا وجه للمقارنة ما بين نبرة شعراء (القرن العشرين)، وبين ما قرأناه لشاعر القرن(التاسع عشر)، ولعل

العدل فمن القديم: (عروة بن الورد) و(حسان بن ثابت) و(بشار بن برد) و(دعبل الخزاعي) و(ابن الرومي) و(المتنبي)، وفي العصر الحديث ظهر شعراء وطنيون وقفوا ضد الاحتلال أمثال: (شوقي) و(حافظ) و(الكاظمي) و(الرصافي) و(البصير) و(الزهاوي) و(الجواهري).

(1) ينظر: الإنسان المتمرد: 107،108.

(2) الشاعر والحياة: ستيفن سبندر: 102. ترجمة: د.مصطفى بدوي، من سلسلة (الألف كتاب) رقم: 258 مكتبة الأنجلو المصرية.

(3) الأديب والالتزام: 102.

(4) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي: 354: دار مكتبة المتنبي: بغداد: 1976.

(5) الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 15.

(6) ينظر: الأممية في الشعر السوفييتي: 49.

(7) ينظر: الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر: 5.

(8) الشعر والثورة: د.جليل كمال الدين: 244. بغداد: 1957.

(9) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 204.

(10) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 234.

هذه الحرية النفسية والوضع الحاد في تناول قضايا الحكم والسياسة، لم يكن سببهما التنامي المضطرد لوعي الشعر حسب، وإنما يضاف إلى ذلك، فهمهم لدور الشعر وهدفه، باعتباره سلاحا يقارعون به الظلم))[1].

إنّ الشعراء العراقيين حملوا راية الشعر العربي الملتزم، بالرغم من جور السلطات (العثمانية) و(الانكليز) ومرحلة (الحكم الملكي)، لقد كانت أصواتهم تمثل صرخات احتجاج، ووسيلة تحريض[2]، ولكن النتيجة الملاحقة والاضطهاد والتغرب، وصولا إلى النهاية المأساوية المعروفة:وهي الموت في الغربة[3]، وهذه الظاهرة لم تكن وليدة مستجدات وأحداث، وإنما هي ظاهرة قديمة، يمكن رصدها وملاحظتها في التاريخ العراقي القديم، والتي برزت نتيجة منهج العنف الدموي في الحياة العراقية وليس هناك أمّة أوغلت بسفك دماء أدبائها-لاسيما الشعراء منهم- مثل العراق وأشهر من شملهم القتل و التنكيل الشاعر:(الكميت بن زيد) و(دعبل الخزاعي) و(بشار بن برد) و(ابن الرومي) و(المتنبي)[4] و(الحلاج) وغيرهم، ممن انقلب عليهم الملوك في ساعة غضب أو توتر طائش، ليكونوا عند الرفيق الأعلى، وآخرين ممن نجوا من الموت هربا أو اعتذارا أو اختفاء[5].

واستمر مسلسل القتل والتنكيل بالشعراء، مرورا بكل تلك المراحل، ووصولا إلى عصرنا الحديث[6] مع الشعراء الذين لا تنسجم مواقفهم السياسية مع السلطة؛ لأنّ الأحزاب

---

(1) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 114.

(2) ينظر: شعراء عراقيون: منذر الجبوري: 5: دار الطليعة: باريس: 1977.

(3) ينظر: الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 30. وينظر: الشعر والثورة: 244. وينظر الأديب والالتزام: 78. وينظر: تاريخ العنف السياسي في العراق: باقر ياسين: 76، 390.

(4) ((ولعل خوف الحكام من لسان الشعراء، هو الذي دعا كافورا بعد فرار المتنبي منه، أن يرسل إليه من يقتله خشية لسانه)) الجديد في الأدب: حنا فاخوري: 468: دار الكتاب اللبناني: بيروت: 1967.

(5) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 76 ،390. وينظر: البداية والنهاية: ابن كثير: 1: 312. دار إحياء التراث العربي: القاهرة. وينظر: الأغاني: الأصفهاني: 2 : 186: دار الكتب المصرية: 1929.

(6) لم يقتصر الاضطهاد والتنكيل على شعراء العرب، وإنما شمل غيرهم من شعراء الأمم الأخرى ((فالشاعر الألماني والكاتب المسرحي (برتولت برخت)، 1956 وقف ضد النازيين فأمر(هتلر) بحرق

السياسية بعد الحرب العالمية الأولى تحالفت مع العسكر لتسلم السلطة، وكانت ترى في المفكرين والأدباء منافسا قويا لها، فعمدت إلى تنظيم حملات قاسية ضدهم[1] ((فمشهد الشاعر الهارب من سلطة الحاكم وقسوته ، قد أصبح أمرا مألوفا))[2]

فقد هرب الشاعر (بدر شاكر السياب) في مطلع (الخمسينات) إلى (إيران)، ومنها إلى (الكويت). ومن قبل فقد تعرض (الجواهري)إلى النفي والإبعاد إلى مناطق نائية في العراق ثم هروبه إلى إيران في ثورة (رشيد عالي الكيلاني)[3] ويتساءل الجواهري بعد أن أيقن المصير الذي ينتظره: ((لماذا يموت (الرصافي)في عاصمة وطنه على سرير حديدي عتيق مما يباع في سوق المزاد بأقل من دينار؟ ولماذا لا تسدل عنده ستارة حتى وإن من قماش رخيص على النوافذ الزجاجية التي تضج بما يشبه وهج النار من قيظ العراق؟ ولماذا لا يوجد كرسي في حجرته وإن من خشب؟.... ولماذا يرحل (الكاظمي) بعيدا عن وطنه معدما ومحتاجا؟ ليموت في القاهرة.))[4]، وبعد تلك الإستفهامات المتكررة يجيب فيقول: ((أنا واحد من هؤلاء. وكلنا في حقيقة الأمر لا نتجرأ لا بقليل ولا بكثير... أنا واحد من الضحايا النواشز في وطنهم العراق.))[5] ولعل خير من صور مأساة الشعراء -عبر التاريخ- مع الحكام هو الشاعر الكبير (نزار قباني) الذي يقول: ((ما أشقى العصافير في الوطن. ما أشقى العصافير التي كتب الله عليها أن تقول الشعر في بلادنا. فهي إما أن تموت بسيف القمع، وإما أن تموت بسيف الخصي، وإما أن تموت بسيف المنفى. لا كرامة الشاعر يغني في الوطن الذي (اخترع الشعر)، فجدنا (امرؤ القيس) مات بضربة شمس، وهو يبحث عن عظام جده في (الربع الخالي) . والعظيم أبو الطيب (المتنبي)، لا يزال مطلوبا حيا أو ميتا بناء على تقارير المخابرات العربية؛ لأن شعره ضد أمن الدولة. ولا تزال شرطة (الانتربول) تطارده منذ (العصر العباسي) حتى اليوم... والعظيم الآخر، (محمد

كتبه وكتب زملائه كما حصل ضد الكتاب المتنورين في القرون الوسطى لذلك اضطر للخروج من المانيا)):
مجلة الوطن العربي: 66. باريس العدد 67 في (2) حزيران 1978.

(1) ينظر: الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 6.

(2) تاريخ العنف الدموي في العراق: 146.

(3) ينظر: الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 8.

(4) مذكراتي: محمد مهدي الجواهري: 1 : 267.دار المنظر للطباعة والنشر: لبنان: بيروت: 1999.

(5) مذكراتي: 1 : 267.

مهدي الجواهري) مات يتيما، دون أن يجد نخلة عراقية واحدة (بين الرصافة والجسر ترضعه حليبها...أو تغمره الحصول على قبر لشاعر في هذا الوطن العربي المكتظ بالحزن من طنجا إلى كربلاء.))[1]

صراع الجواهري مع الحاكم

إنّ فلسفة الصراع، قد تجذرت في أعماق النفس العراقية منذ القديم، فالموت والعنف والصراع والقسوة، تستوطن في العراق منذ أيام (سومر)، والعراقيون يسيرون نحو العنف دون إرادتهم، ومنذ تلك القرون السحيقة في القدم، في(الألف الثالث) قبل الميلاد، وحتى الاحتلال الانكليزي للعراق عام (1917)م دارت على الأرض العراقية طاحونة الحروب[2]، فضلا عن الصراع المزمن- عبر التاريخ - بين الحاكم والمحكوم[3]؛ مما انعكس بآثارة على نفسية الفرد العراقي، فأصبح شخصية[4]عصية على الحاكم في كل زمان[5]. فالناس يعتقدون، أن كل بلاء يصيبهم هو من الحكومة، فإذا ثار الغبار هاجموا الحكومة[6]. يقول الجواهري:((ن العراق بلد قد اتعب الحاكمين والمحكومين على مدى التاريخ))[7]. والجواهري ابن بيئته: ((أنا ابن مجتمعي، إذا لم أكن هكذا فلست إنسانا، نحن نعيش قبليات حتى الآن غير صافين، وأنت تريدني وحدي أن أكون صافيا!!))[8]، فهو ينحدر إذا من تلك البيئة، حيث يتجاور التاريخ مع رمال الموت، والجدب الساخن مع برودة مياه الفرات، ولّد هذا المزاج المتمرد

---

(1) لا قبر لعصفور يتكلم اللغة العربية: نزار قباني: 319. مقال في ضمن كتاب (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(2) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 155 ،231، 340.

(3) ينظر: الشعر السياسي في القرن التاسع عشر: 314.

(4) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 334.

(5) ينظر: الحاكم والشاعر: زهير الجزائري: مجلة الثقافة الجديدة: 48: ت 1977: 2.

(6) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: 366.

(7) مذكراتي: 1 : 205.

(8) حوار مع الجواهري: أجراه معه محمد الجزائري: جريدة الجمهورية: (العدد): 2485،الملحق الأسبوعي: السبت ت 2: لسنة: 1975.

والمتناقض، الساعي إلى التغيير ولو من أجل التغيير[1]، يقول الجواهري:((جذوري بقيت في تلك البقعة المجذبة، بين الصحراء والبساتين، فرغم (90) سنة إني ذلك الطفل الذي لم يتجاوز العاشرة، وكل الصراع والمتناقضات قائم على هذه الحقبة الأولى من حياتي.))[2]

لقد تغلغلت الثورة في نفوس العراقيين أكثر من غيرهم من الأمصار[3]، ((والعراقيون يعتبرون الحكومة عدوة لهم، وهم يفتخرون بعصيان أوامرها))[4]، ويرجع ذلك إلى أثر البيئة الجغرافية في التكوين النفسي، وفي التركيب المزاجي، ((فلقد ظهر جليا في أهل العراق من شدة ومراس، وصبر على المصاعب وروح مشحونة بالتحدي لا يقبل الاستكانة ولا يستسلم للحكام))[5]، وقد اشتهرت قبائل العراق بالثورة على الحكام[6]، وارض العراق هي التي أنجبت الجواهري وأورثته الصراع فقد عاش (الدولة العثمانية) و(الاحتلال البريطاني)، ثم مملكة(نوري السعيد) ، ثم انقلاب (بكر صدقي) و(ثورة رشيد عالي)، ثم (حلف بغداد)، ثم سقوط (النظام الملكي)، ثم ثورة (1958) وما تلاها من عواصف فصارع الجميع[7]، فشخصيته تتطابق مع النموذج الذي يسميه: (علماء النفس) بالنموذج مارس (إله الحرب في الأساطير)، إن النموذج مارس يبحث عن الصراع والتنافس والخصومة[8]. إذا غضب على أحد يعني انتهاء العلاقة، يريد كل شيء بضربة واحدة[9]. وعندما اطلع (فاروق البقيلي) على مواقفه الجريئة

---

(1) ينظر: الحاكم والشاعر: زهير الجزائري: مجلة الثقافة الجديدة: 48: لسنة: 1977. وينظر: مذكراتي: 1: 31-40. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 2: 335. وينظر: الثورة العراقية الكبرى: عبد الله الفياض: 16. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 160.

(2) رحلة في ذاكرة الجواهري: ماهر عزام: 217.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(3) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: 365.

(4) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 290: 1.

(5) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 67.

(6) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: 179.

(7) ينظر: رحلة الجواهري ورحيله: أسطورة قرن: عبد الرحمن منيف: 228.في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(8) ينظر: علم النفس والأدب: 160.

(9) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: خلدون جاويد: 80، 81، 84، 107. دار الأضواء: 3 بيروت-لبنان-: لسنة: 2003.

قال فيه: ((إن ارض العراق لا تنبت إلا رجالا لهم طبع ناري))[1]، ويعترف الجـواهري بـذلك: ((أنا بطبعي حاد متوتر ومتأزم، وهو ما ينعكس على حالتي في رد الفعل، أحيانا يلتقـي تـوتري الشخصي مع التوتر السياسي))[2]، فهو مخلوق لا يستوي إلا بعد الثورة[3]وهو القائل:

أجـب أيهـا القلـب الـذي سـر معـشر	بمـا سـاءه مـن فادحـات القـوارع
بمـا ريـع منـك اللـب نفـست كربـة	وداويـت أوجاعـا بتلـك الروائـع
قـساة محبـوك الكـثيرون إنهـم	يرونك- إن لم تلتهب – غـير نافـع
ومـا فـارقتني الملـهبات وإنـا	تطامنـت حتـى جمرهـا غـير لاذعـي[4]

إنّه كمن يعيش في أيام الجاهلية يحب الصراحة والصدق والمجابهة، ليكـون حـر الـضمير صـريح القـول[5]، حتـى بـات يعـرف بأنـه: ((إذا اجتمـع الـشعر والتحـدي صـار المـشهد جواهريا))[6]، فالعنف الشعري والجواهري قرينان متلازمـان، لا يمكـن الفـصل بينهمـا ((بـأنّ الجواهري شاعرا، هو نفسه الجواهري سياسيا، فـان الفـصل بـين الشخـصيتين متعـذر.. فـان الحرارة التي تشعها قصائده السياسية تدل من قريب على المصدر الذي خرجت منه، وهو فوهـة الانفعال))[7]، فالصراع والتناقض سمة الشاعر ومصدر قوته، فهـو يحمـل التنـاقض والعنـف

(1) الجواهري: ذكريات أيامي: فاروق البقيلي: 6.دار الفارابي: بيروت: (بلا تاريخ).

(2) الجواهري جدل الشعر والحياة: 10.

(3) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 72.

(4) الأعمال الكاملة: 3: 396.

(5) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: 92.

(6) الجواهري شاعر استثنائي فريد: عبد الحسين شعبان: 88.ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(7) في رحلة الفكر والتحول: هادي العلوي: 22.في ضمن كتاب(محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية).

والتحدي طيلة قرن من الزمن. إنه يكره العنف، ولكنه يلازمه[1]، فهو يعترف بأن الصراع والعناد من دأبه، منذ بداياته يتوعد وكأنه في معركة دائمة[2]، كما في قصيدة (الاعتراف):

وكـــم مـــن منطـــق حـــرّ نزيـــه أزّيفـــه عنـــــــــادا بالجـــــــدال
مخافـــــة أن أرى فـــــه أخيـــــذا ومغلوبــــا كــــأنّي في قتـــــال[3]

إنّ الجواهري يعد شاعر الصراع والمقارعة، متأسيا في صراعه بالشاعر الهجّاء (الحطيئة)، ويعده جده، وينكر على من شتموه، فهو لا يستحق الشتم؛ لأنه كان صادقا في صراعه[4]. ويشبه الجواهري في صراعه مع الحكام إلى حد كبير الشاعر (المتنبي) إنهما عانيا مرارة الغربة، وقسوة الصراعات والمجابهات الحادة[5]. ولقد دلّت الأحداث بأن الجواهري كسلفه (المتنبي) قد وقف في وجه الظالمين، مقتحما عليهم بيوتهم، وحشدوا عليه المغريات وقد رفضها، حفاظا على فنه ووطنه[6]، فالحكام في شعر الجواهري، طغاة دائما يتصفون بالغدر والحقد، فالعدو دائما هو الفئة الحاكمة[7]. يقول الجواهري:((كنت بطبيعة مزاجي ممن يغاضبون الحكم والنظام))[8]، وقد قال لـ (محمد الصدر)-عندما طلب منه زيارة الملك- ((سيدنا يقولون عن هذا الملك، إنه كذاب، قلت ذلك مكررا، وأنا أجرجر ذيول مجالس (النجف) والكثير من ثرثراتها عن السياسة وعن الملك والحاكمين، وكل منهم يتقعر بما يشتهيه...قلتها وأنا مشبع

(1) يقول الجواهري: ((انا في حقيقتي اكره العنف واشعر أحيانا أن عنفي في غير محله فاشجب نفسي، ولكنني لا أستطيع إلا أن أكون كذلك مثل بطل (بلزاك) في رواية (الزواج الضائع)، وحين قرأت الرواية قلت هذا أنا)): حوار مع الجواهري جريدة الجمهورية العدد: 2485 ،الملحق الأسبوعي، السبت ت2 : 1975.

(2) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: د.سحاب محمد الأسدي: 118: مجلة كلية التربية الأساسية: العدد43، لسنة: 2005.

(3) الأعمال الكاملة: 1: 173.

(4) ينظر: الجمهرة وعبق الأزمنة الغابرة: ميخائيل عيد: 77. في ضمن الجواهري وسيمفونية الرحيل

(5) ينظر: رحيل آخر العمالقة: فايز العراقي: 233. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(6) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 133.

(7) ينظر: الشاعر والحاكم والمدينة: 57-60.

(8) مذكراتي: 181: 1.

بذلك كله من حيث لا أشعر.))[1]، فمن هذا المنطلق يبدو أن شاعرية الجواهري غدت تكتنز بـ(هم) مواجهة الآخرين أكثر من أي شيء آخر، فأغراضه الشعرية الأخرى لا تحتل إلا مساحة يسيرة، قياسا إلى شعره السياسي[2]، فقد عاش عوالم اختلط فيها الشعر بالسياسة والسياسة بالشعر[3]، فهو يقف في طليعة الشعراء الكبار، ليس بشعره فحسب، وإنما أيضا بمواقفه غير المهادنة، وكان في ذلك رافضا كأنه أحد صعاليك العرب[4]، متمردا على القهر والتسلط، وفي شعره قيمة الرفض، لكل ما هو سائد، وهي إرادة الفعل التغييري[5]، فكان رائدا في التعبير عن نضج الوعي القومي في تلك المرحلة، موضحا بأن الحكومات ما هي إلا هياكل ميتة، وأن الشعوب في معزل عنها[6]، ((ففي كيان الأمة انشطار وفصم، وكلما التأم الكيان من ناحية، وقع فيه انشطار وفصم من ناحية أخرى، والشاعر يجسد التحدي القائم بين الشطرين.))[7]، وقد كان هذا التحدي متسما بالجرأة[8]، حيث كان يوقّع باسمه الصريح في كل ما يكتبهوينشره، دون أن يتستر وراء (ألقاب)، كما كان يفعل أرباب بعض الصحف، وكثيرا ما دفعته جرأته، إلى استعمال أشدّ العبارات عنفا، في مهاجمة الجهة التي ينتقدها[9].

---

(1) المصدر نفسه: 1: 185.

(2) ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: د.عدنان العوادي 342: د.عدنان العوادي: 342. دار الحرية للطباعة: بغداد: 1985.

(3) ينظر: مذكراتي: 14: 1.

(4) ينظر: الجواهري..شاهد قرنين و. د.صابر فلحوظ: 96. في ضمن الجواهري وسيمفونية الرحيل.

(5) ينظر: قف بي فلست بمأتم الرثاء: محمود أمين العالم: 288.مقال في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(6) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 233.

(7) محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية: 57: إعداد فريق من الكتاب العراقيين: بغداد: 1969.

(8) تعلمت الجرأة والوطنية الكاملة وكلمة الحق من (الرصافي) ، فقد كان يقول كلمة الحق، ويؤمن بحرية الفكر وصدم الجمهور، وصدم التقاليد. ينظر: الجواهري...ذكريات أيامي: فاروق البقيلي: 193.

(9) ينظر: الجواهري صحفيا: سليم طه التكريتي: 214. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

إنّ الجواهري في قصيدة: (يا ابن الفراتين) يعلن عن مسؤوليته بين أبناء قومه، المسؤولية التي توجب عليه، أن يكون لسان صدق، لا يخشى في أدبه لومة لائم[1]، فلا بد من الصراحة في القول، وفي المجاهرة بالرأي، وبضرورة الصدع بكلمة الحق مهما كان عقبى ذلك.

يا ابن الفراتين قد أصغى لك البلد زعما بأنك فيه الصادح الغرد
زعمٌ يجبك منه الفخر إن صدقوا أو لا. فواجد همٍّ بثّ ما يجد
وقل مقالة صدق أنت صاحبُها لا تستمِنّ، ولا تخشى، ولا تعد
وما تخاف. وما ترجو وقد دلفت سبعون مثل خيول السُّبق تطّرد[2]

وفي قصيدته (المقصورة) يقول:

بماذا يخوّفني الأرذلون وممّ تخاف صِلالُ الفلا؟!
أيسلب عنها نعيم الهجير ونفح الرمال وبذخ العرا !
بلى! إنّ عندي خوفَ الشُّجاعِ وطيشَ الحليم وموت الردى
إذا شئتُ أنضجت نضج الشِّواء جلودا تعصَّت فما تشتوى[3]

هذه الأبيات تكشف عن شجاعة الجواهري إزاء أعدائه، إذ كان يحيطه الموت من كل جانب، ولكنه ما هان ولا حزن، إذاً كيف يجرؤ من يتهمه بالخوف[4]. وفي قصيدة :(جيش العراق) التي نظمت بعد سقوط (النظام الملكي) أنه لم يبق في نفسه شيئا-خلال تلك المرحلة- لم يقله في أعدائه ، كما في قوله:

لم يبق شيء لم نقله تشكيا فيما مضى بالمصرّحات وبالكنى
كُنّا نحذّرهم ونضرب راعيا مثلا لهم، وقطيعه مثلاً لنا
كنا نقول لهم أولاء نعالهم من خدّكم أعلى وأشرف موطنا

(1) ينظر: المؤتمر بين بغداد والبصرة: العوضي الوكيل: 104: وزارة الثقافة والإعلام: بغداد: (بلا تاريخ).
وينظر: هامش الأعمال الكاملة للجواهري: 908.
(2) الأعمال الكاملة: 5: 909.
(3) الأعمال الكاملة: 3: 478.
(4) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 129.

أنـــا ذاك الفـــــرد المخلّـــد امّـــــةً فيمـا اصـطلى، وبمـا أرتعـى، وبمـــا جنـى
ســــتون عامــــا لم أحـــاول ســـاعةً أنْ اختفـــي عمّـــن هنالـــك أو هنــــا[1]

إنّ الجواهري-وفي جميع مراحله - كان يمثل صوت الأمة في مواجهة الحاكم، ((فصراعه صرخة احتجاج على انحراف البطل.))[2]انـه البطل المأســاوي الذي تتـشخص فيـه العواطـف الجماعية[3]، فهو لسان الشعب، وفي ذلك يقول:

وأنــــا لـــسان الـــشعبِ كـــلُّ بليّـــةٍ تأتيــــه أحْمِـــــل ثقلــــها وأصـــــوّر
انـــي لأحـــسب حـــين أخـــبر ذمـــتي أنّ الـــــبلاد إلى ضـــــميري تنظـــــــر[4]

وفي قصيدة (ذكرى المالكي)، يختزل الجواهري العراق كله في شخصه، فيقول

أنــا العـــراق، لـــساني قلبـــه ودمـــي فراتــــه، وكيــــاني منــــه أشــــطار[5]

ولعل (جبرا إبراهيم) قد تنبه - بعد استقرائه لتاريخ الـشعر العربـي- إلى حقيقـة أغفلـها النقاد، والمتمثلة بـ :(التمرد السياسي والذاتية النرجسية)، ((وكلتا الفكرتين متـصلة بـالأخرى. إنهما الشقان من نزعة البطولة التي يتألف منها الغضب والنرجـسية. إن البطولـة تنبـع مـن هـذه الذات الضخمة التي تجسد الشمم البدوي، والرفض، وتمجيد الصراع تحقيقا للذات، فالـشاعر هنا بطل على غرار أوديبي))[6] يقول الجواهري:

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 706.

(2) الإنسان المتمرد: 238.

(3) ينظر : محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية: 48.

(4) ديوان الجواهري: 4: 35.

(5) الأعمال الشعرية الكاملة: 4: 691.

(6) الشاعر والحاكم والمدينة: 66.

يقول فرويد : ((البطل هو الابن الذي إذا ما قوى عوده واشتد ساعده، تمرد بكل ما لديه مـن رجولـة علـى أبيه ليزيحه أو يقتله، كما فعل أوديب إذ قتل أباه.)) نفسه.

وهـــل أنـــا إلاّ شـــاعر يرتجونـــه ... لنـصرة حـقٍ أو للطمـــــــــة معتــدي
وعنـــدي لـــسان لم يخنّـــي بمحفـــل ... كمـــا سـيف عمـــرو لم يخنـه بمـشهد[1]

ثم يكشف الشاعر عن سلاحه الذي ذخره لمثل تلك المجابهة، إذا كان عليه لزاما خوض غمارها[2]. فيقول في قصيدة: (شباب ضائع):

ذخـــرت لأحـــداث الزمـــان يراعـــا ... يجيـــد نـــضالا دونهـــا وقراعـــا
وأعددتـــه للطارئـــات ذخيـــرةً ... يـــزيح عـــن الـــشر الكمـــين قناعـــا
وألفيـــتني في كـــل خطـــب ينوبـــه ... أدافـــع عنـــه مـــا استطـــعت دفاعـــا
وهـــل أنـــا إلا كـــالمؤدّي رســـالة ... رأى كتمهـــا حيفـــا بهـــا فأذاعـــا[3]

إنّ مهمة الشعراء هو التحرش بالحكام، كما في قصيدته:(لعبة التجارب):

ولكـــن دأب الـــشاعرين تحـــرُّش ... ومـــن عـــادة الكتّـــاب خلـــق المتاعـــب[4]

إنّ نزال الشاعر والحاكم، أشبه بمصارعة إبليس للملاك جولة بجولـة، والـسقوط محـال، ولا يموت أحد ولا يغلب أحد، يقوم الشاعر والحـاكم فيتـسامران قبـل أن يعـودا إلى الحلبـة[5]، فهو نادرا ما يجد نفسه في صف الحـاكم، إذ يعـين سـكرتيرا في (الـبلاط) عـام (1926)، ولكنـه يُبعد، ويؤيد انقلاب (1936)، ولكن تأييده لا يدوم إلا أشهرا، ويصبح نائبا ، ولكنه يـستقيل، ويؤيد (عبد الكريم)، ولكن يكره على الرحيل، فهو في صراع دائم مع الحـاكم، ولابـد لـه في النهاية أن يهجره بالمخاصمة[6] ؛ لأنه يحملهم على الرقص كالقرود إذ يقول في (قارعة الطريق):

---

(1) ديوان الجواهري: 2: 15.
(2) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 124.
(3) الأعمال الكاملة: 363: 2.
(4) الأعمال الكاملة: 329: 2.
(5) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل : 258.
(6) ينظر: الشاعر والحاكم والمدينة: 60.

((قال:ومتى عهدك بالمدينة وأهلها ؟ قلت منذ تركتها...أما عهدي بأهلها ، فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها، لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود..وقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شرّ طرد من أجلهم .. طردني أنا ومن معي ...))(1).

إن شعر الجواهري هو تعبير عن معاناة الشعب العراقي، ولا يمكن أن نفهم صراع الشعب ما لم نقرأ الجواهري(2)، فقد مثلت قصائده صورة العربي الثائر، دفاعا عن قيمة عربية إنسانية راسخة في أعماق هذه الأمة، فهو قد صرخ في وجه الملوك، واندمج بصوته مع أحداث عصره(3)، متمردا على الإغراءات رغم كرسي البرلمان، إلاّ انّه لم يخضع، وأرادوا إسكاته بقطعة ارض، لكنه أبى إلا أن يبقى كما هو، يقول: ((رغم انشغالي بالأرض إلّا أنني لم أتغافل عما يجري على الشعب من ظلم واضطهاد.))(4) . فقد عاش قرنا من الصراع، وهو يعانق الموج ولا يركبه(5)، وتحديدا منذ(العشرينات) دخل الجواهري مرحلة صراعات حادّة مع السلطة، غير أنّه - برغم مرارتها- انتصر فيها جميعا؛ لبراءته، ويسرد بعضا منها في قوله: ((بعد مهرجان المعرة، ورحلة (يافا) شهدت حياتي حوادث (أشدّ من السيوف مضاربا) على حد قول (المتنبي)، لا يزال أثرها باقيا في نفسي، وذيولها تنسحب عليّ في كل خطواتي، فهي على خلاف تلك المضارب، تركت من الآثار والجروح ما هو أشد وأوجع... ومن هذه المضارب علاقتي بالملك (فيصل) وتقلباتها في العشرينات والثلاثينات))(6) ومرورا بالأربعينات، وانتهاء بالخمسينات وبداية الستينات، فهو الرجل المقاتل دون هوادة، مقاتل على طريقته في

---

(1) الأعمال الكاملة: 3: 387.

(2) ينظر: الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: مجيد الراضي: 131.في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(3) ينظر: أبو الطيب وظواهر التمرد في شعره: د.زهير غازي زاهد: 17. ملحق مجلة كلية الآداب: العدد15: سنة1979. وينظر: حين التقيته عند المحقق: د.فكتوريا نعمان: 189. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(4) مذكراتي: 2 : 132. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل. في ضمن مقال: (كتب بمخيلة عباسية وجاور المتنبي وصار محطة تاريخية: د.فاطمة المحسن: 297-299. وتنظر: مجلة الجوهرة: جابر شنكير(عدد): 1: بغداد: لسنة2004.

(5) ينظر: جوهرة المرارة والارتقاء: هادي العلوي: 173. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(6) مذكراتي: 1 : 252، 441.

على طريقته في التغرّب والمواجهة، وعبر صراع مع الحاكم، إذ يقول:((لقد كنت مقاتلا فاشلا أحارب على أكثر من جبهة، ورغم الجراح الكثيرة انهض في كل مرة...المجتمع يعج بالصراعات، وكل من يدخل الحلبة يدفع الثمن))(1)

على الرغم من شبابه المضاع، وكهولته المهدورة، نتيجة صراعه مع الحاكم بقوله الحقيقة، إلا انه كان يلتذ بذلك الصراع، كما في قصيدة (الباججي في نظر الخصوم):

ديدني تصوير ما في خاطري ... وأنا معرى بهذا الديدَنِ
أنا من أجل لساني مبتلى ... رغم إحساسي بعيش خشن
ولقد تعلمُ ما يلحقني ... من أذىً من بثّ هذا الشجن
غير أنّي واجدُ في مثله ... لذّةَ العاشق والمفتتن
ومن العار على الشاعر أن ... يحتمي في شعره بالإحن(2)

ولذة الجواهري في صراعه نابعة من كونه يترك خدوشا على وجه الحاكم، برغم علمه المسبق، أنّه يلقي جسده طعما للضواري، يقول في قصيدة (أنتم فكرتي):

أنا من تلكم الضحايا رمت بي ... فكرة حرّة وراء الحدود
لم أُطق كتمها وأعلم كلّ الـ ... علم أنّي بها أحزّ وريد
كنت فيها ألقي بجلدي للنمـ ... ـر وحولي ممزّقات الجلود
استلذ الصراع يُبقي ... في عتيٍّ ومعجب ومريد
خُدوشا ولأنقى من لجمة في ظلام ... لطمة في مصعّرات الخدود
وللقيا الحتوف وجها لوجه ... لذّة تبتغى بجهد جهيد(3)

(1) المصدر نفسه: 1 : 249، 2 : 256.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 264.

(3) الأعمال الكاملة: 5: 769.

ويقصد بذلك الزعيم (قاسم) الذي انقلب عليه برغم مدحه له، فسجنه وأهانه وأرغمه على الهرب إلى خارج الحدود. فالقصيدة نظمت عام 1961 في براغ في الذكرى الخامسة عشر لتأسيس اتحاد الطلاب العالمي. ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 77.

وقد حاول الحكام جميعا إغراءه بالمال وبالمناصب، ولكن دون جدوى مما حيرت شخصيته حكام العراق، ليقولوا بعد أن يأسوا من إسكاته (ماذا يريد الجواهري؟)، وقد أجابهم بأنه يريد، ((تحقيق مثل ينشده في الحكم، لا ضيم ولا عسف حيث يكون الحاكم على انسجام مع جماهير المدينة.))[1] يقول في قصيدته (عناد):

عناد من الأيام هذا التعسّف ... تحاول منّي أن أضام وآنف
وتطلب أن يستّل في غير طائل ... لسانٌ فراتيٌّ المضارب مرهف[2]

ويقول في قصيدة (هاشم الوتري):

لقد ابتُلُوا بي صاعقا متلهّبا ... وقد ابتليت بهم جهاما كاذبا
حشدوا على المغريات مسيلة ... صغراً لُعابُ الأرذلين رغائبا
ظنا بأنَّ يدي تُمدُّ لتشتري ... سقط المتاع، وان أبيع مواهبا
حتى إذا عجموا قناة مُرَّةً ... شوكاء، تُدمي من أتاها حاطبا
واستيأسُوا منها، ومن متخشّب ... عَنَتا كَصِلِّ الرَّمل يَنفُخُ غاضبا.[3]

ستون عاما والجواهري يقارع الطغاة، فما أن يجتاز لجة حتى يقع في أخرى غيرها، يقول الجواهري، (عيد أول أيار):

أنا عامل بالفكر أعمِل مِعولي ... في صخرة فأحيلها لِفُتات
في الكفّ مطرقتي أفُلّ بحدِّها ... أصلابَ أوغادٍ، وهامَ طغاة
ستون عاما خضتها كمخاضكم ... لجج الحياة عنيفة الغمرات
اجتاز منها لجّة وتلقّني ... أخرى، وتفسد لفّها عزماتي

---

(1) الشاعر والحاكم والمدينة: 44.

(2) الأعمال الكاملة: 1: 229.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 561.

يـدي أشـدّ، فـان هـوت، فبـساعدي فـإذا التـوى، فبماضـغي ولهـاتي[1]

لقد كان الجواهري، يستغل المناسبات بشتى ألوانها، متخذا منها سبيلا إلى صبّ حمم لعناته على رؤوس حكام عصره، ففي (الخمسينات) كان في أشد حالات صراعه مع السلطة، وكان في قمته الشعرية، إذ توجه إليه الدعوات من كل فج قريب وعميق، فيلبي الدعوة؛ ليفرغ ما في قلبه من هموم جراء ما يكابده وطنه من ظلم، فيثير حفيظة الحكام، مما يضطره إلى طلب اللجوء، كما في قصيدة (خلفت غاشية الخنوع)، التي ألقاها عام (1956)في(دمشق)ومما جاء فيها قوله:

خلّفـت غاشـية الخنـوع ورائـي وأتيـت أقـبس جمـرة الـشهداء
أضـحيّة الحلـف المجـين بـشارة لـك في تكـشّف سـوءة المجنـاء
أسـطورة "الأحـلاف" سـوف يمجهـا التـاريخ مثـل خرافـة الخلفـاء
واهـزأة الأحـلاف بـين مـسخّـر ومـسخّرين، وسـيّد وإمـاء
سـيرى عتـاد الأجـنبي بعيـنه مرمـى عقيـدة أمّـة عـزلاء
سـتعود تُـصهر طلقـة وقذيفـة ترمـي الطغـاة سلاسـلُ الـسّجناء[2]

مما اضطره إلى طلب اللجوء مدة (عام ونصف)[3]، وكما حلّ ضيفا على الشعب المصري مدة (عام) ، بسبب قصيدته الشهيرة :(إلى الشعب المصري)، وفيها يقول:

إنـا لنـبرأ مـن لـصوص عندنـا تمـضي علـى مـا لا نُحـب ونُمهـر
تمـضي علـى صدع الـصفوف وفوقهـا راحـت يـد الـستعمرين تؤشـر[4]

(1) الأعمال الكاملة: 4: 728.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 672.

(3) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 149.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 584.

فهـو عندما تتجمع فيه الهموم ينفجر كالصواعق المحرقة التي لا تبقي ولا تذر[1].

إيـهِ عميـد الـدار شـكوى صـاحب	طفحـت لواعجـه فنـاجى صاحبـا
أنبيـك عـن شـر الطغـام مفـاجرا	ومفـاخرا، ومـساعيـا ومكاسـبا
الـشاربين دم الـشباب لأنـه	لـو نـال مـن دمهـم لكـان الـشاربا
والحاقـدين علـى الـبلاد لأنها	حقـرتْهم حقـرَ الـسليب الـسّالبا
أنـا حـتفُهم ألجُ البيـوت علـيهمُ	أغـري الوليـدَ بـشتمهم والحاجبـا
أنـا ذا أمامَـك مـاثلا متجبـرا	أطـأ الطغـاة بشـسع نعلـي عازبـا
وأمـطُ مـن شـفتيّ هُـزءا أن أرى	عُفُـر الجبـاه علـى الحيـاة تكالُـبا
لـستُ الـذي يعطـي الزمـان قيـاده	ويـروح عـن نهـج تـنهّج ناكبـا
آليـت أقـتحم الطغـاة مـصرّحا	إذ لم أعـوّد أن أكـون الرائيـا[2]

يمثل تلك القصائد زلزل الجواهري الأرض من تحت أقدام الحاكمين، ولعل الأستاذ (الدجيلي) -الذي كان ملازما له جلّ حياته- خير من صور الجواهري في صراعه مع الحاكم في أبياته الآتية:

وظللـت أبـحث عـن عنيـد	الـرأي فـي الأدب العـراقـي
وصـبحت غيـرك كثـرة	فـسبرتُ ألـوانَ النّفـاق
ألبـا فـرات أنـت صـا	عقـة علـى هـذا الخـلاق
قارعـت عـسفَ الحاكميـن	بعـاطف صعـب الـتـلاق[3]

بذلك يكون الجواهري قد شرّع لفن جديد لم يألفه الأدب العربي من قبل، ألا وهو (منهج العنف الشعري) ، فما بين البارودي وشوقي، وما بين الرصافي والزهاوي، كان الشعر العربي في مطلع القرن يدعو إمّا إلى إصلاح السلطة العثمانية، وإما استقلال العرب عنها، وإما إلى الإصلاح الاجتماعي، كما نطالع في قصائد (بشارة الخوري)، و(خليل مطران) عن (اليتيمة) و(المشرّدة) و(الأم الجائعة) وحتى (فتاة الجبل الأسود) الفرق بين تلك القصائد وقصائد الجواهري، هو في نوعية النبرة، واختلاف الرؤى الدموية[4]. إيمانا منه بأنّ إصلاح الوضع يكون بالشعر السياسي الثوري الذي بدأت به كل الثورات في العالم قديما وحديثا.

---

(1) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 129.

(2) الأعمال الكاملة: 3: 567.

(3) مع السائرين: عبد الكريم الدجيلي: 42. مطبعة الإرشاد: بغداد: 1960.

(4) ينظر: محمد مهدي الجواهري والعنف الشعري: د.محيي الدين صبحي: 338. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: في رحلة الفكر والتجول: 25. (في ضمن الجواهري وسيمفونية الرحيل)

الفصل الأول

مرحلة الاحتلال

الساحة السياسية في عصر الجواهري

الفصل الأول

مرحلة الاحتلال

الساحة السياسية في عصر الجواهري

توطئة تاريخية:

من المعلوم أنّ الجواهري، ولد عام (1900) م، وهي المرحلة التي كان فيها العراق جزءا من الإمبراطورية (العثمانية)، فعاش شطرا من حياته في ظلها، وشهد في شبابه انهيارها على يد (الانكليز) في أثناء احتلاله للعراق عام (1914)، وقد خاض الجواهري غمار صراعات حادة في كلتا المرحلتين لاسيما مرحلة الاحتلال والانتداب وما بعدها، وقد أثرت تلك الصراعات الكبيرة - التي شكلت فيما بعد تاريخ العراق السياسي- في شخصيته وأدبه. فالأحداث التي مرت بالعراق كان لها أثرها الفعال في إنتاجه الأدبي، فشعره يعكس تاريخ العراق إذ نجد في شعره القوانين المعمول بها في تلك المرحلة، ومستوى المعيشة، ورجال الحكم، ونوع الحريات والديمقراطية، والعلاقات السياسية والاجتماعية، والمستوى الثقافي[1]، فقد عاصر العهد العثماني، وعهد الاتحاد والترقي والاحتلال البريطاني، وتشكيل الحكم الوطني، وكان على صلة بقادة السياسة، وربابنة البلاد.. وقد أسهم إسهاما فعالا في تاريخ العراق الأدبي[2]، فشعره سجل لأحداث (قرن) كامل تقريبا، بما تنطوي عليه من هزات اجتماعية واضطرابات سياسية، وانتفاضات وطنية، وانقلابات فكرية[3]. فدواوينه تعج بقصائد تندد بالاحتلال[4] وتمجد الثورة العراقية[5]، كما نجد قصائد تتقلب بين المدح والذم

---

(1) ينظر: الجواهري شاعر العربية: عبد الكريم الدجيلي: 52. مطبعة الأداب: النجف: 1972.

(2) ينظر: خيري المنداوي: حياته وشعره: 56.

(3) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 105.

(4) قصيدة (العزم وأبناؤه): الأعمال الكاملة: 1 : 57، و(شدة لندن): الأعمال الكاملة: 174. وقصيدة (الثورة العراقية) الأعمال الكاملة: 1 : 63. وقصيدة: (المس بل): 1 : 222.

(5) قصيدة (ثورة العراق): الأعمال الكاملة: 1 : 59. و(الثورة العراقية): الأعمال الكاملة: 1 : 63.

في (الملك فيصل)[1] و(غازي)[2] و(عبد الإله)[3] و(نوري السعيد)[4]، كما نشر على قصائد تهاجم السلطة[5] وتحط من قدرها بطريقة لا مثيل لها في تاريخ الشعر قديما وحديثا، فهو السياسي الأديب. فعمل في البلاط ثم امتهن الصحافة السياسية، ووقف إلى جانب انقلاب (1936)[6]، ودخل (البرلمان) وأيد ثورة (رشيد عالي) وهرب إلى إيران، وندد باتفاقية (بورتسموث)، وسجل أحداث وثبتها، ورثى شهداءها[7]، وخلد انتفاضة (1952)[8] وثورة(14) تموز (1958)[9]، وكتب أروع قصائده في حب العراق[10]،

---

(1) قصيدة (تذكر العهود): الأعمال الكاملة: 1 : 110. و(الملك والانتداب): الأعمال الكاملة: 1 : 83. و(ثورة الوجدان): الأعمال الكاملة: 1 : 192. و(وخزات): الأعمال الكاملة: 1 : 108.

(2) قصيدة: (كفارة وندم): الأعمال الكاملة: 4 : 657. و(غازي): الأعمال الكاملة: 1 : 158.

(3) قصيدة: (ناغيت لبنان): الأعمال الكاملة: 3 : 497.((وقد علّق على صدره أرفع وسام)): الجواهري شاعر من القرن العشرين: 19. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: د.محمد حسين الاعرجي: 171: دار المدى للنشر: دمشق: 2003.

(4) وقد خص الجواهري، (نوري السعيد) بقصيدتي مدح، وهما: (الزعيم نوري) و(لتكن حازمة). تنظر: جريدة العراق(عدد)3041، 7 نيسان. وينظر: مع الجواهري والحديث ذو شجون: د.إبراهيم السامرائي: 350.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: د.علي عباس علوان: 274. وتنظر: قصيدة (في مؤتمر المحامين): الأعمال: 4 : 622.

(5) قصيدة: (الدم يتكلم بعد عشر): الأعمال الكاملة: 2 : 272. و(ساعة مع البحتري): الأعمال الكاملة: 1 : 213. و(ما تشاءون): الأعمال الكاملة: 4 : 664. و(تنويمة الجياع): الأعمال الكاملة: 4: 610. و(يا أم عوف): الأعمال الكاملة: 4 : 664. و(هاشم الوتري)3 : 561. و(على قارعة الطريق): الأعمال الكاملة: 3 : 387. و(سبحان من خلق الرجال): الأعمال الكاملة: 1 : 122.

(6) قصيدة: (تحرك اللحد): الأعمال الكاملة: 2 : 361.

(7) قصيدة: (في مؤتمر المحامين): الأعمال الكاملة: 4 : 622، وقصيدة: (أخي جعفر): الأعمال الكاملة : 3 : 501، وقصيدة(ذكرى): الأعمال الكاملة: 4 : 627.

(8) قصيدة : (ظلام): الأعمال الكاملة: 4 : 640. و (ما تشاءون): الأعمال الكاملة: 4 : 634.

(9) قصيدة: (جيش العراق) الأعمال الكاملة: 4: 706. و(باسم الشعب): الأعمال الكاملة: 4: 712. و(سلمت ثورة): الأعمال: 6 : 950.

(10) قصيدة: (يا دجلة الخير): الأعمال الكاملة: 5 : 772. و(أيها الأرق): الأعمال الكاملة: 5 : 787. و(بريد الغربة): الأعمال الكاملة: 1 : 164. و(على كرند): الأعمال الكاملة: 1 : 128. و(بين قطرين): الأعمال الكاملة: 1: 130. و(على دربند): الأعمال الكاملة: 1: 162.

ولم ينغلق الشاعر داخل حدود العراق وأحداثه العامة، حيث لم تقيده الحدود الإقليمية من انطلاقته عبر ساحة الوطن العربي، فبكى فلسطين في نكبتها عام(1948)[1]، وما أعقبها من تشرد وفقر، فظل يتدفق حقدا على الصهيونية والاستعمار، كما بكى من قبلها(الأندلس)[2]ووقف مع الشعوب العربية، فتناول ثوراتها ومواقفها، وكان لثورة(الجزائر)[3] أثر كبير في شعره، وهكذا قصائده في(مصر) [4] و(سوريا)[5] و(لبنان)[6] و(تونس)[7] والوحدة العربية[8]، كما خلد شخصيات وطنية[9] وعربية[10] وإسلامية[11] وعالمية[12] نتيجة لمواقفهم الخالدة، بل اتخذ من شعره وسيلة للتعبير عن أفكاره الإنسانية والأممية[13]. إذا أن الجواهري تاريخ كبير، وحياته في الشعر امتداد للحياة السياسية في العراق والوطن العربي والعالم[14]، فشعره تسجيل صفحات من تاريخ العراق الحديث، من خلال شاهد تعد تجربته الشعرية أكبر من عمر العراق المعاصر[15]، ((فشعره مصدر مهم لدراسة تاريخ

---

(1) قصيدة: (يوم فلسطين): الأعمال الكاملة: 2: 372 ، و(فلسطين): الأعمال الكاملة: 3 : 529، و(فلسطين الدامية): الأعمال الكاملة: 1 : 208.

(2) قصيدة : (فلسطين والأندلس): الأعمال الكاملة: 3 : 529.

(3) قصيدة : (الجزائر): الأعمال الكاملة: 4 : 679.

(4) قصيدة: (إلى الشعب المصري): الأعمال الكاملة: 4 : 584 ، و(الدم الغالي): الأعمال الكاملة: 4 : 624. و(بور سعيد): الأعمال الكاملة: 4 : 686.

(5) قصيدة: (في الثورة السورية): الأعمال الكاملة: 1 : 150، (إلى القوتلي): الأعمال الكاملة: 4: 607

(6) قصيدة: (لبنان يا خمري وطيبي): الأعمال الكاملة: 5 : 754.و(ناغيت لبنان): الأعمال الكاملة: 3 : 494.

(7) قصيدة: (تونس): الأعمال الكاملة: 3 : 413.

(8) قصيدة: (الوحدة العربية الممزقة): الأعمال الكاملة: 1 : 89.

(9) قصيدة : (ذكرى الهاشمي): الأعمال الكاملة: 1 : 367. و (في أربعين السعدون): الأعمال الكاملة: 1: 228.

(10) قصيدة: (شهيد العرب): الأعمال الكاملة: 1 : 182. و(فيصل السعود)الأعمال الكاملة: 2 : 282.

(11) قصيدة: (جمال الدين الأفغاني): الأعمال الكاملة: 3 : 429.

(12) قصيدة: (في ذكرى غاندي): الأعمال الكاملة: 5 : 741. و(زوربا): الأعمال الكاملة: 5 : 919.

(13) قصيدة: (فرصوفيا): الأعمال الكاملة: 5 : 846. و(ستالنغراد): الأعمال الكاملة: 3 : 400.

(14) ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 4.

(15) ينظر: الجواهري جدل الشعر والحياة : 11.

العراق السياسي في(القرن العشرين)، كما وجدنا ذلك في أشعار (الرصافي) ، إلا أن أهمية شعر (الجواهري) التاريخية، تفوق أهمية شعر(الرصافي) التاريخية لنزوع الأخير إلى الأفكار المثالية، وإكثاره من الأسلوب المباشر، الأمر الذي يوجه القارئ إلى النهوض والارتقاء فورا))[1].

ونحن في بحثنا هذا سندرس في المواضيع القادمة، -وفي ضمن الفصول المختلفة- أبرز المحطات السياسية في حياة الشاعر(محمد مهدي الجواهري).

الاحتلال البريطاني للعراق

أخذت فكرة احتلال الدول العربية تحتل مكانا بارزا في الفكر الأوربي، منذ النصف الأول من (القرن التاسع عشر)، حتى بداية (القرن العشرين)، وبدأت بترسيخ نفوذها فيها تمهيدا للسيطرة عليها. إنّ بدايات النفوذ(البريطاني) في العراق يرجع إلى سنة (1820) حينما ادّعى أحد الموظفين البريطانيين، وهو المستر (ريج) بأنّ لبريطانيا حقوقا أقرتها أسطنبول[2]؛ لأنّ مصالح بريطانيا لا تنحصر في الخليج، بل تشمل بغداد. ((فمن الخطأ أن نفترض أنّ مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، إنها منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد، وإنّما تمتد شمالا إلى بغداد نفسها.))[3]، وذلك لتأمين مواصلاتها بين الهند وبغداد[4]، ولتنقيب الآثار وسرقتها[5]، ولوجود آبار نفط غزيرة بغية نهبها[6]، وتحقيقا لتلك الأطماع تحركت القوات

---

(1) الشعر العراقي مرحلة وتطور: د.جلال الخياط: 104.دار صادر-بيروت-1970.

(2) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 231، وينظر: مقدمة في دراسة العراق المعاصر: د.زكي صالح: 9 : مطبعة الفرات: بغداد: 1953.

(3) العراق دراسة في تطوره السياسي: فيليب ايرلاند: 24. مطبعة الكشاف: بيروت: 1949: ترجمة جعفر خياط.

(4) ينظر: النظام السياسي في العراق: د.محمد عزيز: 41. مطبعة المعارف: بغداد: 1945. وينظر: على طريق الهند: عبد الفتاح إبراهيم: 63، مطبعة الأهالي: بغداد: 1932.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 333. ((إنّ كنوز العراق هي التي تدفع الغزاة لاحتلالها)) تاريخ العنف الدموي في العراق: 171.

(6) ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: عبد الرحمن البزاز: 65 ،مطبعة العاني: بغداد: 1967. وينظر: تاريخ العراق السياسي الحديث: عبد الرزاق الحسني: 54.

البريطانية من البحرين باتجاه البصرة، فاحتلت (الفاو)[1]؛ وذلك بحجة حماية مصافي النفط في (عبادان)[2]. وكانت أحداث الحرب العالمية فرصة سانحة أمام الانكليز لاحتلال مدينة البصرة[3]. وبعد أسبوعين من احتلال (الفاو) دخلت بريطانيا البصرة دون أية مقاومة[4] بعد انسحاب الأتراك في (1914)، ومن ثم أسرعوا في وضع الخطط اللازمة، لاحتلال المدن العراقية الأخرى[5]، ثم حدثت ((معركة (الشعيبة) و(العمارة) و(الناصرية) ومعركة (الكوت) وعصيان (النجف) و(كربلاء) و(الحلة) وسقوط (السماوة)، ثم معركة (سلمان باك)، ثم سقوط بغداد))[6]، فتم الاستيلاء على جميع المدن باستثناء (الموصل)[7]، وبكى العراقيون السلطان (عبد الحميد)[8]، ((لأنّ الشعب العراقي تربطه بالعثمانيين رابطة الدين، على عكس الغزاة الجدد، الذين لم يكونوا على دين ملتهم، وهذا ما أوجب ضعف الترابط بينهم وبين الشعب منذ البداية، بل جعلت النفرة منهم، وسيطرت على قلوبهم الكراهية والغضب من هؤلاء الدخلاء.))[9] لذا وقف العراقيون في الذود عن حماهم، فانضمت قوات المجاهدين إلى الجيش التركي، وذهب (الحبوبي) بنفسه إلى المعركة، ولم يعد إلا بعد أن خسر العثمانيون المعركة.

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 21.

(2) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 275.

(3) ينظر: العراق في دوري الاحتلال: والانتداب: عبد الرزاق الحسني 1 : 112. صيدا: 1974.

(4) ينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق: خوله طالب: 83. مطبعة الأديب: بغداد: 2003، للتفاصيل عن مراحل الاحتلال البريطاني للبصرة يراجع: حرب العراق (1914 –1918): شكري محمود نديم : 22 – 33.مطبعة البرهان: بغداد: 1964. ويراجع (البصرة في ظل الاحتلال البريطاني): حميد أحمد حمدان : 589 – 604.رسالة ماجستير : كلية الآداب، جامعة بغداد ،1975.

(5) ينظر: ثورة العشرين في الشعر العراقي: د.إبراهيم الوائلي : 71. مطبعة الإيمان: بغداد: 1968.

(6) تاريخ العنف الدموي في العراق: 275.

(7) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 21.

(8) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 274.

(9) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 58.

أمّا (صالح الحلي)، فقد كان يحرّض الناس في بغداد ويحثهم - بحماسته المعهودة التي عرف بها - على مقاومة المحتل[1]، حتى سقطت بغداد بأيديهم في:(11 مارس 1917)[2]، ودخل الجنرال (طومسون) بغداد وأصبح حاكما لها، ((وكان في استقباله القنصل (الأمريكي) و(الإيراني) و(حاخام اليهود)، وعدد من الأعيان والتجار، وهم يحملون عريضة يطلبون فيها الإسراع باحتلال بغداد، لإنقاذهم من عبث الغوغاء))[3]، ورفع العلم فوق (برج الساعة) في ساحة القشلة[4]، وكان اليهود أكثر الناس فرحا بدخول الانكليز، واعتبروا دخول (مود) إلى بغداد كدخول (كورش) إلى بابل[5] وألقى (مود) بيانه، بأنهم جاؤوا محررين لا فاتحين، وأنهم يريدون إرجاع مجد العرب بتحقيق أطماعهم القومية[6]، ورفع شعار: يا أهل بغداد هيا تعاونوا معنا.وأخذ الانكليز يتوددون للناس، ويظهرون حبهم لرجال الدين، ويحمون المراقد المقدسة؛ لاستمالة الناس إليهم[7] ولم يكن بيان (مود) إلا ضمن هذا الأسلوب السياسي؛ لاجتذاب

---

(1) تنظر: جريدة العرب: (العدد) 19تموز 1917. وينظر: العراق في دوري الاحتلال : 1 : 12.

(2) ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي: 8 : 305. شركة الطباعة والنشر: بغداد: (بلا تاريخ). وينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق : 270.وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 4 : 332.

(3) تأريخ العنف الدموي في العراق : 286 –287. ((العراقيون وقفوا إلى جانب تركيا باعتبارهم مسلمين، غير أن الواقع وقفوا فعليا مع الانكليز، وانقلبوا على الأتراك، حيث هجموا ونهبوا المؤسسات)) المصدر نفسه : 274.

(4) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4 : 333 ، وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق : 286 –287.

(5) ينظر: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق: يوسف رزق الله غنيمة: 1: 183.، بغداد: 1924. ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 34.

(6) ((إنا جئناكم محررين لا فاتحين وقد طرد العرب من الحجاز الأتراك والجرمان، الذي بغوا عليهم، ونادوا بعظمة (الشريف حسين) ملكا عليهم، وهو متحالف معنا، كما تحالف أشراف العرب وأمراء (نجد) و(الكويت) و(عسير) ، فيا أهل بغداد، هيا للتعاون معنا لتحقيق أطماعكم القومية)). لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4 : 362. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 57. وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 291.

(7) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4 : 347.

العرب وتنفيرهم من الترك، وذلك من خلال الصحف التابعة[1] له، تلك الصحف التي كانت تروجللتحرير، ولإقامة حكومة وطنية للعرب كصحفية (جريدة العرب)[2].

وقد تنكر الانكليز لجميع الوعود التي قطعوها على أنفسهم، وقد فضح (الرصافي) ألاعيبهم بقوله:((أنّ الأجنبي يغري الرجل منّا، حتى يوصله إلى غرضه، ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقا غير خدمته. إنّ بريطانيا لم تسيطر على نصف الكرة الأرضية بقوتها، بل بطرقها الخداعة، وما احتلالهم للعراق إلا لسرقة خيراته.))[3] أين الحرية والاستقلال، فالانكليز هم المتنعّمون بخيرات البلاد، المتحكّمون في رقاب الناس، وأبناء العراق قد صاروا عبيدا لهم[4] الشعب كله فقير؛ لانّ أمواله باتت بيد الانكليز، وهم يدعون أنهم أصحاب حضارة[5] وقد أنفقوا الملايين، فبنوا لهم في بلادنا معسكرات[6]. ((إنّ الانكليز مشهورون بالظلم المموه بالعدل، وغدر مغلف بالرأفة، ظاهرهم رحمة، وباطنهم عذاب، وإذا أردت ذلك فانظر إلى استقلال العراق الكاذب.))[7] فمعنى الاستقلال:هو أن يكون الشعب حرا منفردا لا يشاركه أحد أي لا يقبل الشركة من الأجنبي، وإذا كان الاستقلال لا يقبل مرور

---

(1) ينظر: الصحافة في العراق: روفائيل بطي: 51. القاهرة: 1955.ينظر: تاريخ القضية العراقية: محمد مهدي البصير: 74، بغداد1923.وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 5 : 41

(2) وقد شارك عدد من أدباء العراق في تحرير تلك (الجريدة) أمثال: (جميل صدقي الزهاوي) و(محمد مهدي البصير)، وكانوا ينشرون نتاج أقلامهم في (الجريدة) بأسماء مستعارة باستثناء (الزهاوي) ، ومما ينبغي ذكره أن الشعراء عندما توفي الجنرال (مود) بكوا عليه، ورثوه بقصائد عصماء، ونشروها في تلك الصحيفة، وقال أحدهم في وصف (مود): بأنه بحر لجود المكرمات، وأنّ عين الفخار فاضت لفجيعته دما. ووصف الرصافي مود: بأنه من أكابر الرجال. ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 4 : 378. وتنظر: جريدة العرب في (عددها) الصادر في (8) كانون الأول: 1917. وينظر: معروف الرصافي: قاسم الخطاط ومصطفى السحرتي ومحمد الخفاجي: 129. القاهرة: 1971. وتنظر: مجلة الأستاذ: (العدد)39، 23(مايو): 1893.

(3) الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع: معروف الرصافي: 183، منشورات الجمل: ألمانيا: 2007.

(4) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 133.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 143.

(6) ينظر: الرسالة العراقية: 129.

(7) الرسالة العراقية: 131.

طائرة في أجواء الدولة، فكيف بمن بنى القواعد[1]، وذهب الانكليز إلى أبعد من ذلك، حيث عمدوا إلى تفتيت المجتمع باستيرادهم قوانين سميت بـ (قوانين المناطق العراقية المحتلة)[2] ليتسنى لهم البقاء في العراق أطول مدة ممكنة، غير أن الشعب العراقي لم ير بدًا من الإعداد (للثورة) فكانت (ثورة:1918)[3] وتلتها ثورات[4] أخرى سنتحدث عنها في حينها.

وجدير بالذكر أنّ هذا الوعي الديني التحرري[5] كان إلى جانبه نشاط سياسي من قبل الأحزاب العراقية الوطنية مثل:حزب العهد العراقي، وحرس الاستقلال في بغداد[6] فعلى الرغم من الثورات المتكررة، والمظاهرات العنيفة، لم يستجد شيء في أحوال العراق العامة، إلّا تعاظم الوعي القومي الذي أفهم به العراقيون الانكليز بأنهم قوة[7]. وبقى العراق محتلا من قبل بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وإلى (1947)[8] وقد ذكر (هنري فوستر): ((إنّ الضحايا البريطانية بلغت (مائة ألف رجل) والخسائر المالية تقدر بـ(مائتي مليون) باون إسترليني))[9].

الجواهري والتنديد با لمستعمر

منذ اليوم الأول من الاحتلال البريطاني، عبر الشعراء عن معارضتهم للاستعمار، وبشكل واضح لا غموض فيه[10]، فوقفوا إلى جانب الدولة العثمانية والذّب عنها وحمايتها

(1) ينظر: نفسه: 68 : 69 ،70.

(2) ينظر: تاريخ مقدرات العراق السياسية محمد طاهر العمري: 3 : 4. المطبعة العصرية: بغداد: 1925. وينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي: فيليب ايرلاند: 50. مطبعة الكشاف: بيروت: 1949.

(3) ينظر: محاضرات عن تاريخ العراق: البزاز: 32. جامعة الدول العربية: القاهرة: 1955.

(4) ينظر: العراق في دوري الاحتلال: 1 : 39. وينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي : 204.

(5) ينظر: محاضرات عن تاريخ العراق: 32.

(6) ينظر: مذكراتي عن الثورة العربية والعراقية: تحسين العسكري 2 : 99. مطبعة الغري: العراق: 1938.

(7) ينظر: السياسة الدولية في الشرق الأوسط: كونيش رايت: 117 ،121 ، ترجمة جعفر الخياط: أنجلو مصرية: القاهرة: 1953.

(8) ينظر: التطورات السياسية في العراق: جعفر عباس حميدي: 103. مطبعة النعمان: النجف: 1976.

(9) تكوين العراق الحديث: هنري فوستر: 85.ترجمة عبد المسيح جويدة. مطبعة الشعب: بغداد: 1938. وتاريخ العراق السياسي الحديث: 1 : 58. ومقدمة في دراسة العراق المعاصر: 10.

(10) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 38.

والدفاع عنها[1]، وقد مضت هذه الروح تحتل شيئا فشيئا حيزا كبيرا من الشعر السياسي، حتى لدى المحافظين منهم[2]؛ فالشعراء ناصروا الشعب، وفضحوا الأمور، وكشفوا ألاعيب المستعمر[3]مؤكدين الوجود الإسلامي الذي هو تأكيد للوجود الوطني[4]. ومن أجل ذلك ((دخلوا في صراع حاد مع القوى الاستعمارية، وكان هذا الصراع يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق غايتين هما، الاستقلال والحرية))[5]. إنّ الشّعراء كانوا مدركين تماما قبل غيرهم، ((أنّ الاستعمار سياسة دول تفرض حكمها على دولة أخرى، لأغراض اقتصادية وعسكرية وعقائدية، فضلا عن تأسيس وتوسيع إمبراطوريتها))[6]، لذا لم يكن بمقدور الشاعر أن يقتنع بسهولة بأنّ بريطانيا منحت العراق استقلاله بعد تشكيل (الحكم الوطني)، لاسيما هي تلك الدولة العريقة في الاستعمار. إذن لابد في الأمر شيء، وهو أن يتظاهر الانكليز برغبتهم في منح هذا الاستقلال، ثم يختبئوا وراء المسرح؛ ليجعلوا الحكام يمثلون أدوارهم المرسومة، ليجد الشاعر برغم كل الادعاءات الكاذبة، أنّ شعبه يرزح تحت كابوس الاستعمار[7] يستنزف دماءه ويبتز خيراته، ثم هو بعد هذا وذاك يلجم صوته بالكبت والغلبة، فاستباحة الأرض والعرض دفعت الشاعر إلى ارتدادات تقوم على أساس صراع مزدوج في ضمن حركة ذاتية باطنية انعكاسية متسمة بالتمزق اتجاه المستعمر من جهة، والشعور الوطني الذي يصل- نتيجة عوامل داخلية وخارجية- إلى حد الذوبان والانصهار في الرمز (الوطن) من جهة أخرى، فعندئذ تقوم بين الشاعر ورمز عاطفته علاقات من الحب والإخلاص، ثم النضال والفداء.إذا أنّ الوطنية هي:((شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبه إلى دوافع نفسية، ومنازع ذاتية يتألب فيها مع المجموعة

(1) مجلة العرفان: العدد748 : لسنة 1911. وينظر: الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية فيه: د.يوسف عز الدين: 137 -178. المطبعة القومية : القاهرة: 1965.
(2) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 14.
(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 62.
(4) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 157
(5) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 347.
(6) المعجم السياسي الحديث: 210.
(7) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 196.

مع المجموعة البشرية المنتمي إليها تألبا وجدانيا انفعاليا))[1] وبذلك تحول الشعر بعد الاحتلال من الهمّ الإسلامي، إلى الهمّ الوطني، فأفرزت تلك الأحداث نمطا جديدا من الشعر، لا يعرفه تاريخ الشعر العربي من قبل، ألا وهو (الشعر الوطني)[2].

إنّ الجواهري قد جسد مفهوم الوطنية في شعره في ضمن المحاور الآتية:صيحات التنديد المتجهة نحو مكافحة المستعمر، وصيحات الاستنهاض، المتجهة نحو الشعب، بغية القيام بالثورة، وأنَّ الحب الوطني العارم هو الدافع الحقيقي وراء تلك المسارات المتعددة، كما في قصائده (أزف المولد)[3] و(شهيد العرب)[4] و(ذكرى دمشق الجميلة)[5] و(من دفتر الغربة)[6] و(في ذكرى الخالصي)، وفيها يقول:

قد قلت فيك وقلت ثاني مرة ... ولسوف أرجع كرتي فأقول
أمّا العراق، وقد قضيتَ، فكفُّه ... مشلولة وحسامه مغلول
إن ينتقض فبقوة مستغلب ... او ينتهض فبذلّة مغلول
إني إذا شغل الغرام متيَّلا ... فأنا الذي ببلاده مشغول
وطنٌ جميل، وجههُ بغدادُه ... ورضابه من دجلة معسول[7]

فهو يكشف لنا ما في العراق من سوء حكم وإدارة، وأنّ حسامه مغلول وكفه مشلولة؛ لهيمنة المستعمرين. فالجواهري- وكما يقول الدجيلي-((لو ترك على سجيته، فخطّه الوطني

(1) البعد النفسي بين التمزق والصراع في ديوان(أبو القاسم الشابي): د.عبد السلام المسدي: 16.مجلة الطليعة الأدبية: العدد24، 6 شباط: 1985.

(2) ينظر: في رحلة الفكر والتجول: 17.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 720.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 182.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 157.

(6) الأعمال الكاملة: 5 : 759.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 155.

العارم لا غبار عليه، وجُلّ شعره أقوى شاهد على هذا الادّعاء، إلا أنّه في بعض الحالات يتيامن أو يتياسر نتيجة لأحوال نفسية وترسبات اجتماعية.))[1].

يعد الجواهري معلما كبيرا، في الحلم والشعر والحياة والحرية والكفاح من أجل الاستقلال الوطني[2]. لقد تمثل الإحساس بالتمرد السياسي لدى الجواهري، في معاداته للاستبداد والاحتلال[3] على خلاف من أقرانه[4]. ويفتخر الجواهري بأنّ الفضل في ذلك يرجع إلى (الشبيبي) و(الخراساني) اللذين حاربا الانكليز[5]، وقد حمل الجواهري بشدّة على أولئك الذين يدّعون الإصلاح زمن الاحتلال وليس في نهجهم ما يندد بالمحتل، أو ما يخلّد من قريب أو بعيد دماء أبنائه. وما قيمة الثقافة التي تبكي البلاد، وتضحكك المستعمر. ففي قصيدة (إلى الشعب المصري) يقول:

تمضي السنون وكل شيء جامد ... تتطوَّر الدنيا ولا يتطوَّر
راجعتُ ما نهَج الدُّعاةُ فلم أجد ... مستعمرا فيها بشرٍّ يُذكر
ووجدت كفَّ الأجنبيِّ كما اشتهت ... من خِلقةِ الجيل الجديد تصوَّر
ودم الضحايا فيه عقٌّ فلم يسِل ... فوق الطروسِ عبيرهُ المتنشِّر

(1) الجواهري شاعر العربية: 81.

(2) ينظر: لنتذكر الجواهري: 7.دار المدى للثقافة والنشر: بغداد: 2007.

(3) ينظر: الجواهري من المولد حتى النشر في الجرائد: د.علي جواد الطاهر: 42. مقدمة الأعمال الكاملة. وينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 316.

(4) الزهاوي يحيي رمز الاحتلال (السير بيرس كوكس)، ويضع ديوانا حافلا بالترحيب بـ (الملك فيصل). وأنّ الشعراء الذين مدحوا العثمانيين، هم أنفسهم الذين مدحوا الانكليز، غير أن بعضهم غيّر في مواقفه نتيجة الأجور الزهيدة التي يتقاضاها، مقابل الخسارة المعنوية الكبيرة التي تصيبهم جرّاء مدحهم الانكليز، وكان الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) قد ضرب الرقم القياس في ذلك. هذه المواقف الأزدواجية قد حيّرت (المس بل) فأقنعها الملك (فيصل) بأنّ هذا السلوك مألوف لدى العراقيين، وسببه أنهم رزحوا تحت وطأة المستعبدين طيلة (ستمائة) سنة. ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 4 : 274، 372. وينظر: الشعر العراقي الحديث: 113.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 76.

ولمن تراد ثقافة من أمرها تبكي البلاد، ويضحك المستعمر[1]

فهو قد تحمل وزر المحتل منذ صغره، فقد اكتشف أنّه في قفص السيطرة التركية والاحتلال البريطاني، فعشق الحرية؛ لأنّها تمثل له الخلاص وبدأ مسيرة حلمه[2]، يقول الجواهري: ((دخلت الخلافة العثمانية طور السقوط بما كانت تقوم عليه من إنكار خصائص وكيانات كل القوميات... فتحرر دول البلقان، حفزت المشاعر الوطنية والقومية والتحررية، وخاصة لدى الشباب العربي. هو أنّي وقلة من أمثالي من الشباب كنا الواعين المتبعين لأحداث انحسار العهد العثماني وما أعقبه من عهد الاحتلال البريطاني))[3]، كما شاهد الجواهري حصار (النجف) من قبل بريطانيا وسماه بـ (التمرد الوطني) ويقول: ((كنا ونحن (شلّة) في الطليعة من المهتمين بأمثال هذه الأمور، أو بما يتضح لنا ونحن في الصميم منها))[4]، وقد أدّى الجواهري أدوارا وطنية تنسجم مع سّنه، وقد تولى بنفسه مهمّة إلصاق المنشورات على أبواب (الصحن) تندد بالاحتلال[5]، ((ونشر قصيدتين في جريدة: (الاستقلال) عام (1921) ، وكان عندئذ ابن (ثمانية عشر) عاما.))[6]، فعلى الرغم من الاتجاه (العلماني) الذي كان يدين به الجواهري، كان على يقين تام، بأن المستعمرين حاقدون على الإسلام، فهم يسرجون الخيول لإذلال العباد، وتدمير البلاد؛ لأنهم لم ينسوا بعد (عمورية) و(قرطبة) و(إشبيلية)، يقول الجواهري في قصيدة: (في ذكرى الخالصي):

يا شرق يا مهد السلام ألم يئن أن يستطيرَ إلى السلام رسول
إن يُسرج المستعمرون خيولَهم فلهم تراثٌ جمّة وذحُول

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 589.

(2) ينظر: طائر النجف لم يتوقف عن الحلم: د.محمد سليمان: 17.مقال في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 168.

(3) مذكراتي: 1 : 94.

(4) نفسه: 95 -102.

(5) ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 41.وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة : 28. وتنظر: جريدة (طريق الشعب): 8 ،العدد(1)آب لسنة 1966.

(6) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 28.

أو تـنس(عمـور) ومـا دفعـوا بهـا لم تُـنسَ(قرطبـة) ولا(إشبيـل)
نخَـرت بأشـباه البحـور سفائـنٌ وعـدت بأمثـال الـصقور خيـول[1]

وفي موطن آخر يجد الجواهري نفسه عاجزا ليس بمقدرته دفع ما كـان، ولكـن مـن دون أن يستسلم أو يلين فيقول في قصيدة (ويلي لأمة العرب):

صـولوا بعـزم لـيس يـصدأ حـدّه، والـسيف يـصدا
بـالرغم أنّـي لا أطـيق لمـا دهـي وطـني مـردّا
لا تأسـفنْ وطـني وكـن ثبتـا علـى الأيـام صـلدا[2]

بعد أن يفرغ الجواهري من مناجاة وطنه - الذي ذاب فيه وجدا- يخاطب أبناءه، الـذين رضوا بظلم المحتل وبقسوته، بأن يخجلوا من زيـارة قبـور الأجـداد؛ لأنهـم ضـيعوا المجـد الـذي صنعوه في التاريخ فيقول في قصيدة: (الوحدة العربية الممزقة):

يـا نـائمين علـى الأذى لا شامكـم شـام، ولا بغـدادكم بغـداد
تلـك المـروج الزاهـرات تحولـّت فخـلا العـرين وصـوّح المرتـاد
هضمت حقوق، ذوي الحقوق وضيِّعت تـلك العهـود وخاسـت الآسـاد
أعـزز علـى الأجـداد وهـي رمائـم أن لا تعـز تراثهـا الأحفـاد[3]

ولمّا لم يجد الجواهري صدى لدعوته في الأحياء، توجه إلى (النعمان بن المنذر) أحد رمـوز المجد العربي، مخاطبا إياه بقوله:

بلادُك يـا(نُعمـان) سـلْ كيـف أصبحت فغـيرك لـيس اليـوم عنهـا بـسآل
فـلا تحـسبنْ أنّ العروبـةَ معقـلٌ منيـعٌ:فقـد أضـحت نهّابـا لدخّـال
خليلـيّ بـاعَ النـاسُ بخـسا بلادهـم فمـالي وحـدي سمتهـا الـثمن الغـالي[4]

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 156.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 153. والجواهري شاعر العربية: 328.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 89.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 107.

فهو في ذلك يشير من طرف خفي إلى الملك (فيصل) مطبقا المثل العربي (إياك أعني واسمعي يا جارة)، ويبدو أنّ الجواهري كان يسلك في خطابه التحريضي مبدأ التدرج، وكلما طال أمد الاحتلال، اشتدّ الجواهري غيظا على المحتل وأذنابه، فينعكس ذلك في شعره، حتى بات يعرف بأنه ((شاعر ثائر على الاستعمار، وعلى الظلم والاضطهاد .. فكان بذلك صوتا حرا، جريئا ترتجف له قلوب المستعمرين.))[1] ولوّن الجواهري خطابته الأدبية في المخاطبين، علّه يجد من يناصره الموقف أو ينصفه القول، كما استمر في الوقت نفسه يخز (الملك) في قصائده ؛ كي يستنهض هممه ويشد من أزره، فنظم قصيدة (أمان الله)[2] يستذكر الملك (الأفغاني) بأن لا يلين، وفي الوقت نفسه يؤيد الانقلاب الذي أطاح به، ليوحي إلى(الملك) بأنه يعشق التغيير، وأنه يحمل في دواخله صراعا خفيا معه ستكشف عنه الأيام[3]، ثم راح يسدد سهامه في الأبيات الأخرى من القصيدة إلى جسد المحتل، وبقيت صور الشاعر ناقصة اتجاه (مليكه)، ولم تكتمل أطرها إلا في قصيدة:(الملك والانتداب)، إذ يقول فيها:

لمن الصفوفُ تحفُّ بالأمجاد ... وعلى مَن التّاج الملمّع باد
يدعوك للأمرِ الجليلِ ولم تزلْ ... تُرجى ليوم كريهةٍ وسداد
فكَّ العراق من الحماية تحيه ... وامدُدْ لسوريا يد الإسعاد
صرِّح لهم بالضدِّ من آمالهم ... أوَ لستَ ممن أفصحوا بالضاد؟
قم ماشِ هذا الشعبَ في خُطُواته ... لا تتركنْ وطني بغير سناد
هذي الرقابُ ولم تعوّد ذلة ... تشكو إليك نكايةَ الأصفاد
ولقد شجاني أن ترى في مأتم ... أم الخلائف مرقد الأسياد
سل عن تشرشل كيف جاذبه الهوى ... حتى استثار كوامن الأحقاد
هذا تراث السالفين وديعة ... لا تخجلوا الأجداد في الأحفاد[4]

(1) الأعمال الكاملة: 6 : 1067.(الهامش)

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 202، 201:

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 202.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

يقول الدجيلي: ((لأول مرة يطلع الجواهري بقصيدة سياسية واضحة الاتجاه، فيها جرأة بأفكار متسلسلة بروح وطنية عالية وثابة))[1]. ويلاحظ فيها بوضوح تطاول الجواهري – وبصريح العبارة– على الملك بأنّه غير صريح في تعامله مع المستعمرين، ويدعوه للوقوف ضدهم والتنديد بمواقفهم، وذلك من خلال أساليب الطلب المزدحمة بين أثناء القصيدة، والمتنوعة بين الاستفهام والأمر والنهي، كما في قوله (لمن الصفوف). (على مَن) (ومن المحلى). (فك العراق). (وامدد لسوريا) (عجبا تروم) (صرّح لهم بالضد). (أولست ممن). (قمْ ماش هذا الشعب). (لا تتركن وطني) (سل عن تشرشل) (هيهات من دون الذي). (لا تخجلوا) ، تكاد القصيدة من أولها إلى آخرها تدور في فلك تلك الأساليب. ومعنى ذلك أن الشاعر بدأ يمّهد لمرحلة جديدة من الصراع مع السلطة، تتمثل بالتعامل الفوقي المتسم بالأنفة والكبرياء معها، ((فهو في ذلك كمن يرمي حجرا في بركة، يرى إن كان يستطيع أن يطفو على سطحها سابحا أو أنها ستبتلعه فيغرق فيها))[2]، وفي قصيدة أخرى يقول الجواهري

قد نطقنا حتى رُمينا بهجر ... وسكتنا حتى اتهمنا بعي
فإذا كلّ يومنا مثل أمس ... وإذا كلّ رشدنا مثل غيّ
وعلمنا أن ليس نملك أمرا ... فصبرنا على احتكام الوصي[3]

وتحوّل الجواهري في شعره تحوّلا كبيرا في مرحلة (الثلاثينات)، حيث اتسم بمزيد من الجرأة المتمثلة بالتنديد بالاستعمار وأذنابه من الحكام[4]، كما في قصيدة: (في سبيل الحكم)[5]، ولعل الزيارة التي مثّل فيها الجواهري الوفد الإعلامي إلى (لندن)، خير دليل على معاداة الجواهري (لبريطانيا)، فقد تلاسن مع (مكماهون) في من هو أب القضية الفلسطينية، هو أم

((نشرت القصيدة في يوم (عيد الفطر) عام(1922) إثر تصريح (تشرشل) وزير المستعمرات البريطاني آنذاك، بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني، وكان يوما مشهودا، حيث أعلن الإضراب العام، وقد امتنع فيه العراقيون عن المعايدة.)) نفسه.

(1) الجواهري شاعر العربية : 206.

(2) الجواهري دراسة ووثائق: 58.

(3) ديوان الجواهري: 1 : 222.

(4) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 90.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

هو أم (الشريف حسين) متقصدا بأن يحطّ من قدره، ويقلل من شأنه، قائلا له تدّعي بأنك رجل مهم في العراق، فإذا أنت كذلك، فلماذا لا يهتم بك أحد هنا؟ ثم قاطع الجواهري الوفد بسبب أنّ أحد(أعضاء) الوفد مدح (بريطانيا) ، وأصدرت (بغداد) عليه منعا لدخول بريطانيا ثانية[1]، غير أنّ تلك الإجراءات لم تردع الجواهري عن قول الحقيقة لوكالة (رويتر) - وعلى الهواء مباشرة - عندما سئل عن رأيه بـ (بريطانيا) فقال:إنّها قذرة[2]، ووصف الجواهري تلك الإقامة بالثقيلة، حتى أنّه كان يعد فيها الأيام والساعات[3]، وقد وصف إقامته بلندن كمقام العذارى بدور الزنا أو كمقام (المسيح) بين (اليهود)، إذ يقول في قصيدة، (مقطّعات من لندن):

ملَلْت مقامي في لندنا ... مقام العذارى بدور الزِّنا
مقام المسيح بدار اليهو ... د مقام العذاب، مقام الضنى[4]

يقول الجواهري: ((أبغض (بريطانيا)، لأنها جرّت الويلات على العراق))[5] فهي خصم لوطني منذ ثورة العشرين، وأنا أحرّض عليها[6]ويتجلى ذلك في الحفل المهيب، الذي أقامته الحكومة العراقية (لبشارة الخوري) رئيس جمهورية (لبنان) - وبحضور (عبد الإله)- حيث هاجم الجواهري (بريطانيا) واصفا إياها بـ (الحنظليّ)؛ لأنها مشهورة بالكذب، فغضبت السفارة البريطانية وقدّمت احتجاجها[7]، كما في قصيدة: (ناغيت لبنان):

وثرى صلاح الدين ديس وانعلت ... منه جيوش الواغلين خيولا
و(الحنظليّ)[8] بحِلفه ووعوده ... مازال كاذب وعده ممطولا[9]

---

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 457.472.

(2) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 73.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 43.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 490.

(5) مذكراتي: 1 : 457.

(6) ينظر: المصدر نفسه: 1: 370.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 477، 478، 479.

(8) الحنظلي: يريد به(المستعمر البريطاني).

(9) الأعمال الكاملة: 3 : 494 ؟

كما زاد من هجومه على بريطانيا عبر إذاعتها، عندما طلبوا منه زيارة (فلسطين)؛ لإلقاء بعض قصائده عبر الإذاعة البريطانية، فاشترط عليهم أن يكون حرّا فكانت (نصف) قصائده ضد بريطانيا[1]، كما أنّ الجواهري أول من أشار في (صحيفته) إلى وصول قوات بريطانية إلى العراق عام (1946) [2] وإلى ذلك يشير في قصيدته:(يا بنت رسطاليس):

قالوا:قواعد يبتنيها غاصب　　وسط العراق على الكرامة قاعدا
تحتل منه مشارفا ومناهلا　　وتسدّ منه مسالكا ومنافدا
ساقت جيوش الموبقات حواشدا　　للرافدين مع الجيوش حواشدا[3]

ودعا الجواهري إلى تشكيل جبهة وطنية، تطالب بجلاء جيوش الاحتلال، وإلغاء معاهدة (1930)، ومنح العراق الاستقلال الحقيقي[4]. لقد كثّف الجواهري جهوده الأدبية؛ لفضح مخططات الاستعمار في الشرق، معريًا -في الوقت نفسه- أفكارهم الدنيئة، وأفعالهم الشنيعة، فيقول في قصيدة: (أنشودة السلام):

نابٌ من الوحش مسعورا أطيح به　　وفي البراثن منه لم يزل ظفر
مقلّم في غد خزيان منتفخ　　مما تقيّح من خبث به الوضر
تأبى الحضارة أن يجتاحها أشر　　وأن يذبح من أبنائها بطر
وأن تموت لتبقى طغمةٌ، زُمَر　　وأن تُباد ليهنأ غاصبٌ أشر[5]

---

(1) ينظر: تداعيات عن المدن والرجال في حديث غير منشور عن الجواهري: محمد علي فرحات: 48. مقال في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل). وينظر: مذكراتي: 427.

(2) تنظر: جريدة الرأي العام(العدد)1557، 19 حزيران لسنة1946. وتنظر: وجريدة صدى الدستور(العدد)1 آب: 1946. وينظر: التطورات السياسية في العراق : 444.

(3) الأعمال الكاملة: 3: 476.

(4) ينظر: التطورات السياسية في العراق: : 165.

(5) الأعمال الكاملة: 3: 724.

لم يقصد بذلك الاستعمار البريطاني فحسب، بل كل مستعمر - أينما كان- لذلك نجد أنه تهجم على وزير خارجية أمريكا الذي قام بجولة في الوطن العربي وفي العراق، لتطويق العراق فاستقبلته الجماهير بالأحجار، وهجاه الجواهري في قصيدة: (تحية إلى رونتري) فيقول:

يارسول الشر والدنس　　وغراب البين في الغلس
فقشور البيض جاهزة　　علها تشفي من الهوس

الأعمال الكاملة: 4 : 718.

لقد كان الجواهري مدركا لحقيقة الاستعمار لذا كان يذكر الشباب دوما بنواياهم الدنيئة، كما في قصيدة: (أرج الشباب):

وتذكروا المستعمرين فإنهم ... سوطٌ على هذه البلاد وحُوب
فتفهّموا أنّ العراق بخيره ... وثرائه، لطغامهم منهُوب
وتميزوا فهناك وجهٌ سافرٌ ... منهم، وآخر بالخنا محجوب[1]

وفي قصيدة: (الشباب المر)، يكشف بشكل أوسع أساليب مكرهم وخداعهم، إذ إنهم باسم العدالة الكاذبة والحضارة المزيفة، يستعمرون الشعوب، وينهبون خيراتها فيقول:

لحقت فلسطين بأندلُس أسى ... والشامُ ساوت مصرَها وعراقها
يسمو القويُّ، وذاك حكمٌ لم يدع ... حتى الغصون فشذّبت أوراقها
نقضت مواثيق الشعوب ممالك ... باسم العدالة أبرمت إرهاقها[2]

ولما رأى الجواهري ما فعل المستعمرون بالشعوب الضعيفة من الهتك والفتك والسحق[3] راح يناديهم بالوحوش الكاسرة، كما في قصيدة: (أيها الوحش):

أيّها الوحشُ وما أزكي الوحوش ... تتحدّى الجوع بالمفترس
تغتذي أطفالها فيما تنوش ... تحت أستار الدجى والغلس
وتغذى بعظام و(مشوش) ... ونفايات الدم المنبجس

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 460.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 97.

(3) للجواهري قصيدة (عصماء) تندد بالغازي المحتل، وهي غير منشورة في دواوينه،ويقول فيها:

م انتهى وعلى من راح ينتصر ... غولٌ تصبّغ فيه الناب والظفر
م انتهى، أمن راحت تطاردُه ... وسوف تدركُه الأشباح والصور
نصرٌ على من؟ على بيتٍ وربّته ... وصبيةٍ وعجوز هدّها الكبر
تزعّم النصر غولٌ لم يجيء خطر ... على البسيطة غول مثله خطر
تمدّد الشوط من عمريي ليبطرني ... ما ينكر السمع لو لم يشهد البصر

مجلة الشبكة اللبنانية: 33 : (العدد)الثالث، لسنة2006.

أيّهـا الـوحش الـضـروس المحتمـي بفـصاحات اللغـى والمنطـق
أيّهـا الـوحش الـذي ذاق الزنـوج سـكرات المـوت مـن أنيابـه
أيّهـا الـوحش أطـل عهـد الظـلام تبعـد الـساعة عـن موعـدها
أيّهـا الـوحش ولابـد القبـور قاذفـات حِممـا ترتعـد
أيهـا الـوحش تـسمَع تـسمع صـرخات الحقـد تطـوي المـشرقين
أيهـا الـوحش وأشـباح الجيـاع زاحفـات بـالبطون الخاويـة[1]

ويختم الجواهري ما بدأ به قصائده، بأنّ حبَّ العراق، هو الـذي قـاده إلى فلـسفة:أن لا حياة مع المستعمر، إذ لا خيار إما الموت، وإما التحرير ففـي قـصيدة:(العلـم والوطنيـة) يقـول الجواهري :

مـاذا يُريـد اللائمـون فإنّـه وطـنٌ يُحـبُّ، وحبُّـه إيمـان
سـنذودُ عنـه بعـزم حُـرٍّ صـادق منـه ضـميرٌ يـستوي ولـسان
لا يرتـضي الا المنيـةَ منهـلاً أو منـزلا مـن دونـه كيـوان
بئـست علاقـة واغلـين فإنّمـا عـيش الكـريم مـع اللئـيم هـوان[2]

الجواهري والثورة على المستعمر

مرّة أخرى يقف الشعر، سلاحا ماضيا في وجه الأعداء. فبعد أن يئس الشعراء من جلاء المحتل بدعوات التنديد، استخدموا أسلوب التحريض بـالثورة علـى المحتـل ((فوضـعوا بـدهاء صورا من المذلة والمهانة؛ لعلها تستثيرهم، وتشحن عواطفهم، وتلهب عـزائمهم، وتـدفعهم إلى الكفاح والقتال))[3]. وبقى الشعر أداة فعالة تحرّض على الثورة والجهاد، فقد اتّخـذ الـشعراء[1]

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 602، 603، 604.

(2) الأعمـال الكاملـة: 1 : 84.وينظـر: المـصدر نفـسه: 1 : 66 ، 1 : 277، : 1 : 57 ،3 : 498 ،1: 222 ،1 : 223 ،4 : 587 ،3 : 460 ،2: 243، 7 : 1089 ،4 : 684.

(3) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 160.

الشعراء[1] المناسبات مدخلا للدعوة إلى الثورة، ((فمنذ مطلع القرن العشرين ونتيجة ظروف الاحتلال واصطدام قواته بالشعب، كان الخيار واضحا أمام (الوطنيين) وأبناء الشعب، وهو الثورة ذات المضامين القومية، بما تحمله من معاني التغيير.. وفي دلائل النهضة الشاملة، وجدنا الشاعر يحترق فؤاده في لهبها، وتتفجر عبقريته على أزيز الرصاص، وعلى ضفاف أنهر دماء شهدائنا.))[2]، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة: (محمد مهدي البصير) و(محمد رضا الصافي) و(ناجي القشطيني) و(عبد الكريم العلاف) و(عيسى عبد القادر) و(محمد مهدي الجواهري)[3]، الذي آمن بنظرية (حتمية انتصار الشعوب) في صراعها مع المحتل، وقد استمدها من(الرؤية العلمية للثورة)[4] إذا فقد تبين أنّ ما نادى به الشعراء ضد الساسة والإقطاع والاستعمار إنّما كان بفضل الوعي الثوري، وقد قام بهذه المهمة على أكمل وجه الشاعر (الجواهري) الذي دعا إلى القضاء على الاستعمار ونيل الحريات بالقوة وتحقيق العدل[5]. وهو ما نسميه بالتفاؤل الثوري، ((وأعني به الثقة بحتمية انتصار الشعب في نهاية الصراع، وتمتد هذه الثقة إلى أقدم ممارساته الوطنية، التي قرأناها في قصيدته عن (ثورة العشرين) يلي ذلك:مشاق النضال، وفداحة الثمن، ثم العنف الثوري وأداته الحاسمة، الكفاح المسلّح، فهذه المبادئ تتكرر– وبشكل مستمر– في جميع قصائده السياسية))[6] ولا سبيل إلى تحقيق تلك المبادئ – على وفق منظوره – إلا بالجد والثبات في الشدائد، كما في قصيدة: (ويلي لأمّة العرب):

جــدّوا فــإن الــدهر جــدا   وتراكــضوا شيبــا ومُــرْدا

---

(1) ينظر: خيري المنداوي حياته وشعره: 119.

(2) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 40.

(3) ينظر: خيري المنداوي حياته وشعره: 119.

وقد اجمع الشعراء في هذه المرحلة على الثورة إجماعا منقطع النظير، ولمعرفة المزيد عن تلك المرحلة راجع جرائد: (المفيد) و(العراق) و(لسان العرب) و(النهضة العراقية) و(العاصمة) و(الاستقلال) و(البلاد) و(شط العرب) و(الفلاح). ينظر: نفسه: 20.

(4) ينظر: في رحلة الفكر والتحول: 26، 27 .

(5) ينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 172.

(6) في رحلة الفكر والتحول: 26.

صولوا بعزم ليس يصدا حدّه والسيف يصدا
أولستم خير المواطن موطننا وأعزّ جندا
أين الذين إذا انتحتهم شدة كانوا الأشدّا
تخذوا الثبات سلاحهم وتدرّعوا حزما وجدا[1]

إنّها دعوة لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم يقول الدجيلي:((إنّ قصيدة الجواهري تحفّز على الجهد والاجتهاد..وأنّ في اشتداد الأزمات يبرز في هذا الوسط، وبين تلك المحن رجال أشداء، لم يضرعوا خدّا للخطوب، ولم يستنيموا للنوائب وصروف الدهر))[2]

ومن اللافت للنظر أن الجواهري عندما يدعو للثورة على المستعمر يخاطب الشباب من الأمة دون سواهم، وقد سلك بهم كل أساليب الحث والتشجيع؛ لبلوغ المرام، وتحقيق الغاية، إيمانا منه بأنّهم القوة الفاعلة القادرة على التغيير، ففي قصيدة: (البعثة المصرية) يقول الجواهري:

برغم أنّا قد تزعّم عندنا حتى البقر
فهنا شبابٌ ناهضون عقوقهم إحدى الكبر
فيها الشجاعة من عليّ والسياسة من عُمر[3]

وفي قصيدة: (الشباب المر) يقول:

هبّي ليوث المشرقين وجدّدي منها الحياة وقوّمي أخلاقها
صبحٌ من الآمال أشرق إنْ يكن حقّاً فشمسك عاودت إشراقها
ولقد علمت بأنّ ذلك غاية تسمو بها إذْ أكثرَت إطراقها[4]

وكلما رأى أنّ الخمول قد سرى في أجسادهم، نفث فيهم روح العزيمة وذكرهم بغيرهم من الشباب القدوة، كما في قصيدة (شباب ضائع):

أهبت بشبّان العراق وإنّما أردت بشعري أن أهيج سباعا

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 152.

(2) الجواهري شاعر العربية: 327.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 249.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 96.

بمصر، ومصر ما تزال طريدةً شرى الظلم منها ما أراد وباعا
دوىّ شباب أرجف الجور وقعه وزعزع من بُنيانه فتداعى[1]

ونجد المفهوم نفسه في قصيدة:(العلم والوطنية):

مُدّي بروجك للعراق يَبِنْ له نهجُ الرشاد، أمدّك الرحمن
فدتك ناشئة البلاد وشمّرت لك عن سواعد عزمها الفتيان[2]

ثم يتوجه الجواهري إلى مخاطبة شعوب الشرق للقيام بالثورة، لأن السِّلم لا يجدي وقت الكفاح، والمطالب لم تنل إلا بالعزائم، وإذا كان شعره يقطر دما فلأن قلبه موطن للرزايا، فيقول في قصيدة: (النفثة):

السِّلم لا يجدي بيوم الكفاح فاستقبل الأيام شاكي السلاح
بالعزم نل يا شرقُ ما لم يُنَل فالغرب قد طار بهذا الجناح
لاغرو إنْ سال قصيدي دما فإنّ قلبي مثخنٌ بالجراح
من لي بشعب واثق آمن غُدُوه لغايةٍ والرَّواح
قد فَوّض الأمر لشبانه فكللت أعماله بالنجاح[3]

إنّ الأمم بفطرتها تكره الاستعمار والاستعباد، وان رزايا أفعالها قد أوصلت الشعوب على أعتاب ثورة عارمة، معروفة العاقبة والمصير. فيقول في ذلك:

أمّة تكره من مستعمرٍ فرضةُ النصرَ وتأبى الإنخذالا
أوطأت أقدامها عارمة رقبة الجور وشاءته انتعالا
وتخطّتْ جمرَةَ الغيظ إلى وقدَة الموت فزادته اشتعالا[4]

لا ريب أن أبطال الشرق سيقبرون غزاة الغرب الطامعين، الذين سولت لهم أنفسهم، بأنّ الشرق جنة مستباحة، وبقرة حلوب. يقول الجواهري في (ذكرى المالكي)

ومنذرين طواغيت وما علموا أنّ الشعوب ضماناتٌ وإنذار

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 364.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 85.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 185.
(4) ديوان الجواهري: 3 : 251.

قوىً من الحقُّ كالصُّبح المبين هُدىً وجحفلٌ كسواد الليل جرّار

دالَ الزمانُ فليس الشرقُ مزرعةً فيها غِلال، والبانُ، وأبقار

تمخّض الكونُ وامتدّت يدٌ رُفعت بها عن المارد الشرقّي أستار

وراح يحفرُ قبر الغرب حفّار ويستجدّ له التابوتَ نجّار

والحق مطرقّةٌ يلوى القوي بها وكلُّ شعبٍ سليب الحقّ مِسمار(1)

ويمضي الجواهري (في تفاؤله الثوري) مفتخرا بأنّ الثوار قد نازلوا المستعمر، فقرعوا بكعوب سياطهم رأس من سن القراعا، حتى مالكه الصراع مترنحا، ولكن يأبى الاستسلام، ثم يأمرهم بأن يشدوا الوثاق عليه، كي ينتزعوا منه حقوقهم انتزاعا، فيقول في قصيدة: (دم الشهيد):

وأنكُمُ بكعب السّوط منكم قرعتُم رأس من سنّ القراعا

قرعتم رأس مختبط رؤوسا مماكرة، ومالكها صُداعا

مسكتُمْ من خِناقة أفعوانٍ شديد البطش يأبى الإنصراعا

وفكُّوا شدق مُؤتذبٍ خبيث وسُلُّوا حقّكم منه انتزاعا(2)

ولم يكن الجواهري في دعوته إلى الثورة أسير قطرية محدودة فهو في شعره وطني لا إقليمي، وقومي لا عراقي، وإنساني لا شعوبي(3)، فقد شارك العالم العربي والإسلامي وغيرهما من الأمم والشعوب، التي تعرضت للاستعمار والاستعباد. فمثلما حمل هموم العراق ووزره، حمل أوزار (سوريا) التي أبصر محنتها، فواكبها في قصائده، ودافع عنها، وصبّر أبناءها، كما حثّهم على الثورة، ومواصلة المسير، بعد أن قرع من استعمرهم بالحديد والنار، ففي قصيدة: (دمشق الجميلة) يقول:

ثباتا يا دمشقُ على الرزايا وتوطينا وإنْ ضاق الخناق

وفوزا بالسّباق وليس أمرا غريبا أن يكون لك السباق

دمشق وأنت غانية عروس أمشتبك الحراب لك الصداق(4)

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 695.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 518.

(3) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 65.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 158.

وبعد أن جعل صداق عرسها الثورة، يردفها بقصيدة أخرى، يحرّض أهلها على (الثورة)؛ لنيل حقوقها الوطنية من الاستعمار، الذي وصفهم: بالذئاب والكلاب كما في قصيدة: (على دمشق):

ثوري دمشق فإنما ... نيلُ الأماني في الطلاب

إن لم يكنْ حجرٌ يضر ... بهم فكومٌ من تراب

سوريا أم الضراغم ... أصبحت مرعى الذئاب

مثل الوديع من الطيور ... تعاورته يدُ الكِلاب[1]

ويحذر الجواهري المتآمرين على دمشق، ويعرج إلى مدح الوطنيين الذين يقارعون المحتل الفرنسي، حتى أمست دمشق بهم قلعة للعروبة، ورمزا للكرامة فيقول في قصيدة (خلفت غاشية الخنوع):

عوّذتُ جِلّقَ بالضحايا جمّة ... من كيد همّاز بها مشّاء

عوّذتُها بالمالكيُّ ورهطه ... من صفوة العقداء والعزماء

سيرى عتاةُ الأجنبي بعينه ... مرمى عقيدة أمّة عزلاء

من ناذرين نفوسَهم لم يعرفوا ... فيهن غير فريضة وأداء

بشُراةِ موتٍ يزحفون إلى الوغى ... زحف الحبيب لموعدٍ ولقاء[2]

ثم يمضي الجواهري في ملحمته في (ذكرى المالكي) بأنّ جيشه سينتقم من أعدائه المستعمرين من (البريطانيين) و(الفرنسيين) و(الأمريكيين) كما انتقم (خالد) و(ضرار) وغيرهما في معاركهم مع أعدائهم فيقول:

محلّقين بصمتٍ والرّدى لغةٌ ... قوادمٌ أفصحت عنها ومنقار

لابد أن يسترد الفتحَ خالدُه ... وأنْ يطِلَّ على اليرموك ضرّار

تمرغ الثأر إذ هيضَتْ جوانبه ... واليوم ينقضُّ مثل الأجدل الثار

على(الخليجين)[3] سفّاحٌ سنُدركه ... وفي(الجزائر)[3] رهن الكفُّ جزّار

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 151.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 676. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 371.

(3) سفاح الخليجين: الاستعمار البريطاني.

وثالثٌ[1] هو من خبث، ومن ختل   شرُّ الأثافي لا قِدر ولا نار[2]

وفي قصيدة (إلى الشباب السوري) يمدح الجواهري هذه العصبة المؤمنة التي تتحدى الموت، وتتسابق إليه ذودا عن دمشق، فيقول الجواهري:

حيٌّ الصفوف لرأب الصدع تجتمع   وحيٌّ صرخةَ أيقاظ بمن هجعوا
إنّ الشباب جنود الله ألّفهم   في(الشام) داعٍ من الأوطان مُتّبع
محميّةً بالاصّم الفرد تحرسُه   غلبُ الرجال على الآجال تقترع
مثل(النسور) إذا ما حلقوا رهبوا   والموت ملء خوافيهم إذا وقعوا
والرابضون كآساد الشّرى فإذا   هيجوا رأيتَ المنايا كيف تندفع[3]

ونتيجة لهذه المواقف القومية اتجاه سوريا، منع الجواهري من الدخول إلى الشام مرتين بسبب قصائده، التي هاجم فيها الاستعمار[4]، لقد وقف الجواهري ضد الاحتلال الفرنسي في لبنان، حيث هاجم المحتل وربط بين الإحتلالين الفرنسي والانكليزي وإنهما سّيان في لغتهما مع الشعوب المحتلة حيث السوط والإرهاب فيقول في قصيدة (لبنان):

إيهِ(لبنانُ) والحديثُ شجونٌ   هل يطيقُ البيانُ دفْعاً لِما بي؟
ما تقولون في أديبٍ حريبٍ!   مستقلٌّ يلوذُ (بالانتداب)
خلت أنّي فررتُ من جو بغداد   وطغيان جَوْرها اللّهّاب
ومن الزاحفين كالدُود(هُونا)   تحت رجليْ مستعمرٍ غلاّب
أفَيبقى(الأحرارُ)منّا ومنكُم   بين سوط الغريبِ والإرهاب[5]؟

---

(1) جزار الجزائر: الاستعمار الفرنسي.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 692.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 369.

(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 404. وتنظر قصيدة (الخطوب الخلاقة) والتي يمدح فيها الجواهري دمشق ويصفها بجبهة المجد: الأعمال الكاملة: 5 : 863.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 382.

وإثر تلك القصيدة مُنع الجواهري من دخول لبنان[1] لأنـه شـتم الفرنـسيين[2] وفي عـام: (1951) شـارك الجـواهري في تـأبين (عبـد الحميـد الكرامـي)، فهـاجم الاسـتعمار والحكومـة العميلة، التي جعلت البلاد مرتعا للأجنبي من خلال القواعد الأجنبيـة فيها، فيقول الجواهري:

بـــاقٍ وأعمــــارُ الطّغــــاة قِــــصـــار ‌ ‌ ‌ مـــن سِـــفْر مجــــدك عــــاطرٌ مَــــوّار
عبــد الحميــد وكّــل مجــد كــــاذبٌ ‌ ‌ ‌ إنْ لم يُـــصَن للـــشعب فيـــه ذِمـــار
ولمـــست كرســـيّاً يُـــرجُّ كأنّـــه ‌ ‌ ‌ نعْـــشٌ يُـــدقُّ بجنبـــه مـــسمار[3]
والـــوحش يـــربضُ في الثنايـــا مُنْـــذِرا ‌ ‌ ‌ والمـــــوت جـــــآر بهـــــا زآر
أعقـــابُ لبنـــان تـــدنّس وَكـــــرَه ‌ ‌ ‌ للأجـــنبيٌ قواعـــــدٌ ومطـــــارُ[4]
أشـــباب لبنــــان يُـــضامُ لأنّـــه ‌ ‌ ‌ يقِـــظٌ علـــى عقْبـــى المـــصيرِ يَغــارُ[5]؟

وبسبب تهجمه على الاستعمار والحكومة طرد الجواهري من لبنان، وكتـب عليـه المنـع مما أثار حفيظة (جورج حنا)، فكتب في (جريدة النهار): ((ماذا قال الجواهري وبماذا كفر لكـي يطرد، ومن هو الذي غضب علـى الجـواهري. لأن الجـواهري، ثـار علـى الاسـتعمار ودعـاة الاسـتعمار))[6]، كمـا شـارك الجـواهري الفلـسطينيين ثـورتهم علـى الاسـتعمار البريطـاني عام(1938) ويقول في قصيدة: (يوم فلسطين) إنّ هناك رجالا بررة وفّوا بـالعهود، يتبـاهى بهـم

---

(1) ينظر: تداعيات عن المدن والرجال في حديث غير منشور عن الجـواهري: 55. مقـال في ضـمن (الجـواهري وسيمفونية الرحيل)

(2) مذكراتي: 1 : 86.وينظر الأعمال الكاملة: 2 : 380.(الهامش)

(3) الكرسي المرتج إشارة إلى عدم ثبات الوزارات؛ لأنها تروح وتجيء بأمر من الاستعمار. الأعمال الكاملـة: 4 : 593.(الهامش)

(4) يشير الجواهري إلى مدى سيطرة النفوذ الفرنسي والأمريكي والبريطاني في لبنان.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 595.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 591.(الهامش)

وبعد مرور (خمسة) أعوام على تخلص (لبنان) من الاحتلال الفرنسي طرد الجواهري منها على يد الحـاكمين فيها، عام (1951) ولم يدخلها إلا عام (1961) ثـم دخلـها عـام (1967) ومنـع أيـضا بـنفس الأعـذار، ولم يسمح له، إلا بعد تدخل الشاعر (سعيد عقل) ورغم كل ذلك الإبعاد إلا أنه تغزل بلبنان بأكثر قصيدة لـه.، ينظر: مذكراتي: 2 : 287. وينظر: الأعمال الكاملة: 5 : 865.

التاريخ، وأنّ الدماء التي أريقت ستكون شاهد عدل على ظلم المحتل، غير أنّ الظلم يولد الثورة، وأنّ تلك الدماء آذنت بولادة شعب جديد، يقول الجواهري:

هبّت الشام على عادتها ... تملأ الأرض شبابا حنقا
برّ بالعهد رجالٌ أُنُفٌ ... أخذ الشعب عليهم موثقا
ألبس الملك رداءً وازدهت ... روعةُ التاريخ منه رونقا
صبغَ الأرض والقى فوقها ... من فداءٍ وإباءٍ شفقا
شاهدٌ عدلٌ على الظلم إذا ... كَذَبَ التاريخُ يوما صدقا
هكذا تُعلنُ صرعى أمّةٍ ... أنّ شعبا من جديدٍ خُلقا[1]

وخلّد الجواهري بطولات الفدائيين في قصائده، كما في قصيدة(الدم والفداء)[2] و(الدم العملاق)[3] ويحذر الفلسطينيين من الحلول الخادعة التي أضاعت فلسطين، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأنّ الدم هو طريق الحرية والاستقلال، يقول الجواهري:

جلّ الفداءُ وجلّ الخُلدُ صاحبُهُ ... ضاق الفضاءُ وما ضاقت مذاهبُهُ
ويا فتى الحيّ مازجْ تربةً بدمٍ ... كما يُمازجُ صرفَ الراح قاطبه
ولا تثق بوعودٍ ما استُجيش بها ... يشٌ لقومٍ ولا نصرٌ يواكبه
أبالحوارِ يردُّ الغُنم غانمُهُ ... أو يُرجعُ البَلدَ المغصوبَ غاصبُه
قد حان للحق أنْ تشتدَّ غَضبَتُهُ ... حتى يخِرَ على الأعتاب سالبه[4]

وفي قصيدة: (اليأس المنشود)[5] يشكو الجواهري ضياع فلسطين، بسبب حكامها، وخمول الأمة، فقد صنعت الشعوب من اليأس تأريخا للأمل، فلليأس حدود وأنّ الصبر في غير محله جبن، يقول الجواهري:

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 372.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 883.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 881.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 372.
(5) امتنع (طه حسين) عن نشر هذه القصيدة، فاتهمه الجواهري بالعمالة للصهيونية، لكنه اعتذر عمّا بدر منه. ينظر: الأعمال الكاملة: 3 : 468.(الهامش)

رُدُّوا إلى اليـأس مـا لم يتّسـع طمعـا ... شـرٌّ مـن الـشرِّ خـوفٌ منـه أنْ يقعـا
ولم أجـد كمجـال الـصبر مـن وطـنٍ ... يرتـادهُ الجـبْنُ مـصطافا ومُرْتعبـا
وإنّ مـن حـسنات اليـأس أنّ لـه ... حـدًا إذا كـلّ حـدٌّ غـيرُه قطعـا
اليـأسُ أطعـمَ بالأشـلاء مقـصلةً ... عـدلاً وطـوّح بالبـستيل فاقتلعـا
و(طـارقٌ) منـه أعطـى النـصرَ كوكبَـه ... نـزرا وعـدّى إلى الإسبـان فانـدفعا
وعنـدنا ساسـةٌ سـؤنا لهـم تبعـاً ... ذلاً، وسـاؤوا لنـا في الهـدي متَّبعـا
ردَّ المـصيبةَ بالمنـديل مفتخـراً ... مثـلَ الـصبايا بـأنّ الجفـن قـد دمَعـا[1]

وبعد فلسطين ينقل الجواهري معركته إلى مصر، ويدعو زعيمها (مصطفى النحاس) إثـر فوزه، وتوليته الحكم وإلغائه المعاهـدة البريطانيـة (1936) إلى إعـلان الجهـاد ضـد (الانكليـز)، وهذا ديدن مصر في التاريخ، من عهد (سعد زغلول) والدماء تسيل، فالجهاد سـاعة فاغتنمهـا، ولا يثبطن عزمك أقاويل المرجفين، فيقول:

سِـرْ في جهـادك يحتـضنْك لـواءُ ... نثـرتْ عليـه قلوبَهـا الـشهداءُ
مـن عهـد(زغلـول) يـرف وتحتـه ... لمكابـدي، وهـج الـوغى أفيـاء
أثبتْ كعوبَـك تغل تحتـك ساعـةً ... رمـضاءُ، ثمَّـة تبـرُدُ الرمـضاء
شـرفُ الـسياسةِ أنْ تخـوض غِمارَهـا ... مُستبـسلا وكـذلك الهيجـاء
فإذا تفجّرت الجمـوع وآذنت نهضُوا ... بـالفجر تلـك الليلـة الطخيـاء
لتفريـق الجمـوع واقـسموا ... أن لا يمـسَّ الحـاكمينَ بـلاء[2]

ووقف مع (الشعب المصري) ، في العدوان الثلاثي، ونظـم قـصائد طـوال تحـث علـى الثورة والصمود، كما في قصيدة: (بورسعيد) وفيها يقول:

خوضـي دمـاً(أسـوان) منـه منـزع ... عـبر القـرون والـصعيد حافـل
كـم غـاص في رمالـك الـسُمْر.غـوٍ ... غـازٍ..وكـم ديـست بهـا جحافـل[3]

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 468.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 577.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 686.

وفي قصيدة (إلى الشعب المصري) يقول:

ثــم اقــذفي المــستعمرينَ بوعيــه نــارا تــشبُّ، وصــاعقا يتمطّــر
وتقحّمــي الغمَــرات صــدرُك مُحــتم ومــداك متَّــسعٌ ووجهُــك مُــسفر
إنّــا وأنــتم في خِــضَمٍّ واحــدٍ مــوجُ المــصائب حولَنــا يتكــسَّر[1]

فهو مع كل ثورة تسقى شجرتها بدم الأحرار، الـذي بـه يعـز الـذليل، ويـذل البـاغي، ويصنع التاريخ بفجر جديد، فيقول:

خلِّــي الــدَّمَ الغــالي يــسيل إنّ المُــسيلَ هــو القتيــل
هــذا الــدَّمُ المطلــولُ يُخــتــصرُ الطريــقُ بــه الطويــل
أنْ ســتردَّ بــه الاسيـــرُ وأنْ يُعَــزَّ بــه الذليــل
مِــن ههنــا فجــرٌ يُطِــلُّ ومِــن هنــا ليــلٌ
وكــأنّ مخــضبةَ الــدماء يزولفُويقَهــا "الــشفقُ" الظليــل
مــدّي بهــا جِــسرا يمهِّــد للرعيــل بــه الرعيــل
وتقامــري والمــوت:إنّ خلاصــكِ الــربح الجزيــل
خــلّ الــدمَ الغــالي يــسيل ضــوءا يُنــارُ بــه الــسبيل
متحــدِّرٌ كالــسهم صلْــبا لا يَزيــغُ ولا يميــل
يــصِلُ المناضــل بالمنــا ضــل حــين يعييــه الوصــول[2]

ويــا(أبــا خالــدٍ) إنْ يلتهــبْ بفمــي قــولٌ، فــإني لكــلّ الثــائرين فــم
أنقــذ(فلــسطين) مــردوداً بهــا حــرمُ علــى ذويــه، مركــوزاً بهــا علــم
وطهّــر البيــتَ مِــن رجــس يلوثــه ولــن يطهّــره إلا دمٌ..ودم
ولــن يطهِّــرَه إلاّ مخــايرة أن يعبــد الله أو أن يعبــد الــصنم[3]

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 587.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 624.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 860.

ويعد الجواهري أكثر شعراء العرب تفاعلا مع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، حيث توالت قصائده تترى تواكب الحدث، مذكرا إياهم، بأن النصر حليف الثوار[1] فيقول:

دعـــي شـــفراتِ ســـيوف الطغـــاة   تُطَبِّـــقُ منـــكِ علـــى المقطـــع
فأنـــشودةُ المجـــدِ مـــا وُقِّعـــت   علـــى غـــير أوردة قُطَّـــع[2]

إن الجواهري غير مكترث بجسامة تضحيات الثورة؛ لأنها ثمن طبيعي للاستقلال، فيوصي الجزائر أن تزيد من عدد شهدائها، إمعانا في المقاومة، وحتمية هزيمة المحتل[3]

وزيـــدي ضـــحاياك تـــزددْ بهـــا   نجـــومُ سماواتـــكِ اللُمَّـــع
فلـــمْ تـــشتعل كـــدمِ الثائريـــ   ن مـــصابيحُ في حالـــكٍ أســـفع[4]

إنّ البطل في نظر الجواهري:هو من شرب سم الموت، وعدم الخوف من ويلات الردى، لأنّ أهوال النضال لم تخلق إلا لمن هو كفء بها، وأنّ راية الاستقلال لن ترفع إلا بيد الاستشهاد[5]، فيقول في القصيدة نفسها:

ردِّي علقـــمَ المـــوت لا تجزعـــي   ولا تـــرهبي جمـــرةَ المـــصرع
فـــساريةُ العلـــم المـــستقلُّ بغـــ   ـــيرِ يـــد المـــوتِ لم تُرفـــع[6]

إنّ الجواهري منذ اليوم الأول يؤمن، بأنّ رد الشر بالشر أحزم، فالاستعمار لا يعرف غير أسلـــوب واحد في التسليم بحـــق الشعـــــوب، وهو طريـــق الكفاح المسلح[7]

جزائـــر يـــا كوكـــب المـــشرقيـ   ـــن دجـــا الـــشرق مـــن كُربـــة فـــاطلُعي
ويـــا عَقِـــب العَـــرَب المغـــربين   أعيـــدي صـــدى(عُقْبـــة) تُـــسْمعـــي
أجـــدِّي عهـــودا عفـــتْ وابعثـــي   نوافـــح مـــن ســـحرها المُمتـــع

---

(1) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 357.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(3) ينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: د.الاعرجي: 86. دار الشؤون الثقافية: 2007.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(5) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 82.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(7) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 338.

فهـــا هـــو ذا دارةٌ للنجـــو م تـــسبح في فلـــكٍ أوســـع
وكـــان المُناضـــلُ في لُجَّـــة العمايـــات ينـــداحُ كالقَوْقـــع[1]

وفي قصيدة: (بكرت جلّق)[2] يشدّ على أيدي (الجزائريين) ويدعوهم إلى المزيد من التضحيات:

أرأيـــتَ الـــدّهرَ ضـــيماً دفعـــا أمْ بغـــيرِ الـــدم حقـــا رجعـــا
مـــن نفـــوسٍ دُبْـــنَ في حُـــبِّ الحِمـــى فتـــساقطْن عليـــــه قِطَعَـــا
تكتـــبُ التـــاريخَ لا تـــدري لهـــا غـــير أســـفار الـــضحايا مرجِعـــا[3]

ويحذر الجواهري الجزائريين، من أن تؤول ثورتهم، مثلما آلت إليه الثورات في العراق[4]؛ لأنّه المجرب الحكيم، والناصح الأمين لكل الثائرين، وعانى ما عانى على يد الطامعين في العراق من قهر وقسوة، ففي (عينيته) يصب جام غضبه على الاستعمار الذي ابتلي به وطنه وشعوب العالم، والذي فرض عليه المنفى الإجباري في ذلك الوقت، ويطلب من الجزائر أن تنتقم للشاعر ولكل إنسان ذاق ويلات الاستعمار ويطلب منها أن تصب حقدها على الاستعمار في ضراوة وعنف، وأنْ تنتزع أظافره، وتقلع نابه، وتشق مرارته، وتمضغها بأسنانها، وتشرب من دمه، يطلب منها أن تذيقه ما ذاق شعب العراق والشعوب العربية وشعوب العالم[5].

جزائـــرُ كيلـــي بـــصاعَيْ حقـــو دِ عـــم في ضـــراوته مُقـــذَع
علـــى مُوجـــع الظـــلم بالأوجـــع ومُستبـــشَع الحقـــد بالأبـــشع
خـذي الـوحشَ مـن ظُفـره وانزعـي ومـــن نابـــه حـــرَداً واقلعـــي
وشُـــقّي مرارتـــه وامـــضغـــي وســـؤر قرارتـــه فاجزعـــي

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(2) ألقى الشاعر قسما من القصيدة في المظاهرات التي انطلقت في دمشق احتجاجا على لجوء المستعمرين الفرنسيين بإرغام الطائرة، التي كانت تقل(بن بلّة) ورفاقه على الهبوط واقتيادهم إلى سجون (فرنسا) عام: (1957).

(3) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.

(4) ينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: 82.

(5) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 206، 207.

دعيــــهِ يـــذُقْ مـــا أذاق الـــشعـــو بَ مـــن الهـــول والفـــزع الأفظـــع[1]

وأخيرا يستهزئ الشاعر بفرنسا التي تدعي أنها صنعت الثورة من أجل الإنسان، وهي تذبح الإنسان في الجزائر، وسوريا، ولبنان وغيرها، وتفتخر بأنّها أغلقت (باستيل)، لكنها بنت ألف(باستيل) فما أخبث المدعي وما أقبح ما ادّعاه، أما في قصيدة:(تونس) فيمدح أهلها المرابطين، ويذكرهم بأنّ التاريخ يعيد نفسه، بظهور (طارق بن زياد)وسط النصر المحتّم على جيش المحور، ثم يربط بين ماضي الأمة وحاضرها:

رِدِّي يـا خيـولَ الله مَنْهَلَـكِ العَذْبـا ويـا شـرقُ عُـدْ للغـرب فاقتـحمْ الغَرْبـا
ويـا شـرقُ هـل سـرٌّ الطواغيـتَ أنّهـا فُويقَـك أشـلاءٌ مبعثـرةٌ إرْبـا
يـدٌ جـدّ يـومُ القيـروان عروقهـا وظهـرٌ علـى القفقـاس مـستعليـا جبًّـا
حدا من جيـوش الـوحي والنـصر مـا حـدا وعبّـا مـن الإيمـان بالنـصر مـا عبّـا
كنـار(ابـن عمـرانْ) الـتي جـاء قابـساً سناها حريـقٌ في سفائنـه شبّـا
تخطّـت إلى مَحْمِيَـةِ الغـرب أمّـة حمـت فأجـادتْ قبلـها عـن حِمـىً ذَبّـا
تحـدَّت عُبـابَ البحـر تُـزعِجُ حُوتَـه ومـن قبلـهِ في الـبرِّ أزعجـتِ الـضَّبّـا
ومـا سَـمَلَتْ عينـاً، ولا قَطَعَـتْ يـدا ولا حجـرتْ رأيـاً، ولا أحْرقَـتْ كُتبـا[2]

وكذلك وقـف الجواهري إلى جانب الثورات الأخرى كما نجد ذلك في قصائده المنتشرة في دواوينه فوقف مع ثـورة (المغـرب)[3] و(الأنـدلس)[4] ومـع (سوسـتبول)[5] كمـا وقـف مـع رجالات الثورة الذين قادوا معارك المصير ضد الغـــزاة، فأيـد(الحسين بـن علـي)[6] ورثـاه

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 680.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 413.

(3) ففي المغرب اصطدم الشعب بالاحتلال الفرنسي والاسباني، وبرز القائد (عبد الكريم الخطابي) كرمز للبطولة في المغرب،حتى اضطرت قوات الاحتلال الجلاء من (المغرب)عام1956.ينظر الثورة العربية وإسرائيل: فؤاد قازان: 186.وينظر الأعمال الكاملة: 6 : 995

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 466.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 828.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 138.

بأكثر من قصيدة ولقبه بأبي الثورة العربية، كما وقف إلى جانب (بن بلة)[1] و(القوتلي)[2] و(النحاس)[3] و(جمال عبد الناصر)[4] و(بشارة الخوري)[5] و(جمال الدين الأفغاني)[6] و(حافظ الأسد)[7] و(عبد الكريم قاسم)[8] و(جعفر أبو التمن)[9] و(عبد الحميد كرامي)[10] و(عدنان المالكي)[11] و(خالد بكتاش)[12] و(غاندي)[13] و(استالين)[14] وقد لخص الجواهري معظم فلسفته القاضية بحتمية انتصار الشعوب على المستعمرين في قصيدته (أمم تجد ونلعب):

المَشرقَ الواعي يَخُـ ... ـطّ مَصيرهُ والمَغرب
فهُنا دمٌ يتعهَّدُ الجـ ... ـيلَ الجديدَ فَيَكسب
وهنا جماهير يخـ ... ـبها زعيم أغلب
سيزولُ ما كنا نقـ ... ـولُ مشرّق ومغرّب
قل للشباب تحفّزوا ... وتيقّظوا وتألّبوا
وتأهّبوا للطارئات ... فإنها تتأهّب
سيجدّ ما سيطول ... إعجاب به وتعجّب

---

(1) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 704.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 579.
(4) الأعمال الكاملة: 6 : 942، 6 : 937.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 497.
(6) الأعمال الكاملة: 3 : 431.
(7) الأعمال الكاملة: 3 : 116.
(8) الأعمال الكاملة: 4 : 712.4 : 706.
(9) الأعمال الكاملة: 3 : 447.
(10) الأعمال الكاملة: 4 : 591.
(11) الأعمال الكاملة: 4 : 691.
(12) الأعمال الكاملة: 6 : 1000.
(13) الأعمال الكاملة: 5 : 741.
(14) الأعمال الكاملة: 3 : 412.

ويـــــلوح فجــــــرُ غــــــدٍ فيركـــــض نحـــــوه ويـــــــرحّب
لا تنفــــــروا إنّ الحيــــــاة إلـــــــيكُمْ تتقـــــــــرَّب
وتناولـــــــوا جمـــــــراتِكم آنـــــا وآنـــــا فاحـــــصبوا
كونـــــوا كعاصــــفة تطـــوّح بالرِّمـــــــالِ وتلعـــــــب
لكـــمُ الغــدُ الــداني القُطـــوفُ وصــــــفْوهُ المــــــستعذب[1]

ثورة العشرين في شعر الجواهري

لاشك في أن ثورة العشرين تعد من أهم الأحداث في تاريخ العراق الحديث، بوصفها انعطافة حادة، بين مرحلتين متناقضتين متمثلة:بالصراع بين الحق والباطل، وبين الاستعباد والحرية. وقبل الخوض في تفاصيلها لابد من أن ندرك بأنّ هناك عوامل وأسبابا أسهمت بإذكاء روح الثورة في نفوس العراقيين، منها حصار النجف عام (1919) نتيجة الانتفاضة الوطنية ضد البريطانيين[2]، وقد انتهت بإعدام القائمين بها[3]، لكنها كانت بداية شرارة لثورة العشرين التي جعلت منها بأنْ تكون أشد قوة وأكثر استمرارا، وامتدادا، بل أشد بعدا عن استغلال المستغلين[4]، كما أن لثورة مصر عام (1919)، التي قادها (سعد زغلول) ضد الانكليز أثرها الفعال في تقوية عزائم العراقيين، وإلهاب مشاعرهم نحو الثورة[5]. فضلا عن سرقة ثورات العراق، والظلم السياسي والاجتماعي[6]، ونتيجة خيبة الأمل بعدم تحقيق الوعود[7]. إنّ كل تلك الأمور مجتمعة، قد ولّدت المرارة في النفوس، وأشاعت السخط بين الطبقات، وأخذ

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 402.

(2) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 16.

(3) عزا الجواهري فشل التمرد الوطني في النجف إلى عاملين.وهما:

1- تخلي الطليعة عن المشاركة فيها

2- عدم استمرار الطلائع الدينية في شد أزرهم.ينظر: مذكراتي الجواهري: 99: 1، 101.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 98.

(5) ينظر: تأريخ القضية العراقية: 1 : 52.وينظر: تأريخ مقدرات العراق السياسية: 3 : 99. وينظر: الثورة العراقية الكبرى: عبد الرزاق الحسيني: 72. مطبعة العرفان: صيدا: 1965.

(6) ينظر: الثورة العراقية الكبرى: عبد الله فياض: 67.وزارة الثقافة: بغداد: 1963.

(7) ينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق: 297.

الناس يتذمرون من الوضع الاستعماري الجديد، لما أصابهم من ويلات هذا الاحتلال، حتى عيِل صبرهم، ولم يبق في القوس منزع[1] ((فأخذ كل واحد منهم حسب إمكانياته واختصاصاته، يقوم بما يحتّمه عليه الواجب الديني والوطني والقومي، لبث الدعوة للقيام بالثورة وطرد الانكليز الغاصبين من البلاد))[2]، ويذكر الدكتور (علي الوردي) آراء تجانب الحقيقة وتخالف الواقع، حيث يقول إن سبب قيام ثور العشرين هو حب العرب للسلب والنهب وكرههم للحكومات؛ لأنها قيود تمنعهم من ممارسة الفوضى التي اعتادوها بسبب بداوتهم[3]، وأن هذه الثورة بدائية، خالية من الوعي السياسي، ووراءها مصالح شخصية[4]، كما هي امتداد للحروب العثمانية[5]، وأنها وليدة المصادفة[6] وذكر آخرون أن الثورة كانت بسبب الانتداب . والحقيقة التي لا يمكن إغفالها هي أن شعر الشعراء كان سببا رئيسا في نشوب الثورة وإذكاء لهيبها، فقد أسهم الشعراء مساهمة فعالة وكانت قصائدهم بمثابة قنابل على رؤوس الانكليز[7] ((فالحياة السياسية الوطنية المتبلورة في المطالبة بالاستقلال، هي التي دفعت شعراء العراق، لأن يخرجوا بشعرهم من المجال الضيق إلى مجال أوسع وهو مناصرة ودعم الثورة العراقية.))[8]، وقد شارك الشعراء في الاحتفالات التي أقامها زعماء (ثورة العشرين) في المناسبات الدينية، وكان جامع (الحيدر خانة) في بغداد أشهر المساجد، التي كانت تضم هؤلاء

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 62.

(2) البطولة في ثورة العشرين: عبد الشهيد الياسري: 11.النجف: 1966. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 11.

(3) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 14.

الحقيقة التي أريد تبيانها، هي أن آراء(الوردي) انعكاس لمقولات الساسة الأتراك والانكليز، لتبريرهم احتلال العراق وشرعنة الانتداب(الوصاية). ((إن الأتراك والانكليز حكموا على العراقي بأنه غدار خائن يحب السلب والنهب)) تاريخ العنف الدموي: 297.

(4) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي الحديث: 365.

(5) ينظر: نفسه: 172.

(6) ينظر: لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث: 1 : 315.

(7) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 44. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 33. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 86.

(8) تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 152.

الشعراء، إذ كانوا يتناوبون في إلقاء قصائدهم، وكانت تطفح بالحماسة الوطنية، وتشتعل بنار الثورة وكان على رأس هؤلاء الشعراء (محمد مهدي البصير)[1] و(محمد مهدي الجواهري)[2]، كما أنهم سجّلوا أحداثها، ومجّدوا أبطالها، وخلّدوا شهداءها[3]، حتى قيل: ((إن لكل انتفاضة عراقية شعراءها، على نقيض(ثورة عرابي) يكاد لا يوجد لها أثر بالشعر المصري، وأن أكثر شعراء العرب في تأريخنا الحديث رافق شعرهم انتفاضات وثورات شعبهم، هم الشعراء العراقيون.))[4] إذ ليس هناك شاعر تعلّق بثورة شعبه، كتعلق الجواهري بثورة العشرين. ويعد الجواهري على صغر سنه، أبرز شعراء (الثورة العراقية) يقول الدجيلي: ((إذ لم أجد من الشعراء عند اندلاع الثورة واشتعالها، من نظم فيها إلا الجواهري))[5] فكانت(الثورة العراقية) ، ((وهي أقدم قصيدة تعود إلى عام: (1921) وهو يقول:إنها نظمت في أعقاب الثورة العراقية (1920) ، وكان الشاعر لا يتجاوز عمره آنذاك(العشرين)[6] عاما، فكان من الإنصاف أن يبدأ

---

(1) يعد (محمد مهدي البصير) أحد أشهر شعراء (ثورة العشرين) -وبدون منازع لأنه كان ينظر إليها على أنها الحد الفاصل بين الحرية والعبودية، لذا نراه يقول في قصيدة: (باعث الغضب):

ولا حياة لنفسٍ لا يحرّكها ... إلى الحماسة يوما باعث الغضب
لا حقّ للمرء في مجد يحاوله ... إنْ شحّ بالنفس أو إنْ ضنّ بالنشب

البركان: محمد مهدي البصير: 42.المجلد الثاني والعشرين لمجلة المعلم الجديد،مطبعة المعارف: بغداد: (بلا تاريخ)

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 87.

(3) ينظر: ثورة العشرين في الشعر العراقي: 121.

ويستثنى من أولئك الشعراء (الزهاوي) ((فقد ألقى قصيدة من (ثلاثة وأربعين) بيتا مدح فيها الانكليز وذم الثورة)). تنظر: جريدة(العراق) في عددها الصادر(12) تشرين الأول: 1920. وينظر لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث: 6 : 16. وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 104

(4) الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 15 .

(5) الجواهري شاعر العربية: 176.

(6) تضاربت الآراء في ذلك، يذكر الجواهري أنه كتب قصيدة: (ثورة العراق) كان عمره: (16) عاما، والقصيدة نشرت عام(1921) ، ثم ذكر في موضع آخر، أن أول قرمزة له في سن(14) سنة، وعنوانها (دعا الموت) ، ونشرت في (جريدة العراق) ، وذكر أيضا: انه كتب قصيدتين في =جريدة(الاستقلال) حول ثورة(1920) وعمره(17) سنة، ويقول: (جعفر محبوبة) : عمره(21) ويذكر(الاعرجي) أنه في بدايات حياته: كتب ثلاث قصائد في الثورة العراقية وهي: (العزم وأبناؤه). و(ثورة العراق) و(الثورة العراقية).

فكان من الإنصاف أن يبدأ شاعر الثورات بقصيدة عن أولى الثورات العراقية الكبرى))[1] ويصفها أحد النقاد: ((بأنها من قصائد الحرب الفريدة، التي قيلت في هذا القرن))[2] وقد امتازت بشحنتها التحريضية العالية واستنهاضها لأبناء الوطن[3]((وانفجر في أعقابها شاعرا كبيرا))[4] وضعت القصيدة((أولى خطوات الجواهري على طريق الشعر السياسي والمبادئ الأولية لحسه الوطني:التباهي ببطولات الثوار، التعلق بشخص البطل))[5] ويقول الدكتور (جليل العطية):((إنّ حدث الثورة لم يكن المحرك الأساس له بل الموروث الشعري))[6] وهو قول فيه نظر ذلك لأن القصيدة إفراز للحدث ولما قبله، لما هو مركوز في اللاوعي، منذ الطفولة القاسية، التي صبغت ولوّنت الجواهري بشعر القوة، وقوة الشعر، فقد عاش الجواهري- وكما مر- منذ صغره أحداث النجف ضد الجيش التركي، وعاش الفصول الدامية لثورة النجف (1919) ضد الانكليز، ووقفت عوائل وشخصيات (نجفية) مع البريطانيين في القبض على الثوار، ومن ثمّ تمّ إعدامهم[7]، فبذور الثورة، قد تشكلت لديه قبل الثورة العراقية بسبب النشأة والظروف، فضلا عن تأثير التيارات السياسية في عصره، إذ كان يتناغم مع فلسفات (سامي شوكت) وأفكاره الداعية إلى الإيمان بآلهة القوة[8] (فالثورة العراقية) ليست إلا تحقيقا لحلم قديم، لذا عندما قامت الثورة المصرية بقيادة (زغلول) كاد الجواهري يتميز غيظا لماذا لايثور العراقيون أسوة بإخوانهم المصريين؟ حيث يقول في قصيدته (على سعد):

ماشِ العراق بيومه فلطالما تأريخُهُ بسنينه ماشاك

ينظر: مذكراتي: 1 : 87 ، 92، 119. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 20.

(1) الشاعر والحاكم والمدينة: 51.

(2) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 109.

(3) ينظر: رحيل آخر للعمالقة: فايز العراقي: 236.مقال في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(4) قصائده قادمة من حضارة الكوفة: حسن العلوي: 103.مقال في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(5) في رحلة الفكر والتحول: 21.في ضمن(محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية)

(6) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 109.

(7) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 256. وينظر: مذكراتي: 1 : 101،102. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 15،16.وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 5

(8) ينظر: هذه أهدافنا: د.سامي شوكت: 238.مطبعة العاني: بغداد: 1967.

وطـــــنٌ مـــــريضٌ زاد في آلامــــهِ ... ألاّ يكـــــون علــــى يديــــه شـــفاك
يــا ســـعد أمّـــا مـــوطني فمهـــدّدٌ ... -إن لم يعـــــد بُنيائــــــه-بهـــــلاك
يــا سـعدُ أبلــغْ مــن قـصيدة شـاعرٍ ... يــبني القـــوافي فيـــك دمعـــة شـــاكي
يــا سـعدُ مـا قــدري وقــدرُ نيـاحتي ... كـــلُّ الـــبلاد نـــوائحٌ وبـــواكي[1]

غير أن (محمد مبارك) يرجّح أن الجواهري شب مع ثورة العشرين، وأن نيران معاركها، هي التي أنضجت (الجواهري) موهبة وموقفا. فمنظور الشاعر المركزي إنما صاغته له هذه الثورة[2]، ومهما اختلفت الآراء، ((فالجواهري غنّى الثورات والانتفاضات، وخاض معاركها))[3]، وقد تمثل الإحساس بالتمرد لديه سياسيا...في موقف الإسهام والمؤازرة لثورة العشرين[4] في أكثر من قصيدة، كما نجد ذلك بوضوح في قصائده الآتية: (العزم وأبناؤه)[5] و(رثاء شيخ الشريعة)[6] و(ثورة العراق)[7] و(الثورة العراقـــية)[8] و(ذكرى أبو التمن)[9] و(إلى الخاتون المس بل)[10] و(عبد الحميد كرامي)[11] و(الدم يتكلم بعد عشر)[12] و(النقمة)[13] و(يابنت رسطاليس)[14] و(الليل والشاعر)[15].

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 189.

(2) ينظر: تطبيقات نقدية: محمد مبارك: 3. بحث مقدم إلى(إتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) لسنة1978.

(3) حين التقيته عند المحقق: فيكتوريا نعمان: 188. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(4) ينظر: الجواهري من المولد حتى النشر في الجرائد: 42.وينظر: نسيج وحده: حسن طلب: 377.في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 57.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 58.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

(8) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(9) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(10) الأعمال الكاملة: 1 : 222.

(11) الأعمال الكاملة: 4 : 596.

(12) الأعمال الكاملة: 2 : 272.

(13) الأعمال الكاملة: 1 : 100.

(14) الأعمال الكاملة: 3 : 475.

(15) الأعمال الكاملة: 1 : 67.

في قصيدة (ثورة العراق) يتحدث عن الثورة وأثرها في إحياء الشعوب وإسعادها. وأنَّ النكوص عنها يورث الذل والهوان، كما يتحدث عن بطولات (الثوار) وما سطروه من معجزات في ساحات الوغى[1]، ثم يأمر بأن يثخنوا أعداءهم، بضرب الرقاب، ثم يعرج على هزيمة الأعداء، وكيف أنَّ المدرعات التي جلبوها لم تدفع عنهم ما يكرهون، فهزموا شرَّ هزيمة في واقعة (العوجة) (1921)

إنْ كان طالَ الأمدُ	فبعد ذا اليوم غدُ
أسيافُكُم مُرْهفةٌ	وعزمُكُم متَّقد
هبُّوا كفتْكُم عِيْرةٌ	أخبارُ مَن قد رقدوا
هبّوا فعن عرينه	كيف ينامُ الأسد
وثورةٌ بل جمرةٌ	ليعرب لا تخمد
وللفرات نهضةٌ	مشهودةٌ لا تُجحد
وفِتْيةٌ على المنى	أو المنايا احتشدوا
ناشدِ بذاك عوجةً	ومثلها لا يُستنشد[2]
وللقطار وقعةٌ	منها تُقَزُّ الكبد[3]
لم يُنجِه من الرّدى	حديده الموطّد[4]

أما في قصيدة: (الثورة العراقية) التي يستهلها بالحِكم ثم باستنهاض للهمم، وتطلع للنشء الصاعد في العراق، وما يجب عليه أن يحققه في المستقبل القريب، ثم يعرج على الثوار

(1) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 183.

(2) العوجة: قرية على جانب الفرات وتسمى بـ(الرميثة)، وفيها الواقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين، وقد فاز بها الثوار على الانكليز.

(3) القطار: هو المدرع الذي بعثه المحتلون لتأديب الثوار، وكان مشحونا بالضباط البريطانيين، وكانت الغلبة للثوار، إذ أوقفوه وحطموه واعتقلوا من به.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

الغطارف الذين نضوا عنهم الخمول، ثم يذكر معارك (الكوفة)، وما كان فيها من بطولات، ثم مصير الباخرة[1]. ونقتطع من القصيدة:

لعلّ الذي ولّى من الدّهرِ راجعُ — فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلّا المطامعُ
غرورا يُمنّينا الحياةَ:وصفوها — سرابٌ وجنّاتُ الأماني بلاقع
تُسَرُّ بزهو من حياةٍ كذوبةٍ — كما افترَّ عن ثغرِ الحبّ المخادع
هو الدّهرُ قارِعْه يُصاحبْك صفْوُهُ — فما صاحبَ الأيام إلّا المقارع[2]

يبدو الجواهري في هذا المقطع بزي (شيخ) وقور يسرد الحكم على بني قومه، موضحا لهم أنّ الحياة لا تنقاد إلا لمكابد، وأنّ النصر لا يأتي إلا لمقارع، وهي فلسفة قديمة مستمدة من المقولة المعروفة: ((إحرص على الموت توهب لك الحياة)) فهو في هذا يشبه وعلى حد كبير الشاعر: (لقيط بن ساعد الأيادي) الذي نصح قومه مما ينبغي فعله في الحرب، ويستمر الجواهري ليحوم حول الفكرة نفسها بقوله:

وصرخةُ أغيارٍ لإنهاضِ شعبِهم — وإنعاشِه تستكُّ منها المسامع[3]

مرة أخرى يحث الجواهري شعبه إلى ساحات الوغى، لصنع الحياة لشعب رزح تحت حراب المحتل، فالتواني لا يجلب إلا الموت ولا سبيل لمجد إلا أن تكون أكولا لا مأكولا، وهو يشير إلى (إذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب)، وأنّ المطالب والغايات لا تتحقق إلا بالجلاد والمقارعة وركوب الهول ومعانقة الموج. وفي مقطع آخر يتوجه الشاعر إلى الشباب للوقوف صفا واحد لملاقاة العدو، كي يبرهنوا أنهم الجيل الذي يعتمد عليه، في بناء الوطن، والأخذ بثأر الدماء التي أسيلت. فيقول:

لنا فيك يا نشءَ العراق رغائبٌ — أيُسعفُ فيها دهرُنا أو يُمانع
ستعْرفُ ما معنى الشعور وكم جنت — لنا مُوجعاتُ القلبِ هذي المقاطع

---

(1) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 183.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

بـني الـوطنِ المُـستلفتِ العـينَ حُـسنُهُ   أباطحُـــــه فينانـــــةٌ والمتالـــــع
ألاســلمتموهُ، وهــو عِقــد مَــضَّــنةٍ   يُناضَــل عـــن أمثالـــه ويُدافَـــــع[1]

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها يقول:

وفي الكوفـةِ الحمـراء جاشـتْ مراجـلٌ   مـن المـــوتِ لم تهـدأ وهاجـــتْ زعـازع
أديـرت كـؤوسٌ مـن دمـاء بريئـةٍ   عليهـا مـن الـدمع المُـذال فواقـــع[2]

ثم راح الجواهري يصور مـا آلـت إليـه المدينـة[3] مـن خـراب ودمـار وحـصد بالجملـة لأبنائها، فقد أحرقوا الحرث وأهلكوا النسل؛ إطفاء لنار حقدهم المتأججة في قلوبهم .

وقـد راعَـني حـولَ الفـرات منـازلٌ   تخلَّـيْنَ عـــن ألّافـــــها ومرابـــع
دوائـرُ مـن بعـد الأنـيس توحَّـشتْ   وكـــلُّ مقـــام بعـــد أهلِيْـــه ضـــائع[4]

ثم يندد بما فعله أعداء القيم من الذين يدعون أنهم يدينون ويؤمنون بها

على أيّ عُذْرٍ تُحْمَلُون وقد نُهْتعلى رغـم   قـوانينُكُم عـن فِعْلِـــــكُم والـشَّرائعبُراءَ
روح الطهــــر(عيــــسى) أذلـــتُم   دِمـــــاء هوَّنتهـــا الفظائـــــــع[5]

ولم يفت(الجواهري) أن يصور بطولات الثوار، الذين كانوا يعانقون الموت بقلوب آمنـة مطمئنة، فعلى الرغم من سيل القنابل التي كانت تمطر رؤوسهم، والحصار الـذي كـان يحيطهم

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(3) ويقصد بها (الكوفة) وان الشاعر قد خص بالذكر هـذه البلـدة، لأنهـا كانـت والديوانيـة الخطـين الأمـاميين لقوات الثوار في شتى أنحاء الفرات، ولأنها البلدة التي كان يتردد عليها(الجواهري) إبّان الثورة، قد تعـرض فيها غير مرة للموت، ولكنه نجا بأعجوبة. ينظر : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 103.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

من كل جانب، غير أنّهم رفضوا أن يستسلموا إلا للموت، وقد أجاد الجواهري عندما شبه أولئك الكماة بالنجوم الزواهر في ذلك الليل البهيم، فيقول:

وممّا دهاني والقلوبُ ذواهلٌ ... هناك وطيرُ الموت جاثٍ وواقع
وقد سدّت الأفْق العجَاجَة والتقت ... جحافلُ يحدُوها الرّدى وقطائِعُ
كميٌّ[1] مشَى بين الكُماةِ وحوله ... نجومٌ بليْلٍ من عجاجٍ طوالع وهم
هُمْ استسلموا للْموت، والموتُ جارفٌ ... عرضوا للسيفِ.والسيفُ قاطِع[2]

كما لم ينس الجواهري في قصيدته، صورة تلك الباخرة العملاقة التي دمرت على يد الثوار، فجمع في وصفها، بين جمال مظهرها وقبح فعالها، فهي الحسناء التي تهب الموت والدمار فيقول :

بباخرة فيها الحديدُ معاقلٌ ... تقيها وأشباحُ المَنايا مدارع
وإنْ أنسَ لا أنس الفرات وموقِفاً ... بهِ مثَّلَتْ ظُلْم النُّفوسِ الفَظائع
غَداةَ تجلّى الموتُ في غير زيّهِ ... وليس كراءٍ في التهيُّب سامع
تراها بيوم السّلْم في الحُسْن جنَّةً ... بها زُخرِفتْ للناظرين البدائِع
على أنّها والغدر ملءُ ضلوعها ... على النار مِنْها قد طوين الأضالع
ألا لا تشَل كفٌّ رَمتها بثاقبٍ ... حَشْتُهُ المنايا فهو بالموت ناقع
من اللآء لا يعْرِفْنَ للروحِ قيمةً ... سواءٌ لديها شُيَّبٌ ورضَائع
فواتكُ كم مَيّلْنَ من قدرِ مُعجَبٍ ... كما ميَّل الخدّ المُصعَّرَ صافع
أتتها فلم تمنعْ رَداها حصونُها ... وليس من الموت المحتَّم دافع
هنالكِ لو شاهدتها حينَ نُكّسَتْ ... كما خرّ يَهْوي للعبادة راكع

(1) الكمي: المفرد هنا يتضمن رمزا عاما للكماة الوطنيين من الثوار، ويريد كل كمي منهم وكل شجاع وكل قائد. وقيل أنّ المقصود هو : (عبد الواحد الحاج سكر).

(2) الأعمال الكاملة : 1 : 63.

هـوتْ فهـوى حـسنٌ وظلـمٌ تمازجـا		بهـا وانطـوى مـرأى مَـروعٍ ورائـع[1]

على الرغم من فـشل الثـورة وملاحقـة الانكليـز لـشعرائها بالـسجن والتـشريد[2]، إنّ الجواهري ظل مقاتلا عنيدا يصب جام غضبه على رؤوس أولئك الـذين كـانوا سببا في فـشل الثورة من الجواسيس والخونة، ابتغاء عرض الدنيا، ممن ركبوا الليل الجمال واتصلوا بـالانكليز، فنالوا الجاه والسلطان طيلة الحكم المسمى بـ (الوطني)، هم وأولادهم من بعـدهم، وإلى هـؤلاء يشير في قصيدته(في رثاء شيخ الشريعة) إذ يقول:

أبـا الحـسنِ في الـصَّدرِ مـني سـريرةٌ		سـأكتُمها حتّـى تُبـاح سَـرائره[3]

كما شجب الشاعر في هذه القصيدة محافظ كربلاء(حميد خـان) الـذي كـان متعاونـا مـع البريطانيين، وحينما عرض الجواهري بقوله :

لفقـدك حـالَ الـدين عمّـا عهِدتـه		فمـسلمةُ في ذمّـة الـشرْع كـافره[4]

خرج من الاحتفال مغضوبا[5].وأنّ فـشل الثـوار لـيس حـدثا غريبـا علـى(الجـواهري)، ولكنها جولة بجولة، حتى تنتصر في نهاياتها الشعوب، يقول الجواهري:

فيـا وطـني إنْ لمْ يجِـن ردُّ فائـتٍ وأحلامُنـا		عليكَ فـإنَّ الـدَّهرَ مـاضٍ وراجِعوأيامنـا مـنهن
منهـا صـحيحٌ وكـاذبٌ كمـا فـرَّق الـشَّمْل		معـطٍ ومـانع فقـد يجمـعُ الـشَّمْل المُفَـرَّق
المُجمَّع حادثُوما طال عصرْ الظُّلم إلّـا لِحِكمَـة		جـامعتُنْبِئُ، أنْ لابـدَّ تدنـو المـصارع[6]

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 101.

(3) الأعمال الكاملة : 1 : 58.

(4) نفسه.

(5) ينظر: الجواهري شاعر العربية : 176.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

وفي قصيدة (عبد الحميد كرامي) يكشف الجواهري سبب فشل الثورة، لأنها قامت قبل أوانها، لأن المفاهيم الثورية والوطنية لم تترسخ بعد في نفوس العراقيين، لكنها كانت ميدان اختبار لمعادن النفوس الثمينة منها والرخيصة

حتّى إذا لُقِحَتْ قُبيْلَ أوانها شعواءُ يجهلُ كُنْهَها الثوّار
جُمِعتْ به شتى الصُفوفِ، ووحّدت شتّى القُلوب ونامتِ الأوغار
وبه تكشّفَ كلُّ أربد حالكٍ داجٍ، كما تتكشّفُ الأقمار
قد كان ميدانُ الجهادِ يسوده حُكْمَانِ :وقدٌ جاحمٌ، وفرارُ
كُبَّتْ به الموج المجّان لوجهها وحوى الجيادَ كريمةً مِضمار
وهفا الدَّعيُّ فلم يُفاخِر أنّه يعلُوهُ من رَهَج الجهاد غبار![1]

وفي قصيدة (النقمة)، يذكر الجواهري العراقيين بالدماء التي أريقت على أرضهم في ثورة العشرين، فكان جزاؤها بيع الوطن والسكوت والخنوع، حيث يقول:

وطنٌ أقامتْ ركنَهُ شبابنا بدمٍ عبيط
يا للرجال تلاقفته يدُ الأعاجم والنبِّيط
يا نائماً ما نبَّهته الحادثاتُ من الغطيط
أفٌ لها من عيشةٍ مابين وغْدٍ أولَقيط[2]

وفي قصيدة: (الدم يتكلم بعد عشر)أنّ الدم بات يتكلم، ويحاسب كل من خان القيم، التي من أجلها أريق ليحول إلى أشباح مرعبة وكوابيس مخيفة، تطاردهم في كل مكان فأقضّ مضاجعهم، ونكّد عيشهم، فلكل شيء ثمن، وثمن الخيانة العذاب المهين، ثم يمسك بتلابيبهم قائلا ما أن دعوتمونا بالأماني الكذاب حتى استجبنا لكم، أسفكتم دماءنا لتستبيحوا للدخيل الأرض والعرض؟أليس فيكم رجل شجاع يصون الديار ويحمي الذمار.

لو سألنا تلك الدماءَ لقالتْ وهي تَغلي حماسةً واندفاعا
ملأ الله دُورَكم من خيالي شجاعاً مرعباً يَهُزُّ النخاعا

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 100.

وغـــدوتمْ لهـــولِ مـــا يعـــــتريكمْ
تُنكـــــرون الأبــــصارَ والأسماعـــــا

تحـــسبونَ الـــورى عقـــاربَ خـــضراً
وتـــرون الـــدُّروب مـــلأى ضِباعـــا

بالأمـــاني جذّابـــةً قُدْتُموهـــــا
للمنيّـــات فانجـــذبنَ انـــصياعـــا

ألهـــذا (هَرَقْتُمُـــوني) وأضحـــى
ألـــفُ عـــرضٍ وألـــفُ مُلـــك مُـــشاعـــا

أ فوحـــدي كنـــتُ الـــشَّجاعةَ فيكـــم
أولا تملكـــون بعـــدُ شُجـــاعـــا

كـــلُّ هـــذا ولم تـــصونوا رُبوعـــا
سِـــلت فيهـــا ولم تُجيـــدوا الدِّفاعـــا[1]

وبعد مضي (ثلاثين) عاما يستذكر الجواهري تلك الدماء، ليجني ثمارهـا حفنـةٌ وهبـت البلاد للمستعمر، وتحولَت على أبناء جلدتها ذئابا كاسـرة، لتـذيق ذوي الـدماء المسفوكة مـن بقايا الثوار مع غيرهم، من أبناء العراق سوء العذاب، حيث يقول :

ألقـــى لنـــا المـــستعمرونَ عـــصابة
كانـــتْ تـــضُمّ شـــتائهُم أحجَـــار

ثـــم انكفأنـــا نـــصطلي بوقيـــدة
نحـــن الوَقـــودُ لهـــا ونحـــنُ النـــار

وانـــصاعَ يـــدفعُ مـــن دمـــاءٍ جزيـــةً
شـــعبٌ تُغّـــل جهـــودَه أنفـــار

وتخربـــتْ - لتـــسُدَّ أجـــواز الـــسما
تلـــكَ القـــصورُ - مـــن الْجمـــوعِ ديـــار

وبـــدَتْ علـــى تلـــك الملايـــين الـــتي
شَـــرَت الحريـــرَ لغيـــرهَـــا أطْمـــار

وتـــساءلوا فـــيمَ اســـتجدُّوا ثـــورةً ؟
وعلـــى مـــن امْتَـــشقُوا الحُـــسامَ وثـــاروا؟

الأجـــلِ أن يـــسقى الطغـــاة دمـــاءهم
ولهـــم -إذا رفقـــوا بهـــم - أســـار

تلـــك الثلاثـــون[2] العِجـــافُ، أذلَّهـــا
ســـوطُ الرُّعـــاة ومـــسُّها الأضـــرار

جمـــدت علـــى الجلـــد اليـــبيس ضـــروعها
مـــن فـــرط مـــا احتُلبَـــت لهـــا أشـــطار

لم تبـــقِ منهـــا الطارئـــاتُ جـــزارةً
لـــو كـــان يعـــرف رحمـــةً جـــزّار[3]

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 273.

(2) الثلاثون عاما التي مرت على ثورة العشرين حيث نظمت القصيدة عام 1950

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 598.

وإذا كان لكل شاعر نبوءة، فنبوءة الجواهري تتجلى في أول قصيدة كتبها في (ثورة العراق) عام (1921) ، حيث تنبأ أن رجال السلطة ويسميهم بـ (أبناء السقوط) سيضطهدون ويشردون أبناء الثورة، ما لم يأخذوا جنسية غير عربية، حيث يقول في قصيدة (ثورة العراق):

مواطني شَقَتْ وأبناءُ (السقوطِ) سَعِدُوا
يا أخوتي كلُّ الذي أمَّلتموه بَدَدُ
نصيبكُم من كلِّ ما شيَّدتموه النَّكَد
أولا فإنَّ عِرْضَكُم ومالَكُم مُهَدّد
أخو الشُّعورِ في العراقِ ضائعٌ مضطهد[1]

وكانت تلك بداية الصراع مع حكومة (المس بل) سكرتيرة الشرق لدار الاعتماد البريطاني في العراق، حيث هجاها الجواهري؛ لأنها استهزأت بالثوار، ووصفتهم بعبارات لا تليق، فقال الجواهري في قصيدته (إلى الخاتون المس بل):

إن تهزئي مِنهُم فعذركِ واضحٌ فهم الذين سَقَوكِ أوبا كاس
وهم الذين أرتكُمُ وقفائُهُمْ لطمَ الخُدودِ ونتفَ شعرِ الراس
لو كان فيهم للخيانةِ مطمعٌ لعرفتِ كيف إقامةُ القدّاس
ملءُ العراقِ أماجدٌ لولاهمُ هو مثل بنيانٍ بغير أساس[2]

وفي قصيدة (ذكرى أبو التمن) –وبعد (خمسة وعشرين) عاما– يقسم الجواهري بالثوار الذين رووا بدمائهم أرض الفرات القاحلة، فأحالتها بما سقتها وبما نفحتها من كرامة وعزة، إلى روضة معطار فيقول:

قسماً بيومك والفراتِ الجاري والثورة الحمراء والثوّار
والأرضُ بالدمِ ترتوي عن دمنةٍ وتمُجُّه عن روضةٍ معطار
والخيلُ تزحف لم تدعْ لُمغيرِها جثثٌ تغطِّي الأرض أي مغار

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 62.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 222.

إن الــذين عهــدتهم حطــبُ الوغـــى　　　لـــــولاهم لم تـــــشتعل بــــأوار[1]

إنّ الجواهري الذي بكى[2] شهداء (ثورة العشرين) ظل وفيا لهم يذكّر بهم النشء، طالبا منهم محبتهم والسير على طريقهم، ففي قصيدة: (يابنت رسطاليس) يقول:

علِّمْــهُ حـــبَّ الثـــائرينَ مـــن الـــورى　　　طُـــرّاً، وحـــبَّ المخلـــصين عقائـــدا
واجْـلُ الـشعوب كرائِمــاً لا تنــتقصْ　　　شـــعباً ولا تقحـــمْ عليـــه شواهـــدا
واجلـــبْ لـــه أمـــسِ البعيـــدَ مراجعـــاً　　　وألِـــحْ لـــه أمـــسِ القريـــبَ مـــساندا
أرهِ لثورتِـــــهِ[3] عظـــــامَ جمـــــاجم　　　وابعـــثْ لـــه زنـــداً أطـــنَّ وســـاعدا[4]

فبرغم خمود نار الثورة، وزوال رجالاتها، إنّ الجـواهري ظـلّ يحمـل لواءهـا، ويـشعل فتيلها، كما في قصيدة: (هجرت الديار)، حيث يدعو اليعقوبي لمحاربة المحتل

فمثلـــك يـــنهض قطـــر العـــراق　　　ويجمـــــع أشـــــتات أحـــــراره[5]

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 450.

(2) يقول الجواهري: ((بكيت شهيد ثورة العشرين وحييت قتيل العلمين الأول في صراعه لانتزاع بلاده من براثن المحتلين والثاني في كفاحه لطرد المتوحش الفاشي)).مذكراتي: 1 : 163.

(3) ثورته: ثورة العشرين.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 475.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 96.

الفصل الثاني

مرحلة الانتداب

الفصل الثاني

مرحلة الانتداب

العراق تحت الانتداب:(1920)- (1932)

احتلت بريطانيا العراق، بعد أنْ زال حكم العثمانيين، وقد أعطى (مود) وعوده بالتحرر والاستقلال وما رافقتها من تصريحات (أرنولد ولسن) ، وكذلك البنود(الأربعة عشر) للرئيس للأمريكي (ولسن)[1]، ثم التصريح البريطاني والفرنسي، على وجوب تحرير العراق[2]ففي ضوء هذا كله توقع العراقيون بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، كما كانوا يصرّون على ذلك، ولكن دون أنْ يعلموا بأنّ اتفاقا سريا قد جرى في باريس سنة (1916) بين (مارك سايكس) ، ممثل بريطانيا، و(جورج بيكو)، ممثل (فرنسا) قضى بأن يكون العراق وفلسطين، تحت الانتداب البريطاني، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي[3]. وإنّ(ولسن) هو الذي طرح نظام الانتداب، بحجة حماية الشعوب من طغيان المستعمرين[4]، وأنّه سيأخذ بأيدي الشعوب إلى عوالم الرقي[5]، ((وأنّ سعادة هذه الشعوب مقدسة في يد العالم المتمدن))[6]، وكان (ولسن) يعد الانتداب أعظم المجاز للشعوب المقهورة[7]، وقد أوعز، بنشر ما اتفق عليه في الصحف، كما أصدر بلاغا شرح فيه للناس معنى الانتداب[8]، واستدعي الوزير المفوض لبريطانيا في طهران، (السير برسي كوكس) في(6) حزيران(1920) ، للتشاور معه حول إنشاء

---

(1) ينظر: بلاد ما بين النهرين بين ولايتين: ارنولد ولسن: 361،ترجمة: فؤاد جميل: بغداد: 1992.

(2) ينظر: الحركة الوطنية في العراق: 1921 –1933 : عبد الأمير هادي: 22: النجف: 1975.

(3) ينظر: النظام السياسي في العراق: 55. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 101 ،102.
وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 84.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 156.

(5) تنظر: جريدة العرب: (العدد)،(13) أيار،1920.

(6) تكوين العراق الحديث : 155.

(7) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 85.

(8) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 101.

إدارة مؤقتة في العراق[1] ويكون هو ملكا عليه[2]، يعلّم العراقيين -خلال حكمه- كيفية حكم أنفسهم[3]، وهو ما يعني تطبيق حكم الوصاية عليهم [4]، وقد بعث (مرجليوث) لإقناع العراقيين بأنهم لا يستطيعون حكم أنفسهم، لأنهم قد تعوّدوا على حكم الأجنبي منذ القديم، فالأولى لهم أن يختاروا الانكليز أوصياء عليهم[5].

. في(25) نيسان(1920) وضع العراق رسميا تحت الانتداب[6] غير أن هذه اللعبة لم تنطل على الشعب، نتيجة دور المثقفين في توضيح الحقائق للناس، لاسيما الشعراء منهم، مؤكدين لهم أن الانتداب هو الاستعمار وشكل من أشكال الاحتلال[7]، لذا فإن ردة أفعال الناس، كانت قوية قائلين:((هل نحن أطفال، لكي نحتاج إلى وصي.))[8] فردوا على الانكليز في وثائق، بأنهم أمة عربية إسلامية، يريدون عراقا واحدا موحدا، من شمال الموصل إلى خليج العرب[9]، يرأسه ملك عربي مسلم من انجال الشريف حسين، ((وأنّ المقاومة التي أبداها (ويلسون) وأعوانه ضد اختيار أحد انجال (الشريف)، جعلت المعارضين يصرون على هذا الاختيار))[10]، ونتيجة لذلك الرفض نشأت الحركة الوطنية، وقرر العراقيون في(دمشق) إعلان استقلال

---

(1) ينظر: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 9.

(2) ينظر: الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية: علي بازركان: 66: بغداد: 1952.

(3) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: 5 : 27.

(4) ويلسون يؤمن برسالة الرجل الأبيض في تمدين الشعوب، طبقا لنظرية: (ملتون) التي تقول: ((لا تدع بريطانيا تنسى رسالتها في تعليم الأمم كيف تعيش))، نفسه.

(5) ينظر: الوقائع الحقيقية: 67.

(6) ينظر: الحركة الوطنية في العراق: 35 ،36. وينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق: خوله طالب لفتة: 106. رسالة ماجستير،مخطوطة: كلية الآداب: جامعة البصرة: 1998.

(7) ينظر: الحركة الوطنية في العراق: 35.

(8) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 101 ،102.

قال (تشرشل): ((أن هذه الكلمة(الانتداب)تعني في نظر العراقيين وسيلة للسيطرة وشكلا للإخضاع))

ويقول هنري فوستر: ((ومن الغريب أن نلاحظ اشتداد النفور في العراق على الدوام من فكرة الانتداب)).

ينظر: النظام السياسي في العراق: 72. وينظر: تكوين العراق الحديث: 312.

(9) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 67.

(10) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 5 : 92.

العراق، ومبايعة (عبد الله) ملكا عليهم، محذرين في الوقت نفسه بريطانيا بضرورة الخروج من العراق، وإلاّ أخرجوا بالقوة؛ لأنهم يرفضون كل أنواع الاستعباد[1]، وبينما كان (كوكس) في طريقه إلى لندن، نشبت الثورة في العراق عام (1920) مطالبة بالحرية والاستقلال، ورفض السيطرة والاستغلال، فكان من أثر هذه الثورة أن تراجع الانكليز بعض الشيء أمام تلك المقاومة، وحاولوا أن يخفوا أنفسهم وراء الأستار كعادتهم، وأعلنوا موافقتهم على منح العراق الاستقلال الرسمي، وهو استقلال مزيف[2] كما سيأتي.

فيصل ملكا على العراق :(1921)

بعد الضربات التي تلقتها بريطانيا على يد الثوار، وافقت مكرهة على استبدال الانتداب بالحكم الوطني، ورجع (كوكس) إلى بغداد، مندوبا بدلا من ملك مفترض، وأخذ يرتب الأوضاع، لتشكيل حكومة مؤقتة لإدارة العراق.

في (السابع والعشرين) من تشرين أول (أكتوبر) من عام (1920)[3] تشكلت أول حكومة مؤقتة برئاسة (عبد الرحمن النقيب) . وفي عام (1921) توج (فيصل) ملكا على العراق، بعد أن رشح لنيل العرش أكثر من مرشح[4]، ولكن إصرار العراقيين على (فيصل) قد فوت الفرصة على منافسيه، إذ أن الضباط العائدين من سوريا[5] والقائمين على جريدة الاستقلال[6]، فضلا عن آلاف الرسائل التي أبرقها العراقيون إلى (الشريف حسين) يطالبون فيها إرسال ولده إلى العراق، لتولي العرش بوصفه المرشح اللائق[7]. غير أنّه كان يخشى عليه الغدر، كما غدر بجده

(1) ينظر: المصدر نفسه: 5 : 62.

(2) ينظر: عدنان الراوي ، حياته وشعره: عبد الإله الواعظ: 15. دار الرشيد للطباعة والنشر: بغداد: 1981.

(3) ينظر: العراق في دوري الاحتلال والانتداب: 1 : 194.

(4) وقد رشح لنيل عرش العراق كل من: عبد الرحمن النقيب، وطالب النقيب، وهادي العمري، والشيخ(خزعل) ، أمير المحمرة، وبعض من أبناء الشريف حسين أمير الحجاز. ينظر: العراق من الاحتلال إلى الاستقلال: 121 –124.

(5) ((لقد كان الضباط العراقيون العائدون من سوريا، وعلى رأسهم (جعفر العسكري) و(نوري السعيد) يبثون الدعاية للأمير (فيصل).ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 74.

(6) ينظر: أوراق أيامي: طالب مشتاق: 1 : 96. دار الطليعة: بيروت: 1968.

(7) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 74.

الإمام (الحسين بن علي)[1] (رض)، كما أنّ رغبة الحكومة البريطانية، كانت متجهة -أيضا-، لاختيار الأمير (فيصل)، الذي فقد عرشه في الشام على يد (الفرنسيين) وبموافقة الانكليز أنفسهم. وفي (تشرين الثاني) من العام نفسه، دُعي (فيصل) من إيطاليا لزيارة لندن، ((وأبلغه اللورد (كرزن) أنهم سيعوضونه عن عرش سوريا بعرش العراق))[2]، وفي مؤتمر (القاهرة) المنعقد برئاسة (تشرشل) ، وزير المستعمرات وقتذاك، في (12) آذار، والذي حضره بعض المندوبين، تقرر نهائيا ترشيح الأمير (فيصل) لعرش العراق[3]، وصرح (تشرشل) قائلا: ((إن فيصل أبحر من لندن، وهو الآن في طريقه إلى القاهرة، وسيذهب بعد زيارته لوالده إلى بغداد، حيث ينصب ملكا))[4]. وبناء على ذلك وصل (فيصل) إلى العراق، وأجريت انتخابات تحت إشراف الانكليز، وحصل فيها على نسبة (96٪) من أصوات الشعب العراقي[5]، ومما يذكر أنّ (فيصل) اختير لعرش العراق بشرطين هما: قبول الانتداب، وتجنب أي عمل عدائي ضد فرنسا[6]، ولعل هذا ما دفع بأصحاب الشأن إلى الطعن في حقيقة تسمية(الحكم الوطني) فقال عنها (الرصافي): إنّ الدولة العراقية وليد غير شرعي جاء نتيجة البغاء السياسي، فقد أسست على الطريقة التي تخدم المصالح الاستعمارية[7] والدليل على ذلك أنّ يوم التتويج، قد طلبوا منه أن يذكر في خطبته، أن السلطة النهائية بيد المندوب السامي، فرفض (فيصل) ذلك بحجة أنهم لم يتفقوا على ذلك من قبل، وأن عليهم أن يحفظوا كرامته؛ ليظهر أمام الآخرين بمظهر

---

(1) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 336.

(2) المصدر نفسه: 6 : 46.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 128.

(4) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق : 6 : 51.

(5) ينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 128.

(6) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6: 47.

(7) ينظر: الرسالة العراقية: 53. وينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال : 14. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 252.

الملك المستقل[1] وقد جسد ذلك في خطابه في (البصرة) بأنه لا مطمع له سوى خدمة هذا البلد ابتغاء وجه الله، ولو أجمع العراقيون على بديل، لكان من أول المبايعين له[2].

لقد استقبل العراقيون فيصل استقبالا حارا، يليق بجلال قدره، وعلو مكانته من لدن العراقيين، إذ أقيمت له الاحتفالات، وارتفعت الأصوات في كل مكان قائلة: ((قد بايعناك بالملوكية))[3] يقول (عوني عبد الهادي):((إنّ هذه الأيام القليلة، التي قضاها الأمير (فيصل) في لندن كانت كافية لتطور سموه تطورا كبيرا، نقلته من أمير عربي عريق في البداوة، إلى أمير متحضر.))[4] ولعل من آثاره أنّه كان يكلم الوفود حسبما توحيه إليه تقاليدها، ويؤكد للأقليات أنّ حقوقهم محفوظة، وأنّه على مسافة واحدة من الجميع، ولا فضل لأحد إلا بالكفاءة[5]، فقد كان حريصا على أن يمسك بدفة السفينة المتلاطمة بشتى الأفكار والاتجاهات والنزعات. فبثاقب فكره، وقوة حجته، ولباقته المعهودة، استطاع أن يوحّد القلوب المتفرقة، ويحفظ للعراق توازنه وهيبته[6]، ولعل تجربة (سوريا) علّمت (فيصل) كيف يحكم العراق.((أما في العراق حيث كان الزمان قد علمه ما لم يعلم، وإنّه كان على خلاف ذلك:كان ملكا حازما موجها، وإذا اضطر لماشاة الرأي العام فقد كان يلزم السكينة عند اشتداد العاصفة، ثم يمضي ما بعد سكونها غير مبال ولا متردد. وكان هناك يتمتع بهيبة قوية وبكلمة نافذة، على الرغم من صلابة عود العراقيين))[7] فكما وازن بين العراقيين أنفسهم، وازن بينهم، وبين البريطانيين، فقد مثل نقطة التوازن بين البريطانيين والوطنيين، فهو مدين بعرشه للبريطانيين، وفي الوقت نفسه يحتاج مؤازرة الوطنيين، كي يحصل على الاستقلال الحقيقي للعراق[8]، غير أن الاثنين أساؤوا فهمه، فظن الانكليز أنّه انقلب عليهم بعد التتويج، وظنّ الناس أنّه يخدم مصالح

(1) ينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي: 262.

(2) ينظر: الحقائق الناصعة: فريق آل فرعون: 528. مطبعة النجاح: بغداد: 1952.

(3) جريدة العراق،في عددها الصادر في،(2) تموز(1921).

(4) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية: 23.

(5) ينظر: فيصل الأول : أمين الريحاني: 90: بيروت : 1934. وينظر: الرسالة العراقية : 91

(6) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 249.

(7) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 175.

(8) ينظر: العراق دراسة في تطوره السياسي: 279.

بريطانيا[1]، فهو بذلك يحكم بين جشع الانكليز، بنهب البلد، وطموحات الشعب بالحرية والاستقلال، فأمسك بالميزان من وسطه، ورسم سياسته على وفق قاعدة: (خذ وطالب)[2] وقد تجلّت تلك الحيرة بشكل أوضح في تلك (المعاهدات) التي فرضها البريطانيون عليه؛ بربط العراق بعجلة سياستهم الاستعمارية، ولتأمين الحماية لهم ولتوسيع مصالحهم، وتركيز نفوذهم[3]، ومن هذه المعاهدات معاهدة (1922) وهي انتداب من نوع آخر فرضها الانكليز، لأنهم أيقنوا أنّ الشعب يرفض الانتداب ويقاومه، فقرروا استبدال الانتداب بانتداب آخر، أسموه معاهدة، كما يقول: (هنري فوستر): ((المعاهدة نفس الانتداب لا فرق بينهما))[4]، وهكذا (دواليك) كلما شعر الانكليز أنّ وجودهم بات يتزعزع، بادروا إلى إبرام معاهدة أخرى، كما في معاهدة (1930)، والحقيقة أنّ صك الانتداب قد أفرغ على شكل معاهدة، لذا ما أن أذيعت محتوياتها، حتى رفضها الوطنيون؛ لأنها تستبيح البلاد للأجنبي[5]، إنّ تلك المعاهدة جردت العراق من حقوق سياسية وإدارية واقتصادية، فهي قيود، ورق، وعبودية، وسلاسل، يئن تحتها الشعب العراقي[6]، فهي بمثابة انتداب، والغاية منها تثبيت قدم المستعمر، وتمويه العراقيين، أنهم سيستقلون، وأن الانتداب بعد هذه المعاهدة سيزول[7]، وقد أشار الملك (فيصل) إلى أن (تشرشل) قد وعده بأنه سيلغي الانتداب، وسيعترف باستقلال العراق[8]، ومن أجل ذلك أعلن الملك رضاءه التام عن الاتفاقية، قائلا: ((إنّ العراق حر طليق، لا سيد

---

(1) ينظر: فيصل الأول: 125.

(2) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 207.

(3) ينظر: الجواهري في بداياته: مهدي شاكر العبيدي: 3. بحث مقدم إلى مهرجان الجواهري الأول في،27 : 7 : 2003.

(4) العراق في دوري الاحتلال والانتداب: 2 : 7. تكوين العراق الحديث: 311.
الجماهير رفضت معاهدة(1922) ، بعد نشرها، ورفضتها الصحف والشخصيات والأدباء، ولم تصدق إلا في سنة(1924). ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 66.

(5) ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 203. وينظر: مقدمة في دراسة العراق المعاصر: 85. وتنظر بنود هذه الاتفاقية في كتاب: تاريخ العراق السياسي الحديث : 3 : 198.

(6) ينظر: مقالات سياسية تاريخية اجتماعية: فهمي المدرس: 219: مطبعة الشعب: بغداد: 1931.

(7) ينظر الرسالة العراقية: 72.

(8) ينظر: فيصل الأول: 126.

عليه غير إرادته، وحليفتنا بريطانيا ليس لها من هذه البلاد سوى الخط الجوي.))[1]، وهوّن الملك على الشعب غضبته، موجها خطابه إليه قائلا: ((يود الملك أن يعلم الشعب، بأنه لم يحدث شيء حتى الآن يضر بمصالح الشعب، وأنّه ساهر كل السهر على صيانة منافع البلاد ومصالحها)) [2] وجريا على المألوف، أنّ عددا من الشعراء كانوا قد أباحوا لأنفسهم أن يستبشروا بهذا الوضع الجديد، وظنوا أنّ العراق قد استقل بالفعل[3]. والحقيقة أنّ قبول العراق بتلك الاتفاقية، جعله بعد تحرره من الانتداب تحت الحماية البريطانية[4]، لذا كتب (المندوبون) إلى المراكز الحرة في العالم المتمدن برفض ما تفرض على العراق من معاهدات، تحت مسميات لا تغير من المدلول شيئا[5]، وإذا كان العراق، قد دخل عصبة الأمم، بسبب تلك المعاهدة، فهذا لا يعني أن العراق قد نال استقلاله، فالهند على الرغم من دخولها عصبة الأمم كانت أسيرة[6]، وقد أشار (الميسورا بار) إلى الملحق (السابع) من هذه المعاهدة فقال: ((بأنه لم يراع فيه استقلال العراق، كما أن المعاهدة صودق عليها من قبل المجلس، قبل أن يتحرر العراق من الانتداب، بأنّ فيها بعض مواد غريبة في معاهدات من هذا النوع.))[7]، بينما رأى آخرون أن العراق منح على إثر دخوله في هذه العصبة استقلاله واعترف به دولة ذات سيادة[8].وبدأ العراقيون((يلتفتون إلى المطالبة بالإصلاح الاجتماعي، وتغيير الأوضاع القائمة، وكان الشعراء هم صوت الشعب في هذا كله))[9]، ويتضح ذلك بصورة جلية من خلال ((إشادتهم بالملك

---

(1) العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 204.

(2) جريدة الاستقلال الصادر في(4)شوال: لسنة1942.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 185.

(4) ينظر: تحرير العراق من الانتداب: مجيد خدوري: 15.مطبعة العهد: بغداد: 1935.

(5) ينظر: تاريخ القضية العراقية : 2 : 464، وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 166

(6) ينظر: الرسالة العراقية: 72.

(7) تحرير العراق من الانتداب: 15.

يقول الرصافي: كل معاهدة بين قوي وضعيف لا قيمة لها وباطلة؛ لانّ المعاهدة لابد أن تكون بين متكافئين، وإلا لا تصلح أن تسمى معاهدة في عرف السياسة إلا على سبيل المخادعة. ينظر: الرسالة العراقية: 74، 75.

(8) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 85.

(9) هكذا تحدث محمد مهدي الجواهري: فاروق عبد القادر: 384، في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(فيصل) إذ حاولوا أن يربطوا بين هذا الاستقلال، ومساعيه في هذا الشأن))[1]، وقد أدى الشعر دور المنشد والمقال السياسي والتحليل، وبدأ نجم (الجواهري) يتلألأ في سماء الساحة الأدبية[2]، وقد وقف الجواهري إلى جانب القوى المعارضة، الممثلة بـ (الحزب الوطني) و(حزب الإخاء الوطني)، اللذين طالبا (الملك) بإلغاء المعاهدة[3] حينذاك، وهكذا مابين مؤيد ومعارض، استطاع الملك (فيصل) أن يسير بسفينة العراق المترجرجة في خضم أمواج الأحداث العالمية المتلاطمة، نحو شاطئ الخير والأمان فكان على يديه تأسيس دولة العراق الحديثة[4]، حتى وافته المنية[5] في مدينة (برن) عاصمة (سويسرا) عام (1933)، بعد أن وطّد المملكة العراقية، خلال حكمه الذي استمر (أحد عشر) عاما تميزت بالمنجزات.

ألجواهري مع الملك فيصل في البلاط (1927)- (1930).

بعد تولي الملك فيصل عرش العراق، وبعد انتهائه من مشكلة الوزارة الجديدة، شرع برفد المؤسسات العراقية الحديثة بالشباب العراقي، لاسيما شباب الجنوب، وذلك من خلال إيجاد وظائف حكومية تتناسب مع مؤهلاتهم، من ذوي التعليم الحديث، الذين يصلحون لإشغال تلك الوظائف[6]. فكان الجواهري في ضمن هذه النخبة التي وقع اختيار الملك عليهم،

(1) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 185.

(2) نفسه.

(3) قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: محمود شبيب: 19، 20 ،مطبعة عشتار: بغداد: 1984.

(4) لمعرفة المزيد عن حياة الملك ينظر،كتاب: (فيصل الأول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق1883-1921): علاء جاسم محمد: بغداد: 1965.

(5) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 298.

((قيل أنّ امرأة سممته، وقيل: أن(نوري السعيد) هو الذي صفاه بعلم الانكليز.))المصدر نفسه والصفحة. وينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق: 168. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين : 63. وينظر: مذكراتي : 1 : 294.

(6) ينظر: مذكراتي: توفيق السويدي: 76: بيروت: 1969.

يقول الجواهري: ((إنه قبل انتقالي إلى بلاط الملك (فيصل) بأسابيع جاء إلى بيتي الحاج(محسن شلاش) وكان وزيرا للمالية...وذكر لي: ((كنت عند الملك فيصل، وكان الحديث يدور حول قضيتك التي صارت قضية العراق كله)) وقلت له: ((يا جلالة الملك، أنت سيد العارفين بالعائلة الجواهرية، وبمواقفها

ولأسباب كثيرة لعل أهمها رفع الحيف عنه، بعد الضجة الكبرى التي أثارها (ساطع الحصري) ضد الجواهري؛ بعدما منعه من التوظيف في سلك التعليم بسبب اتهامه بالعجمة، وتنكره لعراقيته[1] ولعلم الملك المسبق، بأنّ الجواهري من أشد المعجبين بوالده (الشريف حسين) وذلك من خلال إطلاعه على قصيدته المعروفة بـ(سجين قبرص)[2]، الذي يعده الجواهري أول شهيد في سبيل القضية الفلسطينية[3]،

ولشهرة الجواهري الشعرية على الساحة العراقية، لاسيما في مجال الشعر السياسي بوقوفه إلى جانب الثورة والثوار، ولأنه كان يستشرف فيه مستقبلا شعريا، يمكن أن يتفوق فيه على من سبقوه من العمالقة، فأصبح كما كان يرى بعد بضع سنوات، حينما اطّلع على قصيدته، في انتحار (محسن السعدون)، التي يقول فيها:

نصفان بغدادُ فنصفٌ محشرٌ   ساحاتُه اكتظّت ونصفٌ بلقع[4]

عندها قال له الملك: ((إنك ستكون، وعما قريب شاعر العراق الأول)).[5] لتلك الأسباب وغيرها[6]، فضّل الملك (الجواهري) على (الرصافي) و(الزهاوي) ((وبالفعل لقد

الوطنية،والجذور التي تمتد بها إلى أكثر من أربعمائة عام في العراق)) مذكراتي: الجواهري: 1 : 165. وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 126.

(1) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 54.وينظر: الرسالة العراقية: 22. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 54 ،60. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 101. وينظر: حبزبوز في تاريخ الهزل والكاريكتور: جميل الجبوري : 29. وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1986.

(2) ينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 138.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 114.

يقول الجواهري (لعلني كنت الأول والأخير حتى الآن، ممن كانوا الأوفياء له في قصيدتي: (سجين قبرص):

هي الحياة بإحلاء وإمرار   تمضي شعاعا كزند القادح الواري

الأعمال الكاملة: 1 : 138.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 217.

(5) مذكراتي: 1 : 205

(6) ((فضلا عن ذلك كون الجواهري لا شائبة عليه، ولإرضاء المركز الديني للمسلمين في (النجف) كونه من صلب اهتمامات الملك والمملكة)). الجواهري شاعر التجديد والثورة: 62.

أخرج الجواهري الشاعرين: (الزهاوي) و(الرصافي) من دائرة الاهتمام، نتيجة للميول المضطربة والأهواء القلقة، وكانا قد قدما نفسيهما كشاعري بلاط، إلاّ أن الملك قد اعتذر عن ذلك.)) [1]. وقد عثر الجواهري- فيما بعد بنفسه-على رسائل بخط يد (الزهاوي) و(الرصافي) للفوز بلقب:(شاعر البلاط). يقول الجواهري: ((لم تكن مفاجأة عندي، أن أعثر في هذا الملف على رسالة للزهاوي بخط يده، يطلب فيها من الملك أن يكون شاعره الخاص، وإنّما كانت المفاجأة - وكم أرجو أن يكون هناك من يخطئني في ذلك- هي رسالة بخط (الرصافي) - أيضا- وكأنه يتسابق مع الزهاوي في هذا الصدد)).[2]، ولعل معرفة الملك بجذور نسبه الأصيل، والتربية البدوية التي شبّ عليها أورثته صفة الاعتداد، وكره التدليس، والإحساس بالكمال الإنساني النسبي، الذي لا يزيده مدح الشعراء منزلة، لذا أنكر على الشعراء مغالاتهم في مدحه يوم (30) حزيران في أثناء احتفالات التتويج[3]، وبما أن كلا الشاعرين، قد اتصفا-عبر تاريخهما الشعري-لاسيما الزهاوي- بكيل المديح للآخرين، قد يكون سببا لإبعادهما، وتقريب الوريث البدوي، المعمم، الشبح -الذي لم يُجرّب بعدُ- عن طريق عمّه (جواد)، الذي كانت تربطه، صلة ود ومحبة بالسيد (محمد حسن الصدر) ، الذي كان من الحاشية المقّربة للملك، وقد أوضح للملك ما يعانيه الشاعر من حسّاده الشامتين، وعند لقاء الشاعر بالسيد (الصدر) قال له إنّ الملك يود لقاءه، يقول الجواهري: ((صحبني السيد إلى الملك، بعد أن اعتنيت بـ (هندامي)، ورأيت (الملك) الجديد لأول مرة، وقد كنت شابا أسمرَ نحيفا، ذا عمة صغيرة، وذا عباءة خفيفة، كانت هناك ثلاثة مقاعد، وكأنّها هيئت لمثل هذا اللقاء. الملك في صدر الجلسة، وإلى يمينه السيد (الصدر) وأنا قبالة الملك نفسه، وجها لوجه. ولم يتكلم(الصدر) كثيرا، أما أنا فقد قلت له: يا جلالة الملك قبل أن أتشرف بهذه اللقيا، كنت

---

(1) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 48.

للزهاوي ديوان شعر صغير في مدح الملك فيصل للأول، وفي الصميم منها قوله:

عش هكذا في علوّ أيّها العلم ... فإنّنا بك بعد الله نعتصم

(2) ينظر: مذكراتي : 1 : 233.

(3) تنظر: جريدة العراق، في عددها الصادر، في (2)تموز: 1921.

صاحب القصيدة التي رفعت إليك عن نفي العلماء، فهزّ رأسه، وأنا صاحب قصيدة (سجين قبرص) عن والدك العظيم))[1]، وقد انتهى هذا اللقاء بعودته إلى بيته المتواضع، وبعد تصرّم أسبوع أو أكثر حملته المصادفات إلى سوق (الكاظمية) ثانية، والتقى بالسيد (الصدر) وقال له:((إنّ الملك يريد أن يراك))[2] وكان مترددا، ولكن (الصدر)قد أقنعه. وذهب إلى دائرة التشريفات وقال:((إنّ جلالة الملك يطلبني))، وبعد برهة أدخلوه على (الملك) ، وبارك له عمله الجديد في البلاط بصفة موظف في التشريفات الملكية، ثم قال له الملك:((هذا يا محمد جسر تعبر عليه))[3]، لأنّ الملك استرد له كرامته بعد أن أهين على يد أعدائه، يقول الجواهري: ((في تلك الساعة أحسست أنّ الأرض تهتز فرحا لا حبا بمال أو جاه ومنصب، بل شعورا بالكرامة.. هاهو الرجل الذي كان صاحب اليد الأولى في استرداد كرامتي:التي أرادت الذئاب تجريحها))[4].

وحل الجواهري في (البلاط) كطير غريب لا يألفه أحد[5]، ولكنه المقرّب من الملك، يصحبه معه في رحلاته إلى الفرات الأوسط، كما كان يبعثه في مهام سرية تخص أسرار المملكة[6]. ولمّا لاحظ الملك، قلة خبرة الشاعر في العلاقات والمراسم، جرّب أن يعهد إليه شؤون الصحافة[7] قائلا له: ((أعرف أنّك لم تخلق لهذه المهمّة...أنا أعلم أنك تضيق ذرعا أو وقتا أو مزاجا بوظيفتك المحددة، لذلك أحب أن أترك إليك الأمور الصحفية.))[8]، والحقيقة أنّ تلك الصحبة لم تكن موفقة لسببين مهمين أحدهما:الطبع الحاد الذي كان يتصف به الجواهري،

---

(1) مذكراتي: 1 : 185.

(2) نفسه. والجواهري فارس حلبة الأدب : 141.

(3) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 49 الى60.

(4) ويقصد بذلك(ساطع الحصري) وجماعته الذين حاولوا الإيقاع به. ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 63.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 185.

(6) ينظر: نفسه: 200

(7) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 58. وينظر: مذكراتي: 1 : 219.

(8) مذكراتي: 2 : 219. الجواهري فارس حلبة الأدب: 172.

وكأنّ الملك يقرأ ما سيؤول إليه مستقبل الجواهري، فلقد صدق في ظنه، حيث أصبح رئيسا للصحفيين في عهد(عبد الكريم قاسم).

يتنافى مع السياق الذي ينبغي اتباعه في سياسات البلاط المتبعة مع الأفراد والجماعات. ولمعرفة الصحف المسبقة بمزاج الجواهري، استغربت مجلة (شعر) البيروتية من هذه المعيّة قائلة: ((الجواهري حاد الطبع، ثائر لا يرضيه شيء، فكيف يحقق لديه هذا(الوفاق)، وربما كان لظروف معينة، أثر كبير عليه، خاصة بعد (الاختيار) النادر الذي وقع عليه، كي يكون في معية الملك (فيصل الأول) ملك سوريا والعراق))[1] والسبب الآخر:أن الشاعر شاعر، لم يخلق للقصر و(لبروتوكولاته) التي تحدّ من انطلاقته الشعرية، فهو كطير حر يحّلق ويحـــــّط متى وكيفما يشاء.

ولم يكن الملك بغافل عن عبث الشعراء، غير أنه أراد أن يحتضن موهبة الجواهري الشعرية، علّها تكون له عضدا في بناء دولته الحديثة على أرض الرافدين، فيعيد بذلك تجربة (المتنبي) مع (سيف الدولة) قبل فراقهما، كما يحدثنا التاريخ، غير أن الجواهري-على ما يبدو- لم يكن مدركا بعد لمثل تلك المعاني، إلاّ بعد فوات الأوان، وذلك لخلوّ معجمه الشعري من مفردات البطولة والمجد حينذاك.إذ لا هم له إلاّ أن يطفئ فورة شبابه، وينتقم لطفولته البائسة، التي كانت سببا في زلاته في كبره، متخذا من البلاط وسيلة لتحقيق مآربه، يقول الجواهري:((كل هذا من رواسب طفولة خنقت ولم تجد منفذا للتنفس، إلا بعد((خمسة عشر أو عشرين عاما.))[2]، حيث خلع عمامته واستبدل بها بدلة رسمية (سموكن)و(فرال)ويرتاد المشارب، ويؤم السهرات العابثة قائلا:

وافترقنـــا نُريـــدُ مهـــرانَ نبغـــي ... ورطـــــةً في لـــــذاذةٍ وارتكاســـــه
تـــارةً صـــاحبي يُـــصفّـــقُ كاســـي ... وأنـــا تـــارةً أصـــفق كاســــــهقلتُ
أيـــن غـــادرت عِمَّـــةً واحتفاظـــا ... إنّـــــي طرحتُهـــــا في الكُناســـــه[3]

(1) من الغربة حتى وعي الغربة: فوزي كريم: 92. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل)
(2) مذكراتي: 1 : 188. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 58.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 210.

وكتب قصيدة (جربيني) وهي دعوة (إيبقورية) لارتشاف الملذات والانغماس في الجانب المظلم[1]، وفيها يقول:

جرّبيني قبلَ أنْ تزدريني وإذا ما ذمَمْتِني فاهجُريني
أنا ضد الجمهور في العيشِ التفكيرِ طرًا وضدّه في الدِّين[2]

وقد أحدثت القصيدة إحراجا شديدا للملك في الأوساط الاجتماعية، كما أغضبت الملك (علي) وقد استدعاه ناصحا ورادعا، قائلا له:((والله يا فلان إنّ غضبي عليك في محله، أنت ابن الشيخ صاحب الجواهر، وقد فوجئت أن تجيء بمثل ما جئت به))[3]، وخرج من عنده، وهو مُصرّ في دخيلته على أن يعود إلى ما هو أشد وأعنف[4]، فكتب قصيدة (النزغة) عام (1928) ، كما تحمّل الملك أعباء ما أثارته قصيدة:(الرجعيون)، التي أغضبت الأوساط الدينية، بسبب قسوة القصيدة عليهم، فقد اتهمهمباللصوصية و...؟فيقول:

تحكّم باسمِ الدِّينِ كل مذمم وما الدِّينُ إلا ومُرتكبٍ حُفّت به الشبهات إلى غرضٍ
آلةٌ يُشهرونهاوخلفهم الأسباطُ تترى منهُمُ يقضُونه وأداة لصوصٌ ومنْهُمُ لا ....!![5]

---

(1) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 274.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 251. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 75.

(3) مذكراتي: 1 : 214. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 60. وينظر: الجواهري شاعر الجديد والثورة: 66.

(4) لمعرفة المزيد حول مغامرات الجواهري الإباحية ينظر: مع المرأة: داوود سلام: 154. والمرأة في شعر الجواهري: يوسف الجادر: 347. ومذكراتي: 2 : 231. وحوار مع الجواهري: محمد الجزائري: جريدة الجمهورية العدد 2485.ت2 : 1975. والجواهري ذكريات أيامي: 101. والجواهري شاعر العربية: 439. والشعر العراقي الحديث: د.جلال الخياط: 101. قرن كامل من الشعر والمغامرة: صباح المندلاوي.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 206.

وصف أحد أدباء الكويت القصيدة بأنها : ((تحفة أدبية رائعة تستهويك، مع ما فيها من قذع وسباب؛ لتسلسل الفكر فيها، ولأنها في صميم الموضوع)) ينظر: الفكاهة والضحك: شاكر عبد الحميد: 47. عالم المعرفة، الكويت، 2003.

إنّ تلك المشاهد، لتدلنا بوضوح على أنّ الجواهري لم يكن سعيدا في البلاط، وقد خمدت فرحته، نتيجة تراكمات لم يفصح عنها، ولكن عبّرت عنها قصائده المُحرّضة على (الملك)، كما في قصيدة: (ثورة الوجدان)[1] وقصيدة (ساعة مع البحتري)[2]، اللتين سنقف عندهما في موضوعاتنا اللاحقة. ونتيجة لذلك قدم الجواهري استقالته من (البلاط) عام (1930)، يذكر الجواهري، قائلا:((دخلت على الملك (فيصل) واذكر أنها كانت لآخر مرّة، وأنا في وظيفتي عنده، وأنا أقول له بالعبارات اللائقة بمكانته ملتمسا منه قبول استقالتي وإعفائي من هذا الشرف، الذي جعلني من معيته أو حاشيته، قال لي لماذا؟ قلت: ((سيدي لأكون صحفيا، لأنّي ذو هواية تمتد جذورها بعيدا في عالم الصحافة))[3]، ثم يستطرد الجواهري ((وقد استغرب الملك وقال لي بالحرف الواحد، وبالكلمة البدوية الدارجة:((صديك مايكلك بهدي، أهذه من تدابير (نوري)؟ قلت: (لا والله) إنّها من صميم رغبتي...وفي اليوم التالي قدّمت الاستقالة على يد(صفوة باشا) وقد رفضت الاستقالة لفترة طويلة))[4]. والحقيقة أن رواية الجواهري هذه، تحوم حولها الشبهات والشكوك، ذلك لأنه لم يفصح عن السبب الحقيقي الكامن وراء استقالته، فتارة يذكر بأنّه هدم الجسر بنفسه لزلّة منه، ثم ذكر في موقف آخر، كما باح ذلك (للدجيلي)، بأنه كان يعامل بمذلة، مما ولّد في دخيلته صراعا خفيا دفعه إلى غمز(الملك) ولمزه في أحيان كثيرة، ثم يردف الجواهري مع (البقيلي) بأنّ الملك لم يكن بكفء له، لكون كل سياسي عبقري يقابله شاعر عبقري آخر قائلا:((فحيث يوجد السياسي العبقري، يوجد الشاعر العبقري. (ديغول) في السياسة يقابله (أراغون) في الشعر، و(تشرشل) يقابله (إليوت)... وهكذا على هذه النسبة-وبنفس الحكم- تستطيع القول أن الاثنين(عبد الناصر والجواهري) بمستوى واحد))[5]، ربما أنّ الجواهري قد نسى ما قاله في مذكراته: ((كان الملك

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 192. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 63. وينظر: الجواهري شاعر العربية: 449.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 213.

(3) مذكراتي: 1 : 242.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) الجواهري ذكريات أيامي : 71.

فيصل الأول، عظيما ومهيبا، وأعيد القول، إنّه كان مخلوقا؛ ليكون ملكا على غير العراق، وعلى سبيل المثال، بأن يعود سيدا وأميرا كما كان على سوريا، أو ملكا عليها))[1].

إذاً أنّ هجره البلاط، لم يكن للأسباب السالفة، وإنّما كان باتفاق خفيّ بين أطراف الحكومة، لإصدار صحيفة ناطقة بلسان المملكة، يكون الجواهري قيّما عليها، والدليل على ذلك أنّ الجواهري في مواضع اخرى، ومن دون أن يشعر أنّ ترابط الأحداث ببعضها يكشف سرائره.إذ بعد صدور جريدة(الفرات)بأعداد قليلة، يقول الجواهري: جئت لأسلّم على الملك فيصل، لأنّي بحكم موقعي منه وكان الملك خارجا، وبحكم الواجب والأدب، وقفت لتوديعه، وحين همّ بركوب السيارة، نادى عليّ..وكتب لي صكا بمبلغ(700)روبية، وكان ذلك يعني رمزا لبدل الاشتراك))[2]، ثم يسرد الجواهري مادحا نوري السعيد:((بأنّه قد أصدر بتوقيعه وبإسمه إلى كافة المتصرفين في الألوية العراقية، أمرا بمساعدة جريدة الفرات))[3]وهذا ما يدلنا بوضوح، على أنّه لم تكن هناك جفوة أو ضغينة بين الاثنين، وقد وضع الأستاذ(الدجيلي)يده على الداء حينما كشف سر استقالة الجواهري بقوله:((في (1930)تقدم الجواهري بطلب لوزير الداخلية(ناجي شوكت)لإصدار جريدة باسم(الفرات)، فكان جواب (الوزير)أنّ الوزارة لا تمانع، إلاّ أنّه لا يجوز لأي موظف أن يصدر جريدة سياسية، ولهذا قدم الجواهري استقالته))[4] وأصدر الجريدة، كانت في بادئ أمرها ناطقة باسم(الملك) ومدافعة عنه[5]، ثم أغلقت بسبب مقال تهجّم فيه على(وزارة المعارف)تحت عنوان: ((إنْ كنت كذوبا فكن ذكورا))[6]وأقام (نوري ثابت)دعوة في المحكمة غرمته(300) روبية، ودخل الجواهري في القائمة السوداء على يد الملك[7] فكانت بداية لمرحلة جديدة من حياة الجواهري. مظلمة على المستوى الشخصي،

---

(1) مذكراتي: 1 : 293.

(2) المصدر نفسه: 1 : 247.

(3) المصدر نفسه: 1 : 247.

(4) الجواهري شاعر العربية: 60.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 242.

(6) المصدر نفسه: 1: 260. وينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 41. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 95 وما بعدها. وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 7. وينظر: الجواهري شاعر العربية: 60-70.

(7) ينظر: مذكراتي: 1: 261.

حيث لا عمل، ولا راتب شهري، فضلا عن الشتائم التي كانت تتكالب عليه من كل أنحاء العراق، وعبر كل الصحف. ومشرقة على المستوى الإبداعي، حيث كتب أجمل قصائده الفنية: (المحرّقة)[1] و(عتاب مع النفس)[2] و(بديعة)[3] و(الأنانية)[4] و(عبادة الشر)[5] و(سبيل الجماهير)[6]، وقد عدّها النقاد، بأنها مرحلة انتقالية، وانعطافة حادّة في حياة الجواهري الأدبية، بذلك يكون الجواهري في مرحلة (الثلاثينات) ، قد خسر البلاط، ولكنه ربح الفن الأدبي.

الملك في شعر الجواهري بين المدح والهجاء

أولا :مدح الملك:

إنّ الجواهري كغيره من الشعراء، ممّن يجمعون بين المتناقضات في الأمر الواحد، فهو كسلفه (المتنبي) ما أن يندفع كالسيل نحو ممدوحه حتى ينقلب عليه بنفس القوة أو بالعكس؛ لانتفاء الحاجة إليه، فقد كان الجواهري شاعر (البلاط) ما يزيد على(ثلاثة عشر عاما) مرّ خلالها بتقلبات غريبة، جسدها الشاعر في قصائده بصور أدبيّة بارعة في مرحلة (العشرينات) و(الثلاثينات)، و تكاد توجز في غرضين، لا ثالث لهما هما: المدح والقدح، كما الشعر العربي في جلّه.

وقد كانت مرحلة عصيبة على الجواهري حيث تبرأ منه كل من كان يرجوهم لنوائبه بما فيهم(نوري السعيد) الذي، ((أقسم بشرفه أنّه سيعيد له صحيفته، بعد عودته من (لندن)، وقد استأذن الملك ولكنه رفض. وعندما ذكّره الجواهري بوعوده، قال له: ((أتريد أن أخرّب البلد من أجلك))

المصدر نفسه والصفحة.

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 244.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 309.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 284.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 312.

(6) الأعمال الكاملة: 2 : 239.

وإنّ هذا التحول مابين الغرضين السالفين، لم يكن نتيجة نفسية الجواهري المضطربة، التي لا تقوى على حال[1]، وإنّما كان بسبب تحوّل المعني سلبا وإيجابا، كما يقول الجواهري في رده على سؤال:

- ((في قصائدك بأنّ هناك تحوّلا قد طرأ على رأيك السياسي في بعض الشخصيات في العراق، فهل للزمان أن تسمع كلمة بهذا الصدد؟

- ...الشيء الذي تتاح لي الآن فرصة التعبير عنه، هو أنّه خير لهؤلاء المتقولين عن هذا التبدّل، أن يرجعوا إلى تبدّل وتحوّل هؤلاء المعنيين.))[2]، وتارة أخرى يوعز الجواهري بأنّ مردّ تقلباته نتيجة الازدواجية، التي يتصف بها حيث يقول:((أنا ابن مجتمعي..أنا متحدّر من مجتمع له ضوابط متناقضة من الصبح إلى الليل ينقلب من أوله إلى آخره.))[3]، ويقول أيضا:((إنّ للمجتمعات دخلا في تكوين الأفراد. والشاعر جزء من المجتمع.))[4]، وفي قصائد (الثلاثينات) يعترف الجواهري أن تحوّله لم يكن إلا ملقا، وقد أكره على لبس لباس الثعلبيين، كما في قصيدته (المحرّقة)، حيث يقول:

لبستُ لباسَ الثعلبيّين مُكْرهاً وغطّيتُ نفساً إنّما خُلِقت نسْرا
ومسّحتُ من ذيلِ الحمام تملُّقاً وأنزلت مِنْ عَليا مكانته صَقْرا[5]

لذا نجد أن للجواهري، قصائد مدحيّة في جميع من حكموا العراق، وهي لا تخلو من التزلّف والملق[6]، والحقيقة أن الجواهري هو مزيج من كل ما سبق. دأبه دأب الشعراء في كل زمان، فما نراه في أعيننا متناقضا، هو عين الحقيقة لديه، فالقصيدة نبت لحظتها لا تخضع لحسابات آنية، تغيّرت بواعثها، وتبدّلت ظروفها. إذا فما وجده الجواهري في ممدوحه أمس،

---

(1) يقول الدجيلي: ((إنّ نفسيته مضطربة لا تقوى على حال، فقد مدح وهجا(فيصل الأول) و(ياسين الهاشمي) و(نوري السعيد). ينظر: الجواهري شاعر العربية: 183. وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 342.

(2) جريدة الزمان في عددها(3639)السبت ت(1)1949.

(3) حوار مع الجواهري: أجراه معه محمد الجزائري: جريدة الجمهورية: العدد(2485)، الملحق الأسبوعي: السبت،ت2 ،لسنة 1975.

(4) الجواهري الكبير يكشف وثائقه كاملة: علي جواد الطاهر: مجلة الكلمة: 43 : العدد الثاني: لسنة 1972.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(6) مع الجواهري والحديث ذو شجون: 350.

قد افتقده اليوم، وما كان يحلم من سيف دولة، يصل معه إلى مراقي المجد[1]، وإذا به يودعه غياهب السجون، ويذيقه ألوان البؤس والشقاء والغربة، وقد أفصح الجواهري عن هذا المعنى في قصيدته، (يا ابن الفراتين):

أمسِ استضافتْ عيوني في الكرى شَبحاً ... به تلاحمَ أمسٌ مشرقٌ وغد
ناشدته وعلى أثوابه عَلَقٌ ... من الدّماء، ومن حبّاتها زَرَد
أنا ابن كوفتِك الحمراء لي طُنُبٌ ... بها وإنْ طاح من أركانِها عَمَد
ولا شَكاةٌ أيشكُو السيفُ مُنجرداً؟ ... لا يُخلقُ السيف إلّا وهو مُنجرد
خبّتْ بنا فارعاتُ الجّو نُوسِعُها ... ذرعاً وخبّتْ بك الزّيافةُ الأجُد
فذو العقيدة مشتومٌ ومتّهمٌ ... وذو المواهب محرومٌ ومُضطهد
نحن الغريران في دنيا بها صببٌ ... في المعطيات بنا عن مثله صُعُد
رغادةٌ، وإدْقاعٌ قسمةٌ ظَنَك ... ضِيزى لمن زرعوا فيها، ومن حصدوا
حتى انبرينا فجئناها بثالثة ... إنّ الشقاء إذا استعلى هو الرّغد[2]

ويمكن القول بأنّ الجواهري، قد وجد ضالته في شخص الملك، ظنا منه، بأنّ (الابن على سر أبيه)، الذي طالما مدحه، لمواقفه الوطنية ضد الانكليز[3]، وما أن وقعت عينا الشاعر على الملك القادم، إلى العراق، حتى ملك فؤاده، وأسر جوارحه، وقد غشيه ما يشبه الصحوة بين النوم واليقظة، من أن يكون بعد (سنتين)أو (ثلاث) عند الملك العربي (فيصل الأول)[4]، ويأسف الجواهري ألّا يكون في جملة من حفوا بهذا(الأمير) من وجوه النجف. واكتفى بتحيته

---

(1) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 140.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 907.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 138 -139.

قصيدة(سجين قبرص) تتضمن أكثر من ثلاثين بيتا في حق(الشريف حسين) والد الملك فيصل تصور مأساة الملك بكل صورها وأبعادها، ناعيا فيها على الدهر الذي ينكل بأعظم الرجال، ثم يدعو في خاتمة القصيدة باستنهاض العرب الأباة الذين أصبحوا فرائس لكواسر البشر من المستعمرين. ينظر: الجواهري شاعر العربية: 136.

(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 114.

واكتفى بتحيته من على بعد، من فوق سطح منزله[1]، تعبيرا عن ودّه وإرضاءً لعواطفه، أما في الزيارة الثانية للأمير السابق، إلى النجف فقد مرت عليه سنتان تقريبا، وهو ملك على العراق، وفي هذه الزيارة مدح الجواهري الملك بقصيدة، (تذكر العهود) وفيها يقول:

أعِدُّ لكَ النَّهَجُ الواضحُ ... فسر لاهفا طيرُكَ السانح
وحيّاك ربُّك من ناصحٍ ... إذا عزّنا المُشفقُ الناصح
سلامُ الإله على طالعٍ ... يُحارُ بطلعته المادح
مهيبٍ يرُدُّ سناه العيون ... وإنْ أجهد النظرُ الطامح[2]

إنّ الجواهري في بدايته لم يصطدم بالسلطة، بل مدح الملك (بثماني) قصائد، ولم يقطع صلته بالحاكم[3]، فقد أهدى(ديوانه) الأول إلى الملك (فيصل) اعتزازا[4]، وفي قصيدة (الملك والانتداب) خصّ الجواهري (فيصلا) بأبيات يربط حاضر الأمة بماضيها، من خلال تتويج الملك، متمنيا لو كان (الرشيد) حيّا، ليرى كيف أنّ كبرياء الملوك، وتواضع العبّاد قد اجتمعا في شخص الملك، فيقول:

لمن الصُّفوفُ تحُفُّ بالأمجاد ... وعلى من التاج الملمّع باد
ومن المُحلّى بالجلال يزينُه ... وقْرُ الملوك، وسُحنة العبّاد
ليت الرشيدُ يُعاد من بطن الثَّرَى ... ليرى الذي شاهدتُ في بغداد
حيث الملوك تطلّعت تواقةً ... لك الوفود روائحٌ وغوادي
وعلى المواكب من جلالك هيبةٌ ... غصَّ الصعيدُ بها وماج الوادي[5]

(1) ينظر: المصدر نفسه: 116.

(2) ينظر: المصدر نفسه1 : 110.

(3) ينظر: آخر الشعراء العباسيين في القرن العشرين: لامع الحر: 25. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(4) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 172.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

هكذا يمضي الجواهري مع الملك في مدائحه، كونه شاعر البلاط، ولم يكن كغيره ممن يكيلون المدائح حقا أو باطلا، رجاء عطاء جزيل، وإنما كان خطيبا شاعرا، وسياسيا أديبا، يغضب على مليكه، حرصا على مملكته من مصير لا تحمد عقباه، فيأمره بالاعتصام بحبل الوحدة، مذكّرا إياه بأنّ الحياة فلسفتها الكفاح والجهاد فيقول:

أنا إن غصصت بما أحسُّ ففي فمي ... ماءٌ وبين جوانحي إيقاد

يا نائمين على الأذى لا شامُكم ... شامٌ ولا بغدادكم بغداد

إيهِ زعيم الشرق نجوى وامقٍ ... لَهِجٌ بذكرك هزّه الإنشاد

خطّتْ على صفحاتِ مجدك آيةً ... إنّ الحياة ترفّع وجهاد

أنا شاعر يبغي الوفاقَ مُوحِّد ... بين الشعوب سبيلهُ الإرشاد[1]

وفي قصيدة (من لندن إلى بغداد) يحيي الجواهري الملك في مفاوضاته مع الانكليز، لعقد معاهدة جديدة معها عام (1927)، ويصفه بأنه الطبيب المداوي لجرح العراق، وبه تنفرج الكروب والملمّات، ثم يدعوه إلى السير قدما، خدمة للوطن، ما أجمل إعراضه عن المتقولين المرجفين الذين لا يرضيهم شيء، وقد بليت بهم شعوب الشرق في كل زمان، فسكوت الحرّ على هؤلاء خير من إجابتهم، لأنهم جاهلون، وفيها يقول:

حيّاك ربُّك من ساعٍ بسرّاء ... يلقي الوفود بوجه منه وضّاء

في محفلٍ حجب الأبصارُ موكبَه ... فليس يحسد إلّا الناظر الرائي

أنت الطبيبُ لشعبي، والدواء له ... وأنت شخّصت منه موضع الداء

كم موقفٍ مثل حدّ السيف ذي زلَقٍ ... فرّجتَه بين إصباحٍ وإمساء

مررتَ باللّغو مرَّ الهازئين به ... بأذن حرٍّ عن الفحشاء صمّاء

إنْ يهزموك بإرجافٍ فقد بليت ... كلُّ الشعوب بهمّازٍ ومشّاء[2]

وفي قصيدة (في الطيارة) ، يبالغ الشاعر في وصف ممدوحه، بأنّ مياه دجلة به عدت عذبا فراتا، لولاه لتاه العراق وأهله، كقطيع بلا راع في الفيافي، فهو الحكيم الذي يسوس

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 90.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 191.

الأمور بحكمة وأناة، وقد جربته رجالات السياسة في العالم بأنه لا همَّ له إلا خير شعبه وازدهاره، ثم يختم قصيدته، بأنّ قلبه حكرٌ على مدح الملك دون سواه من الملوك، حيث يقول:

حيّاك ربُّك غادياً أو رائحاً — مستسهلا نهجَ الهدايةِ واضحا
أمواجُ دجلةَ والفرات تدفّقا — عذباً فُراتاً عاد بعدك مالحا
لولاك ما كان العراقُ وأهله — إلّا قطيعاً في فلاةٍ سارحا
سِسْتَ الحوادث بالرويّة جاهدا — وحملتَ أعباءَ الخطوب فوادحا
عَرفتْكَ أقطابُ السياسة ساهراً — بهمومهِ ولخير شعبك كادحا
مدحَ الملوكَ(الشاعرون) وإنّما — أفرغْتُ(قلبي) للمليك مدائحا [1]

كما مدح الملك في قصيدته (إلى جنيف) على المنوال نفسه، وبمزيد من الصفات والألقاب، لكون الملك يمهد في مفاوضاته، لدخول العراق عصبة الأمم، ولأهمية القضية في الساحة السياسية آنذاك، أردفها الجواهري بقصيدة أخرى بعنوان (بشرى جنيف)، فمن الأولى قوله:

ودفعتَ للدّارِ الحصينةِ أمّةً — وقفتْ سياسَتها عَلى الأبواب
غابَ الأسود جنيف سوف يدوسها — أسدٌ تقدِّرهُ أسود الغاب
فلقد طلبتَ منالَ أمرٍ لم يكنْ — ليُنالَ إلّا من رؤوس حراب
إنّي هزَزْتُك بالقوافي قاصداً — بك خدمة التاريخ والآداب[2]

ويقول في الثانية:

مرحباً بالمتوّج الغطْريف — حاملاً للعراقِ بشرى جنيف
رجل الأمّةِ التي أنجبت الـ — ـف شريفٍ من بيتِ هذا الشريف
لغةُ الضّاد في فم الملكِ الفذّ — تباهي بحُسْنها الموصوف
لمسوا فيه التصافح كفّاً — لم يروا مثلَ وقْعها في الصفوف
بهرَ السّاسةَ الدهاةَ حصيفٌ — ذائعُ الصيت بين كلِّ حصيف[3]

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 187.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 257.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 261.

إنّ قصائد الجواهري هذه، لتكشف لنا بوضوح عن مرحلة جديدة في الشعر العربي ((وهو تجاوز حالة الصراع القومي، التي سادت خلال فترة الحكم العثماني، إلى حالة جديدة تبشر بالحكم الملكي.))[1]ذلك لأنّ الجواهري، قد عاصر آخر فصول (العثمانيين) في العراق، ولامس الفرق بنفسه بين العهدين، حيث يقول:((الحكومة العراقية في زمن(فيصل) أفضل من الحكومة العثمانية، فقد أنجزت في نصف قرن ما عجزت عنه الحكومة العثمانية في أربعة قرون.))[2] فربّما يكون هذا الاعتراف هو السبب الدافع، وراء مدح الجواهري للملك، وهناك عوامل أخرى لعل أهمها الحياة المتواضعة، التي كان يحياها الملك، مما زادته منزلة، وأعلته مقاما، في عين الشاعر، حيث يذكر الجواهري:((كان الملك يحيا في بلاط ليس له من ذلك إلا الاسم. فهو عبارة عن غرفة بسيطة، لا تختلف بشيء عن أي غرفة مثلها، غرفة بطاولة عريضة وطويلة بعض الشيء، وسجادة مؤثثة وثلاثة أو أربعة مقاعد، وعارية من كل شيء آخر، فالبلاط هو غرفة الملك(فيصل) محاطة بست غرف صغيرة))[3]، وكان الملك ينظف منضدته بنفسه تواضعا. ومرت السنون وتوالت الأيام، فاستجدت من خلالها الأحداث، مما تركت عقابيلها آثارا عميقة على جنبات المادح والممدوح على السواء، غير أن للود بقية فلم تنصرم حباله بعد، وسط نذر موحية بافتراق الشاعر عن ممدوحه عما قريب. ويتضح ذلك من خلال قصيدتيه في انتحار(عبد المحسن السعدون) ، ففي الأولى مدح الملك بأبيات لا تشكل من مساحة القصيدة شيئا يذكر، في مقابل ذلك هاجم أقطاب السياسية في العراق[4]، ووصفهم بأقبح الصفات وأشنعها، وتكاد القصيدة في جُلّها تدور في فلك تلك المعاني في مفرداتها، وهذا يعني أن هناك شيئا يدور في الخفاء بين الاثنين، ومما زاد الأمر جلاء، أن الجواهري في قصيدته الثانية، لم يذكر الملك ولو بشطر، بل أشار إلى ما فيه من هموم، لا يستطيع الإفصاح عنها، لأن ليس كل ما يعرف يقال، وأنّ اللبيب يفهم بالإشارة ما يريد الجواهري قوله، حيث يقول في الأولى:

وتَوجّع الملكُ الهمامُ ولم يكن ... إلّا لأعظم حادثٍ يتوجّع

---

(1) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 63.

(2) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: 362.

(3) مذكراتي: 1 : 197.

(4) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 148.

وانقضَّ فوقَكَ كالعُقابِ وإنّه
لسواك عن إلمامةٍ يترفّع
ولقد يَعُزُّ على المليك وشعبه
والمشرقين نجيعك المتدفّع
قولوا لأشباه الرجال تَصنَّعاً
إلّا تكونوا مثله فتقنّعوا
لا تُزعجونا بالتشدُّق إنّنا
بسوى التخلّص منكمُ لا نقنع[1]

ويقول في الثانية:

ماذا أقولُ فؤادي ملؤه ضَرَمُ
وهل توفّى شعوري حقّه الكلم
حراجةٌ بالأديب الحرّ موقفُه
حيث الصراحةُ بالإرهابِ تصطدم
بين الشعورِ وخنقٌ مسكتٌ رحِمُ
في الرافدين فلا كنتُا ولا الرّحِم
للشاعرين قلوبٌ في تململها
هي البراكينُ إذ تهتاجُها الحِمم
لواعجٌ هي إنْ أبديتها شررٌ
يُصلي اللسانَ وإنْ أخفيتها سَقَم
وليسمعِ الناسُ شكوى مَن له اجتمعتْ
غضاضةُ العيشِ والإرهاقُ والبُكُم[2]

إنّ القصيدة تكشف بشكل جلي لاسيما الأبيات الأخيرة، أن الشاعر مقبل على مرحلة جديدة مع ممدوحه، بعد أن خاب ظنه به، فلجم لسانه، وكتم أنفاسه، وتركه عرضة للأقدار، لا مورد مال، به يسد جوعته، ويستر عورته، ولا عمل به يحفظ كرامته ويقتل فراغ وقته، فهو حبيس(كافور) في سجنه الممتدة سوحه من البيت، وحتى مقهى(حسن العجمي) ولمدة ثلاث سنوات. فيها تفجّرت أعنف قصائد الجواهري في خصمه الملك.

ثانيا: هجاء الملك:

إنّ هجاء الجواهري للملك (فيصل) الأول، لم يكن وليد مرحلة (الثلاثينات)، كما يذكر بعض النقاد[3]، بل أنّ جذوره الأولى تمتد إلى مرحلة (العشرينات)، حينما كان في (البلاط)، فما بين آونة وأخرى كان الجواهري يتفجر كالبركان لحالات تعتريه، ونوبات تنتابه،

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 219.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 227.

(3) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين : 61.

ولكنه سرعان ما كان يرجع إلى سيرته الأولى؛ لأنه ((كان يدرك أنه لا يستطيع تحدي البلاط الملكي- وهو الآن من موظفيه- بكل ما له من تقاليد))[1]، وهذا ما يدلنا على أنّ الجواهري لم يكن على وئام مع الملك، وأنّ مدائحه فيه، إنّما كانت وسيلة المظلوم للوصول إلى غاية الانتقام من (ساطع الحصري)[2]، وما ادّعاه من حبّ كذوب لا أساس له؛ لأنّ الجواهري بطبعه يناصب الحكام العداء كما أسلفت، ولأنّ الطبع يغلب التطبّع، وإذا كان الجواهري قد ارتبط مع بعضهم بصداقات، كما مع (نوري السعيد) و(الهاشمي) و(الباججي) فإنّ ذلك لا يمانع أن يساير حكمهم، وهو ساخط عليهم، ويتضح ذلك من قصائده خلال مرحلة (العشرينات)، التي فيها إشارات واضحة للغمز واللمز والوخز بالملك وأتباعه من قريب أو بعيد، فهو في أحيان كثيرة يرفع من قدر الملك ويحطّ من شأن حكومته، وأحيانا يقذف بالجميع، كما في

قصائده (الملك والانتداب)[3]، (وخزات)[4]، (النقمة)[5]، (تذكّر العهود)[6]، (سبحان من خلق الرجال)[7]، (أمان الله)[8]، (في أربعين السعدون)[9] أما في قصيدة (في بغداد)، إذ ينعي بغداد حكامها جراء ما آلت إليه على أيدي من حكموها، من بعد الرشيد والمأمون، فيقول:

---

(1) الجواهري دراسة ووثائق: 75.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 106.

ويورد الدكتور: (الأعرجي) دليلا على ذلك أن قصائده (إلى جنيف) و(بشرى جنيف) وقصيدة (الزعيم) قد حذفها الجواهري من طبعات ديوانه، غير أنّ الواقع يقول عكس ذلك، حيث أنّ الأعمال الكاملة للجواهري، والتي تضم دواوينه السبعة قد احتوت على تلك القصائد.ينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 257، 1 : 261.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 107.

(5) الأعمال الكاملة: 1 : 100.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 110.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 122.

(8) الأعمال الكاملة: 1 : 202.

(9) الأعمال الكاملة: 1 : 255.

هيهــات بعــد رشــيدٍ مــا رأتْ رَشَــدا		كــلا ولا أمِنَــتْ مــن بعــدِ مــأمون[1]

إنّ العبرة هنا ليست بالعموم، وإنما بخصوص ما يبتغيه الشاعر، وهو التعريض بملك العراق. وبعد هذه القصيدة، وبالتحديد عام (1927) كشف اللثام عن وجهه، وأطلق العنان للسانه، موجها سهامه نحو الملك[2] وحاشيته محطّما بقصيدة: (ثورة الوجدان) كل مقدسات البلاط، التي لم يجرؤ أحد من الشعراء على المساس بها من داخل البلاط إلا الجواهري[3] إذ كشف المستور، وأماط اللثام عما جرى وما يجري من مظالم في أروقة البلاط، معلنا بأنه سكت طويلا، وأنّ مدائحه في الملك لم تكن في حقيقتها إلا غناء للأحجار والأصنام، إنه الأصيل، وحاكمه هو الدخيل، ثم يدعو إلى الثورة؛ لانّ ناقوس الخطر يهدد العراق، فالقصيدة كلها لوم وتقريع وتذمّر، ونعي على الدخلاء الذين استحوذوا على الحكم، وفيها يقول:

سـكَتُّ حتّـى شـكتْني غُـرُّ أشـعاري		واليــومَ أنطِــقُ حُــراً غــيرَ مِهــذار
لُطــتُ عقلــي علــى مَيلــي وعــاطفتي		صُــبراً كمــا ســلَطوا مــاءاً علــى نــار
ثُــرْ يــا شـعورُ علـى ضَـيْمٍ تُكابُـده		أو لا، فلـــستَ علـــى شـــيءٍ بثـــوّار
في ذمّــةِ الــشِعر مــا ألقــى وأعظَمُــه		أنّـــي أغنّـــي لأصــــنامٍ وأحجـــار
الــشّعبُ شــعبي وإنْ لم يــرضَ منتبــذٌ		والـــدّارُ رغــمَ(دخيــلٍ)عـــابَني داري
مــا عــابَني غــير أنّــي لا أمــدُّ يــداً		إلى دنـــيءٍ وأنّـــي غيـــرُ خـــوّار
وكيــفَ يُــسمَع صــوتُ الحــقّ في بلــدٍ		للإفـــكِ والـــزُّور فيـــه ألـــفُ مزمـــارِ
يـــا للرجـــالِ لأوطـــان موزّعـــةٍ		في كـــفِّ كـــلِّ مهـــان الـــنفس دعّـــار
مــاذا الــسكوتُ، ألا تهتــاجُ نخــوتكُم		أنَّ العروبـــةَ قـــد حفّـــت بأخطـــار[4]

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 116.

(2) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 63. وينظر: الجواهري شاعر العربية: 449.

(3) سبق للرصافي أن هاجم البلاط من الخارج، بسبب ضغينة بينه وبين الملك، فقال:

ليــت شــعري أبــلاط أم مــلاط		أم مليـــك بالمخانيـــث يحـــاط

البيت الشعري غير موجود في ديوانه وعثرت عليه في كتاب الرصافي- حياته وأدبه السياسي: د.رؤوف الواعظ: 126. وينظر: مذكراتي: 1 : 234.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 192.

وقد علّق الجواهري على قصيدته قائلا: ((فثورة الوجدان خاتمة لكل الحرجات، وفي هذه المرة، فقد كانت في صميم السياسة شبه الممنوع تعاطيها، لمن هم في مثل موقفي، والأهم من هذا كله، ففي السنة الأولى من التحاقي به)) [1] .

إنّ تحرشات الجواهري بدأت تتعمق شيئا فشيئا في((دواخله تجاه الملك، موحيا له بأنّ ليس كل الشعراء على دين ملوكهم. فكان يستشعره بين الفينة والأخرى بأنه خصمه الذي لا يؤتمن جانبه، لا كرها بشخصه، وإنّما لجبلّة فطر عليها منذ صغره، ويبدو أن الجواهري كان غير قادر على التحكم بانفعالاته الداخلية، التي تثيرها الوقائع والأحداث وهذا ما يتجلى في تدخله المفاجئ بين الملك وأخيه، وهما يتباحثان بأمر الانقلاب الذي أطاح بـ (أمان الله) ملك أفغانستان، فقاطعهما مبديا تأييده للانقلاب، وفرحته به، شماتة بالملك فيصل الذي علاه الجزع فور سماعه الخبر، وكأنه يريد أن يقول للملك، بأنّ هذا المصير، ينتظر كل عملاء الانكليز[2]. ولملم الشاعر جراحه وأعدّ عدته لمنازلة أخرى في قصيدته، (ساعة مع البحتري) قائلا:

ولقد بَكَيْتُ وما البُكاءُ بمُرجِعٍ   مُلكاً بشهوةِ مالكيهِ بيعا
زُرْ ساحةَ السجنِ الفظيعِ تجدْ به   ما يستثيرُ اللّومَ والتقريعا
ساسُوا الرعيةَ بالغُرورِ سياسَةً   لا يرتضيها مَنْ يسُوسُ قَطيعا
حتى إذا ما الشعبُ حرّك باعَهُ   فإذا همُ أدنى وأقصرُ بُوعا[3]

إنّ الجواهري في مذكراته، يعلن عن استغرابه، بأنْ يكون صاحب تلك الأبيات القاسية، قائلا: ((فمن يصدق أن يقول هذا الطارئ الجديد، وهو في مثل هذا الموقف، وعند مثل هذا الرجل))[4] وقد اعترف الجواهري في مذكراته عن مناخ الحرية، الذي كان ينعم به في العهد الملكي من المجاهرة ضد الملك وحكومته[5]، وقد استغل الجواهري ذلك المناخ إلى أبعد

---

(1) مذكراتي: 1 : 123.

(2) ينظر: مذكراتي: 1 : 202.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 214.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 213. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 64.

(5) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل : 299.

حدوده، فغلّظ من لهجته، وصعّد في هجائه، لا سيما مع بدايات العقد (الثلاثيني)، حيث كتب قصيدته (الدم يتكلم بعد عشر) ويقول فيها:

قبل أنْ تبكي النبوغَ المُضاعا ... سُبَّ مَن جَرَّ هذه الأوضاعا
سُبَّ مَن شاء أنْ تموتَ وأمثالُك ... همّاً، وأنْ تروحوا ضياعا[1]

ولعل لفظة (السباب) لأول مرة يستخدمها الجواهري بهذه الصيغة الصريحة في قصائده، وهي تعبير عن بعد الشقة، واتساع رقعة الفتق بين المادح والممدوح. وكم من مرة حاول رتق الفتق بينهما، ولكن بلا جدوى، بل قد انقلب السحر على الساحر كما يقال.

في سفرة الملك إلى (سويسرا) كتب الجواهري قصيدته المشهورة، (إلى جنيف) مادحا فيها الملك، علّ المياه بها ترجع إلى مجاريها، غير أنّ (مزاحم الباججي) قد اقتطع أبياتا من القصيدة، ووشى بها عند الملك، مفهما إياه أنّ الجواهري قصد هجاءه، فاقتنع الملك بما قال. والبيتان هما:

لبّاسُ أطوار يَرى لتقلُّب الأ ... يام مُدَّخِر سِفاطَ ثياب
يبدو بجلبابٍ فإنْ لم تُرضَه ... ينزعهُ مُنْسلاً إلى جلباب[2]

يقول الجواهري: ((تلك القصيدة هي من عيون الشعر عندي، أرحّب فيها بقدوم الملك فيصل الأول، من سفرته قبل الأخيرة إلى سويسرا، وفي هذه القصيدة، وفي الحقيقة، فمن التفاعل النفسي غير الإرادي، وفيما بين ألم مكبوت، وبين ترحيب مقصود؛ كان في القصيدة هذان البيتان، وأنا أريد بهما التعريف بمدى تمرس الملك بالسياسة -بينما عينيه سواء- أي أنهما كانا يتمازجان ليكونا مثلا للمبالغة في التقدير لمن أراد، ومبالغة في القدح لمن أراد))[3]، ثم يردف الجواهري القول ((بأنني كعادتي ذاهب إلى مكاني المألوف في(البلاط) الملكي، ثم أنني قد خرجت مع أترابي في التشريفات لتوديع الملك...وإذا به يعرج عليّ من دون الحاضرين كلهم، ليقول لي بالحرف الواحد: ((أنا يا محمد لم أطلب منك أن تمدحني))[4]، فبسبب ذلك دخل

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 272.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 257.

(3) مذكراتي: 1 : 274.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

الجواهري القائمة السوداء على يد الملك، الذي كان يعمل معه، وقد أخبره (رستم حيدر) بأنه إذا استطاع أن ينهض من عثرته قبل (ثلاث سنوات) ، فهو رابح[1]، فعلى الرغم من محاولات (نوري السعيد) لدى الملك لتدارك الأمر، إلّا إنّه لم يفلح[2]، ومردّ ذلك أنّ الجواهري قد تجاوز حدود الهجاء المعروفة، لا سيما مع شخص الملك، الذي بدأ يخزه بقصائده منذ بداية(العشرينات) حتى نهايتها (1929) التي كتب فيها قصيدته (إلى السعدون)، والتي أوّل منها بيت، بأنه تعريض بالملك، كما في قوله:

وانقضّ فوقَك كالعُقاب وأنّه ... لسواكَ عن إلمامةٍ يترفّعُ[3]

فشبه من ينقض عليهم العقاب (عبد المحسن السعدون) بالفريسة والمفترس. ولم يكن الملك بغافل عما يجري حوله، حيث توسعت هجائيات الجواهري فيه وشاعت محظوراته، وراح يطلق سهامه بوجه كل من أراد الحدّ من صلاحيات سلطته الشعرية، التي لا سلطان فوقها، إلا سلطان الإلهام القاضي بقول ما يريد قوله، فقد كان الجواهري يصطاد الأخبار التي تثير الصراعات بين رموز السلطة، فهو في ذلك كمن يقول(كلمة حق يريد بها باطلا) ، حيث نشر خبرا مفاده – ويوحي من (نوري السعيد) – بأنّ الملك سيسافر غدا أو بعد غد للإشراف على المفاوضات، وقد أحدثت هذه الجملة –وكما يقول الجواهري– ضجة لدى الساسة وصحفهم، ملك غير مسئول ومفاوضات؟! ودخل القوم في جدل(بيزنطي) في مقالاتهم فـ (ياسين الهاشمي) يكتب مقالا ويردّه (جعفر العسكري)[4]، وهكذا فقد نشر الجواهري مقالا لـ (نوري السعيد) ضد (مزاحم الباججي)، وفي الوقت نفسه ينشر ردّ الباججي عليه[5]، وهلّم جرّا. فقد كانت صحيفته الفرات مسرحا لمثل هذه المساجلات اللامسؤولة، وقد تجاوز محمد الجواهري حدود السياسات الممنوحة للصحف آنذاك، وباعتراف الجواهري نفسه، حيث نشر في ظل الأزمة التي يعيشها قصيدته: (سلمى على المسرح) ، ينال فيها– وبشكل صريح – من

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 272.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 261.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 217.

(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 248.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 249.

من الساسة وبدون استثناء، حيث رماهم بالغش والخداع، والنصب، وأنّ عالمه في اللهو والهوى، لهو أفضل من عوالم الساسة، الذين سرقوا شعوبهم، بعد أن تركوهم للعراء، وفي خاتمة القصيدة يدعو خليلته (سليمة مراد) إلى جمع الحطب، بغية حرق وزير الداخلية آنذاك (جميل المدفعي).

العبي فالهوى لعبُ وابعثي هِزّةَ الطرب
أنتِ يا (سلمى) أجلُّ من ألفِ عبدٍ لألفِ ربٍّ
تركوا (الجِذع) للبلادِ، واختصوا بالرُّطب
أبعديني عن السياسةِ والغشُّ والنَّصب
ولكي نُحرقَ الجميعَ هَلُمِّي إلى الحطب[1]

وكان الجواهري يعيش في تلك المرحلة حياة قاسية، تحوّل من موظف في البلاط إلى رجل بطّال، بلا مورد، تحاصره العيون، وتشتمه الصحف والمجالس، بعد أن تبرأ منه جلّاس البلاط، ورفاق الإنس والسرور، وقد دفعته تلك الظروف إلى أن ينظم قصيدة ميمية مفتوحة، يشرح فيها ظروفه بسبب إغلاق جريدته (الفرات)، وقد سلّمها شخصيا إلى الملك فيصل الأول، ولكن بدون جدوى[2]، فلم يبق أمامه من سبيل إلا إعلان الحرب، حيث يقول:

لأمّ القوافي الويل إنْ لم يقُمْ لها ضجيجٌ، ولم ترتجّ منها المحافل
سأقذفُ حرَّ القول غير مخاتل ولا بدّ أن يبدو فيخزى المخاتل
أرى القوم من يُقذعْ يُقرّبْ إليهمُ ومَن يتجنبْ يكثرْ عليه التحامُل[3]

لذا نجد في قصيدته: (إلى البعثة المصرية) يعلنها حربا مفتوحة على جميع الصعد، فبعد أن يعرّي النظام بفضائحه، يصل إلى بيت قصيده، وهو محاكمة(فيصل)أمامهم، مقارنا بين

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 240.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 125 : الهامش: 32.

(3) الديوان: 2 : 233.

مليك مصر الذي دفعته غيرته بالشاعر (شوقي) أن يحيا كما يحيا الملوك في جنات وعيون، ونعيم مقيم، أما غيرة ملك العراق تجاه شاعره، هي أن يسبح في بحار الفقر وجحيم العوز[1]، وفيها يقول:

إنّ الـــــسياسةَ لـــــم تبـــــقِ ... عـــــلى الـــــبلاد ولم تُــــذَر
إنّـــــي أسائِـــــلكُم واغـــــ ... ـــلـــــمُ بالجـــــوابِ المُنتَـــــظَر
هـــــلْ تقبلـــــونَ بـــــأنْ يُقـــــال ... أديـــــبُ مـــــصرَ قـــــد افتقـــــر
أو أنّ(شـوقـــــي) مِـــــن ... حراجـــــةِ عيـــــشه كالمُحتَـــــضَر
أو أنّ(حافِـــــظَ) قـــــد هَـــــوى ... فتُجاوبُـــــون:إلـــــى سقَـــــر
حاشـــــا:فتـــــلك خَطيئـــــة ... وجريمـــــةٌ لا تُغتـفـــــر
(شـــــوقي) يعـــــيشُ كمـــــا يليـــــقُ ... بمَـــــن تـفكّـــــر أو شعـــــر
وسْـــــطَ القـــــصُورِ العـــــامراتِ ... وبـــــين فـائحـــــةِ الزَهَـــــر
برعايـــــةِ الـــــوطنِ الأعـــــزّ ... وغيـــــرةِ المِلـــــكِ الأبَـــــر
وتَحـــــوطُ إبـــــراهيمَ عاطفـــــةُ ... الأمـــــيرِ مِـــــن الـــــصِّغر
أمـــــا هُنـــــا: فالـــــشعرُ شـــــيءٌ ... لـلـتملُّـــــح يُدّخَـــــر
وعلـــــى الـــــسواءِ أغـــــابَ ... شـــــاعرُنا المُجـــــوِّدُ أمْ حـــــضر[2]

ومن يقرا قصيدته (المحرّقة) يقف على حقيقة الحالة النفسية والشعورية، التي كان يحياها الجواهري آنذاك، حيث يقول:

أحـــاولُ خرقـــاً في الحيـــاةِ فمـــا اجْـــرا ... وآسَـــفُ أنْ امـــضِي ولم أبـــقِ لـــي ذكـــرا
مـــضَتْ حِجَـــجٌ عـــشرٌ ونفـــسي كأنّهـــا ... مـــن الغـــيظِ ســـيلٌ سُـــدَّ في وجهـــهِ المجـــرى
تأمّـــلُ إلى عَـــيني تجـــدْ خَـــزَراً بهـــا ... ووجهـــي تُـــشاهدهُ عـــن النـــاس مُـــزورّا
ألم ترَنـــي مـــن فـــرطِ شـــكٍّ وريبـــةٍ ... أري النـــاسَ، حتـــى صـــاحبي، نظـــراً شِـــزْرا
وعـــدتُ مِلـــئَ الـــصدرِ حقـــداً وقُرحـــةً ... وعادتْ يـــدي مـــن كـــلِّ مـــا أمّلـــتْ صِـــفرا[3]

---

(1) ينظر: الجوهري دراسة ووثائق: 110.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 249.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 268.

ويمكن القول بأنها كانت مرحلة تيه، فقد فيها الجواهري صوابه، واختل توازنه، وداس فيها على كل الثوابت التي آمن بها، فقادته تقلباته في نهاية المطاف إلى الإيمان بالمذهب (الميكافيلي) ونجد هذه المفاهيم في قصائده الثلاث، التي كتبها في تلك المرحلة، وهي (المحرقة) السالفة الذكر، ثم قصيدة (عبادة الشر) ومنها:

دعِ النُبلَ للعاجزِ القُعدد ... وما استطعتِ من مغنمٍ فازدد
ولا تخدعَنّ بقول الضّعاف ... من الناس أنّكَ عفّ اليد
وصلِّ على سائرِ الموبقات ... صلاةَ المخالفِ للمسجد[1]

ثم قصيدة(الأنانية) وفيها يقول:

أبانَ لنا وجهُ الحقيقة بعدما ... أقامَ الورى ستراً عليها وحاجبا
أريتكُم أنّ ابن آدم ثعلبٌ ... يماشيك منهوباً، ويغزوك ناهبا
إلى روح ميكافيل نفح تحية ... وصوب غمام يترك القبر عاشبا[2]

وعندما أدرك الجواهري أن لا سبيل إلى المجد الذي عاشه من قبل، على الرغم من تشبثه بذلك. فأيقن بأنه عاد صفر اليدين، وخسر كل شيء، وأن كل ما هو آت لا يكلفه بعد شيئا؛ وعندها أعلن الحرب على الجميع بقصائد تترى لاسيما (الملك) فكان الجواهري يتتبع أخباره متربصا به الدوائر[3] لقد علم الجواهري في أثناء تواجده في البلاط من خلال قصيدة (الكاظمي) التي هجا فيها (الملك) ومن خلال (عبد الله المضايفي) بأنّ هناك جفوة بين الملك والأمير

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 313.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 284.

(3) لعل هجاء الجواهري لفيصل، مستمد في فكرته من قصيدة (عبد المحسن الكاظمي)، الذي مدح فيها (الفيصل السعودي) وشتم (فيصل الهاشمي) قائلا:

ودعوت فيصل للشدائد عالما ... ما كل ما يدعى بفيصل فيصل
شتّان ماابين الفيصلين فذا لنا ... شاكي السلاح وذاك منه أعزل
هذا له مُلك الحجاز موطّد ... ولذاك ملك في العراق مزلزل

الكاظمي (حياته وشعره): محسن غياض : 172، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب : جامعة القاهرة : 1966.

والأمير (فيصل)[1] فأراد الجواهري أن يثير الملك تشفيا ونكاية، فمدح الأمير الحجازي بقصيدة من (47) بيتا، فعل ذلك، وهو لم يتصل بالأمير في أثناء قدومه إلى العراق، بعد عام (1932)، ولم يره حتى الآن، إلا انه استغل هذه الفرصة ليقول ما يشاء وليرسلها إلى الجريدة الرسمية لابن سعود وهي (أم القرى)، ونشرت موقعة باسمه الصريح[2]وفيها يقول:

على سَعةٍ وفي طُنُف الأمان وفي حبّات أفئدةٍ حواني
فتى عبد العزيز وفيك ما في أبيك الشهْمِ من غُررِ المعاني
وقى اللهُ الحجازَ وما يليه بفضلِ أبيك من غُصَص الهوان
على حين اصطلى جيران نجدٍ بجمرِ لَظًى وسُمٌ الأفعوان
وقد رقّتْ لها حتى عِداها لكابوسٍ بها مُلقى الجِرانِ[3]

إنّ الجواهري بعد هذه القصيدة قد ندم على ما قاله، وقال((آسف ما قلته في الملك المهيب))[4] وتمنى الجواهري لو يعتذر إليه عما بدر منه ولكن وكمايقول: ((بأي وجه أقابل الرجل وبأي وجه يقابلني وكيف اعتذر منه؟))[5] ومن تداعيات القصيدة أنّه نقل إلى البصرة ثم إلى الحلة وهو ما كان يتمناه قبل كتابة القصيدة، وفي أثناء التحقيق معه، اعترف بأنه صاحب القصيدة والدافع هو حب المغامرة وزيادة في التحدي[6]. وعلى الرغم من إظهار ندمه وتأسفه على ما بدر منه تجاه الملك، إنّه لم يتب، بل عاود هجومه مرة أخرى وبأسلوب أكثر عنفا وأشد ضراوة، كما في قصيدة: (عقابيل داء) إذ يصف (فيصل) بأنه الأجنبي الذي فرضه الاستعمار على هذه البلاد، بحجة أنّه عربي الأصول، وقد رفضته الأرض كلها، وأنّه على حساب هذا الشعب اكتسب المزايا، أما أبناء الشعب فليس لهم إلا أطراف العظام، والطحالب التي تعلو الغدران، كناية عن الحرمان فيقول:

---

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 220.

(2) ينظر: الأعمال الكاملة: 2 : 284.(الهامش).وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين : 61.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 284.

(4) مذكراتي: 1 : 289.

(5) لماذا هجوت الجواهري: 11.

(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 285، 286، 289، 292. وينظر: مقدمة الأعمال الكاملة: 1 : 7.

وربَّ وسامٍ فوق صدرٍ لو أنّه يُجازى بحقٍ كان بالنَعل يضرب
مشاربُه بين المخازي وراقهُ وسامٌ عليها فهو بالخِزي مُعجب
أفي كلِّ يوم في العراق مؤمَّرٌ غريبٌ به لا الأمّ منه ولا أب
ولم يُرَ ذا بطشٍ شديدٍ وغِلظةٍ على بلدٍ إلّا البعيد المُجنَّبُ
أكلٌّ بغيضٍ يثقلِ الأرضَ ضلُّهُ وتأباهُ يُجبَى للعِراق ويُحلَب
وحُجتُهُم أنْ كان فيما مَضى لنا أبٌ اسمُه عند التواريخ يعرب
عديدُ الحَصى أبناؤه ولِكلّهم مجالٌ وملهى في العراقَين طيّب
فأمّا بنوهُ الأقربون فمالهُم نصيبٌ به إلّا مُشاشٌ وطُحْلب[1]

وبعد يأس طويل، ولّى الجواهري وجهه، شطر كعبة (سيف دولة) آخر؛ ليقول فيه مدائحه، وهو المعارض السياسي (الباججي) كما في قصيدته (الباججي في نظر الخصوم) وفيها يقول:

لا أبالي قادحي مِن مادِحي ليَ في الوجدانِ ما يُقنعني
لستُ بالجامد: أنّي شاعرٌ هِزَّةُ الروح تُرى في بَدني
يا أبا عدنان هذي فرصةٌ لفؤادٍ بالأذى محتقن
يشهدُ التاريخُ واللهُ معاً أنّك الذُخرُ لهذا الوطن
فيك:لولا امةٌ جاهلةٌ شَبَهٌ يُدنيك من(موسوليني)[2]

إنّ القصيدة طويلة لا تخلو من إشارات موجهة إلى الملك، ساردا مظالمه على (الباججي) بتفاصيلها، علّ الملك يحدث بعد ذلك أمرا، برغم تيقنه أنّ فراقهما لا رجعة فيه،

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 321.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 264.

ولإثارة الملك أيضا فقد مدح الحزبين المعارضين يوم أن أعلنا تآخيهما وهما (الحزب الوطني) و(حزب الإخاء) حيث اتحدا بحزب واحد هو (الإخاء الوطني) وكان يمثل المعارضة.

الأعمال الكاملة: 2 : 259.

واستمر حتى بعد ما بعد الوفاة[1] ففي عام (1933) توفي الملك في ظروف غامضة، وقد رثاه كثيرون[2] تمشيا مع الحديث النبوي الشريف((اذكروا محاسن موتاكم))، إلّا الجواهري فقد رفض تأبينه ومزّق رسالة الدعوة أمام قرابة (ثلاثين) مدرسا، وبعد أن هدأت فورته قال ((رحم الله الملك إنّه كان خصما منصفا))[3]، ويذكر الجواهري بأنّ ما جرى له مع الملك، هو شبيه ما جرى للمتنبي مع كافور قائلا: ((ويا للعجب فكم من مرة يعيد التاريخ نفسه، فلقد مثل المتنبي العظيم، وأنا في موقفي هذا، شاخصا أمامي وهو في مثل هذه الحالة، التي أنا عليها بين ألمه المكبوت من أن يكون حبيس الدار عند (كافور) وبين أن يحجم (كافور) عن أن يسد فراغا وإنْ قليلا من مطامح المتنبي وتطلعاته، إذ يقول له:

ولله سر في علاك وإنّما كلام العدى ضرب من الهذيان

فمفهوم ما تحت كلمة (السر) في علاه، وبعبارة أوضح فالسر الذي لم يكشف بعد في أن يكون كافور ملكا.))[4]، ثم يستطرد الجواهري: ((هنا يتلاقى التاريخ وجها لوجه أيضا مع الملك فيصل حتى يوم وفاته))[5] وكان من دأب (الجواهري) إذا أضرّ به أمر هرع إلى الشعراء يشتكي إليهم مما هو فيه لاسيما (المتنبي)، حيث يقول:

---

(1) في الأربعينات هاجم الشاعر (شفيق الكمالي) الملك (فيصل الأول) في قصيدته (التمثال)، وقدم للمحكمة، ودعي الجوهري شاهدا، فشهد زورا بأنّ المقصود هو تمثال الجنرال(مود) رغم علمه بأنّ الشاعر يقصد تمثال الملك بعينه. ينظر: مذكراتي: 1 : 393.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 213.

وقد رثاه (احمد الصافي النجفي) و(محمد الخليلي) و(خضر آل القزويني) والشيخ (محمد حسن) و(محمد جواد الشيخ راضي) المصدر نفسه والصفحة.

(3) مذكراتي: 1 : 293.

(4) نفسه: 1 : 276.

(5) نفسه.

فكنْ أبا "الطيّب" الجبار لي مدداً ولي بما صُغتَ مِن جبّارةٍ مدد

ويا مُعرِّيَ أطباعٍ وما خَبَأتْ ويا مُحطِّمَ أصنامٍ ومَن عبدوا

أبا مُحسَّدْ دنيا رُخْتَ تمخضها فما تُلقِّفُ إلّا ما نفى الزُّبَد

الفٌ مضتْ وابن عبادْ بها أحدٌ واليومَ ألفُ ابن عبادْ ولا أحد

وكان إنْ لم تُهَبهُ مِدحةً حردا واليوم مَن نُغتلي في مدحه حرد[1]

وكان كافورْ فرداً تستقيمُ لَه واليومَ شتى كُوافيرٌ وننفرد

على الهوامش أصفارٌ مجمدةٌ كما تراكمَ حول الحافّةِ الجَمَد[2]

إنّ الجواهري يريد أن يشبه حاله بالمتنبي، الذي امتنع عن مدح (ابن عباد) الوزير المستبد فكان من جراء ذلك أن أغرى به كل شعراء (بغداد) ومتشاعريها بشتمه وقذفه، كما أن الجواهري قد وجد وجه شبه آخر له، وهو فراره من (فيصل) وغيره من الحكومات، كما فرّ (المتنبي) من كافور بعد أن قال فيهم غررا محجلة من قصائده، وإذا كان المتنبي قد انتهز غفلة كافور وانشغاله بالعيد وانسل في ظلمة الليل يريد الكوفة، ولما أعلم بخبر رحيله غضب وأرسل في إثره من يقتله خشية لسانه[3]. أما الجواهري فكان على عكس (المتنبي) إذ أعلن عن وجهته ونشرها بكل جرأة في جريدة العراق في العدد3517 في24 تشرين الأول1931 ليعلم الجميع بدنو موعد سفره إلى اليمن فرارا من كافور عصره الملك (فيصل الأول) ، فهل معنى ذلك أنه يريد أن يوحي إلى الآخرين بأنه فاق المتنبي في شجاعته؟، كما في أبياته الآتية:

تاركاً عمّا قريب أهله فإذا لم يهوني كنتُ مستجيرا بإمام اليمنعاملاً في منجم في عدن

امرأً أنا استحسنُ ما ليس أرى وأرى ما ليس بالمستحسن[4]

---

(1) حرد: غضبان

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 910.

(3) الجديد في الأدب: 468.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 264.

المهم أنّ الجواهري أراد أن يخفّف عن المتنبي وطأة ابتلائه بكافور وأمثاله من الناس، الذين لا يعرفون للمواهب قدرا ولا للعباقرة منزلة، ثم يكشف الجواهري عن تعاليه وتعاظمه فيقول للمتنبي إذا أنت بليت بكافور واحد، فالجواهري بلي بكوافير كُثُر وهو لم يزل يقارع الجميع.

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال

(1932 - 1958)

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال

(1958 - 1932)

رحلة الجواهري مع الملك غازي

نال العراق استقلاله عام (1932) ، بعد دخوله (عصبة الأمم المتحدة) في عهد الملك (فيصل الأول)، وقد توقفنا في الفصل السابق على حقيقة الصراع بين الشاعر الجواهري والملك فيصل. وبعد وفاة الملك عام (1933) خلفه على العرش نجله الوحيد (غازي)[1] الذي انتهج سياسة وطنية، تحقق رغبات الشعب[2]، غير أن مسيرة الشاعر مع الملك الشاب، قد مرت بمنعطفات حادة، تكاد تنحصر بمرحلة ما قبل التنصيب، وهي مرحلة المدح والإعجاب، لكونه شاعر البلاط، ومرحلة القدح والمقت، وهي مرحلة ما بعد التنصيب، التي هي حقيقتها امتداد لمرحلة القطيعة بين الشاعر والبلاط، لذا نجد أن الجواهري قد مدح الملك (غازي) يوم أن كان على وفاق تام مع والده (فيصل الأول) سنة (1927)، فكتب قصيدته: (تحية سمو الأمير) حيث يقول فيها:

تكـادُ لـندنْ شـوقاً تطيـرُ ... لترجـعَ بالـضيفِ بَغدانـهْ
يحييـكَ فخـرُ شـباب العـراق ... شِـيبُ العـراق وشُبّانـه
قـدومُك غـازيْ يـزيْنُ الأوان ... وكـم قـادمٍ زانـه آنـه
سـلِمتَ فهـذا أوانُ القَريـض ... ويـومُ الـشُعورِ ومَيدانُـه
ومـا أنـا مَـن سِـيمَ في شِـعره ... ولا أنـا مَـن ضِـيمَ وجـدانه
ولكنّـه نفـسٌ طاهـرٌ ... قـديمُ القـصائدُ بُرهانـه[3]

---

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 290. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65.

(2) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 83.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 185.

غير أن القصيدة في حقيقتها هي إرضاء للملك (فيصل الأول) ، وما الأمير إلا مدخل محبب به يسر الشاعر فؤاد مليكه بمدحه ؛ لأنّ الشاعر بعد أبيات قلائل يعرج إلى مدح الملك وما لقيه من صعاب في مفاوضاته مع الانكليز، ثم يختم قصيدته، مستفهما عن سرّ أحقاد الغرب تجاه العرب والمسلمين، حيث يقول:

مليكٌ وتكفيهِ أتعابُه وشعبٌ وتكفيهِ أحزانُه
فحدِّثْ فقد أذنت بالسَّماع لِحِلْوِ حديثِك آذانُه
عن العِلم في الغربِ ما بالُهُ وعن رجُلِ الغربِ ما شأنُه
وهلْ في الشدائدِ أحقادُه تُعينُ عليهِ وأضغانُه
تباهى بمثلك أكفاؤهُ ولاةُ العُهودِ وأقرانُه [1]

وعندما ساءت علاقة الشاعر بالملك(فيصل الأول) انعكست على ولده(غازي) بعد التنصيب ((حيث لم يكن الشاعر على صلة بالملك الشاب الذي التفّ حوله القوميون))[2]، وكان الشاعر من أشد المناوئين لسياسات الملك الجديد، وذلك للاختلاف الأيدلوجي بينهما[3]، فضلا عن أسباب أخرى ذكرها الجواهري في (مذكراته)، يمكن إجمالها بالاتي:

1- إنّ محاولة الملك (غازي) التخلص من الاستعمار البريطاني قد أوقعته في دائرة النفوذ(الألماني) في العراق عن طريق سفيرها د.(غروب)[4]، ومن المعلوم أن الشاعر يكره ألمانيا الهتلرية، أكثر مما يكره بريطانيا.
2- اعتماده على عناصر وطنية متطرفة، أمثال (بكر صدقي) الذي يصفه بالسفاح الذي انتقم من أتباع حركة (التياريين الآشورية) ، ويعده الشاعر أحد الأسباب التي

(1) الأعمال الكاملة: 185.

(2) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 56.

(3) انقسم الشعراء في الأربعينات إلى قوميين، وشيوعيين، وكان الجواهري محسوبا على التيار الماركسي، الذي كان موجودا في العراق آنذاك. ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 128. وينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 498. والتطورات السياسية في العراق: 118. وجريدة الرأي العام(العدد)(1376): 8، ت1945،2. والجواهري شاعر التجديد والثورة: 29. والجواهري جدل الشعر الحياة: 123. والجواهري دراسة ووثائق: 72 ،73.

(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 297. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.

أدت إلى الأضرار بسمعة المملكة في الخارج، وفي التسبب بوفاة الملك (فيصل) الذي آلمه سلوك ابنه اللامسؤول. [1]

3- تصفيته الجسدية للرموز والشخصيات، التي وقفت إلى جانب والده في تأسيس مملكة العراق، كما حدث مع (جعفر العسكري) و(رستم حيدر) ، حيث تخلص منهما وأبعد الثالث (نوري السعيد). [2].

4- إنّ عهد غازي كان عهد حزازات وضغائن، فيما بين المسؤولين السياسيين؛ للاستيلاء على المناصب والعشائر، التي استغلت لمآرب سياسية، تمثلت بالانتفاضات العشائرية، لتي أدت إلى سقوط (الوزارات) وكان من جرائها أن أريقت دماء أبنائها. [3]

وقد عاصر الجواهري أحداث تلك المرحلة بكل جزيئاتها وتفاصيلها، ويعدها الجواهري بأسوأ مرحلة في تاريخ الحكم الملكي، حيث يقول: ((لقد عشت أنا بالذات، هذه الفترة، بل ودفعت الثمن الغالي، بل أغلى ثمن في حياتي كلها، .....فلم يكن هناك في كل حياتي، وأنا في توالي الثمانينات.من مدّ يده علي ليسجنني بالرغم من ألف كلمة وكلمة، وقافية وقافية تستوجب السجن إلّا يد(حكمت سليمان) و(صالح جبر) و(بكر صدقي))[4].

وقد آلم الجواهري كثيرا، ما لحق به وبأبناء قومه من الخطوب والنوائب، وكعادته لكونه شاعرا يحمل هموم الآخرين، كان لا بد من تعرية من كانوا سببا في مأساتهم، على الرغم من المجالس العرفية، يقول الجواهري: ((فأنا لم أخلق لكي أكون مدرسا أو معلّما، أو موظفا، بأي مستوى كان، وإنّما أن أحمل تلك الهموم، وهذه المشاركة، شئت أم أبيت. لقد دخلت السياسة من أبواب أخرى، من باب حبّ المشاركة للناس، ولو كنت مخلوقا لغير هذا المفهوم من السياسة، أي أن أكون لبنة في عمارة الحاكمين لعرفت طريقي إليها، بيد أني مخلوق لأكون هذا الذي أنا عليه الآن))[5].

---

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 295.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 296.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 297 ،309. وينظر عدنان الراوي حياته وشعره: 15.

(4) المصدر نفسه: 1 : 298.

(5) مذكراتي: 1 : 309.

إنّ في مثل تلك الظروف جاءت قصيدة(في سبيل الحكم)، وهي صورة صادقة لانطباق إحساس الشاعر المنسجم مع نفسه على مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، وفيها يقول:

لقد ساءَني عِلْمي بِخُبثِ السرائرِ وأنّي على تطهيرها غير قادر
وآلمَني أنّي أخيذُ تفكُّر بكلِّ رخيصِ النفس خِبٍّ مُماكر
ولم يبقَ معنىً للمناصِبِ عندَنا سِوى أنّها مُلكُ القريبِ المصاهر
وكانتْ طِباعُ للعشائرِ تُرتَجى فقد لُوِّثتْ حتى طباعُ العشائر[1]

لقد أحدثت القصيدة هذه ضجة كبرى في الساحة السياسية، إذ دفعت مجلس الوزراء إلى اتخاذ قرار بغلق الصحيفة، وتقديم الجواهري للقضاء، ثم إعفائه من وظيفته، وخرج الجواهري من جميعها منتصرا وكأنه قد مدح الملك، ولعل من أغرب المفارقات أن يلقاه رئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) ليعده بكرسي النيابة بعد أيام قلائل من نشر قصيدته، قائلا له: ((يا مهدي لو تعلم ماذا اقترح عليَّ هنا في هذا المكتب أحدهم من عقوبة لك؟ لقد جاء على بالي الكثير من هذا...أتعلم ما قلت له؟.....له الحق في ما قال، والآن....ما الذي استطيع أن أقدمه لك؟ أريدك للمجلس النيابي))[2]. وبقي الجواهري على ما كان عليه، يعكس سلبيات الواقع الاجتماعي في قصائده متخذا منها سبيلا للهجوم على الحاكم. إنّ الجواهري الذي مدح الأمير(غازي) عام:(1927) يوم أن كان في كنف والده يذمه بعد مضي (ثماني) سنوات على قصيدته الأولى فيه بعد أن خاب ظنه به، يوم أن حكم البلاد، فأعلن ندمه، وأوضح أن لا سبيل لكفارة مدحه إلا بهجائه، كما في قصيدته: (معرض العواطف):

أبرزتُ قلبي للرُّماةِ مُعرَّضاً وجَلَوتُ شعري للعواطفِ مَعرضا
ووجدتني في صفحةٍ وعقيبها متناقضاً في السُّخطِ مِنّي والرضا
أبرمتُ ما أبرمتُهُ مُستسهِلاً أنْ حانَ موعدُ نقضِه أنْ يُنقضا
ونزلتُ مِنه على الطبيعةِ منزلاً ألفيتني فيه على جمرِ الغضا
متجانِياً عن خيرِ مَن أبغضتُهُ ولشَرُّ مَن أحببتُهُ مُتعرِّضا

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

(2) مذكراتي: 1 : 316.

ومـدحتُ مَـن لا يـستحقُّ وراقَ لـي تكفيـرَتي بهجـائهِ عمَّـا مـضى
ووجـدتني مُستـصعبا إطـراءَ مـن أطريتُـه بـالأمسِ طَـوعاً ريِّـضا[1]
نافقـتُ إذا كـان الـنفاقُ ضريبـةً متحرِّفـاً مِـن صـنعتي مُترمِّـضا
ولكـم قـلِقتُ مُـسهَّداً لمواقـف حكَمـتْ علـيَّ بـأنْ أداري مبغِـضا
وأعـادتِ الذِكـرى إلـيَّ اليمـةَ لَمَّـا انبريـتُ بجـمعها مـستعرِضا
فهنـا الـتي أطـريتُ فيهـا خُلَّبـاً كـذِباً خُـدِعتُ ببِشرهِ إذْ أومَضـا[2]

ومن يتتبع قصائد الشاعر محمد مهدي الجواهري التي نظمت في مرحلة (الثلاثينات) يجد فيها نبرة العنف وغلظة القول وقسوة العبارة، كما في قصيدته (عقابيل داء)[3](1934) و(ثورة النفس)[4] (1934) و(لعبة التجارب)[5](1934) و(حالنا اليوم)[6](1935) و(تحرك اللحد)[7] (1936) و(في السجن)[8](1936) و(إلى الشباب السوري)[9](1938) وبقى الجواهري ثابتا على مواقفه حتى عام (1939) حيث لقي (غازي) مصرعه، إثر حادث أثيرت حوله العديد من علامات الاستفهام[10] اتهم الجواهري كلا من(رشيد عالي الكيلاني) و(نوري السعيد) بتدبير الحادثة[11] وقيل إنّ الانكليز هم من دبروا له ذلك، لأنه خالفهم وأراد إلحاق الكويت

---

(1) الريض: الطيع.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 336.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 321.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 326.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 340.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 361.
(8) الأعمال الكاملة: 2 : 365.
(9) الأعمال الكاملة: 2 : 369.
(10) ينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي: 170. للمزيد من الاطلاع عن الملك غازي راجع: الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي: جعفر فرج: 1933 -1939: بغداد،1987.
(11) ينظر: مذكراتي: 1 : 296 ،299. وينظر: تاريخ العنف الدموي: 300.

إلحاق الكويت بالعراق[1]، وقيل غير ذلك. ومهما يكن من قول، فان الجواهري قد امتنع عن رثاء الملك (غازي) رغم أنّه نشر أبياتا من قصيدة وعد بإتمامها ثم طواها[2]، ومما جاء فيها قوله:

خبرٌ وليس كسائرِ الأخبارِ   حَصبَ البلادَ بمارجٍ من نارِ
فَلَوتْ له الصيدُ الأماجدُ هامها   حزناً لِفقدِ زعيمِها المُختارِ[3].

رحلة الجواهري مع الوصي(عبد الإله)

بعد مصرع الملك (غازي) اختير (عبد الإله)[4] وصيا على العرش سنة: (1939) بأمر من الانكليز، لأنه كان يخدم مصالحهم[5]. وعند اشتداد الصراع بين بريطانيا والوطنيين من الضباط الأحرار، قامت ثورة (رشيد عالي الكيلاني) ، وفرّ (الوصي) إلى شرق الأردن[6]، ولكن الانكليز هجموا على العراق، واحتلوه ثانية، ونصّبوا (عبدالإله) وصيا على العراق، ولم يحاول الوصي في أوائل حكمه، أن يؤدي دورا فعالا في سياسة العراق؛ لقلة خبرته وحداثته في الإدارة السياسية[7]، ولكن بعد فشل ثورة (مايس) انتقم من خصومه، وظل بشكل فعال،

(1) ينظر: الرسالة العراقية: 164.

((الانكليز هم الذين قتلوا (فيصل الأول) وهم الذين قتلوا (غازي) وانّ الغلام والعبد اللذين كانا في السيارة، لم يعلم أين هما، وتمهيدا للفتك بغازي أوعز إلى أحد المنجمين، بأنّ البراق سيسقط)) ينظر: نفسه.

وقيل أنّ السفير البريطاني (بيتر سون) كان يقول: ((إنّ الملك غازي يجب أن يسيطر عليه أو يخلع، ولهذا أن خبر وفاته أحدث ارتياحا في لندن وترحيبا بالوصي الجديد)) العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب: نجدت فتحي صفوت: 209 صيدا: المكتبة العصرية-1969. وينظر: الحرب العراقية البريطانية: 1941 : محمود الدرة: 101 ، بيروت دار الطليعة: 1969.

(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 35. وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 300.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 377. ونشرت في جريدة(الرأي العام) العدد(181)في(8) نيسان: 1939.

(4) ولد(عبد الإله) في الطائف في(24)تشرين الثاني(نوفمبر)، (1913) وجاء مع والده إلى بغداد، أوائل سنة(1926)، ثم مضى للدراسة في القدس، فالإسكندرية، ثم عين ملحقا بالمفوضية العراقية في(برلين) لمدة قصيرة(1936-1937) وفي عام(1939) أصبح وصيا على عرش العراق.

(5) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65. وينظر: مذكراتي: 1 : 297.

(6) ينظر: الرسالة العراقية: 166 ،167. وينظر: التطورات السياسية في العراق: 68.

(7) ينظر: مذكراتي في العراق: ساطع الحصري: 2 : 593، بيروت دار الطليعة: 1968. وتنظر: جريدة الزمان (العدد) 530 (1)أيار 1939.

يوجه السياسة العراقية حتى مصرعه[1].وقد أنكرت عليه الأحزاب تصرفاته، بوضع العراق تحت الاحتلال المباشر للانكليز[2]، كما حملته مسؤولية إسقاط حكومة (السويدي) الوطنية للمجيء بحكومة (أرشد العمري) ، المؤسسة للقمع والاضطهاد، ونشر الرعب والإرهاب، بين الناس[3]، وفي الوقت نفسه طالبت تلك الأحزاب (الوصي) بالقيام بالإصلاحات العاجلة؛ لتدارك الأوضاع المتردية، حيث الاستئثار بالسلطة، وانتشار الجهل وسطوة الإقطاع، والفقر، والمرض، وثراء الوزراء، وأصحاب المناصب، كما طالبته بإلغاء معاهدة عام: (1930)، التي قيدت استقلال العراق وسيادته[4] محذرين الوصي – في الوقت نفسه – إن لم يقم بما هو مطلوب منه، فإنّ النتائج ستكون وخيمة، لأنّ الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة في (مصر)، هي نفسها التي سوف تؤدي إلى اندلاعها في العراق[5]. وردّ الوصي على تلك المطالبات، بأنّ ما في العراق من فساد وانحرافات، إنما هي بسبب أفعالكم الشنيعة[6]، وقد وصف (عبد الإله) في نظر أغلب المؤرخين نتيجة تصرفاته تلك((بأنه أنانيّ في طبعه ومسلكه، لا تهمه مصلحة البلاد، بقدر ما يستطيع من جني المكاسب والأرباح، التي يحاول الحصول عليها لنفسه، أو لعائلته.))[7] غير أنّ للجواهري رأيا آخر، حيث يقول: ((بإنصاف أقول:كان(عبد الإله) من القلائل الذين يعتزون بكرامتهم، وكان يعتبر أنّه أمير بحق، ويجب أن يمارس دوره في الإمارة. كان أميرا صلبا، وكان يعرف أنّ الانكليز يريدون مقاسمته السلطة في بلاده. وهناك حقيقة سيكشفها المستقبل، وهي أنّ الانكليز هم أول من عمدوا على إزاحة (عبد الإله) ؛ لأنه، كما قلت، كان عنيدا وقويا وذا كرامة، ولا ينسى أنّه أمير ابن الملك (علي بن الحسين) ...))[8]، ومهما اختلفت الآراء فيه، فإنّ الجواهري قد نال نصيبه من حكومة(العمري) القمعية، حيث أغلقت جريدته:(الرأي العام) مع صحف أخرى، يقول الجواهري: ((إنّ المرة الأولى التي وضعت فيها

---

(1) ينظر: تأريخ الحزب الوطني الديمقراطي: فاضل حسين: 125. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65.

(2) قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 46، 55.

(3) العراق أمسه وغده: خليل كنه: 77. وينظر: مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العراقية : 445-446.

(4) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 35، 41، 59.

(5) تنظر: جريدة العصبة، (العدد)47 ،1 حزيران 1946. وينظر: ربع قرن من تأريخ الحركة النقابية في العراق: طالب عبد الجبار: 33 بغداد: مطبعة النجوم: 1960.

(6) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 55.

(7) سقوط النظام الملكي في العراق: فاضل حسين: 29،معهد البحوث والدراسات العربية،1974.

(8) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 67.

قدمي في (البلاط) في عهد (عبد الإله) جاءت أيام (مصطفى العمري)، أيام تحكّمه وجماعته في الصحافة والصحف.. ولم يكن لي ملجأ غير ذلك الملاذ...فذهبت إليه، فرحب بي الرجل وأكرمني، وبدقائق معدودة قلت له ما قلت عن الموضوع......وبعد ذلك صدر الأمر بأن تواصل الجريدة الصدور.))[1] على الرغم من أن معرفة الشاعر بالوصي قديمة ترجع إلى أيام تعيينه في البلاط، إلا أنّ هذا اللقاء كان مفتاحا سريا، قد فتح لآفاق واسعة من العلاقة بين الرجلين، برغم ما شابها فيما بعد من توتر، ثم فتور وجمود. (فعبد الإله) يريد رعاية الشاعر منذ أيامه الأولى كما فعل (عمّه) من قبل؛ ليجعل منه شاعر البلاط ثانية، والشاعر ربما اتعظ بما أصابه من شظف العيش بإقصائه عن البلاط، ثم هو فوق ذلك يحمل طموحا كطموح سلفه (المتنبي)، فالمصلحة مشتركة إذا بين الرجلين، مدح الوصي، لقاء كرسي البرلمان[2] كما سيأتي. وكان الجواهري يترقب ما ستؤول إليه الأمور، لذا من يتتبع قصائده في (الأربعينات) لا سيما بعد عودة صحيفته إلى الصدور، يجد نبرة هادئة لا مساس فيها بالسلطة باستثناء قصيدة (طرطرا) التي جاءت كرد فعل سريع على إغلاق صحيفته، فهو في ذلك كمن يراجع مسيرته تحسبا للمستقبل، مستعينا برجال الفكر والثورة، مستلهما منهم العبر والعظات لمسيرته القادمة، كيما يستطيع السير على ما ساروا عليه، ونجد ذلك جليا في قصائده:(أجب أيها القلب)[3] و(إلى الرصافي)[4] و(أبو العلاء المعري)[5] و(أحييك طه)[6] و(جمال الدين الأفغاني)[7] و(ذكرى أبو التمن)[8] و(عمر الفاخوري)[9] و(آمنت بالحسين)[10]، كما تطرق إلى موضوعات تتفق في أبعادها مع السياسة الملكية، التي كانت تعادي ألمانيا النازية آنذاك، مما دفع الجواهري إلى أن يكثر من قصائده السياسية التي تمدح (الحلفاء) ضد دول (المحور) منتصرا – في

---

(1) مذكراتي: 1 : 443، يقول الجواهري: ((فإنّي لم ألتق به إلّا في عام (1946) وبصدد احتجاجي على غلق جريدتي(الرأي العام)) المصدر نفسه: 1 : 293.

(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 66.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 392.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 418.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 421.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 427.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 429.

(8) الأعمال الكاملة: 3 : 477.

(9) الأعمال الكاملة: 3 : 462.

(10) الأعمال الكاملة: 3 : 491.

الوقـت نفـسه – للفكـر (الاشـتراكي)الـذي يـدين بـه، ونجـد ذلـك بوضـوح في قـصيدة (سواستبول)[1] و(أمم تجد ونلعب)[2] و(ستالينغراد)[3] و(يوم الجيش الأحمر)[4].

وبدأ الجواهري يقترب شيئا فشيئا من السلطة، كمن يقدم خطوة ويؤخر أخـرى، ففـي عام (1946) وجهت له دعوة من (البلاط) لحضور حفل غنائي لـ (أم كلثوم) ولبّى الدعوة على عجل، ليجد نفسه على مبعدة أمتار عن حكومـة (الرئاسـة) و(الـسفراء) وبيـنهم (عبـد الإلـه) و(نوري السعيد) ، وقـد طلبـا منـه قـصيدة بالمناسـبة، فاعتـذر بـأدب، بـأنّ المقـام لا يناسـب الشعر[5]. وبعد انتهاء الحفل، شعر الجواهري بأن الأمور عـادت إلى مجاريهـا، فقـصد (الـبلاط) لملاقاة (الوصي) طالبا منه ترشيحه للنيابة، غير أنه أبلغ بأنّ(نوري السعيد) قد رشـحّه سـكرتيرا خاصا للوصي (عبد الإله) ، فرفض الجواهري ذلك، مصرّا على أن يكـون عـضوا في (المجلـس النيابي)، واستجاب له (الوصي) بعد أن دعاه إلى قصره الخـاص (الرحـاب)، واتفقـا علـى أن يكون الجواهري مرشح الوصي على (كربلاء)، ونتيجة ملابسات سـآتي علـى ذكرهـا انـسحب الجواهري من الترشيح[6]، ودب الفتور بين الرجلين من جديد، ولعدم تحقيق الوصـي مـا كـان يصبو إليه الجواهري، فقد رفض دعوته في مناسبة (عيد الميلاد). يقول الجواهري:((وجهت إلـيّ دعوة من البلاط...لبست بدلة رسمية استعرتها من صديقي (عبد الجبار الجلـبي) وتهيـأت، ثـم استنكفت وأقسمت أن لا اذهب. رنّ جرس التلفون، وإذ بـ (صادق البصام) يتحدث من قـصر

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 399.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 400.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 404.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 408.

(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 445.

يقول الجواهري: ((كنت ثملا، وإذا بالشيخ (موحان خير الله) يقول لي (نوري باشا) يطلبك قلت لا تهتم، رفعت نظري فوجدته يومئ لي ثانية إيماءة لطيفة وتغافلت عنها أيـضا، فبالإيمـاءة الثالثـة كـان (عبـد الإلـه) يشاركه فيها، وعندها وجدت أن ما يسمى باللياقة والأدب تتطلبان مـني الاستجابة.. فوقفـت إلى جـانبهم وبادرني (نوري السعيد) قائلا: كيف حالك يا جواهري؟ أجبت فوق النخل فـوق، وكمـا حدسـت، قـال: ((الا يوجد شيء، وهنا التفت إليّ (عبد الإله) وأكمل: ((إي صحيح، يـا جـواهري، الا يوجـد شـيء؟)) كنت هيأت جوابا يجمع بين الأدب والرفض. قلت آسف، كيف ارتجل الشعر في هذا المقام: نفسه.

(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 454.

الرحاب، يلح عليّ بالحضور، ناقلا لي كلمات (عبد الإله) ، من أنّ المائدة لن تفتح إلا بحضوري...قلت:أتريدني أن أقول لك لن آتي!!))[1]. وقد عاتبه (عبد الإله) فيما بعد معنّفا إياه بقوله:((يعني إيش يصير إذا تأخرت النيابة شهرين أو ثلاثة؟...قلت له: ((يا سمو الأمير لا تزعل لك الحق، لربما أكون قد أخطأت))[2] ، في أثناء وجوده في(لندن) أخبره (صادق البصام) بوفاة (عبد الرزاق شمسة)، وفراغ المقعد النيابي عن محافظة (كربلاء) و(النجف) ودعوته لي وعلى لسان (عبد الإله)، إلى أن أكون في مكانه[3] وبعد عودته أصبح نائبا على (كربلاء) بالتزكية، وخلال ساعة واحدة. وكان لا بد من رد الجميل إلى صاحب الجميل، وقد استغل زيارة رئيس جمهورية لبنان (بشارة الخوري) إلى بغداد عام (1947) ؛ ليتخذ منها مدخلا لمدح (عبد الإله) في قصيدة (ناغيت لبنان)، وفيها يقول:

عبدَ الإلهْ وليس عاباً أنْ أرى   عِظَمَ المقامِ مُطوّلا فأطيلا
كرُمت ضيفَك يستشيرُ جلالَه   نُطقاً، ويدفعُ قائلاً ليقولا
يا ابنَ الذين تنزّلتْ ببيوتِهم   سُورُ الكتابِ، فرُتِّلتْ ترتيلا
الحاملين مِن الأمانةِ ثُقلَها   لا مُصعِرينَ ولا أصاغِرَ مِيلا
والناصبين بيوتَهم، وقبورهم   للسائلين عن الكرامِ دليلا
والطامسينَ من الجهالةِ غَيْهَباً   والمُطلِعين من النُهى قِنديلا
ملكوا البلادَ عروشَها وقصورَها   واستعذبوا وَعثَ التراب مقيلا[4]

ومن غريب القول ما يذكره الدكتور:(الاعرجي)، من أن الشاعر لم يقصد مدح (عبد الإله)، إذ إنّه كلما تقرب إلى مدحه هرب إلى مديح (أهل البيت) وأنّ مفهوم المخالفة – كما يقول أهل المنطق- يعني أنّ (عبد الإله) ليس فيه من جلال يستثيره؛ فيقول فيه. أما قول الشاعر فيه، أن قاد (السفينة حين شق مقادها)، فان ذلك لم يكن منه إلا انسجاما مع إعجابه

---

(1) المصدر نفسه: 1 : 456.

(2) المصدر نفسه: 1 : 457.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 458.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 497 ، والديوان: 3: 245.

بانتصارات (الاتحاد السوفييتي) على النازية، فقد كان عبد الإله -والحرب الثانية في عنفوانها- هو الذي استطاع أن يقضي على حركة (رشيد عالي الكيلاني)، ويعضد (الاعرجي) حجته أن الجواهري قد استخدم صيغ الأمر مع (عبد الإله) وأنّ نبرة الأمر نابعة من إحساسه بالندية[1]، كما في قوله:

قُــــلْ لأولاءِ الــــذين استــــأثروا بالملــــذّاتِ وبالحُــــكْم ارتجــــالا

قــلْ لهــم لــستُم رِفاقــي فانفــروا إنّ هــذا الــشعب لا يبغــي محــالا[2]

أما قول الدكتور:(الاعرجي) بأنّ الأمر يدل على النديّة في القصيدة، فهو قول فيه نظر، لأنّ القرائن تدل على غير ذلك، ولعل أهمها أن الأمر إذا كان الخطاب فيه من الأدنى إلى الأعلى، فإنّه يدل على الدعاء لا الطلب، ومن المعلوم بالضرورة أن مقام المادح أقل منزلة من الممدوح، وهو ما يخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ثم أنّ القصيدة نظمت عقيب إسناد (الوصي) مقعد المجلس النيابي للشاعر، فكانت القصيدة ثمنا لما قبضه الشاعر، ومن ثمّ أن الوقائع التاريخية تذكر أن الرجلين في المرحلة تلك تحديدا، كانا على وفاق تام، بلغ مرحلة أن يطلع (الوصي) الشاعر في (لندن) على مسودة اتفاقية (بورتسموث) قبل أن يطلع عليها أحد من رجالات الدولة، ثم أن الممدوح لم يكن على درجة من الغباء، بأنْ يخلع أغلى وسام ملكي على شاعر يتهرب من مدحه. يذكر الجواهري في مذكراته((أنّ عبد الإله انتزع من عنق رئيس الديوان الملكي آنذاك (تحسين قدوري) وسام الرافدين المذهّب ليخلعه عليّ.))[3] ويعلق د.(جليل عطية) على تلك القصيدة قائلا: ((فلقد عرج فيها إلى الأمير (عبد الإله) والأسرة الهاشمية، وقال فيها ما لم يقله (العكوك) في الأمير أبي دلف العجلي))[4] أما قول الدكتور (الاعرجي) أن (عبد الإله) ليس فيه من جلال يستثيره؛ فيقول فيه. وهو قول لا نراه

(1) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 172 ، 173.

(2) نفسه.

(3) مذكراتي: 1 : 479.

(4) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 68.

أيضا؛ لأنه اجتزأ القصيدة فأورد منها أبياتا وأهمل أخرى؛ لأنها محتوية على مديح صريح وفصيح بحق (الوصي) حيث يقول:

يـا ابـنَ الـنبيِّ وللمُلـوكِ رسالـةٌ ... مَـن حقِّهـا بالعـدلِ كـان رسُـولا
يَرجـو العـراقُ بظِـلِّ رايـةِ فيـصلٍ ... أنْ يرتـقي بكمـا الـذُّرَى ويطُـولا
لا شـكَّ أنَّ وديعـةً مرمـوقـةً ... عَـزَّ الكفيـلُ لـها فكُنـتَ كفيـلا
ألقـتْ عـلى كـتِفَيك مِـن رَحَمَاتِهـا ... عبئـاً تنـوءُ بـه الرِّجـالُ ثقيـلا
شـدَّتْ عُروقَـك مـن كـرائمِ هاشـمٍ ... بيـضٌ نَمَـيْن خديجـةً وبتـولا
وحنَـتْ عليـك مِـن الجُـدودِ ذؤابـةٌ ... رعَـتِ الحسينَ، وجعـفراً وعقيـلا
إنّ العـراقَ يُجَـلُّ بيعـةَ هاشـمٍ ... مـن عهـدِ جـدِّك بالقـرون الأولى (1)

وليس هذا حسب، وإنما ذهب الجواهري إلى أبعد من ذلك في إطراء(عبد الإله) فقد مدحه يوم انتهاء وصايته، وتسليمه السلطات الدستورية إلى الملك (فيصل الثاني) في (2) أيار(مايو)1953 فقال:

عبـد الإلـهِ وفي المكـارمِ شِركـةٌ ... شاركـتَ في خِـصلِ المليـكِ الأوحـد
يـا ابـنَ الهواشـمِ حـرّة عـن حـرّةٍ ... وابـنَ الـخلائفِ أصيداً عـن أصيد
عـشرٌ وخمـسٌ أيِّـداتٌ أختهـا ... بمِـراسِ مرهـوبِ الـشكيمَة أيّـد
للهِ بأسُـك إذ تُعالـجُ بأسَهَـا ... لا بالكليـلِ شبَـا ولا بـمزنـد
وإذا الخطـوبُ تهـمّ مـنك لغفـلةٍ ... فتحيـدعن ذي مـرّة مستحـصد
إنْ تـدج غاشـيةٌ تـشعّ وإنْ يـ ... حبـلٌ تـشدّ وإنْ تحـارب تـصمد (2)

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 497.

(2) الأبيات منقولة من كتاب (الجواهري شاعر من القرن العشرين): 67، لأني لم اعثر عليها في أعماله. ويذكر الدكتور(جليل عطية) : ((كان الجواهري الذي عاش وعايش ما حل في العراق والعراقيين، منذ انتهاء الحقبة الملكية في تموز (يوليو) 1958 شعر أنه لم يف الأسرة الهاشمية حقها، فأعاد النظر في لاميته المحجلة وألقاها بين يدي (الملك حسين) فقال:

فكما مدح الجواهري (عبد الإله) في مواقف معينة، فقد ذمّه في مواقف أخرى ((لأنّ العلاقة بين الشاعر والأمير عبد الإله تراوحت بين الدفء والبرود والجفاء حسب الوضع السياسي ومزاج الشاعر.))[1] على الرغم من اعترافه بأنّه (وطني)، غير أنّ ذلك لم يكن ليشفع له عند الجواهري، فقد ذم الجواهري (الوصي) وحكومته في قصيدته: (طرطرا)، يوم أن تعاون (مصطفى العمري) وشريكه (صالح جبر) على إغلاق جريدته[2]، فضلا عن أسباب سلبية أخرى، آلمت الشاعر، كالتزلف للمسؤولين والتكبر على البسطاء والفقراء، والركض وراء الألقاب، وشراء المناصب، وبيع الضمائر، لاسيما تلك التي فعلها (صالح جبر) بأنْ تزوج على زوجته الأولى ابنة أحد شيوخ الإقطاع، لمآرب أخرى بعيدة عن القيم والأعراف[3]. فنتيجة كل تلك الأسباب، قال الجواهري:

أي طرطرا تطرطري ... تقدّمي تأخّري
تشيّعي تسنّني ... تهوّدي تنصّري
تكرّدي تعرّبي ... تهاتري بالعُنصر
وأنتِ إنْ لم تجدي ... أباً حميدَ الأثر
ومَفخراً من الجدو ... دِ طيِّبَ المُنحَدر
ولم تُرَيْ في النفسِ ما ... يُغنيكِ أنْ تَفتَخري
تزيّدي تزبّدي ... تعَنْزي تشمّري
لِمَن؟ !! أللناس!! وهم ... حثالةٌ في سَقَر
عبيدُ أجدادِكِ من ... رقٍّ ومِن مُستأجر

يا سيدي أسعفْ فميَ ليقولا ... في عيدِ مولدِكِ الجميلِ جميلا
يا أيّها الملكُ الأجلُّ مكانةً ... بين الملوك ويا أعزُّ قبيلا
يا ابنَ الهواشمِ من قريشٍ أسلفوا ... جيلاً بمدرجةِ الفَخار فَجيلا

ينظر الأعمال الكاملة: 7 : 1116.

(1) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 67.

(2) ينظر: مذكراتي: 1 : 433.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

لمن؟!! اللتاريخ؟!!وهـ ـو في يدِ المُخبِّر
مُسخَّرٌ طَوعَ بنانِ الحاكمِ والمُستَحر
بدِرهَمٍ تُقلِّبُ الـ حالَ يدُ المُحَرِّر
إنَّ أخا طَرْطَرَ مِن كلُّ المَقاييس بَري
أي طرطرا تطرطري وهلّلي وكبّري
وطبِّلي لكلِّ ما يُخزي الفَتى وزمِّري
والبسي الغبيَّ والأ حمقَ ثوبَ عبقري
وأفرغِي على المخا نيثِ دروعَ عنتر
إنْ قيلَ إنَّ مَجدَهُم مُزيَّفٌ فأنكري
أو قيلَ إنَّ بَطشَهم من بطشةِ المستعمر
وإنَّ هذا المستعيـ ـر صولة الغضنفر
أهونُ مِن ذُبابةٍ في مُسْتحمٍّ قذِر
فهي تطيرُ حُرَّةً جناحُها لم يُعَر
وذاك لو لم يستعِرْ جناحَه لم يطِرِ[1]

يقول الدجيلي: ((إنّ هذه القصيدة بالذات ستبقى خالدة خلود تاريخ العراق السياسي الذي مر، إذ هي سجل صادق وحافل بكل ما عليه العهد الملكي من أخطاء وعيوب. ومن سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد حفظها الشعب العراقي حتى أصبحت مضرب الأمثال))[2] .ويقول الجواهري:((وقد تهافت باعة الجرائد على مقر(الرأي العام) تهافتا وصل إلى حد اضطرار حرس المطبعة لغلق أبوابها...ولشدة الإقبال بيعت بعض النسخ منها بدينار، أي بألف فلس بدلا من عشرة))[3] ولم تكن القصيدة مقصورة في هجائها على شخصية(العمري) و(جبر) واتباعهما وإنما كان يقصد بها الجميع، بما فيهم(عبد الإله) يقول

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 439.
(2) الجواهري شاعر العربية: 50.
(3) مذكراتي: 1 : 436.

الجواهري:((إنّ قصيدة (طرطرا) تضرب الصميم من الوضع القائم في العراق، و(عبد الإله) هو في الصميم منها، في القمة من هذا كله))[1] ولشدة وقع القصيدة على نفس(عبد الإله) كان يدّعي، بأنّه ليس ضمن دائرة من هجاهم الجواهري، وإنما المشكلة بين الجواهري والوزراء[2]، ولعل هذه القصيدة قد تكون أحد الأسباب الدافعة للوصي إلى ترشيح الجواهري للمجلس النيابي، بهدف إسكاته واتقاء شره، وفي الوقت نفسه كان الوصي من أشد المعجبين بالقصيدة يقول الجواهري:((وهو أن تلك القصيدة بما خلفته من خلفيات مريرة لدى كل الحاكمين، والمسؤولين وليس للعمري وصالح جبر حسب كانت إلى جانب ذلك، بل ومن قبيل التناقضات، مَدعاة إعجاب واستحسان تجاوزا حدودهما المألوفة من قبل(عبد الإله) لتوافقها مع ما كان يحمله في طيات نفسه من استخفاف وازدراء بالأكثرية الساحقة من هؤلاء المسؤولين. وفهمت بعدها، انه شغف بالقصيدة بحيث كان العدد الذي يحتويها لا يفارقه، حتى وهو في سفراته، وكان إذا تنازع مع ساسته، يقول لهم: أتسكتون أم أجئ لكم بطرطرا))[3] .

والحقيقة التي يمكن قولها أنّ عنوان القصيدة وحده، يصلح أن يكون قصيدة متكاملة، لما يختزله من مضامين معبرة عن حقيقة الواقع المعاش. يقول الدكتور (السامرائي) ((إنّ كلمة (طرطرا) هذه فصحها الشاعر، وهي من عامية العراقيين، تعني ما هو مضطرب، سيئ بعيد عن السمت المعروف في الهيئة والنظم.))[4]وهذا الذي حدث، وذلك بعد انتصار القوى الوطنية على الفاشية، انتقل الحكم إلى يد عميل حوّل أرض العراق وسماءه إلى جحيم، فأصبح الواقع (طرطرا)، والجمهور فهم تلك المفارقة، فبدلا من أن تكلل جهود الوطنيين، إلى تأسيس دولة، يحكمها العدل والإنصاف، تحوّل العراق وبشكل مفاجئ إلى دولة شبه إقطاعية، شبه رأسمالية.

---

(1) نفسه: 1 : 435.

(2) ينظر: نفسه: 1 : 448.

(3) نفسه.

ومن الغريب أن يبعث الوصي في أثناء وجوده في(لندن) أحد مرافقيه إلى العراق ليأتيه بالقصيدة المذكورة: مذكراتي: 1 : 472.

(4) مع الجواهري والحديث ذو شجون: د. إبراهيم السامرائي: 349. في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

فغدا الواقع التأريخي (طرطرة) بالغة القسوة ليس لفاجعتها وقسوتها حد. ومن ثم...كانت هذه القصيدة في طرطرتها.[1]

واستمر الجواهري-كما هو دأبه- يشن الحملة تلو الحملة على رمز العراق، لا سيما بعد استشهاد أخيه (جعفر) فقد تحول بكله إلى مصاف الشعب، لقد أدرك الجواهري خطأ معادلته السابقة، التي كانت قائمة على إرضاء(البلاط) والشعب معا[2]، لذا نجد أن قصائد العقد (الخمسيني) تمتاز بقسوة الهجوم على رموز السلطة باستثناء قصيدة يوم تتويج الملك (فيصل الثاني) عام:(1953) وبناء على ذلك أن (عبد الإله)يدخل ضمن عموم قصائد الجواهري الهجائية في تلك المرحلة، على وفق القاعدة القائلة: إنّ العموم يؤخذ على عمومه، ما لم يقم دليل على تخصيصه، ومن قصائد العموم في حقه (تنويمة الجياع)[3] و(ما تشاءون)[4] و(كما يستكلب الذيب)[5] و(يا أم عوف)[6] و(أطبق دجى)[7]. يقول الجواهري:((وفي هذه الدار نفسها، وتحت الظلال السوداء من ذلك الجو الرهيب كانت قصائدي الثلاث الشهيرات[8] ... ويذكر التاريخ ومن عاشه ما كان لهذه القصائد (الثلاث) من زعزعة للنفوس وإثارة للأعصاب بين الجماهير...فمن يصدق أن تنشر هذه القصائد الثلاث بمثل ما ينشر من أمثالها في جو معاكس ومناقض أيضا...حقا وصدقا لقد كان ذلك هو العهد الغابر وهو النظام الملكي الجائر، كما كنا نتحدث عنه، بل ونلطمه في وجهه))[9]. أما تخصيص الجواهري لعمومه، فنجده في قصيدة: (في مؤتمر المحامين) فبعد أن يتهجم على النظام الملكي يخص (عبد الإله) و(نوري السعيد) بالذّم، كما في قوله:

---

(1) ينظر: تطبيقات نقدية : 7.
(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 66.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 610.
(4) الأعمال الكاملة: 4 : 634.
(5) الأعمال الكاملة: 4 : 649.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 664.
(7) الأعمال الكاملة: 4 : 567.
(8) ويقصد: (أطبق دجى) و(تنويمة الجياع) و(وما تشاءون).
(9) مذكراتي: 2 : 70، 71.

وخفَّـت ‹لـلنـدن› تلـك اللـصو ص تقمَّـص ثـوبَ الدُجَـى العاكـر
تحـوكُ برغـمِ أنـوفِ البـلاد نـسيج الهـلاك لـهـا الـدامـر[1]

يقول الجواهري ((إنّه كان في الأسبوع نفسه الذي كان الأمير (عبد الإله) وحاشيته المقربة، وفي المقدمة منهم (نوري السعيد) قد سافروا إلى (لندن) وقد نشر وأذيع هذا النبأ..))[2]، وقد أقامت الحكومة العراقية الدعوى على الشاعر، وعلى مدير الجريدة المسؤول (عبد الرزاق الشيخلي)، وقد تطوع أكثر من (عشرين) محاميا للدفاع عنهما، وقد أفرجت المحكمة عن الشاعر، والمدير المسؤول، بعد أن حكّمت (ثلاثة) من شعراء العراق في تفسير القصيدة[3]، وظل الجواهري على هذا المنوال في قصائده، حتى يوم سقوط النظام الملكي عام:(1958) وكان المستهدف الأول في قصائده هو (عبد الإله) لأنه كان هو الحاكم الفعلي للبلاد، حتى بعد تتويج (فيصل الثاني) الذي لم يكن يملك من الملكية إلا اسمها، ومن البلاط إلا رسمه.

نوري السعيد

يعد (نوري السعيد) من أكثر الشخصيات السياسية، إثارة في تاريخ العراق الحديث، وذلك لما يتمتع به من خصال، جعلت منه محطّ إعجاب الأنصار والخصوم على السواء، بغض النظر عما قيل بشأنه إن كان عميلا أو لم يكن كذلك.

ولعل تلك الشخصية القوية هي التي أسرت (المس بل)، التي قالت عنه، ((ففي اللحظة التي رأيته فيها...أدركت أننا نواجه طاقة قوية ومرنة، وأنّ علينا إمّا أن نتعاون معه، أو أن ندخل معه في صراع شاق جدا للانتصار عليه.))[4] والظاهر أنّ المسؤولين البريطانيين أصغوا إلى هذه النصيحة، فاستغلوا هذه القوة لصالحهم، فأصبح (نوري السعيد) رجل بريطانيا القوي[5]. فكان شديد الإخلاص للسياسة الاستعمارية، إذ نجد أن الدكتور(فاضل حسين)

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 623.

(2) مذكراتي: 2 : 73.

(3) ينظر: نفسه. وينظر: هامش الأعمال الكاملة: 4 : 616.

(4) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 39.

(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 638.

يتحدث عنه، ويقول: ((ثقته ببريطانيا وقناعته بأنّ سلامة العراق، لا يمكن ضمانها إلا مع حليف قوي وإصراره على هذه السياسة على الرغم من قيام أكثر من دليل على عقم هذه السياسة))[1] وتحدث آخرون عن(نوري السعيد) وماضيه، وكيف أن الانكليز هم الذين صنعوا منه ذلك السياسي البارز، ومن أجل ذلك ظل وفيا لهم طوال عمره، وربط مصيره بمصير بريطانيا[2]. ووصفه آخرون بأنّه كان انكليزيا أكثر من الانكليز أنفسهم[3]. فهو قد نسي مصلحة البلاد، وحقوق الجماهير، مما جعله يستهين بالشعب[4]، فكان استبداديا قضى خلال مدة حكمه على كل نشاط سياسي[5]. فيعزا إليه كل ما أصاب العراق، من أضرار في عقده لمعاهداته، وأنّه كان وراء وفاة الملك (فيصل) ومقتل (غازي) كما مرّ، كما أنّه حرّض على إعدام قادة حركة (مايس)، وأنّه كان مع السياسة البريطانية، التي تحالفت مع(الشيوعيين) في أثناء الحرب العالمية لمحاربة كل ما يمت الى العروبة، ونسب إليه علمه في المخططات الأمريكية والانكليزية لإقامة (إسرائيل) سنة (1948)، واتهم بأنه كان وراء عدم قيام الدولة العربية الفلسطينية[6]، وأنّه كان على علم مسبق بالعدوان الثلاثي على مصر[7]. ونتيجة لتلك الخدمات الجليلة التي أسداها لهم (نوري السعيد)كانت شهادة (المس بل) القائلة:((إني لا أحب أحدا من بين جميع العراقيين- من الملك فنازلا – مثلما أحبّ نوري..فهو قادر أن يفهم من نصف كلمة..أنّ ثقته المطلقة باستقامتنا وحكمتنا تجعلني أحمر خجلا على الدوام))[8].

---

(1) سقوط النظام الملكي في العراق: 38.

(2) ينظر: ماذا جرى في الشرق الأوسط: ناصر الدين النشاشيبي: 23 ،المكتب التجاري،بيروت،1961.

(3) ينظر: الانحراف القومي في العراق: عدنان الراوي: 71 ، القاهرة،1958.

(4) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 21.

(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 164.

(6) ينظر: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين: خليل إبراهيم حسين: 54 ، دار الحرية للطباعة بغداد 1988.

(7) ينظر: ميثاق بغداد، حقائق يبسطها مجلس العموم البريطاني: 155 ، ترجمة حسن الدجيلي، مطبعة الرابطة بغداد1956.

(8) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 179.

إنّ الحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن (نوري السعيد)، كان ينفّذ كل ما يسند إليه بدقة متناهية، سواء كان في رأس الوزارة أو لم يكن، وهذا ما يفسر سر ديمومته وبقائه في السلطة وبشكل فعّال، منذ تأسيس المملكة حتى سقوطها.

يقول ولدمار غلمن: ((إنّ وفاته كانت خسارة لم يقدرها الغرب))[1] ولا نجافي الحقيقة اذا قلنا بأنّ (نوري السعيد) كان عنوانا للظلم والتعسف والعمالة وسجلا مملوءا بالسجون والمعتقلات، واضطهاده لكل فكر حر ومطاردته للأفكار التحررية والوطنية، يعزو الجواهري استبداد (نوري السعيد) إلى طبعه ومزاجه وتدريبه العسكري، في مرحلة الرجولة، والى تجاربه السياسية في العشرينات[2].

رحلة الجواهري مع نوري السعيد

إنّ معرفة الجواهري بـ (نوري السعيد) ترجع إلى أيام وجوده في (البلاط) إلاّ أنها كانت معرفة شكلية، لا تتجاوز إطار العلاقات العامة، ولكن بعد استقالة الجواهري من (البلاط) في بداية (الثلاثينات)، حيث توطدت علاقة الشاعر به بعد أن تنازعه أكثر من طرف؛ ليكون من حصته. إذ كان الصراع على (الجواهري) بين (ياسين الهاشمي) و(نوري السعيد) على أشده، إذ يريده (نوري السعيد) وسيلة لتحقيق مآربه، وتنفيذ سياساته، من خلال صحيفة (الفرات) التي ترأسها الجواهري، ويريده (الهاشمي) إلى جانبه لكونه يرى فيه مصارعا جيدا قادرا على لجم خصومه[3] يقول الجواهري:((التفت إلى(الهاشمي) قائلا وهو يشير بيده إلى (نوري السعيد) (مهدي لا يخدعك) وأردفها بغمزة ذات دلالة، واضطرب (نوري السعيد)، ولم تجد هذه النصيحة الثانية من أشد رجال الدولة قوة وشخصية مدخلا إلى نفسي))[4] وأصبح الجواهري

---

(1) عراق نوري السعيد: ولدمار غلمن: 363. مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت: 1965.

(2) ينظر: مذكراتي: 2 : 164.

(3) ينظَر: مذكراتي: 1 : 245.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

يقول الجواهري: ((للتاريخ أقول من هنا بدأ مسعى وضع اليد علي، من هذا، وذلك وبخاصة من (ياسين الهاشمي) و(نوري السعيد) و(عبد المحسن السعدون)، وكانت الرغبة وراء ذلك، إحاطة هذا الشاب الجديد المتحضر بالرعاية، كان(نوري السعيد) أولهم واسبقهم، لكن(الهاشمي) ظل يعطي الشاهد بعد الأخر على أن يكون السباق في ذلك)) مذكراتي: 1 : 203.

من حصة (نوري السعيد) مسؤولا عن جريدته (الفرات) وأصبح يدخل عليه من دون استئذان، للتداول بشأن أمور الجريدة، ليجد الجواهري نفسه في نهاية المطاف بأنه أحد المقربين من (نوري السعيد) ومن وزير داخليته(جميل المدفعي) ونتيجة لهذه العلاقة، فقد مدح الجواهري (نوري السعيد) بقصيدتين هما:(الزعيم نوري)[1] و(لتكن حازمة)[2].

وقد أشار الدكتور (إبراهيم السامرائي) إلى إحدى القصيدتين بقوله: ((لم نجد مثلا - ولا أريد الحصر- قصيدة عامرة ذات أداء فني جواهري، مثل تلك التي قيلت في (نوري السعيد)، وقد كان مطلعها عامرا بقوله:

لقد أزمت وأنت بها حفيّ.......

وما زلت اذكر منها قوله:

ولم تلهبْ مع الأشجانِ نفسي فتُوريها لما التهب السرويّ[3]

وقد قدم لها بقوله ((نظمت هذه القصيدة على إثر تولي (نوري السعيد) مقاليد الحكم عام (1930). وقد أوحاها إليه ما عرف به نوري السعيد الرئيس الجديد من ماضيه الزاهر وتفانيه في خدمة القضية العربية عامة والقطر العراقي بصورة خاصة. وما يتمناه على يديه من تقدم محسوس في قضية البلاد، وتحسن مستمر في موقفها الدقيق))[4]. وقد استنكر كثيرون على الجواهري فعلته تلك، فقد وصفت جريدة العراق بأنّ مدح الجواهري لخائن العراق، يدخل في باب النفاق الشعري[5]، كما استغرب الدكتور: (علي عباس علوان) أن يكون الجواهري مادحا لمن عرف بعدائه لآمال الشعب وحرياته كـ (نوري السعيد)، الذي خصه الشاعر بقصيدتين اشتهرتا في العراق، وينبع هذا النوع من الشعر نتيجة الحالة النفسية المضطربة للشاعر[6]، يعزو (خلدون جاويد) مدائح الجواهري في (نوري السعيد) إلى صراعه الداخلي أيضا، والى

---

(1) الديوان: 259.

(2) الديوان: 210.

(3) مع الجواهري والحديث ذو شجون: 350، ضمن كتاب (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

يبدو أن الجواهري قد حذف القصائد التي مدح فيها (نوري السعيد) من ديوانه فيما بعد.

(4) جريدة العراق: العدد(3041) 7 نيسان(1930)، وهي غير منشورة في الديوان.

(5) تنظر: جريدة العراق العدد(3041) 7 نيسان. وينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 227.

(6) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 274.

أيضا، والى اغترابه[1]. لم يدم ذلك السقوط الشعري طويلا، فإنه وكعادته انقلب الجواهري فجأة من صديق حميم لـ (نوري السعيد) إلى عدو لدود، لا سيما بعدما علم بأنّ (نوري السعيد) كان يستغل صحافته لتمرير أهدافه الاستعمارية المشبوهة، فلم يستطع الجواهري أن يوطن نفسه على ذلك، فانقلب في طرفة عين إلى معارض للحكومة، بعد نشره مقال ضد وزارة المعارف بعنوان: ((إن كنت كذوبا فكن ذكورا)) فاغلقت الصحيفة[2]. وازداد الجواهري حنقا على (نوري السعيد) عندما شعر بتخليه عنه في محنته، وبينما يتميز الجواهري غيظا إذ مر به (نوري السعيد) في البلاط مرحبا به، فكان جوابه له الطعن والشتيمة. يذكر الجواهري في مذكراته قائلا: ((قصدت البلاط الملكي، وأنا مثقل بقصة (مزاحم) هذه، لأزور أترابي في دائرة التشريفات، وكنت صاعدا الدرج وكان (نوري) نازلا منه. وشاء سوء حظه، قبل أن يكون من سوء حظي، أن يبادرني في ساعة غضبي وحراجة موقفي، ليقول لي باللغة الدارجة ما معناه بالفصحى:مرحبا يا فلان كيف الحال.

فلم يكن الجواب إلا ((....ويسألني الغدار عن الحال! لو كان للخشبة أن تنطق لنطق (نوري السعيد) مثلها وعوضت عن ذلك، نظرة مدهوشة، وفم فاغر))[3] إنه ذاته الذي يوجه الكلمات الحادة إلى (نوري السعيد): (أيها الغدار)...إنّه فظ مع أعدائه[4]. وعلى الرغم من كل ذلك، فقد صادفه (نوري السعيد) في شارع (أبي نواس) وسلمه (300) روبيه، ووقتها كان الجواهري لا يملك درهما واحدا[5] غير أنّ ذلك لم يسكت الجواهري، حيث صعّد من لهجته،

---

(1) لماذا هجوت الجواهري: 30.

يقول جاويد: ((يشخص في ذهني الآن وجه صديق والدي (عوني الجميلي)، الذي قرأ لنا مقاطع كثيرة من مدائح الجواهري (لنوري السعيد)...لكنني للأسف لم أجد لها مكانا في ذكرياته.. شاعرنا يحجب ما يشاء بغير حساب،ويثبت ما يحافظ على الاعتبار الشخصي.))المصدر نفسه والصفحة.

(2) ينظر الجواهري صحفيا: 199. وينظر: مذكراتي: 1 : 245 ،246، 247.

هناك حقيقة أخرى ينبغي ذكرها. وهي أن الجواهري كان في الوقت الذي يمدح فيه الحكومة في جريدته (الفرات) كان يهاجمها في الوقت نفسه بقصائد أخرى مثل (سلمى على المسرح)، وفيها يدعو على الحكومة بالحرق لا سيما (نوري السعيد). مذكراتي: 1 : 250.

(3) مذكراتي: 1 : 276.

(4) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 12.

(5) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 70.

لمجته، فكتب عدة مقالات، يتهم فيها (نوري السعيد) بمؤامرة تهجير يهود العراق، بهدف تقوية دولة (إسرائيل)[1]، وفي حفلة (أم كلثوم) تغافل الجواهري عن (نوري السعيد) بعدما أومأ إليه أكثر من مرة للمشاركة ولو بأبيات معدودة، ولكنه رفض ما طلب إليه بشكل لائق[2]، كما مر في الفصل السابق في حديثنا عن (علاقة الجواهري بعبد الإله). وفي قصيدة: (في مؤتمر المحامين) يتقصد الجواهري (نوري السعيد) وآخرين فينال منهم، وينعتهم بأنهم ذيول المستعمر ولصوص وفيها يقول:

وأنّا خُصِصْنا من الخائنين ... بالعددِ الأرذلِ الوافر

تُريكُم يدَ الغاصبِ المُختفي ... وراءَ يدِ الخائنِ السافر

أقولُ: وقد لاحَ غولُ البلاءِ ... يُفرجُ عن شِدقه الكاشر

وخفَّتْ لَلندنْ شرّ اللصو ... ص تلبسُ ثوبَ الدُجى العاكر

وراحتْ تسيلُ بالعابها ... لُعابَ الأفاعي يدُ الساحر

وذرَّتْ قُرونٌ لِمستعبَدٍ ... بنعرةِ سيِّدِهِ ناعر

إلى كمْ تُداري شيوخُ العراقِ ... وأقطابُ محورِه الدائر

عُجُولاً تربَّى لمستعمرٍ ... ويلعنُ في عِجلِه السامري[3]

ويقصد بـ (شر اللصوص) (نوري السعيد)[4]. وفي قصيدة: (ذكرى أبو التمن) عرّى الجواهري الحكام، وقد هرب نوري السعيد من الحفل[5]، وقامت قيامة الحاضرين عندما علموا بأمر إلقاء القبض عليه، ولكنه ألغي نزولا على حب الجماهير للجواهري[6]، وفيها يقول الجواهري:

---

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 79، 80.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 442 -445.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 617.

(4) ينظر: الاعمال الكاملة: 3 : 623.(الهامش)

(5) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 69، 70.

(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 422، 423، 424.

خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنَّها ... بشخوصِها خبرٌ من الأخبار
ضِقْنا بها ضِيقَ السجينِ بقَيْدِهِ ... من فرطِ ما حملَتْ مِن الأوزار
مَن كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمْره ... حُكمٌ أُقيمَ على أساسٍ هاري؟!
ومن الفظاعةِ أن يُمَدَّ رعيةً ... في ظلِّ دستورٍ لها وشِعار
ما يطلبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ ... إسداء عارفةٍ وفكُّ إسار[1]

يقول الجواهري: ((في القصيدة قلت ما لا يقال ولا يطاق، قلت فيها ما لم يقله (موسى) في (فرعون) ....وأنّ القصيدة قد نشرت في أكثر من (خمس) صحف، ثم طلب د.(طه حسين) القصيدة قائلا:((هو أني أريد بها أن أجعل الحاكمين الضيقي الأفق، والمحدودي المعرفة في كل بلد عربي، يعرفون متى يأتي دورهم.!))[2]، وقد اختفى الجواهري لساعات معدودة بعد إلقائه القصيدة في منزل صديقه (سعد صالح) ولكنه غادر المنزل متحديا رجالات السلطة، ليذهب إلى جريدته (الرأي العام)[3]، ولعلها هي القصيدة نفسها التي اتصل على إثرها (نوري السعيد) بالجواهري هاتفيا، ليعلن إعجابه بها.

نقل الدكتور (غسان الرفاعي) :((أن الجواهري قد أنشد قصيدة في العراق أيام (نوري السعيد)، نال (نوري السعيد) نصيبه منها. أطلقت المظاهرات ورددها المتظاهرون وسقط قتلى وجرحى، فاختفى في بيت صديق له. بعد أيام[4] اتصل رجل به بالهاتف. طلبه بالاسم الذي تنكّر به. وقال له::أنا نوري السعيد! استطيع أن أشنقك أم لا؟ رد:تستطيع! سأله:استطيع أن أذبحك؟ رد:تستطيع! قال له: لكن يا ملعون (خوش) قصيدة، خوش قصيدة))[5]أي أنها قصيدة جيدة.

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(2) مذكراتي: 1 : 426.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 425.

(4) هناك اختلاف واضح بين الروايتين، فقد ذكر الجواهري في مذكراته وكما أسلفت انه لم يمكث في دار (سعد صالح) سوى سويعات، ثم غادرها، بينما رواية (الرفاعي) تقول أن الجواهري قد اختفى لدى صديقه أياما معدودة، ولعلها من زيادات الدكتور(الرافعي).

(5) آخر العمالقة: نادية خوست: 34. في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

((تذوق قليل من السياسيين شعر أعدائهم. فقال أحد وزراء الداخلية التركية عن (ناظم حكمت) أدنى مما قاله (نوري السعيد) عن الجواهري: اقتله كوزير داخلية، وابكي عليه شاعرا)).المصدر نفسه والصفحة.

وقد تعرض الجواهري لمضايقات كثيرة أيام حكم(نوري السعيد)، فقد خضع للتحقيق أكثر من مرة[1]، وسجن لمرات عدة كذلك، مما اضطره إلى أن يغادر العراق إلى مصر، وقد أعلن(طه حسين)عام (1951)بات الجواهري ضيفا على الحكومة المصرية[2]، ليهدم بذلك جسور العودة إلى العراق، وأنّه سيتابع نضاله ضد فساد الحكم كعادته من خارج البلاد[3]، وقد ترك بذلك فراغا واضحا على الساحة الأدبية في العراق، مما حدا بـ(خيري الهنداوي)بأن يعاتب(نوري السعيد)على رحيل الجواهري قائلا:

فهل أنتَ راضٍ أنْ يُهاجرَ شاعرٌ	وينأى أديبٌ أو يجوعَ نبيل
مضى الشيخُ مهديٌّ إلى مصرَ لاجئاً	وفي مصرَ حاشا أن يُضامَ نزيل
لقد ضاع في بغداد حتى كأنّه	غريبٌ بأرضِ الرافدينِ دخيل
لك اللهُ يا مهديُّ في القُربِ والنَّوى	فأنتَ وإنْ لم تُلقِني لخَليل[4]

ثم عاد إلى العراق، وغادره مجددا عام (1954) إلى دمشق، وقد منح حق اللجوء السياسي فيها[5]، وكان ذلك في زمن (نوري السعيد) أيضا، ثم عاد إلى العراق كرة أخرى، ولم تمض سوى مدة وجيزة حتى قامت ثورة (1958).

رحلة الجواهري مع الملك فيصل الثاني

في (2مايس 1953)[6] بلغ (فيصل الثاني) سن الرشد القانوني، وهو تمام (الثامنة عشر) من العمر. وعلى إثر ذلك تم تتويجه ملكا على العراق[7] بعد أن عقد مجلسا النواب والأعيان جلسة مشتركة في (2) مايس جرى فيها تحليف الملك، وقد أعقب تتويجه استقالة

---

(1) حين التقيته عند المحقق: 189. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(2) الأعمال الكاملة: 8.

(3) الجواهري شخصا كما عرفته: شوقي بغدادي: 158.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(4) خيري الهنداوي حياته وشعره: 205.

(5) تنظر: مجلة الجوهرة عدد(1)2004 بغداد. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 72. والتيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 75. وينظر: مذكراتي: 2 : 149 ،150. وينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 47 ،48. وينظر: الجواهري صحفيا: 212.

(6) ينظر: التطورات السياسي في العراق: 735.

(7) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 27.

وزارة (جميل المدفعي)[1]، بعد أن أوعز إليه من قبل الانكليز بتسليم رئاسة الوزارة إلى (فاضل الجمالي)، تمهيدا لانضمام العراق إلى الميثاق القائم بين تركيا وإيران، الذي أطلق عليه (حلف بغداد)[2] فيما بعد، والحقيقة التي ينبغي ذكرها، وما أجمع عليها الباحثون ((بالرغم من انتهاء عهد الوصاية، وتسلم (فيصل الثاني) لسلطاته الدستورية. إنّ (عبد الإله)، كما دلت الأحداث اللاحقة، استمر الحاكم الفعلي للدولة، واستمرت الأحوال كما كانت عليه في عهد الوصاية، ولم تظهر شخصية الملك ، أو آراؤه السياسية في أي من الأحداث السياسية، حتى قيام ثورة (1958) تموز))[3]، ومهما يكن من قول، فإنّ الجواهري قد عاش تلك الأحداث، وكان في صميمها، بل وفي مقدمة المدعوين لحفل التتويج، على الرغم مما أصابته من ويلات ونوائب، في عهد الوصي (عبد الإله)، حيث استشهد أخوه(جعفر)وقذف هو في غياهب سجن(أبي غريب)عام (1952)، غير أنه لم يتعظ، ليأتي بقدميه مهرولا لمدح الملك(فيصل الثاني) مع علمه المسبق بأن ممدوحه ربيب الاستعمار، يقول:((أقولها زلة وأكثر من زلّة...ذلك لأنني بمحض إرادتي، هرولت مسرعا إلى تلك الهاوية، ولأنني كنت أول العارفين أن هذا الممدوح ربيب مدرسة الاستعمار الانكليزي.))[4] ويروي الجواهري خلجات نفسه قبيل إلقاء قصيدته، ((إذ حاولت أن أغادر القاعة قبل بدء الاحتفال في حين كانوا قد أعلنوا عنّي من أن لي قصيدة. حاولت ثانية... (شكد عظيمة لو خرجت) أوشكت على الخروج مهما حدث، وأنت تعرف ما يترتب على ذلك..أنني جئت والدنيا قائمة، وتعرف بأني سأشترك.كانت نقطة حاسمة ومع الأسف.. قلت لنفسي أخرج ...ولكني لم استطع))[5]، وشرع الجواهري بقراءة قصيدته، وهو يدوس على ضميره، بقول ما لا يؤمن به[6] قائلا:

---

(1) تنظر: جريدة الزمان: العدد(4728) ،(8)مايس 1953.

(2) ينظر: ميثاق بغداد، حقائق يبسطها مجلس العموم البريطاني: 13.

(3) التطورات السياسية في العراق: 736.

(4) مذكراتي: 2 : 122.

(5) حوار مع الجواهري: أجراه معه محمد الجزائري: جريدة الجمهورية(العدد)2485 ،الملحق الأسبوعي: السبت،ت2 ،لسنة: 1975.

(6) ينظر: مذكراتي: 122.

تِـهْ يـا ربيـعُ بزهـرِك العَطِـرِ النـدِيّ   فــالزهرُ تِــبرٌ في المَليــكِ الأمْجــد[1]

واستمر الجواهري مع وخز الضمير بمبالغاته، في حق ممدوحه، لينتفض ضمير (ناظم الزهاوي)، وهو يستمع إليه قائلا: (لا يا جواهري) يقول الجواهري: ((وكانت تلك (اللّا) وأنا في ذروة الصراع مع الذات، قد أشعلت الفتيل المزروع في جسدي، الذي أحاول عبثا أن أغطيه بحفنة من رماد المغالطة، وتراب التبرير، ودارت الأرض بي..وفقدت المقدرة على الموازنة بين ما هو كائن، وبين ما يجب أن يكون))[2] ويعدّها الجواهري بأنها غلطة ارتكبها في حياته قائلا: ((أنا جريء ..الشيء الذي اقتنع به أقوله، ولكن هذه القصيدة أنا غير مقتنع بها وعملتها (سويتها) وهي التي لم تدخل الديوان))[3]، وقد شعر (عبد الإله) بما كان يخفيه الجواهري في نفسه، وقد ابتدره بعد قائلا: ((إنك يا جواهري كنت على غير المعهود منك في إلقائك، وطبيعي وهو الداهية اللعين، أنه كان يتذكر، وعلى سبيل المقارنة بين ما كان مني في إلقائي أثناء تكريم ضيفه الرئيس (بشارة الخوري)، وبين تلعثمي وتعثري في قصيدتي هذه))[4] والفرق واضح جلي، أن القصيدة الأولى كانت من الوجدان، والثانية مغتصبة، وعلى الرغم من كونها كذلك. إنّها قوية السبك عالية الجودة، وقد انتبه الدكتور: (الاعرجي) إلى هذه الناحية، فسأل الجواهري ((كيف استطعت وأنت تكره (فيصل الثاني) كل هذا الكره، أن تجود كل ذلك التجويد في قصيدة تتويجه؟ فقال صحيح أنني أكرهه ، وصحيح أنني نادم على القصيدة، لكن بما أنني نظمتها فكان ينبغي أن تليق بشاعرية الجواهري))[5] وقد روى (فرات) فيما بعد، أن الجواهري قال له بعد إلقاء القصيدة: ((ولدي فرات ...اعتبر أن أباك قد

(1) يقول الجواهري: ((قصيدة التتويج لم تدخل ديواني))، ولم يقتصر حذفها على ديوانه حسب، وإنما تعداه إلى مؤلفاته الأخرى وقد بحثت عنها كثيرا فيما كتبه الجواهري غير أني لم أجد لها أثرا سوى أنني عثرت على بيت يتيم منها لدى كاتبه (خلدون جاويد) في كتابه، لماذا هجوت الجواهري: 63.

(2) مذكراتي : 2 : 123.

(3) جريدة الجمهورية العدد(2485)ت2،لسنة: 1975.

(4) مذكراتي: 2 : 124.

(5) الشاعر والنبوءة: د.محمد حسين الاعرجي: 256.في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل)

مات...))[1] ويعلق (كاتبه) على مقولة فرات هازئا، بأن أباه لم يمت جسديا؛ لأنه نال قطعة أرض جزاء قصيدته على مشارف (علي الغربي)[2] وقد عدها الجواهري مثلمة أخرى في حياته، وندم عليها أيضا، وسماها بـ(غاشية الخنوع) في قصيدته. وهو من مثالياته التي لم يصدقها احد لان واقعه يقرأ عكس ذلك

وعلى إثر تلك القصيدة، هوى الجواهري إلى أسفل المقامات، وأحطّ الدركات، في أعين من كانوا ينظرون إليه بالأمس بأنه حتف الطغاة، وقد استنكرت الأوساط الأدبية والشعبية ذلك على الشاعر الجواهري، وقد كانت الإجابة المرة والمبدعة على لسان احد الشعراء ليعارضه فيها بقوله:

صَهْ يا رقيعُ فمَنْ شفيعُك في غدٍ   فلقد صَدِئْتَ وبانَ معدنُك الردي[3]

ومما يذكر- وكرد فعل سريع- أنّ امرأة عراقية رمقت الجواهري لتراه جالسا في مقهاه المفضل في (الحيدر خانه)، وأعطته مظروفا، وهي بالكاد تمد يدها الطاهرة، من خلال ردن العباءة، مظروفا يحتوي على ورقة نقدية هي دينار عراقي، والى جانب الدينار ورقة خط عليها بيت شعري يقول: (حرية الفكر لا تشرى بدينار) إشارة من هذه المرأة إلى السقوط الشعري المعنوي للجواهري، فالشعر والدينار يعادلان طعنة لا يحتملها قلب فيل!![4]. والحقيقة أن القصيدة التي نظمها الجواهري في الملك (فيصل الثاني) كان يبغي منها إرضاء (الوصي عبدالإله)[5] والقرب منه، طمعا في جاه أو منصب، وكم من مرة سقط الجواهري في دائرة

---

(1) لماذا هجوت الجواهري: 63.

(2) ينظر: نفسه.

وقد أخبر (فرات) الكاتب(خلدون جاويد) بأن أباه مدح الملك (فيصل) تحت طائلة التهديد، وهو قول عارٍ عن الصحة، ذلك لأن الجواهري في أغلب لقاءاته يعترف -وبصريح العبارة – أنها كانت بمحض إرادته دون أي إكراه، وقد استمعت إليه قبل أيام وهو يتحدث في مقابلة (تلفزيونية) حول الموضوع ذاته قائلا للمذيع الذي كان يحاول أن يخفف من وطأة الذكريات الأليمة عليه: ((لا تحاول قد كنت غلطانا في موقفي ذلك دون مبرر، ولن أسامح نفسي ما حييت))

W W W. Saadiah. Com\s\ show writing sdetail. Asp id =

(3) نقلا عن لماذا هجوت الجواهري: 64.

(4) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 63.

(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 124.

المتناقضات، محاولا الجمع بين الإباء والطمع، قائلا: ((أيمكن أن يجتمع الإباء والطمع أجل ممكن لفترة أو أكثر، يشتد الصراع فيها لمن خلق لواحدة منها، ويحاول الانسياق إلى الثانية، صراع قد يقصر أو يطول، ولكن الشيء المفروغ منه أن ينتهي الأمر به إلى ما خلق له منهما.))[1]، فهو منقسم النفس، بين طلاق السلطة، والندم على طلاقها[2].

أوَكُلّما شارَفتَ مِن | آمالِك الغُرُّ الحِسان
ورعتْك ألطافُ العنايةِ | بالرِّفاهِ وبالأمَان
أغرمت بالآهاتِ إغرامَ | الحنيفةِ بالأذان[3]

إذ لم تمض سوى مدة وجيزة على مدحه مليك البلاد، حتى يفاجأ بإيعاز (نوري السعيد) بإغلاق جريدته، بحجة سن قانون جديد للمطبوعات، وأصبح الجواهري بلا مورد، فاضطر إلى أنْ يصبح فلاّحاً في الأرض التي منحت له، وهو غير بعيد عما يلاقيه الشعب من جور متعاقب، ومن تجبر الحاكمين، الذين انقضت أوزارهم الجمة ظهر الشاعر، حيث وزر الإذلال، والتجويع ووزر السجون[4]، التي أنفتحت أبوابها بكل مصاريعها، ووزر الأحكام العرفية، ووزر مضايقات[5] الشاعر، ووزر القصيدة (الهاوية) التي مدح بها الملك، وكان الشاعر يصارع بشعره؛ ليُذهِب الرجس عن نفسه، ويطهر ما علق ببدنه من أدران الماضي، فكانت قصيدة (كفارة وندم)، شاهدة على رد الاعتبار لضميره، الذي كان ينقض عليه ليل نهار، في نومه وصحوه يعذبه بأشد أنواع التعذيب[6] ليعلن أمام الملأ والتاريخ، بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، إذ يقول فيها :

ستبقَى -ويَفْنَى نيزكٌ وشهابُ- | عروقٌ أبيّات الدِّماءِ غِضاب
لِطافٌ كأنفاسِ النَّسيمِ نوافحٌ | كرَياهُ صمٌّ كالصُّخورِ صِلاب

(1) نفسه: 1 : 447. ولماذا هجوت الجواهري: 64.
(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 140.
(3) الديوان: 2 : 327.
(4) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 78.
(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 132.
(6) ينظر: نفسه: 2 : 122.

عَيِيْتُ بِطِبِّ الأحمقينَ وجَهلِهِم | بأنَّ النفوسَ الخَيِّراتِ عِجاب
فهُنَّ إذا ما الأمرُ هانَ أباطحٌ | وهُنَّ إذا ما الجِدُّ جَدَّ هِضاب
وهُنَّ منيفاتٌ لأنَّ هُوِيَّها | بألسُنِهِنَّ يُزدَرى ويعاب
وهُنَّ عظيماتٌ لأنَّ صَريحَها | يئِنُّ أنينَ الكلبِ حين يشاب
أقولُ وقد كلَّ الجوادُ فلم تُجَلْ | مسومةٌ، غالوا بهِنَّ عِراب
ولاح محكٌ للرجالِ فلم يكُنْ | هنالك إلاّ زائفونَ كِذاب
وصوَّحَ قاعُ الطيباتِ وأعولَتْ | عليها من الضِغْنِ الخبيثِ ذِئاب
حنانيك نفسي لا يضيقُ منك جانبٌ | إذا ضاقَ من رُحبِ النفوسِ جِناب
فللَّيثُ اضرى ما يُرى إذ تهيجُه | واقتلُ ما تخشاهُ حين يصاب
ولكنني آسٍ لنهبٍ مُقسَّمٍ | وليس به للصَّالحينَ نِصاب
ومعكوسةٌ حتى كأنَّ خَيارَه | به خطأ...والأرذلون صَواب[1]

وكان هذا أول تحد للملك ورهطه، ثمّ أردف تلك القصيدة بأخرى، وسماها (يا أمّ عوف)، ليقارن بين عالم الطهر الذي تعيشه (أم عوف)، وعالم الرجس الذي هرب الشاعر من أهله، ويقصد بهم الساسة الشياطين، ومن سار على دينهم فيقول:

يا أمَّ عوفٍ عجيباتٌ لَياليِنا | يُدْنين أهواءَنا القُصْوى ويُقصينا
إنّا أتيناكِ من أرضٍ ملائِكُها | بالعُهرِ تُرجِم أو تُرضي الشَياطينا
إنْ لم يَلُحْ شبحٌ للخوفِ يُفزعنا | فيها يَلُحْ شبحٌ للذُّلِ يُصمينا
يا أم عوف أأوهام مُضلِّلَةٌ | أمِ الأساطيرُ يُبدعْنَ الأساطينا
أكُلَّما ابتدعَ الإنسانُ آلهةً | للخيرِ صَيَّرها شرٌّ ثعابينا؟
يا أم عوف سئِمنا عَيشَ حاضرةٍ | تُرْبُ سِقْطين شِرّيرا ومسكينا
وحشٌ وإنْ رَوْض الإنسيُّ جامحَها | قفرٌ وإنْ مُلئتْ ورداً ونسرينا[2]

(1) الأعمال الكاملة : 4 : 659.
(2) الأعمال الكاملة : 4: 672.

وفي المرحلة نفسها كان الجواهري يتسقط أخبار القوم، ويترقب الأوضاع عن كثب وفي هذا الإثناء اتصل به (السفير السوري) ليدعوه إلى تأبين الشهيد (عدنان المالكي)[1] الذي اتهم (نوري سعيد) باغتياله ليتسنى له حكم (دمشق) فوجد الجواهري في ذلك فرصة ثمينة يستطيع من خلالها، وضع النقاط على الحروف، لتعرية حكام العراق، فنظم قصيدته: (خلفت غاشية الخنوع) وألقاها في الحفل المهيب الذي أقيم في (دمشق) عام (1956) وفيها يقول :

خلَّفتُ غاشيةَ الخنوعِ ورائي	وأتيتُ أقبسُ جمرةَ الشهداء
ماذا يَميزُكِ والسكوتُ قسيمةٌ	عن خانعٍ، ومُهادنٍ، ومُرائي
خلّي النُقاطَ على الحروفِ وأوغِلي	في الجهرِ ما وسِعتْ حُروفُ هِجاء
أسطورةُ "الأحلاف" سوف يمُجُّهَاالتا	ريخُ مِثلَ خرافةِ الحلفاء
قالوا "تعانقْنا" فقلتُ هنئتُمُ	بقرانِ فرطِ خنأ بفرطِ غباء[2]

وفي قصيدة (ذكرى المالكي) يتسامى الجواهري مفتخرا بأنّ شعره سلاح تخشاه (الفراعنة). وأنّه لم يجز تلك المنزلة السامية، إلا بعد أن دفع ثمن كل حرف قاله، وهو السجن والتشريد، قائلاً:

ويَخطِمُ العُمرَ منّا صَوغُ قافيةٍ	فيها حياةٌ لأجيالٍ وأعمار
عن كلِّ حرفٍ دفعْنا فِديةً فدحت	لو كان للحقِّ ميزانٌ وأسعار
نحنُ الجبابرةُ الأعلَونَ يَرهَبُنا	إذ يُرهِقُ الناسَ "فرعونٌ" وجبّار[3]

وبعد سنتين ضاق الجواهري ذرعا بدمشق، نتيجة مضايقات من قبل الوحدويين، وعلم أن لا مقام له بين من يكرهونه، فقرر العودة إلى العراق، ولم تأذن له السفارة العراقية بذلك، فدخل العراق بجواز سفر قد انتهت صلاحيته، متحديا بذلك كل قوانين الدولة العراقية، فألقي القبض عليه بتهمة التآمر على قلب النظام الملكي، بالاشتراك مع مجموعة

---

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 133.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 672.

(3) الأعمال الكاملة : 4: 697.

سورية، على رأسهم (خالد بكداش)، في أثناء التحقيق أفهمهم الجواهري بأنه لا سوابق له فيما يدعونه، وأنه ثائر بالكلمة، وبعد تدخل وزير المالية السيد (مرجان) أخلي سبيله[1] ليعود ثانية إلى غاشية الخنوع، إلى أرض الخراب مزارعا من جديد. ولم تمض مدة وجيزة، حتى قامت ثورة تموز (1958) بعد أن احتل الثوار (قصر الرحاب) الذي كان يقيم فيه (عبد الإله) وتمت تصفيته ومن معه، ثم احتل منزل (نوري سعيد) و(دار الإذاعة) و(المطار) واحتل(عبد السلام) بغداد وأودى إلى قتل (فيصل الثاني)[2]، ثم دخل (عبد الكريم قاسم) العاصمة في أخر ساعات الصباح من اليوم نفسه واتخذ من وزارة الدفاع مقرا له[3]، وقد تحقق للجواهري ما تنبأ به عام (1926) بسقوط النظام الملكي، في قصيدته: (في الثورة السورية)إذ يقول:

مَـــنْ كـــانَ حَابـــي أنْ ... يقـــولَ الحـــقَّ إنّـــي لا أحابـــي
لا بُـــدَّ أنْ يـأتـــي الـزمـــا ... نُ علـــى بـــلادي بـــانقلاب
ويـــرى الـذيـــن توطَّـنُـــوا ... أنَّ الـغـنـيـمـــةَ فـــي الإيـــاب
إنْ دالَ تـــصريفُ الـزمـــا ... نِ وآن تـــصـفـيـةُ الحـــساب[4]

وقد صدق حدس الشاعر حين قامت ثورة (14) تموز (1958) فأطاحت بكل تلك الهياكل المنخورة ...فظلت في بيوتها تنتظر عقاب الشعب[5]. وقد أفرغ الجواهري مكبوتاته القديمة، عبر قصيدته (جيش العراق)، التي نظمت تمجيدا للثوار عام:

قَلَّمـــتَ أظفـــارَ الـدَّعيِّ ورهطِـــهِ ... مُتفائـــلاً بمـــصيرهِم مُتَيمِّنـــا
وبَـــدا لـــهُ العـــرشُ الـوثيرُ مُزخرفـــاً ... بالـداهنيـــنَ وبالدُّعـــاةِ مُزيّنـــا
حتـــى إذا قَـــصَفَ المـــدافعُ حولَـــهُ ... دوّى، أدارَ بـرأسِـــهِ وتيَقّنـــا
تبـــتْ يـــداكَ وأنـــتَ تـــملكُ أمَّـــةً ... إذ كنـــتَ مـــن فِقْـــعٍ بقرقـــرَ أهوَنـــا
اليـــومَ يُنـــشَرُ للحـــسابِ كتـــابُكُم ... في مـــوطنٍ جَمَـــعَ الحِـــسابَ فـــدُّونا

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 149-155.
(2) ينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق : 173.
(3) ينظر: مذاكرتي: 2 : 173.
(4) الأعمال الكاملة: 1: 151.
(5) ينظر الجواهري شاعر العربية: 389.

وحماكم لعُقاً كأضباب الفلا بل تحسُدون الضبَّ يألفُ مكمنا
ستُحاسَبُون فإنْ عرَتْكُم نكسةٌ فسينطِقُ الرقْمُ الخبيثُ بما جنى
كنّا نُبَصِّرُهُم عواقِبَ بَغيهِم ممّا تأصَّلَ جذرُه فتمكَّنا
من جمرةِ المُتظلِّمين وإنْ خَبَتْ ومن السَّوادِ المُستكين وإنْ وَنى
واليومَ يكتالون ما كالُوا لنا عدلاً، ونَسخرُ مثلما سخِروا بنا
واليوم تثقُلُ فوقهُم أشلاؤهم كالنخلةِ الجرداءِ يُثقِلها القنى
وأولاءِ هُم صَرعى تُجَرر امَّةٌ أسلابَهم جرَّ الخُيولِ الأرسنا[1]

على الرغم من عنف ألفاظ القصيدة، وقسوة معانيها، إن الجواهري بعد أن هدأت أنفاسه، واطمأنت نفسه، استنكر ما فعل بإفراد العائلة المالكة من قتل وتمثيل، قائلا: رغم أنهم رفعوا المصاحف، لماذا لم يقدموا إلى محاكم عادلة؟ ... ليس لديهم جرائم تدعو إلى القتل أو السحل[2]، كل جريمة العائلة المالكة أن الملك الصغير (فيصل الثاني) يسبح في حوض من ماء، أو أن رقصة صورت في السفارة، وهل هذه جرائم ضد الشعب. المستمسك الذي أدانوا به الملك أن رصيده (5000) دينار. إنّ سيارة (المرسيدس) بهذا السعر، وأن القصور الملكية بسيطة لا يرضى بها أي تاجر كبير في بغداد، فهي قصور متواضعة ، لماذا لم تحفظ ؟ ولماذا حطمت الثورة تمثال الملك (فيصل)على يد العابثين؟ أول رمز للحكم الوطني الذي كان يتطلع إلى (سوريا) كاشارة للوحدة، للقارئ أن يقارن بين هذه الوحدة وما يتشدق به المتشدقون اليوم[3]، ألا ما أروع إنصاف الشعراء! أنه برغم كل المرارات التي تجرعها بالأمس، هاهو ذا اليوم ينصف خصومه فينزلهم ما يستحقون.

---

(1) الأعمال الكاملة : 4: 706.

(2) ((التربية الثورية لا تحتاج من يسحل ويهدم ويحرق ويخرب)) مذكراتي : 2 : 214.

(3) ينظر: مذكراتي : 195: 2 ،196، 197، 198.

تنديد الجواهري بالحكم الملكي

ما زال في العرب من لا يطيق انحراف الحاكم، متأسيا في ذلك بأجداده الذين أحصوا على الحاكم سلوكه وتصرفاته[1] فقوّموا اعوجاجه، ونددوا بهفواته وأنّ ما سنّه (بشار) من معاتبة الملوك بالسيوف، قد بات أمرا مألوفا لرهط شعراء العراق[2] الذين لم يكونوا بغافلين عما يجري في العراق بعد تنصيب الملك من ويلات ومآسٍ- بعد أن استبشروا بعهد جديد- وراحوا يتساءلون أين الاستقلال والحرية؟ فاستبدل بالأول الانتداب وبالثاني القهر والاستبداد[3] !فانحط الكرام وساد اللئام، بعد أن حاطوا أنفسهم بطائفة من المنافقين، ممن يؤثرون النفع القريب، فأغدقوا عليهم خيراتهم وغمروهم بنعمائهم، والآخرون جياع يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وهم السواد الأعظم، فتشاءم الشعراء وبدأت مرحلة عهد جديد من الصراع بين الشاعر والحاكم[4] تجسدت في ((أصوات الشعراء العراقيين الذين كانوا يمثلون صرخات احتجاج وإدانة لذلك الحكم، ووسيلة تحريض للانقضاض عليه تمهيدا لإقامة حكم وطني.))[5]

ولم يكن انفجار الجواهري في وجه الحكام والتنديد بسياستهم إلاّ نتيجة تلك التراكمات التي تمثلت بالقهر والاستبداد، وقد تجمعّت في (لا وعيه) عبر سنين طويلة؛ لتخلق منه شاعرا غضبيا، خطابيا، مقاتلا، تترجح قصائده بين الشعر والسياسة[6]، وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة: ((من أنّ الانفجار الذي تتجلى فيه الاندفاعية، ناشئ من تجمّع انزعاجات سابقة، وكان يمكن أن يستجيب العاطفي لكل واحد من هذه الانزعاجات في حينه، لولا أنّ الترجيع البعيد قد لجم الاستجابة، غير أنّ الترجيع البعيد قد ساعد هو نفسه على الاحتفاظ بآثار

---

(1) ينظر: الاتجاه القومي في الشعر العراقي المعاصر: 87: عمر الدقاق،مطبوعات معهد الدراسات العربية: القاهرة1961.

(2) ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 111. وينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 150.

(3) ينظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 92. وينظر: الرسالة العراقية: 53. وينظر: النظام السياسي في العراق: 55. وينظر: الوقائع الحقيقة: 66.

(4) ينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 129.

(5) شعراء عراقيون: 5.

(6) ينظر: علم النفس والأدب: 181.

الانزعاج، فإذا تكرر هذا الانزعاج، وأصاب موضعا بعينه من الحساسية، انفجر العاطفي انفجاراً عنيفا...فإذا هو يندفع في حديث يلتهب حماسة.))[1]

إن الجواهري كان يحمل بذور الرفض في دخيلته ونمتها فيه الآفاق الناهضة لحركة التحرر الوطني، والقائمة على مقارعة الطغيان[2] فاتجه إلى:((فضح التناقض بين وضع الأقلية الحاكمة وأوضاع الأكثرية الساحقة من جماهير الشعب ومعاناتها القاسية.))[3]

إنّ التأزم هو الذي يطلق لسانه سلاحا يشهره في وجه العدو، نتيجة الفصل والانشطار بين الطرفين[4]، فهو في شعره يشبه (فيكتور هيجو) في دفاعه عن الحرية، وتنديده بالطغيان[5]، ((فبعد الحرب العالمية الثانية حتى عام (1954) ، كان الشاعر يكثر من نظم القصائد السياسية، مهاجما في كثير من الأحيان نظام الحكم في العراق.))[6]، فمنذ تلك المرحلة أخذ يوحد بين نفسه وأمته، أوحين أخذ يسقط غضبه الفردي على الأمة، ليجعله غضبا جماعيا، وإذا غلب هذا الغضب على أمره استشاط في وجه كل من يقف أمامه[7] مستلهما في ذلك مقولة (زوربا): ((كلما تقدم بي العمر ازددت تمردا، إنّني لا استسلم، بل أريد أن أغزو العالم))[8]. يقول الجواهري ((هكذا وجه واحد، ولسان واحد خلقت لأنسجم مع هذه النفس التي تحملني بمشقة وأحملها بمشقتين.))[9] إنّ الجواهري – وعبر قراءاته للأوضاع – قد توصل إلى حقيقة مفادها: أنّ الحكم في العراق قائم على أساس الكذب والدسائس[10] كما هو قائم في الوقت نفسه ((على أساس إرض الحاكمين، أو عارضهم، والمزيفون يعرفون كيف يرضون فلانا؛ ليصبحوا وزراء،

(1) علم النفس والأدب: 187.

(2) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 65، 66.

(3) في رحلة الفكر والتحول : هادي العلوي: 26.

(4) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 66.

(5) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 163.

(6) الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور: 100.

(7) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 59.

(8) في رحاب الجواهري : صباح المندلاوي: 24: دار علاء الدين: ط1: دمشق : 2000.

(9) مذكراتي: 1 : 267.

(10) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 212.

والمزيفون يعرفون كيف يرضون فلانا؛ ليصبحوا وزراء، إنها كعملية البيع والشراء))[1] . ومن أجل ذلك كان الجواهري يرى، أنّ الفساد الإداري قد استشرى في جسد الحكومة، ولا علاج لذلك إلّا بإجراء عملية جراحية كبرى له، كما في قصيدته، (شدّة لندن) وفيها يقول :

أزمـــنَ الــدّاءُ في العــراقِ ولـــن ... يــــشفيه إلا الـــجرّاح والعمليــــه
قــد لففنـا كــلَّ المـساوي فينـا ... بــــرداءٍ مــــن نهــضةٍ وطنيــــه
مــا شــقينا إلاّ لأنــّا حــسبنا ... إنّ فـــي الكــذب جــرأة أدبيــه [2]

فإننا بسبب نفاقنا وتخاذلنا قد أضعنا البلاد، كما أضعنا من قبلها بلاد الأندلس، حيث يقول:

بأنـــدلس لنـــا عـــرشٌ وتـــاج ... هـــوى بهمـــا التّخـــاذلُ والنّفـــاق
همـا شـيئانِ مـا اجتمعـا لـشعـبٍ ... فإمّـــا المُلـــك فيـــه، أو الـــشقـاق[3]

ثم يقول في قصيدة أخرى:

فيــا لــكَ مــن وضــعٍ تعاضــلَ داؤهُ ... تــشاطُ لـــه نفــسُ الأبــيّ وتلهـــب
ولله تبريـــح الغيـــارى بحالـــة ... كمـــا يَـشتهيها أشعبـــي تقلـــب
كأنـــدلس لمـــّا تدهـــور ملكهـــا ... مكنّـــى جزافـــا عندنـــا وملقـــب [4]

إذ كانت قصائد الجواهري تثير مشاعر الناس، ضد الحكام على الدوام [5]، فهو المترجم لمآسي الناس، ومن أجلهم تمرد على نظام الحكم، وهو يوجه رصاصة إلى الطبقة الحاكمة[6]، وأحيانا أخرى كان ينقدهم نقدا ساخرا يطفح باحتقارهم، ويدعو إلى الثأر منهم[1] فكان

---

(1) الجواهري ذكريات أيامي: 67.

(2) الأعمال الكاملة: 1: 174.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 158.

(4) الديوان: 2 : 15.

(5) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 141.

(6) ينظر: المعارضة الشعرية بين الجواهري والشعراء: د.صدام فهد الأسدي: 1، مهرجان الجواهري الأول في 27/ 7/ 2003.

منهم[1] فكان يحضر- وكما أسلفت- ذكرى أشخاص لا يعرف عنهم شيئا، ولكن اتخذ من منابرهم مدخلا لإثارة الناس على الحاكمين[2]، كما في قصيدة (عبد الحميد كرامي)[3] و(ذكرى المالكي)[4]، حيث فيهما نقل المعركة من بغداد إلى(لبنان) و(دمشق)، وكما في قصيدة:(هاشم الوتري)[5] حيث اتخذ من مناسبة تكريمه، مدخلا للنيل من السلطة بشكل غير مسبوق، وهكذا اتخذ من القضية الفلسطينية وسيلة، لتعرية رموز الحكم الملكي[6] ففي قصيدة، (ذكرى وعد بلفور) يقول:

خــذي مــسعاك مُثخنــةَ الجــراحِ	ونــامي فــوقَ داميــةَ الــصفاحِ
ومُــدّي بالممــاتِ الى حيــاةٍ	تــسَرُّ وبالعنــاء إلى ارتيــاح
أعيــذُك مــن مــصيرٍ نحــن فيــه	لقــد عُــوّذت مــن أجَــلٍ مُتــاح
تنــصّلَ منــه زورا صانعــوه	كمولــودٍ تحــدّر مــن سِفــاح
وذمُّــوا أنّهــم كــانوا عكوفــاً	عليــه في الغــدو وفي الــرواح
فلــسطينُ تَوقّــيْ أنْ تكونــي	كمــا كنــّا بمَدرجَــةِ الرّيــاح[7]

بذلك أستطاع الجواهري ((تحويل القصائد الفلسطينية إلى وقدات من الجمر القيت على الملوك والرؤساء... ولم تتأجج عواطف الحقد في موضع كما تأججت في الثورة على الملوك والحكام))[8]، وهذا ما دفع الكاتب: (حسن العلوي) إلى القول: ((لقد استجمع الجواهري كل مفردات النقد السياسي وأفرغها في بطون، وعلى رؤوس رجال المنظومة الملكية، وملأ

(1) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث : 51.وينظر: الجواهري والطغاة: د.سعيد عدنان: 2، مهرجان الجواهري الأول، في 26/ 3/ 2003.

(2) ينظر: مذكراتي : 2 : 83، وينظر: لماذا هجوت الجواهري: 69.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 698.

(5) الأعمال الكاملة: 3: 561.

(6) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 233.

(7) الأعمال الكاملة: 3: 446.

(8) مجلة الأيمان العدد (: 5)و (57): لسنة 1967.

دواوينها بالفضائح، وجعل من رؤساء الوزارات والنواب، أضحوكة الدنيا، فكان الجواهري مساهما كبيرا في رسم صورة فاشية لنظام غير فاش))[1]. ويذكر الدكتور(الاعرجي) -مفارقة ولعلها إحدى خصائص الجواهري الشعرية- وهي أن الجواهري في حالة الرضا يعد الحكام أندادا، وفي حالة سخطه يسخر منهم[2]، كما سخر من (مصطفى العمري) في قصيدة: (طرطرا)[3] وهو رئيس الوزراء، وكذلك سخر من (أرشد العمري) بأسلوب لاذع دون أي خوف كما نجد ذلك

في قصيدة: (يا ثمر العار)[4] وفي قصيدة: (التعويذة العمرية)، وفيها يقول:

تركـــوا الـــبلادَ وأمرَهنّـــه   لخيـــــال مـــسعور بجِنّـــه
وموكـــل بالبـــائعين   وبالـــدروب ورشـــهنّه[5]

غير أن الواقع يثبت أن تلك الميزة قد استمدها الجواهري من الشاعر (معروف الرصافي)، فقد كان الجواهري المعنف للحكومات يتذكره دائما، وكان معجبا بقصيدته الثورية المعروفة بـ(صك الانتداب)[6].

(1) الجواهري...قصائد قادمة من حضارة الكوفة : حسن العلوي : 12، 113، في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

استغل الجواهري هامش الحرية في تلك المرحلة، بوصفه يعيش في ظل نظام ملكي بهامش (ليبرالي) صغير، غير أنه عندما تغيرت الأنظمة لا سيما في مرحلة (الستينات) وما بعدها غيّر الجواهري استراتيجيته الشعرية ،حيث يذكر (عادل حبة) أنه تحرش بالشاعر لمرة أو أخرى من أجل كتابة قصيدة ضد النظام، وذلك أيام كان الشاعر في العراق، فكانت الإجابة أن مدّ(أبو فرات) أصابع يده العشرة أمامه قائلا: لا استطيع تحمل حرقها..لا استحمل التعذيب، فأين الجواهري من المقولة القائلة: (إن القصيدة الحقة ،هي التي توصل بشاعرها إلى المشنقة) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 106.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 176.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 438.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 528.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 465.

(6) وفيها يقول:

إن القاسم المشترك بينهما، هو قول الحق من غير مورابة مهما كان الثمن، ولعل الصحف التي أصدرها الجواهري، فضلا عن دواوينه لتعد خير شاهد على أنه كان يشكل مصدر إزعاج للحكومة، وقد تعرضت جميع الصحف التي أصدرها الجواهريللغلق والتغريم من قبل السلطة[1]، كما انّه تعرض للتنكيل والاضطهاد مرات عديدة بسبب قصائده[2] معتقدا انه كلما سار بهذا الاتجاه آذن الصبح بانبلاج قريب ((أنك كلما أغذذت السير قدما، قصر الليل وطال النهار....وقد عرفت هذه القاعدة وأنا امشي إلى الأمام))[3]، فعلى ضوء تلك

أنا بالحكومة والسياسة أعرف	أألام في تفنيدها وأعنف
علم ودستور ومجلس أمة	كل عن المعنى الصحيح محرّف

ديوان معروف الرصافي: 2 : 461. وينظر: لتتذكر الجواهري: 23، دار المدى للثقافة والنشر، ببغداد،2007.

وقد خص الجواهري الشاعر الرصافي بأكثر من قصيدة لاسيما قصيدته: (معروف الرصافي) حيث يذكر الجواهري، بأنّ الرصافي قد صنع المجد، لأنه كان معارضا فيقول :

ونحتُّ من عودِ الطُّغاةِ	وقد جسا نحتَ الشُّجير
وسحقْتَ (ديدان) الزعا	مةِ أفْرَختْ بين الجحور
المجدُ صِنوٌ للدِّما	ء وللسجون وللقبور

الأعمال الكاملة : 4 : 607.

(1) أصدر الجواهري صحفا كثيرة منها: الفرات(1930) والانقلاب: (1936) والرأي العام: (1954) و(الأوقات البغدادية) وجميعها تعرضت للغلق لمهاجمتها السلطة وعندما منعت جريدته الأخيرة أبرق الجواهري محتجا على تعطيلها إلى (عبد الإله) وإلى (رئيس مجلس الأعيان) و(النواب) و(نقابة المحامين) ومختلف الأحزاب في العراق و(جمعية الصحفيين) ، كما أرسل صورة البرقية إلى (مجلس السلم العالمي)، و(لجان أنصار السلام) في دول العالم و(إلى مجلس الأمن) والى (جمعية حقوق الإنسان). ينظر: الجواهري شاعر العربية: 6، 74. وينظر مذكراتي: 1 : 251،283. وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 9. وينظر: شعراء عراقيون: 37.

(2) تنظر: مجلة الجوهرة: جابر شنكير: 26، العدد1، لسنة: 2004، بغداد. وينظر: الأعمال الكاملة: 4 : 650. وينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 72. وينظر: شعراء عراقيون: 73. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 37.

(3) الأعمال الكاملة: 3: 387.

تلك القاعدة الفلسفية، وقّف الجواهري نفسه لمقارعة الطغاة، فهو في صراع مستمر معهم، فتارة يدكهم دكا، وتارة أخرى يرميهم بالحجر، فيقول:

صابرْتُ أعدائيَ، لهم حلبائهم ... جَمٌّ، مخاوفُها، وليْ حلَباتي
أهْوي عليهِم بالجبالِ أدُكُّها ... يوماً، ويوماً اكتفي بحصاة
حتى إذا سرج الكمّى أماله ... وكبا به طِمرٌ أخو نزوات
أهوى على الليثِ الجريحِ ينوشُه ... ويفرُّ دودُ مزابلٍ قذرات
وأمَرُّ أثمان الخطيئة مُرةً ... حجرٌ أتى من مُعرقين جُناة[1]

صحيح أنه يحيا بين الطغاة المستبدين، ولكن إذا اشتدت الأزمة وقامت الثورة، عندها يكون عند الماء الطاغي، قطرة للظامئين.

أنا بين الطُغاةِ[2]والطُغُمِ ... شامخٌ فوقَ قِمّة الهرم
فإذا حان مَوعدُ الأزم ... وارتطام الجُموعِ بالنظم
خلتني عند سيلها العرمِ ... قطرةً لامستْ شِفاه ظَمِي[3]

الجواهري الشاعر الذي لا يضعف، ولا يشكو مما لحق به من حيف، وأنه سوف يري الأيام بأنّ المنازلة والمجابهة والصراحة من أنجع السبل في الحياة:

وسوفَ أري الأيامَ نقمةَ حاقدٍ ... إذا ما تقاضَاها أساءَ التقاضيا
وما ابتغي ردَّ العوادي منيخةً ... على يد مَن يُجزي إليَّ العواديا
ولكن بكفٌ علَّمَ الزندُ ... مُقارعةً أو يسقطُ الزند واهيا
إذنْ لاستشَفَّ الناس نفساً تجلببتْ ... غباراً يغطّي أقتمَ الريش بازيا

(1) الأعمال الكاملة: 7 : 1108.

(2) على الرغم من أن قصائد الجواهري، تتصف بعمومية الذم لرجالات الحكم، غير أنه خص آخرين بالمدح، وعلى رأسهم (ياسين الهاشمي) في قصيدته، (المعارضة):

والسنة لدّ عن الحق ذود ... كأحسن ما حامى الحقيقة مقول

تنظر: جريدة الإخاء الوطني: عدد(24): 28 آب(أغسطس): 1931.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 806.

وجـــدتُ دواءً في الـــصراحة ناجعـــاً ذا افتقـــدتْ نفـــسي طبيبـــاً مـــداويا [1]

الجواهري تصدى لرجالات الحكم، منذ اليوم الأول من تنصيب الحكومـة، مـن دون التعرض لشخص الملك مباشرة. ولعل أشـهر القـصائد الـتي هـاجم فيهـا الجـواهري الحكـام[2] قصيدة :(الـــدم يتكلم بعد عـشر)[3] و(عقابـــيل داء)[4] و(لعبـة التجـارب)[5] و(سـاعة مـع البحتري)[6] وفي الخمسينات بعد قصيدته (هاشم الوتري)، كتب أشهر صـراعاته مـع الحـاكمين مثـل:(كفـارة ونـدم)[7] و(يـا أم عـوف)[8] و(يـا مـصر تـستنهض الـدهور)[9]و(خلفـت غاشـية الخنوع)[10] ويقول الجواهري: ((نتيجة قصائدي المتحدية كانت الصحف والمجالس كلها تـشتمني، وتعرض بي ما يتجاوز حدود التأدب... إنّها معارك ضـارية فهـو قـدري))[11].إنّ المتتبـع لـشعر الجواهري يدرك بجلاء أنّ معاركه الشعرية أخذت منحىً هرميا ابتدأت بالهمز واللمـز، وانتهـت باللعن والطعـن والـشتم والـسخرية. فقـصائد (العـشرينات) أكثـر هـدوءا واتزانـا مـن قـصائد (الثلاثينات)، ولعل ذلك راجع إلى مكانة الملك السامية في نظر الجـواهري، الـتي كانـت تحـول بينه، وبين ما شاهدناه في قصائده في (الثلاثينات) وما بعدها، بل أن التفاوت يظهر بشكل جلي في المرحلة الواحدة، فهو لم يقف عند الحد الأدنى من سلّم الصراع الشعري، وإنما كـان يتـسلقه طرديا نتيجة سلبيات الأحداث الطارئة، فمثلا في قصيدة (وخزات)، التي نظمهـا بعـد تـشكيل الحكم المسمى بـ (الوطني) يرمز إلى أوضاع العراق السياسية المتدهورة، بسبب المستعمر وولاتـه

---

(1) الأعمال الكاملة: 2: 359.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 110، وينظر: الجواهري شاعر التجديـد والثـورة: 65. وينظـر: مـذكراتي: الجواهري: 2 : 73.

(3) الأعمال الكاملة: 2: 772.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 321.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 329.

(6) الأعمال الكاملة: 2 : 306.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 657

(8) الأعمال الكاملة: 3 : 664.

(9) الأعمال الكاملة: 3 : 584.

(10) الأعمال الكاملة: 3 : 672.

(11) مذكراتي: الجواهري: 2 : 71.

الذين لا حول لهم ولا قوة، فهو لا يشكو ضياع البلد، وإنما يشكو من الحراس والقوامين الذين جاءت بهم (السفارة البريطانية) إلى الحكم[1]، فيقول:

لا تفهَموا من كَلامي | يا ناس أيَّ اعتراض
اساخطٌ ليت شِعري | مولاي أم هو راضي
نريدُ وضعاً جديداً | لكنْ بغير مخاض
شعبي لهذا وهذا | غنيمةٌ بالتراضي
لم يبقَ أيُّ حراك | في قلبي النضّاض
يا حاكمي يا خصيمي | إقضِ بما أنت قاض[2]

وفي قصيدة، (ساعة مع البحتري) يقيم موازنة، بين الماضي والحاضر، ويتخذ من الخليفة (هارون الرشيد) مثالا، وشتان ما بين أولئك وهؤلاء الذين رفعوا القصور بأموال الرعية، بعد أن تجاهلوا حقوقها، فأسلموها للأقدار كالعبيد، فيقول:

دورُ الخلائفِ عافها سُمّارُها | وتقطَّعتْ أسبابُها تقطيعا
ولقد بكيتُ، وما البُكا بمُرجع | مُلكاً بشهوةِ مالكِيه بيعا
زُرْ ساحةَ السجنِ الفظيعِ تجدْ به | ما يستثيرُ اللَّومَ والتقريعا
رفعوا القصورَ على كواهلِ شعبهم | وتجاهلوا حقاً له مشروعا
ساسُوا الرّعيةَ بالغرورِ سياسةً | لا يرتضيها من يسوسُ قطيعا[3]

ثم راح الجواهري يعاتب الملك إذ كيف يرجو إصلاح الأوضاع بزمرة فاسدة؟ سرقت البلاد، وأذلت العباد، حتى باتت وجوههم كالحة من البؤس، فيقول في قصيدة (الملك والانتداب):

عجباً ترومُ صلاحَ شعبك ساسةٌ | بالأمسِ كانوا أصلَ كلِّ فساد
قُمْ ماشِ هذا الشعبَ في خُطواتِه | لا تتركَنْ وطني بغير سناد

---

(1) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 247.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 108.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 213.

علتْ الوجوهَ الواضحاتِ كآبةٌ   ومحا الذبولُ نضارةَ الأورادِ[1]

ثم يخاطبهم بأن يتركوا الشعب وشأنه، فلا يضعوا في طريقه الأشواك فيقول:

دعُوا الشعبَ للإصلاحِ يأخذ طريقه   ولا تقفوا للمصلحينَ بمَرصَدِ
ولا تزرعوا أشواكَكُم في طريقه   تعوقونه... من يزرعِ الشوكَ يحصد[2]

ويتمزق الجواهري غيظا بين ما قرأه في التأريخ، وما يراه من وضع شاذ! إذ كيف يجوز للعراق أن يكون ممزق الأوصال؟، حيث لا عدل ولا دستور ولا نظام بعد أن كان مهدا للحضارات. لذا نراه يقول في قصيدته، (تحية الحلة) :

هنا بـ"بابلَ" قامَ الفنُّ تُسندُه   حضارةُ المُلكُ من أزمانِ أزمانِ
هنا مشى الفَذُّ "بانيبال" مزدهياً   في موكبٍ بغُواةِ الفنِّ مُزدانِ
من هاهنا كانَ تحضيرٌ لأنظمةٍ   في المشرقين وتمهيدٌ لأديانِ
هنا "حموراب" سنَّ العدلَ مُعتمدا   به على حفظِ أفرادٍ وعِمرانِ[3]

أنى وهل حقا أن هؤلاء أحفاد لأولئك الذين ساسوا العباد وقادوا البلاد؟ فيقول في قصيدة، (سبحان من خلق الرجال):

سبحانَ مَن خلقَ الرِّجالَ فلمْ يجِدْ   رجلاً يحقُّ لموطنٍ أنْ يَخلقا
ما إن يُزالُ مرشَحاً لأموره   متجبراً أو طامعاً، أو أحمقا[4]

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 335.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 122. وينظر : الجواهري شاعر العربية: 310.
عام: (1926) أطل الجواهري على لوائح المرشحين لإدارة شؤون العراق فلم يجد من يصلح منهم فقال تلك القصيدة. ينظر: الجواهري... قصائد قادمة من حضارة الكوفة: 114.

إن تلك الأوضاع كانت تثير الجواهري، وقد تركت آثارها على نفسه، حتى تحولت إلى نقمة[1] مستديمة، يقذف بشواظ شعره الطغاة فيقول:

صَبَبْتُ على العُتاة شِواظُ نارٍ تعودُ بها الصفاة إلى احتِراق
ونفّضتُ السوادَ على وجوهٍ مصبَّغةِ اللّحى بدمٌ مُراق[2]

وفي قصيدته المشهورة، (المحرقة) يفضح الجواهري الحكام من خلال مضي (عشر سنوات) على ثورة العشرين، وقد أبصر فيها من المآسي والفجائع، ما يود معه أنّه لو كان أعمى، حتى لا يرى ما رآه، وأنّه سمع ما يحز في نفسه، حتى صار يتمنى الصّمم ليجنب نفسه سماع الشجون والمكاره[3]حيث يقول:

مضَتْ حججٌ عشرٌ، ونفسي كأنّها من الغيظِ سيلٌ سُدَّ في وجههِ المجرى
وأبصرتُ ما أهوى على مثلهِ العَمى وأسمعتُ ما أهوى على مِثله الوقرا [4]

وبعد أن سرد الجواهري تلك المآسي والمحن، كتب قصيدة، (الدم يتكلم بعد عشر)، حيث وبها اكتملت صورة القصيدة، لتنتهي بالقارئ إلى وجوب سبّ من كان سببا في تلك الأوضاع، ثم الثورة والقضاء عليهم[5]، كما ثار الشعب ضد المستعمر في ثورة العشرين، لأن دماء الشهداء تطالبهم بذلك فيقول:

قبل أنْ تبكي النبوغَ المُضاعا سُبَّ من جَرَّ هذه الأوضاعا
سُبَّ من شاءَ أنْ تموتَ وأمثا لك همّاً وأنْ تروحوا ضياعا
اختبرنا، إنّا أسأنا اختبارا واقتنعنا، إنّا أسأنا اقتناعا
أثاري أنفساً حُبِسنَ على الضّيم وكيلي للشرِّ بالصّاع صاعا

---

(1) للجواهري قصيدة : عنوانها (نقمة) يتهجم فيها على الساسة في العراق وفيها يقول:

كلُّ البلادِ إلى صعود والعراقُ إلى هبوط

الأعمال الكاملة: 1 : 100.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 841.

(3) الجواهري فارس حلبة الأدب: 56.

(4) الأعمال الكاملة : 2: 268.

(5) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 72. وينظر : الاتجاهات الأدبية في الشعر العربي الحديث: 158 ،159، 160.

إنــهِ هــذا الــصراعَ يــادمُ بــين الــشـ ـــعب والظلــم قــد أطلــتَ الــصّراعا[1]

ويمضي الجواهري – وبأسلوب بارع – في تصوير مشاهد من تنكّر الراعي للرعية، فضلا عن أساليب غير شريفة سلكوها للوصول إلى كرسي الحكم، وما اكتنفها من مشاهد مُضحكة، مبكية، كل ذلك نجدها في قصيدته، (في سبيل الحكم):

تــصفّحتُ أعمــالَ الــورى فوجــدتُها مخــازي غطّــوها بــشتّى الــستّائر
وحُبِّــبَ تــدليسٌ، وذُمّــت صراحــةٌ فــلا عــيشَ إلاّ عــن طريــقِ التآمــر
وبــاتَ نــصيبُ المــرءِ رهنــاً لمــا يــرى أولــو الأمــرِ فيــه مثــلَ لعــب المُقــامر
لقــد مــلَّ هــذا الــشعبُ أوضــاعَ ثُلّــةٍ غــدتْ بينــهُ مثــلَ الحــروف النّــوافر
ولا أمــلَ الاّ علــى يــدِ مُــصلِحٍ حقــودٍ علــى هــذا التدهــورِ ثائــر
ستُــضحكُ قــرّاء التــواريخِ بعــدنا ونبــدو لهــم فــيهّن إحــدى النــوادر[2]

وقد أحدثت القصيدة ضجّة كبرى في الأوساط السياسية[3]، واعترف (ياسين الهاشمي) – وبشكل علني– بأنّ ما قاله الجواهري في (حالنا اليوم) لا تعبّر عن (عشر) الواقع المأساوي[4] ولأوّل مرّة يعلن الجواهري، بأنّ ما قاله فيها، لا يحتمله أي حاكم من حكام الدول العربية، حيث فضح فيها ألاعيبهم بالتحكم بمصائر الناس لحساب مناصب ووزارات لآخرين[5]. وفي قصيدة، (عقابيل داء) يذكر الجواهري أن الوصول إلى السلطة كان أمرا ميسورا لمن يبيع نفسه وذمته للمستعمر، ولأذنابه الذين يحكمون باسمه فيقول :

ودَعْ عنــكَ تفــصيلاً لــشتّى وسائِــلِ بهــا مَلكــوا هــذي الرقــابَ وقرّبــوا
فأيــسرُها أنْ قــد أطيــلَ امتهانُهــم إلى أنْ أدّروا ضــرعَها وتحلّبــوا

(1) الأعمال الكاملة : 2 : 272.
(2) الأعمال الكاملة : 2 : 340.
(3) بسبب هذه القصيدة عطلت الجريدة وقدم الشاعر للمساءلة. الأعمال الكاملة: 1 : 7. وينظر: مذكراتي: 1 : 312، 313.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 1: 316.
(5) ينظر: نفسه: 1 : 309، 310، 311. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 387.

ثم يقرع الحكام ويحمل عليهم حملة عنيفة، جزاء أفعالهم المنكرة، التي تعد أغرب من الغريب، إذ يقول :

عقابيلُ داءٍ ما لهُنّ مُطبّب ... ووضعٌ تغشّاه الخنا والتذبذب
ومملكةٌ رهنُ المشيئاتِ أمرُها ... وأنظمةٌ يُلهى بهنّ ويُلعب
وناهيكَ من وضعٍ يعيشُ بظلّه ... كما يتمنّى من يخونُ ويكذبُ
الا إنّ وضعَ النّهيِ والأمرِ عندنا ... غريبٌ وأهلُ النّهي والأمرِ اغرب
تداولَ هذا الحكمَ ناسٌ لو أنّهم ... أرادوهُ طيفاً في المنامِ لَخيِّبوا(1)

ويلاحظ أنّ القصائد، التي قيلت في مرحلة (الثلاثينات) لتختلف اختلافا جوهريا في لهجتها عن تلك التي نظمها في مرحلة (العشرينات)، حيث أن الجواهري لم يبق شيئا في نفسه لم يقله في الحكّام، وظلّ هذا العنف يتصاعد في شعره بتصاعد وتيرة الأحداث المؤججة لقريحته الشعرية، كما في قصيدته (لعبة التجارب)، التي تلت تلك القصيدة، ويستهلها بقوله :

هو الحكمُ إنْ حققتَ لُعبةَ ... يُسمّونَ ترقيعاتهُ بالتجارب
لاعبٍ فتجربةٌ للحكم خَلقُ موظّفٍ ... وتجربةٌ للشعبِ تخريجُ نائب
وإنَّ بلاداً بالتجاربِ هُدّمت ... وضُيِّعَ أهلوها لإحدى العجائب(2)

والحق أنّ ما قاله الشاعر – حصيلة تجارب كثيرة – لا مبالغة فيه، والعراقيون الذين عاصروا الحكم الملكي يعلمون علم اليقين، بأن ما يورده الجواهري من مفارقات حول رجالات تلك المرحلة، هي حقيقة واقعة غير خاضعة للتهويل، ذلك لأن التاريخ يشهد بأن جلّ الذين تربعوا على كرسي الحكم، لم تكن لديهم أية مؤهلات تذكر، بل والأنكى من ذلك أن العسكر منهم كانوا يشغلون وزارات مدنية مهمة، ونتيجة لاختلاف التركيب الأدائي أثمرت عن ثمار مرّة، دفع الشعب ثمنها في كل مرة، ويصل الجواهري بالقارئ – من خلال قصائده تلك– إلى مظاهر هذا الحكم فيقول:

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 321. وينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 211.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 329.

وكـــان لِزامـــاً أنْ تتـــمَّ ســـيادةٌ　　عليـــه لأبنـــاءِ "الـــذواتِ" الأطايـــب
وكـــان لزامـــاً أنْ تُقـــادَ جموعُـــه　　حفـــاةً عـــراةً مهطعـــين "لراكـــب"[1]

وفي قصيدة (خلّفت غاشية الخنوع) تهجم على المسؤولين في العراق، مما اضطره إلى طلب اللجوء، نتيجة غضب المسؤولين عليه، وقال فيها :

مــا أنــتِ إذ لا تــصدعينَ فواحــشاً　　إلاّ كراضـــــيةٍ عـــن الفحـــشاء
وعــصّارةً للــرجسِ تنــسفُ مــا ابتنــى　　الأجـــدادُ مـــن أكرومـــةٍ وحـــياء
نــسجوا نــسيج العنكبــوت وهــا هــمُ　　منـــه بليلـــة حاطـــبٍ عـــشواء
واهــي الخيــوط يــشِفُّ عمّــا تحتــه　　فكـــأنهم منـــه بغـــير غطـــاء
واعتــاص رتــق فتوقــه حتــى مــشى　　ســأمُ الكــلال علــى يــد الرَّفّــاء
دوّى علـــى المـــستعمرين صـــواعقاً　　وعـــي الـــشعوب ويقظـــةُ الـــدَّهماء
وجيــوشُ بغــيٍّ تــستعينُ بمثلهـــا　　مـــن خـــائني وطـــنٍ ومـــن دُخـــلاء[2]

وبقي الجواهري يسير – وبلا هوادة – يقارع الحاكمين في كل بقعة ينـزل فيهـا، كمـا في قصيدة، (عبد الحميد كرامي)، حيث هاجم نظام الحكـم في كـلا البلـدين (لبنـان) و(العـراق)، محذّرا اللبنانيين والاتعاظ بما آلت إليه (ثورة العشرين) في العراق، حيـث أنتجـت حكمـا وطنيـا كاذبا، فالحالتان (اللبنانية) و(العراقية) واحدة، إنّ العراقيين محكومون بأذنـاب المستعمر، كمـا الحال عندهم في (لبنان)[3]، وسقطت الحكومة في اليوم التالي في لبنان، وطرد الجواهري، وممـا جاء فيها :

كنّــا لكُــم نِعــمَ النــذيرُ لــو ارعَــوى　　غــاوٍ، ولـــو ألـــوى بـــه إنـــذار
مــا أشــبهَ التــاريخ، دامــي جُرحُنــا　　كجروحكُـــم بأكفِّنـــا نغّـــار
كــان الغريــبُ، وكــان بغــيٌّ سافــرٌ　　ولـــقد يُهـــوِّنُ مُنكـــراً إســـفار[4]

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(2) الأعمال الكاملة: 4: 674. وينظر الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: مجيـد الراضـي: 139. في ضـمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).
(3) ينظر: جواهريات في الذاكرة: محمد دكروب: 181.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)
(4) الأعمال الكاملة: 4: 591. وينظر: شرح الأبيات في هامش المصدر نفسه.

وقد حصر الجواهري أفكاره في هجائه للحكام، باتجاهين رئيسين هما :

أولاً:الحاكم العميل[1] الذي ينوب عن المستعمر في سوطه، والممثل لمصالح الإقطاع والبرجوازية[2]، وما يدّعونه من وطنيّة هي مغالطة لضمائرهم، إذ لا تجتمع الوطنية مع العمالة[3]، وإذا كانوا كذلك! لماذا لم يطردوا الوحش المحتل؟ ولماذا هذا الجوع[4]؟ ولماذا لا يتأسّون بـ (عبد الحميد كرامي)؟ الذي صان كرامته، بتركه مقعد الوزارة، عندما رأى أن المتحكّم الفعلي بالبلاد هو الاستعمار[5].

ثانيا: الحاكم اللص الذي لا همّ له سوى النهب، والارتشاء، وبناء القصور، والدور، والغرق في الموبقات والفواحش، فأطماعهم لا تتجاوز حدود البطن والفرج، فهم كالذئاب التي سمنت على لحوم نعاج، أرهقها الجوع وأهلكها الظمأ، وأنّ ما يدعونه من أداء الواجبات، وإسداء الخدمات للبلاد، لا يتجاوز التواقيع، وبناء الدوائر، وتوزيع الرواتب.

دَعُوا القومَ أحراراً يؤدّونَ واجباً ولا تحسَبوا سهلاً قياماً بواجب
ولا تحسَبوا سهلاً بناءُ دوائرَ وتوقيعُ أوراقٍ، وتوزيعُ راتب[6]

وفي قصيدة: (تأبين الغراف الميت)، يكشف الجواهري ما فعل حكام الشر بأبناء الخير من مجاعات وفضائع، حيث يقول:

---

(1) قصيدة (عبد الحميد كرامي): الأعمال: 5984. و(هاشم الوتري): الأعمال: 3: 565. و(كفرت): الأعمال: 7 : 1109. و(جمال الدين): الأعمال: 3 : 431. و(أنا الفداء): الأعمال: 4 : 627. و(ارج الشباب): الأعمال: 3 : 460، و(عالم الغد): الأعمال: 7 : 1089، وينظر: الجواهري صحفيا: 197، وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 204، وينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 114.

(2) ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 111.

(3) قصيدة: (عبد الحميد كرامي): الأعمال: 4 : 598.

(4) قصيدة: (النباشون): الأعمال الكاملة : 684.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 598. وينظر: (ذكرى المالكي): الأعمال: 4 : 692.

(6) الديوان: 2 : 237.

أسفاً يهدُّ الجوعُ منكَ بطولةً	يا معدنَ الأشبالِ والأبطالِ
يا معدِنَ الشرُّ الذين تقسَّمُوا	لِسماحةٍ ورجاحةٍ ونزال
دُخرتْ لأيامِ السُّرورِ قلائلٌ	نزلتْ على الأوطانِ شرُّ عيال
وبنوكَ قد دُخِروا ليومٍ كريهةٍ	وضريبةٍ ومجاعةٍ وقِتال
ولقد يعزُّ على الشعورِ وأهله	مرأى البلاد، بمثلِ هذي الحال[1]

لقد أيقن الجواهري أن الفقر سببه الحكام لا الأقدار، فهو بذلك قد خالف شعراء عصره من خلال ربطه الأسباب بالمسببات، ((إذ كانت نظرته إلى الواقع تنحو منحىً علميا يربط الظواهر بأسبابها الموضوعية، فالفقر وامتهان كرامة الإنسان، وسلب حريته هي نتاج مباشر- أحيانا وغير مباشر أحيانا- لفلسفة الحكم وسياسة الحكّام))[2]. ومن أجل ذلك حرّض الجواهري الجياع والمحرومين على الثورة على من كانوا سببا فيما هم فيه من بؤس وشقاء؛ لأن الجوع عامل أساس في تغيير الحكومات والأنظمة، ولعلّ تلك الفلسفة التي توصل إليها لتضع أيدينا على فلسفة قصائده التي وصم فيها الحكام باللّصوصية من خلال سرقتهم لأموال الناس، ببنائهم القصور، وإحيائهم لليالي الإنس والحبور، وأنّ المتتبع لشعر الجواهري يلمس-و للوهلة الأولى - أنّ جلّ قصائد الجواهري تدور في فلك هذا الموضوع[3]، بذلك يكون

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 242.

(2) في رحلة الفكر والتحول: 24.

(3) تنظر: قصيدة: (الأرض والفقر) : الأعمال: 4 : 670، و(تأبين الغراف الميت): الأعمال: 2 : 243، و(أنا الفداء): الأعمال: 4 : 627، و(عالم الغد): الأعمال: 7 : 1089، و(عبد الحميد كرامي): الأعمال: 4 : 598، و(النباشون): الأعمال: 4 : 684. و(جمال الدين الأفغاني): 3 : 431، و(تذكر العهود): الأعمال: 1 : 112. و(يا بنت رسطاليس): الأعمال: 3 : 476، و(يوم الشهيد): الأعمال: 3: 510، و(سبحان من خلق الرجال): 1 : 122. و(لعبة التجارب): الأعمال: 2 : 329، و(يدي هذه رهن): الأعمال: 2 : 267، و(في الثورة السورية): الأعمال: 1 : 150،151، و(النجوى): الأعمال: 1: 112. ونشرت في جريدة العراق عام: (1925) ونشرها في ديوان (بين الشعور والعاطفة): 89. وتنظر: مجلة الثقافة البغدادية عدد(نيسان): 1982. و(مجلة المجلة): الصادرة في لندن عام: 1985. وقد نشرت أبياتا تمس الحاكمين، وهي غير موجودة في دواوينه، ويقول فيها:

الجواهري قد جسّد حكّام عصره في دواوينه بأقبح صفتين تأباهما الرجولة-في كل زمان ومكان-هما:خيانة الوطن بالعمالة للأجنبي، والسرقة كما أسلفت. وأنّ إلحاح الجواهري باستمرار على تلك الموضوعات قد أزعج الحكّام كثيرا، مما دفعهم إلى معاملته بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، علّهم يستطيعون إسكاته، ولعلّ قصيدة (هاشم الوتري) من أشد القصائد إيلاما على السلطة، وأقربها مودّة إلى نفس الجواهري؛ لأنّه أفرغ كل مكبوتاته التي أفصح عنها في قصيدته: (المحرّقة) ، قبل (عشرين) عاما، ليرتجل محرّقة الأبيات قاذفة جمرا على رؤوس من ناصبهم وناصبوه العداء، بعد أن فقد عقال الحرمات، ليلبس جبّة التمرد من جديد، غير آبه لما هو آت، يقول الجواهري:((كنت مستعدا لأسوأ الاحتمالات، لأنّ الواجب يقضي بأن أحدّد موقفي... كان كلّ شيء يدفع إلى الحديّة: الجو السياسي ..المناسبة..شخص نوري السعيد..شخص الجواهري، كنت موطّنا نفسي حتى الموت))[1] فقد كانت بالجواهري حاجة إلى جولة صراع جديد، قائلا: ((اعتقد أن القنبلة المنزوعة الفتيل اقتربت من لحظة الانفجار الأخيرة، والبلاد تحت الظلال السوداء من مجالس الحكم العرفي. الوطن بخطر يحكمه اللّئام.. وهاهي الفرصة تأتي إلى من اعتاد سبّ اللئام وفضحهم))[2]، وكان الجواهري يومها في حالة نفسية، وضيق مالي، فضلا عن أنّ الأجواء في بغداد كانت متوترة بسبب إعدام (فهد)[3]، فتلك العوامل مجتمعة، دفعت الجواهري إلى أنْ يقول ما لا يقال، بعد أن استدان مبلغا من المال؛ كي يضمن قوت أسرته من بعده إذا ما اقتيد إلى مجهول، بسبب ما سيفجره في حفل يحضره الطالب والمطلوب، والظالم والمظلوم، فإلى جانب الشباب كانت صفوف لـ (بكوات) و(باشاوات) بغداد، يتوسطهم ممثل(البلاط الملكي)، وقف الجواهري وقفة المحتفل بعيد ميلاده، قائلا:

أبلادُ ملحٍ تحتَ رملِها ... بحرٌ من الإبريزِ يرتطِم

يُغري بها السلطانُ واعظَه ... أنْ الحظوظَ على الورى قِسم

أمُشرّدونْ وأرضُهم ذهبْ ... ومُجوّعونْ ونبتُها عمَم

(1) مذكراتي: الجواهري: 58، وما بعدها، وينظر: الأعمال الكاملة: 3 : 561. وينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 15.

(2) لنتذكر الجواهري: ملحق جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر: 44. وينظر: مذكراتي: 58.

(3)ينظر: جواهريات في الذاكرة: 186 ،18.هو فهد يوسف سلمان أحد أبرز الشيوعيين في العراق.

حـدّثْ عميـدَ الـدارِ كيـف تبدلّـتْ بُـؤَراً قِبـابٌ كُـنَّ أمـسِ مَحارِبـا
ولِمَ استباحَ الوغـدُ حُرمـةَ مَـن سـقى هـذي الـديارَ دمـاً زكيّـاً ساربـا
إنْ يعـصرْ المُتحكّمـونَ دماءهُـم أو يغتـدوا صُـفرَ الوجـوهِ شواحبـا
يتبجَّحُـونَ بـأنّ موجـاً طاغيـاً سـدّوا عليـه منافـذاً ومـساربا
كَـذِبوا فملءُ فـم الزمـانِ قـصائدي أبـداً تجـوبُ مـشارِقاً ومغاربـا
تـستلُّ مـن أظفارِهِـم وتحـطُّ مـن أقـدارِهِم، وتثـلُّ مجـداً كاذبـا
خـسِئوا: فلـمْ تـزلِ الرجـولةُ حُـرَّةً تأبـى لهـا غـيرَ الأماثـلِ خاطبـا[1]

ثم مزق الجواهري النص، كي لا يدان، وجمع (حسين مروة) القصاصات، ثـم أرسـلها إلى الطباعـة في (لبنـان) ونـشرت[2]، ورجـع إلى البيـت قـائلا:((نمـت ليلـة لا أسـعد منهـا في حياتي))[3]، وكان الشاعر (البياتي) حاضرا الحفل، وكان خائفا على الجـواهري مـن عواقـب القصيدة[4]، ومن مضاعفاتها، تشاجر مفتعل، ثم إطلاق الرصاص بالقرب مـن منـزل الـشاعر في الأعظمية، ثم مداهمة بيته، لأكثر من مرة، ومع هذا لم يعتقل أكثر مـن أسـبوع[5]وقيـل مـدة (شـهر)، وخـرج ولـيس عنـده سـوى ملابـسه، والمروحـة العتيقـة، وصـندوق الـثلج. وعـاود الجواهري هجومه على رموز السلطة في قصيدة (عبد الحميد كرامي)

والآنَ نحـنُ إذا اشتكينـا غاصبـا قـالوا:أولاءِ بنوكُـم الأخـيار!
أولاءِ أنـتم غـير أنَّ إطـارهم منّـا، وبئـستْ صـورةٌ وإطـار!!
ولـنحنُ أعـرفُ مـن هـمُ ولـمـن تُـمثِّـلُ هـذه الأدوار!
ولمن هـمُتنهي وتأمرُ مـا تـشاءُ عـصابةٌ ينهـى ويأمـرُ فوقَهـا استعمـار
عرفـوا مـصايرَهُم إذا جلّـى غـدٌ في المـشرقين، ولاحـتِ الأنـوار[6]

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 561.

(2) ينظر: جواهريات في الذاكرة: 186.

(3) لنتذكر الجواهري: دار المدى للثقافة والنشر: 44.

(4) ينظر: في رحاب الجواهري: 64.

(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 68 : 69. وينظر: لنتذكر الجواهري: 44.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 599.

ويستمر الجواهري بتشبيه الحاكم في البلد العربي (بالعجوز الشمطاء)، وقد تعوضّت عن جمالها المفقود، وعن شبابها الضائع، بما أفرغته على جسدها من هذا الجماد البراق من الحلي، فيقول في القصيدة نفسها:

أبصرتُ شمطاءَ تتيهُ وفوقَها ... تشكو الضياعَ قلادةٌ وسوار
جسدٌ تعوّضَ بالحلّي وجرسهِ ... إذ غاضَ منهُ شبابُه الفوّار[1]

ثم يشبه الجواهري الحاكمين، بأنهم سماسرة في أسواق النخاسة يبيعون شعوبهم للأجنبي. وفي قصيدة: (أطبق دجى)، يتهجم الجواهري بأسلوب ساخر، بعد أن شبههم بأقبح ما تمخّضت عنه مخيلته الشعرية، فقال:

أطبقْ على هذه الكرو ... ش يمُطُّها شحمٌ مُذاب
من حولها بقرٌ يخو ... رُ وحولَه غرثى سِغاب
أطبقْ على مُتَنَفّجين ... كما تفنجَّت[2] العياب[3]
مُستنوقِينَ ويزأرو ... نَ كأنَّهمْ أسْدٌ غِلاب
فإذا التقتْ حَلَقُ البطا ... نِ وجدْتَ النُّوبُ الصِّعاب
خفقتْ ظلالُهُمُ وما ... عوا من نعومتهم فذابوا[4]

وما انفك الجواهري يكشف عيوبهم ويفضح دواخلهم ((وما اجمل هذا الشعرما قاله متهكما وهو يصف نماذج من افراد الطبقة الحاكمة يتميزون بمظاهرها، حتى ليكاد كل قارئ في العراق أن يسمّي من يعنيهم الشاعر بأسمائهم))[5]، فيقول الجواهري في قصيدته، (المحرّقة):

رأيتُ من الإنسانِ يُطغيه عُجْبُه ... من الخزي ما تأباهُ وحشيّةٌ تضرى
إذا أغريتْ هذي بأكلِ فريسةٍ ... فهذا بأنْ يلهو بتعذِيبها مُغرى

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(2) المتنفج: المتكبر والمتضخم.

(3) العياب جمع(عيبة): السفط توضع فيه الثياب.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 568.

(5) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 213.

أتعرفُ كمْ من أصيدٍ مُمتل قهرا		وكم حرةٍ تشكو ومن حولها الفقرا
ليَنْعُمَ مَن إنْ عاشَ لم يدرِ نفعهُ		وإنْ ماتَ لم يعرفْ له أحدٌ قبرا
يُقلِّبه بين الجُموعِ دلالةً		على أنّه أذكى من الناسِ أو أثرى
وما ميزْتُهُ عن سواه فوارقٌ		سوى أنّه أتقنَ الرقصَ والزمرا
وهذا الذي إحدى يديهِ بجيبه		وأخراهما تلهو بشاربه كِبرا
ولو فتّشوا منه السِّبالين شاهدوا		خلالهما العاهاتِ محشورةً حشرا
وهذا الّذي رغم النّعيمِ وشرخه		يُرى حاملاً وجهاً من الحقدِ مُصفرّا
وهذا الَّذي إنْ أعجبَ الناسَ قولُه		مشى ليريهمْ أنّه فاتحٌ مِصرا
وهذا الذي قد فخّمتهُ شهادةٌ		خلاصتُها، أنَّ الفتى قارئٌ سطرا
ويكفيكَ منهُ ساعةٌ لاختباره		لتعلمَ منها أنّه لم يزل غِرّا[1]

بذلك يكون الجواهري قد أطبق على الحاكمين من كل الجهات ينال منهم بكل أسلوب يحلو له، فعلى الرغم من كل ذلك لم يفكر خصومه من الحكام أن يتخلصوا منه بتصفيته جسديا، فدواوينه (السبعة) التي تكتظ بكل مفردات الطعن واللعن لم تعد دليل إدانة ترمي به في غياهب السجون إلّا مرة واحدة بغض النظر عن المضايقات الكثيرة التي تعرض لها. هنا لست أنسى حوارا لي مع محام من جيل الجواهري، في (السبعينات)، وكان خصما له. قال:((لقد كان سعر الرصاصة مائة فلس، وكان يمكن الخلاص منه برصاصة))[2].

فعلا يجب الاعتراف ببطولة الخصم أيضا، لم يكن الجواهري وحده بطلا فارسا، بل كان خصومه أيضا فرسانا، وكانت أخلاق الفروسية تضبط قواعد اللعبة.

---

(1) ينظر: الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(2) www0Sotalirage0com\i\Article'

الفصل الرابع

مرحلة الثورات والانقلابات

الفصل الرابع

مرحلة الثورات والانقلابات

انقلاب بكر صدقي (1936)

كان لوجود الملك (فيصل) الأول أثر بالغ في لم شمل العراقيين، فقد كان يقف من الجميع على مسافة واحدة، متخذا من معيار الوطنية والكفاءة أساسا للتفاوت النسبي، بين أفراد المجتمع. وما أن تولّى (غازي) المُلك بعد موت أبيه، حتى تعرض العراق لهزات اجتماعية عنيفة، نتيجة سياساته الخاطئة[1]، لكونه شابا قليل الخبرة، تسيره العواطف والأهواء، فضلا عن اعتماده على رجالات من العسكر، الذين تفننوا في الدسائس والمؤامرات، ومنها الاعتماد على تحريض العشائر على خصومهم السياسيين، بهدف الوصول إلى كرسي الحكم[2]. فهم والانكليز على السواء[3].

وبدأت لعبة العشائر مع حكومة (جميل المدفعي) في (15) آذار (مارس) سنة (1935)، عندما قدمت استقالتها على إثر قيام بعض رؤساء القبائل بتحريض من بعض الساسة بإعلان الثورة عليها لإسقاطها، بحجة عدم كفاءة بعض شخوصها[4] ولتدارك الموقف، ودرءاً للفتنة، استدعى الملك (غازي) زعيم المعارضة آنذاك (ياسين الهاشمي) لتشكيل وزارة جديدة، وتم

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 249.

(2) ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 236.

(3) ينظر: الرسالة العراقية: 165. وينظر: الجواهري صحفيا: 201. وينظر : الجواهري ونقد جوهرته: 113.

(4) وينفي د.(علي الوردي): أن تكون للأطراف المتنازعة أي دور في تحريض العشائر، معللا ذلك من وجهة نظره: ((أن القبائل تعتبر الحكومة رمزا للضريبة والسوط والسجن والقهر، لذا عندما أرادت القبائل أن تثور مثلما ثارت في (ثورة العشرين) واجههم (بكر صدقي) وقضى عليهم قضاء مرا، فأيقنوا قوة الحكومة. فبكر صدقي قائد مشهور سطع نجمه في سماء العراق، يوم أن عهدت إليه بعض الوزارات، بقمع حركات التمرد التي قامت بها بعض العشائر العراقية، كما قضى على تلك الحركة التي قام بها (الآشوريين) في شهر آب من عام (1933) وكان موضع إعجاب وتقدير الجميع)).

ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 4 : 192.وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 176.

ذلك في اليوم (السابع عشر) من شهر آذار (1935)[1]. ونتيجة لسياسات الهاشمي القومية، ووقوفه إلى جانب الثورة الفلسطينية، عام (1936) فضلا عن سياسات وطنية أخرى تنسجم مع سياسة الملك (غازي)، المتمثلة بالدعوة للقومية العربية، وتحرير الكويت وإمداد فلسطين بالمال والسلاح[2]، وقد أثارت تلك السياسات، حفيظة الساسة الانكليز الذين حرضوا العشائر العراقية، لإسقاط حكومة (الهاشمي)، وهكذا حدثت في بعض مناطق العراق الجنوبية والشمالية حركات عصيان قامت بها القبائل، قدر عددها بـ(ست) حركات[3]، ((حتى صار في تاريخ العراق السياسي شيء اسمه ثورات العشائر))[4]، وقد استنكر الجواهري ما قامت به العشائر في قصيدة (حالنا اليوم)[5]، عندما رأى العشائر تذبح بعضها بعضا كالأغنام[6].

وحينما كثرت حركات العصيان ضد هذه الوزارة، اغتنم خصومها هذه الفرصة، وقرروا الإطاحة بها والإجهاز عليها، بإيعاز من الانكليز. وكان على رأس هؤلاء (حكمت سليمان) الذي أراد أن يثأر لذاته، بسبب إبعاده عن منصب (وزير الداخلية) في حكومة (الهاشمي)، وذلك بعد أن عزز مكانته في جماعة الأهالي، وأخذ يتصل بضباط الجيش[7]، لاسيما بالفريق (بكر صدقي) - قائد الفرقة الثانية - فدفعه إلى القيام بثورة عسكرية، يقودها بنفسه، لإسقاط وزارة (الهاشمي). وقام(بكر صدقي) بدوره بمفاتحة زميله (عبد اللطيف نوري)

---

(1) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: عبد الرزاق الحسني: 4 : 192. مطابع العرفان: صيدا: 1974.

(2) ينظر: الرسالة العراقية: 165. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 250، وينظر: الجواهري ونقد جوهرته: 133. وينظر: الجواهري صحفيا: 201.

(3) وهي: ثورة الرميثة الأولى والثانية، وثورة سوق الشيوخ، وثورة الأكرع، التي حدثت في جنوبي العراق، وثورة الشيخ (أحمد بارزان)، وثورة اليزيدية.

(4) الجواهري دراسة ووثائق: 137.

ويذكر د.(الأعرجي) بأنّ (الهاشمي) هو الذي تحالف مع العشائر لإسقاط حكومة (المدفعي) ليتسلم الوزارة. ينظر: العراق: عبد الواحد الحاج سكر: 1 : 145.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 340 وفيها يقول :

وكانتْ طباعُ للعشائرِ تُرتجى   فقد لُوِّثتْ حتى طباعُ العشائرِ

(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 310.

(7) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 274،284.

- قائد الفرقة الأولى- بالموضوع، ونجح الانقلاب بعد أن شاركت فيه المخابرات البريطانية، وعملاء الانكليز، والنازيون والشيوعيون[1]

فقد دخلت القطعات العسكرية التي يتزعمها (صدقي) مدينة بغداد، وألقت بعض الطائرات قنابلها على مقر رئيس الحكومة، فأجبر (الهاشمي) وزملاؤه على تقديم الاستقالة، فقبلها الملك (غازي)، وكان ذلك في (29) تشرين الثاني (1936)[2]. وفرّ الهاشمي إلى دمشق، ومات فيها، أمّا (نوري السعيد) ففرّ إلى مصر، وكما فرّ (رشيد علي الكيلاني)، وأما (جعفر العسكري)، فقد تم اغتياله بأمر من(بكر صدقي) لرفضه الانقلاب[3]. وبعد ساعات من الانقلاب، كلّف الملك (حكمت سليمان) بتأليف الوزارة الجديدة، وفرض إرادته فرضا على كل شيء، لا في تأليف الوزارة فقط والدور الذي جاء به ليس له علاقة بالوصي[4]، كما أشيع في وقته من أن (حكمت سليمان) قام بانقلاب بدافع وطني، هدفه إزاحة الأسرة المالكة عن الحكم، بحجة أن (العراق للعراقيين) شعار كان يؤمن به منذ (العشرينات)، يوم أن عارض تولية (فيصل) عرش العراق، لميوله العثمانية، كما كان يذكر الرصافي ذلك[5] والحقيقة أن (حكمت سليمان) وصاحبه لم يكونا ليؤمنا بشيء من هذا القبيل، وإنما كان ذلك للوصول إلى غايات معينة، الدليل أنهما كانا عضوين في جماعة (الأهالي) وبعد نجاح الانقلاب قضيا على تلك الجماعة، لأن استمرار تعاونهما مع جماعة الأهالي، يحدّ من دكتاتوريتهما، ويقف حائلا دون رغبتهما في السيطرة على كل شؤون الدولة، وكانت علاقتهما بجماعة الأهالي منذ البداية علاقة مصلحيه، لاستغلال ما لهذه الجماعة من شعبية[6]. لذا نجد أن طموح (بكر صدقي) لم يقف عند حد، فهو يريد أن يهيمن على العراق كلّه، ولعلّ هذا يفسر عدم قبوله منصب (وزير الدفاع) في هذه الوزارة، بعد أن تركها (حكمت سليمان) شاغرة، لتكون تحت تصرف (بكر

---

(1) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 4 : 192.

(2) ينظر: نظام الحكم في العراق: 123. مجيد خدوري: ترجمة فيصل نجم الدين الاطرقجي: بغداد: 1946.

(3) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 302.

(4) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 49.

(5) ينظر: مقالة الرصافي (حول عرش العراق) جريدة العراق بتاريخ 5 أيار 1921. وللاستزادة حول هذه الظروف، ينظر: حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث: خيري العمري : 70، 71.

(6) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 248.

صدقي) نفسه، إلّا أنّ هذا الأخير قد آثر أن يتولى هذه الوزارة زميله في هذه الحركة الانقلابية الفريق (عبد اللطيف نوري)، ورغب في أن يكون رئيسا لأركان الجيش العراقي .

ولقد أشير في حينه إلى أنّه كان ينوي الإطاحة بالملك (غازي)؛ ليكون هو سيد البلاد المطلق، أو على الأقل كان شديد الرغبة في أن يجمع شتات الأكراد في شرقي (الأناضول) وغربي (إيران) وشمالي (العراق)، وتوحيد كلمتهم تحت لواء زعامته، وتأليف حكومة مستقلة منهم، على طريقة الغازي (كمال أتاتورك) [1].

ولقد صاحب هذا الدور السياسي الجديد، كثير من الأحداث السلبية التي عجّلت في زواله، منها تصفية القادة الوطنيين من العسكر، أو إجبارهم على مغادرة العراق، نتيجة التهديد، كما أنهم رفعوا شعارات معادية للقومية، فضلا عن شيوع الفوضى، وضياع المقاييس، مما دفع ببعض الضباط - وبالاتفاق مع (نوري السعيد)- إلى التخلص من (بكر صدقي) نهائيا، فتم اغتياله في حديقة مطار (الموصل) بتاريخ (11) آب (1937)[2]، وكذلك أعلن الجيش تمرده على حكومة (حكمة سليمان) في كركوك والسليمانية، وجزء من القوات في بغداد لا سيما تلك المتواجدة في معسكر (الوشاش) حتى وجدت وزارة (حكمت سليمان) نفسها مرغمة على تقديم استقالتها إلى الملك بتاريخ (17) آب (1937)، بعد أن ظلت تترنح يمنة ويسرة، إثر مقتل (بكر صدقي)، ومما ينبغي ذكره أنّه في مثل تلك الأجواء الغائمة، برز نجم الشاعر (محمد مهدي الجواهري) بالظهور في سماء السياسة العراقية[3].

رحلة الجواهري مع قادة الانقلاب

بعد استقالة الجواهري من البلاط، انضم إلى حزب الإخاء الوطني، وهو الحزب الذي يترأسه رئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) إغاظة لرجالات البلاط، وطمعا في منصب يناله، وقد سبق فيما مضى أن الهاشمي قد تعهده بعد قصيدة: (حالنا اليوم) بمقعد في المجلس النيابي، وبين أخذ وردّ، تبين للشاعر أنّ الهاشمي لم يكن أفضل حالا ممن سبقوه في وعودهم، فقصد البلاط

---

(1) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 273.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 273. وينظر : تاريخ العنف الدموي في العراق: 302. وينظ الرسالة العراقية: 165.

(3) ينظر: الجواهري صحفيا: 201.

ليعلم (رستم حيدر) بعدم قبول صك النيابة، وأنّ الهاشمي قد نكث بوعده، وبينما هو في ساحة البلاط، إذ انهمرت قنابل الانقلابين، لتختلط أصواتها مع صوت الجواهري، المرحّب بالانقلابيين، والمهلل بهم، فهو كعادته مع كل تغيير، الذي ينسجم بالتمام مع وضعه النفسي، الذي يعشق حب التمرد والعصيان[1]. فضلا عن طيب سريرته التي تدفعه إلى تصديق كل ما يقال عن الثورات والانتفاضات والوثبات، وفي ذلك يقول الجواهري:((إنني أنساق ببراءة وراء كل ظاهرة، أو ثورة، أو انقلاب أو حركة أو انتفاضة تحمل في ظاهرها شعارات الولاء والانتماء إلى الشعب... كنت أنساق بعفوية وبراءة مع كل من يملك نفسا ثائرة مندفعة، وفي كل وثبة أو انتفاضة كنت أتخيل نفسي في مقدمة الجموع الزاحفة إلى مجد الجماهير، ليدفعني هذا التخيل إلى تجسيده موقفا متسرعا عمليا وشعريا وسياسيا وهذا ما حدث مع حركة (رشيد عالي الكيلاني) وانقلاب بكر صدقي))[2] .وما يذكره الجواهري في هذا الشأن، لا يمكن التسليم به، وإنما ومن خلال بحثي تكشف لي أن الجواهري قد أيد الانقلاب لأسباب ثلاثة :-

1- الظلم السياسي الذي تعرض له أيام الحكم الملكي، حيث لم يحقق أيا من طموحاته السياسية، فظن بأن الانقلابيين سيعوضونه عن حرمانه.
2- الظلم الاجتماعي الذي أوصل الجواهري إلى أن يكون حبيس البيت مدة(ثلاث سنوات)، بدون عمل أو مورد يذكر، فضلا عن الشتائم التي كانت تنهال عليه صباح مساء من الصحف التي يصفها الجواهري بالمدفوعة.
3- توافق الأفكار، ولعل هذا السبب كان هو العامل الرئيس، وراء اندفاع الجواهري الحاد وراء الانقلابيين، فانتصر لهم، وآزرهم مؤازرة قوية بكل ما يملك من سبل وإمكانات[3]؛ لأن الانقلابيين ينتمون إلى جماعة الأهالي ((التي اتخذت من الاشتراكية وسيلة لاستكمال توافر ممارسة الديمقراطية، وكانت متأثرة بالمبادئ الماركسية والانتقادات التي توجه للبرلمانية اللبرالية، وتأثير الطبقات المثرية فيها))[4] وأكدت

---

(1) ينظر: مذكراتي: 1: 323.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 169.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 253.

(4) التطورات السياسية في العراق: 242.

الحريات الديمقراطية للشعب وإشراكه في إدارة شؤونه وتحسين أحواله المعاشية، بذلك أصبح للاستقلال معنى التحرر من الاستعمار[1] فكل تلك الأفكار كانت من تأثيرات البعثة التجارية (السوفياتية) في العراق عام (1934)[2] ولهذا ((أتاح الانقلابيون لعناصر اليسار، والمنادين بدعوة العدالة الاجتماعية، وإنصاف الطبقة الفقيرة، جوا واسعا من الحرية والحركة...وكان الجواهري يتعاطى معهم))[3]

بذلك وجد الحزب (الشيوعي) ظروفا مناسبة للعمل بعد الانقلاب، فاستطاع قيادة مظاهرة كبيرة في (3 تشرين الثاني 1936) كما ((سمحت حكومة الانقلاب لبعض الكتب الممنوعة التي تحمل الأفكار الشيوعية، من دخول العراق، وأطلقت بعض الحريات العامة لبضعة أشهر، وأجازت جمعية الإصلاح الشعبي.))[4]

ومما زاد في حماسة تأييد الجواهري للانقلابيين، هو طموحه السياسي بالفوز بنيابة البرلمان، ولا سيما بعد أن غدا مقررا حل المجلس النيابي القائم آنذاك، وإجراء انتخابات جديدة في ظل حكومة الانقلاب التي رأسها (حكمت سليمان) ...خلافا للدكتور:(سحاب الأسدي) الذي يرى بأنّ تأييد الجواهري للانقلابيين إنّما جاء لدواعي المصلحة العامة التي تهم الشعب والوطن ((وليس لمصلحة شخصية أو رغبة في نيل منصب ما، أو مكسب معين، بل كان همّه المجاهرة برأي واضح، وموقف جريء، هدفه الأسمى الإسهام الفاعل في بناء وطن قوي كريم ينعم فيه المواطن بحريته وكرامته))[5]، ومهما يكن من قول فإنّ الجواهري قد أيقن أنّ الشعر وحده لن يوصله إلى أهدافه، ((وأنّ الصحافة هي أيسر طريق. وعلى هذا الأساس أصدر صحيفة (الانقلاب) سنة 1936))[6]، بعد موافقة (وزارة الداخلية) على منحه هذا

---

(1) تنظر: مجلة الثقافة، العدد العاشر، السنة الثانية تشرين الأول 1972

(2) ينظر: حديث حسين جميل12تشرين الثاني1972.وينظر: التطورات السياسية في العراق: 242.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 383.

(4) التطورات السياسية في العراق: 345. وتنظر: مجلة الثقافة الجديدة: 24 العدد (42) تشرين الثاني 1972. وينظر: الجواهري شاعر قرن العشرين: 64. وينظر: محمد مهدي الجواهري والعنف الشعري: 338. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(5) الجواهري موقف وقصيدة: د.سحاب الأسدي: 2. (بحث غير منشور).

(6) الجواهري صحفيا: 201، محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية: 60، الجواهري دراسات ووثائق : 138، والإعمال الكاملة: 1 : 7. مذكراتي: 1 : 323 ،324.

الامتياز[1]، وصدور العدد الأول منها في (25) تشرين الثاني (نوفمبر) عام (1936)، لتكون ناطقة باسم الانقلابيين الذين وصلوا إلى السلطة بطريقة ديمقراطية مرجوة - كما يرى - فقضوا بها على الفساد الذي كان مستشريا في البلاد حيث يقول: ((أيدنا الوزارة لأننا رأينا المصلحة العامة تقضي بتأييدها، ولاعتقادنا بحسن مقاصد رجالها، ولأنها تسلمت مقاليد الحكم بالكيفية التي كنا نتمناها، فقضت على ادوار ضجت منها البلاد كثيرا.))[2] كما أن الجواهري نظم قصيدة: (تحرك اللحد) التي تمجد الانقلابيين، ولربما كانت من أشهر وأقوى شعره في الثلاثينات[3]، وقد وجهها إلى (حكمت سليمان) الذي كان رئيس وزراء حكومة الانقلاب، منددا فيها برجالات العهد الغابر، الذين أمسوا في خبر كان، مبديا فرحه وسروره، ثم يأمر الناس بمؤازرة الانقلابيين الذين سيصنعون مستقبلا مشرقا لهم، بعد أن يئس الناس من تحقيقه في عهود سابقة، فنراه يقول :

كِلُوا إلى الغيبِ ما يأتي به القدرُ ... واستقبلوا يومَكُم بالعزم وابتدِروا
وصَدِّقُوا مُخبراً عن حُسْنِ مُنقلبٍ ... وآزروه عسى أنْ يَصدُقَ الخبر
لا تتركوا اليأسَ يلقى في نفوسكمُ ... له مَدَبّاً ولا يأخُذكُمُ الخَور
إنَّ الوساوسَ إنْ رامتْ مَساربها ... سدَّ الطريقَ عليها الحازمُ الحَذِر
تذكَّروا أمسِ واستَوحُوا مساوئهُ ... فقد تكونُ لكم في طيِّهِ عِبَر
مُدُّوا جماجِمكُم جسراً إلى أملٍ ... تُحاولون وشُقُّوا الدَّربَ واختصروا
واجمعوا أمركُم يَنهضْ بسعيكُمُ ... شعبٌ إلى هِمَمِ الساعين مُفتقِر
إنَّ الشبابَ سنادُ المُلكِ يَعضُدهُ ... أيامُ توجِدهُ الأرزاءُ والغِيَر
أتتكمُ زمرةٌ تحدُوا عزائِمها ... ما خلَّفتْ قبلها من سيِّئٍ زُمر [4]

=يقول الجواهري: ((أصدرت جريدتي الثانية مستعيرة اسم - الانقلاب-نفسه، متطوعا غير ذي انتماء لأحد، ولا ذي علاقة بأحد)) مذكراتي: 324.

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 255.

(2) جريدة الانقلاب: العدد(16) 7كانون الثاني (يناير)1936.

(3) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 338.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 361.

إنّ الجواهري في أبياته تلك، ليذكرنا مرة أخرى بالشاعر (لقيط بن يعمر الأيادي)؛ ليجعل من نفسه، وصّيا على شعبه وناصحا وحكيما، ولكن بأساليب طلبية، تنمّ في مدلولاتها على الجبر والإكراه، وكأنّ الحق الذي غاب أحقابا قد ظهر على أيدي هؤلاء الانقلابيين، لذا لا صواب إلا ما يراه سبيلا للرشاد، ونلاحظ ذلك من خلال ألفاظ قصيدته: (كلوا إلى الغيب) و(استقبلوا يومكم وابتدروا) و(صدقوا مخبرا) و(آزروه عسى) و(لا تتركوا) و(لا يأخذكم الخور) و(تذكروا أمس) و(استوحوا مساوئه) و(ومدّوا جماجمكم جسرا) و(شقوا الدرب واختصروا) و(أجمعوا أمركم). داعيا إياهم - في الوقت نفسه - إلى إمهال الانقلابيين الوقت الكافي؛ ليفصحوا عن براجهم وخططهم ليتجاوزوا أدران الماضي[1] وبعد أن فرغ الجواهري من إسداء النصائح إلى شعبه، يتوجه إلى (حكمت سليمان) مدبر الانقلاب، بجملة من النصائح والإرشادات، مطالبا إيّاه الفتك بخصومه، ومحاسبة كل الذين اجترحوا السيئات، حفاظا على المكتسبات؛ لأنه في موضع يتطلب ذلك إذ. لا رحمة مع من لا يعرف الرحمة، لذا نراه يقول في إحدى مقالاته: ((يا رجال الحكم إنّ سياسة الهدوء واللين سياسة غير ناجحة... فلا عذر لكم في التزام الصمت والهدوء... ليس للرحمة ولا للشفقة ولا للعطف ذكر في معجم الساسة... وأنّ إعادة الأمور إلى نصابها ورد الحقوق إلى أصحابها تتطلب أن تضربوا الضربة القوية الحازمة فالحق المغتصب لا يعود إلا بالقوة، والحق السليب لا يسترد من صاحبه إلا بالعنف))[2]، ويبدو أن الجواهري لم يكن يؤمن بمبدأ (عفا الله عما سلف) نتيجة ما لقيه من ظلم واضطهاد في بداية (الثلاثينات)، وما توعدهم به في قصائده: (سبيل الجماهير)[3] و(الشاعر ابن الطبيعة الشاذ)[4] و(سلمى على المسرح)[5] و(المحرقة)[6] و(عبادة الشر)[7] و(عقابيل داء)[8] و(لعبة التجارب)[9] و(الدم يتكلم بعد عشر)[10] و(حالنا اليوم)[11] أراد تحقيقه في يوم الملحمة تلك، فينتقم من أعدائه كما انتقموا منه، لذا نجد أنّ صدره قد شفي لما حاق بالقوم من ألوان المذلة والهوان جراء ما اقترفوه من أعمال منكرة بحق من ساسوا الرعية[1]. فهو

---

(1) الجواهري موقف وقصيدة: 3.
(2) جريدة الانقلاب العدد(20) (16)كانون الثاني (يناير)1937.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 239.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 247.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 240.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 268.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 312.
(8) الأعمال الكاملة: 2 : 321.
(9) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(10) الأعمال الكاملة: 2 : 361.
(11) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

من ساسوا الرعية[1]. فهو يوم - على ما يرى- ينتصف فيه المظلوم من الظالم، لذا نجده يقول:

أقـدمْ فأنـتَ علـى الإقـدامِ منطبـعُ ... وابطـشْ فأنـتَ علـى التَّنكيـلِ مُقتَـدِر
لا تُبـقِ دابـرَ أقـوامٍ وتِـرتُهُـمُ ... فهُـمْ إذا وجدوهـا فرصـةً ثـأروا
هنـاكَ تنتظـرُ الأحـرارَ مجـزرةٌ ... شـنعاءُ سـوداءُ لا تبقـي ولا تـذر
وثَـمَّ شِـرذمةٌ ألفـتْ لهـا حُججـاً ... مـن طـولِ صـفحٍ وعفـوٍ فهـي تـستـر
إنِّـي أصـارحكَ التعبيرَ مُجتزئـاً ... ومـا الـصريحُ بـذي ذنـبٍ فيعتـذر
فحاسبْ القومَ عن كلِّ الـذي اجترَحُـوا ... عمَّـا أراقـوا ومـا اغتلـوا ومـا احتكـروا
لـلآن لم يُلـغَ شبـرٌ مـن مزارعِهـم ... ولا تزحـزحَ ممَّـا شيَّـدوا حجـر
فـضيِّقْ الحبـلَ واشـددْ مـن خناقِهِـمُ ... فربَّمـا كـان فـي إرخائـه ضـرر
تـصوَّر الأمـرَ معكوسـاً وخـذْ مثـلاً ... ممَّـا يجرُّونـه لـو أنَّهـم نُـصِروا
أكـانَ للرِّفـقِ ذكـرٌ فـي معاجِمِهـم ... أمْ كـان عـن(حكمـةٍ) أو صـحبهِ خـبر
تحـرُّك اللَّحـدُ وانـشقتْ مجـدَّدةً ... أكفـانُ قـومٍ ظننَّـا أنَّهـم قبـروا[2]

ولم يفت الجواهري بعدما مدح (حكمت سليمان) أن يمدح قائد الانقلاب (بكر صدقي)[3]، كما قال بذلك (أحمد الصافي النجفي)، حيث شبّهه في قوته بـ (موسوليني) قائلا:

كيفمـا صـوَّرتهـا فلتكُـنْ ... أنـا عـن تـصويرةِ النـاس غنـي
فيـك لـولا أمَّـة جاهلـةٌ ... شَـبهٌ يُـدنيك مـن "موسولنـي"[4]

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 257.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 363.
(3) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 299.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 264.

وقد حكم (النجفي) من خلال أبياته تلك، على الجواهري بأنه كان مؤيدا للفاشية قبل أن يتحول إلى اليسار[1]. وهو رأي بعيد عن الصواب، ومجانب للحقيقة، فالأبيات إنّما قيلت في زعيم المعارضة (الباجچي)؛ لأنها جاءت في ضمن قصيدة: (الباجچي في نظر الخصوم)، ويبدو أن (النجفي) قد أورد ذلك بقصد التشويه والحطّ من قدره، لجفوة بينهما. والحق أنّ الجواهري لم ينظم في الانقلابيين إلا قصيدة واحدة وقد بين الدكتور:(سحاب الاسدي) بأن مرد ذلك هو نتيجة خيبة أمله بالانقلابيين[2] وليس بسبب انشغاله بالصحافة كما يذكر الدكتور:(رؤوف الواعظ)[3] وأن ما ذهب إليه د.(الاسدي) هو الأرجح ذلك لأن الانقلابيين لم يكونوا عند كلمتهم، فقد نكثوا عهودهم، وخانوا ضمائرهم، حيث لم يحققوا شيئا يذكر من الذي وعدوا به، فأحس الجواهري بانحراف الانقلاب عن أهدافه التي أعلن عنها، وهو ما يفسر تغيير موقفه، وبدأ يعارض سياسة الحكم فيما ينشر في هذه الجريدة[4]. ويذكر الجواهري: ((أن الجريدة انقلبت على الانقلابيين لتكون إلى جانب الجماهير، فالانقلاب لم يطل كثيرا ريثما أعلن عن فشله أولا، أما أنا فبقيت بمثل ظللت عليه حتى يومي هذا نائبا عن الناس، وامتحنت، وما أزال أيضا بما امتحن به الناس طوال (مائة) مرة ومرة من أمثال هذه المرحلة البائسة، وبخاصة بعد مقالي (ماذا بعد ستة شهور))[5] وقد ضاقت الحكومة ذرعا بما ينشره الجواهري من أخبار في جريدته، لا سيما تلك التي تمسهم في الصميم. منها اتهامه لـ (أمين الريحاني) الذي كان وكيلا صحفيا عن الانقلابيين، كما كان يعد من أخطر الجواسيس الموجودين في العراق، وبسبب تهجم جريدته على (صالح جبر) من قبل مراسله (صالح شمسه)، والأخطر من ذلك كله أنّه نشر خبر وجود جواسيس (بريطانيين) في العراق ، وقد استدعاه رئيس الوزراء في حينه للوقوف على حقيقة ما يقوله الجواهري[6] .

---

(1) حوار الأستاذ (باقر ياسين) مع المرحوم الشاعر(احمد الصافي النجفي). ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 229.

(2) ينظر: الجواهري موقف وقصيدة: 7.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 256.

(4) ينظر: مقدمة الأعمال الكاملة : 7.

(5) مذكراتي: 1 : 324.

(6) ينظر: المصدر نفسه: من 329 إلى 338.

وبعد ذلك أخذت الحكومة تتحيّن الفرصة للإيقاع به، وتم لها ذلك باتهامه في قضية (الكاشير)، التي طوحت ليس بصحيفته حسب، بل وبآماله التي عقدها على حكومة الانقلاب التي منحها المناصرة الصريحة، والتأييد الكامل. وقصة (الكاشير) هي أن فقراء الطائفة اليهودية، قد احتجت على ارتفاع أسعار اللحوم التي يشترونها من جزارين يهود ينحرون المواشي على الطريقة اليهودية، وطالبوا بخفض الأسعار وساند الجواهري في صحيفته (الانقلاب) تلك الاحتجاجات التي أدت إلى إضراب أكثرية اليهود عن تناول لحم (الكاشير) الأمر الذي أدى إلى تدخل الحكومة، فأصدرت أمرها بتعطيل الانقلاب[1] مدة (شهر) والحكم عليه بالحبس عشرة أيام ..، ثم اعترض الجواهري على القاضي في أثناء قراءته الحكم، فأعيد توقيفه وعقدت جلسة مستعجلة للمحكمة نفسها، وأصدر القاضي حكما يقضي بحبس الجواهري مدة(6) أشهر. وأمضى الجواهري منه زهاء (شهرين) ثم أعفي[2]. بذلك انقلب (بكر صدقي) على الجواهري وعلى الانكليز في آن واحد فمال نحو الألمان، لذلك قرر الانكليز التخلص منه بأية وسيلة، ويذكر الجواهري بأنه قد علم بذلك من خلال (رزوق غنّام)، الذي زاره في سجنه؛ ليقول له سترى مصرع (بكر صدقي) على يد (نوري السعيد)[3] ولم يكن الجواهري أول من اقتص منه، حيث اقتص من آخرين بسبب تغير الظروف في أواخر الانقلاب، فاضطُهِد اليساريون، وعطّلت (جمعية الإصلاح الشعبي)، وجرت اعتقالات متتالية بين الشيوعيين في بغداد[4]....وقد أصدرت الحكومة آنذاك ذيل قانون العقوبات البغدادي الرقم

---

(1) غير أن الجواهري ذكر في مذكراته بأن صحيفته استمرت بالصدور رغم سجن صاحبها، وهي تصف الانقلابيين المتصافحين مع الفاشية بأعداء الوطن: مذكراتي: 1 : 326.

(2) ينظر: الجواهري صحفيا: 201. والأعمال الكاملة: 2 : 365.(الهامش).

ويذكر الجواهري: انه أوقف بسبب مقال عن (كربلاء) وقد تضارب أعضاء (البرلمان) بالكراسي بسبب توقيفه، مما اضطر (حكمت سليمان) أن يصدر بيانا، يبرر فيه ما جرى، وبعد التحقيق حكم عليه بـ(29) يوما، ولكن نتيجة شتمه القاضي، أعيد محاكمته وحكم عليه (ثلاثة) شهور. ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 72.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 338.

وفي فترة سجنه أتهم الجواهري السفارة (الألمانية) باغتيال ابنتيه (رامونة) و(لطيفة) انتقاما منه. مذكراتي: 1 : 340، 345.

والجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.

(4) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 345.

الرقم (51) لسنة (1938) الذي نص في مادته الأولى ((يعاقب بالأشغال الشاقة أو الحبس مدة لا تزيد على (سبع) سنين أو بالغرامة أو بهما كل من حبذ أو روج بإحدى وسائل النشر المنصوص عليها في المادة (78) أيّا من المذاهب الاشتراكية البلشفية (الشيوعية) والفوضوية والإباحية وما يماثلها))[1]، ولعلّ اعتقال الجواهري قد جاء في ضمن تلك الحملة لكسر شوكته، والحد من نشاطه اليساري، وما وجه إليه من تهم لا تعدو كونها ذرائع لا علاقة لها بجوهر القضية، لذا نجد أن الجواهري قد تضاربت أقواله في سبب دخوله السجن[2]، وهذا يعني أنّ هناك حلقة لم يرد الجواهري الإفصاح عنها، وقد أشار الجواهري إليها بشكل ساخر في قصيدته التي نظمها في سجنه، إذ رأى فيها((أن منصبه الجديد أن يكون سجينا في سجون الانقلابيين، يتولى أمره حشد من الحراس))[3]وفيها يقول:

إنْ كنتَ تحسُدُ من يحـ	ـوطُ البابَ منهُ حارسان
فلديك حرّاسٌ كأنّك	منهمُ في مَعْمَعان
ومُوكَّلون بما تصرّفُ	في الدّقائقِ والثّواني
أسكنتَ داراً مالها	في الصِّيتِ والعظموتِ ثاني
ما إنْ يُباحُ دخولها	إلّا لـذي خطرٍ وشانِ[4]

وخرج الجواهري من السجن ليعود إلى صحيفته[5]، محاولا التنصل عن كل ما قاله أو كتبه لا سيما بعد سقوط حكومة (حكمت سليمان). فأول عمل قام به هو تغيير اسم جريدته من (الانقلاب) إلى (الرأي العام)، وقد افتتح أعدادها بالتنكر للانقلاب، كما لا تخلو مقالاته

---

(1) جريدة الوقائع العراقية العد(1633)، (9) مايس(1938).

يلاحظ أن الجواهري قد خالف كثيرا في مذكراته ما اورده في ديوانه: 2 : 325 ، عن التهمة التي وجهت إليه في المحاكمة الأولى، يقول في الديوان انه حوكم في قضية الذبح اليهودي. وفي ذكرياته يقول أنّه حوكم بتهمة نداء باعة الصحف على جريدته بأهم عناوينها. وفي لقائه مع البقيلي: يدعي أنّه حوكم بسبب مقال عن كربلاء.

(2) الجواهري دراسة ووثائق: 141.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 365.

(5) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.

الافتتاحية من الغمز واللمز به، بل الطعن كذلك في القائمين به، ومما قاله الجواهري ((لم نكن يوم أصدرنا جريد الانقلاب أكثر منا- ونحن نكتب هذه السطور- حماسة وتقديرا لكل حركة يرجى من ورائها تقدم هذه البلاد في كل مرافقها الحيوية وتحررها من أوضاع غير صالحة ضربت بينها وبين اللحوق بسائر الأمم الناهضة سدّا منيعا. ولم نكن يوم (25) تشرين الثاني (1936) أكثر منا في يوم (6) أيلول (1937) شعورا بأنّ تأخر البلاد ورضوخها للأوضاع الشاذة والتصرفات الكيفية واصطلائها بنيران القوانين والأنظمة الجائرة... التي كلها جور واضطهاد وهو نتيجة تقصير المسؤولين من رجال السياسة في البلد))[1]، ثم يمضي الجواهري في مقاله على الرغم من حدوث الانقلاب، فإنّ الأوضاع كما هي إذ لا تتغير، ((ولكن سرعان ما خابت الظنون وتبددت الأحلام، وسرعان ما انكشفت الصدور، وانجلت الضمائر، إذا بها سوداء ملطخة، وإذا بالشهوات والنزعات تعصف بها عصفا شديدا، وإذا بالحديث يبتدئ همسا ويشتد فيصبح ضجيجا وعجيجا، وإذا القوم يخدمون من قبلهم من حيث لا يقصدون..والآن فلئن مات الانقلاب فليعش الرأي العام والسلام.))[2]، ورجع الجواهري بخفي حنين، وأدرك أن ما فات من أمره أفضل كثيرا مما هو فيه، فرجع به الحنين إلى الماضي[3]((وراح ينشر من جديد كثيرا من القصائد التي نظمت في مديح الملك (غازي)، وولي عهده (فيصل الثاني)، والأمير (عبد الإله) وغيرهم من رجال الحكم، سواء ما كان قد نظمه هو بنفسه، أم نظمه شعراء آخرون مثل (بدوي الجبل) و(إيليا أبو ماضي) و(الياس أبو شبكة) وغيرهم. كان يتابع في الوقت نفسه نشر صور الملك (غازي) وابن عمه (عبد الإله) في صدر صفحات جريدته تملقا ونفاقا))[4] كما وعاد إلى رثاء من أطاح به الانقلابيون ((وكأنْ لم يكن الشاعر نفسه قد رحب صائحا بسقوط قنبلة الانقلاب الأولى على ساحة البلاط لينطوي عهد (ياسين) إلى الأبد، حتى بلغ الغضب بصديقه (رستم حيدر) وقد نقلت إليه شماتته بمصير ياسين، وصيحته المدوية فرحا أن يقول:إنّه لم يكن يظن أن تسّف الأخلاق إلى هذا الحد))[5].

(1) جريدة الرأي العام العدد (169) 7 أيلول (سبتمبر)1937.

(2) المصدر نفسه والصفحة

(3) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 141.

(4) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 259.

(5) مذكراتي: 1 : 323. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 141.

ويدافع الجواهري عن نفسه، بأنه كان خصما منصفا، فهو قد نعى (الهاشمي) بوفاته في صحيفته (الانقلاب) يوم أن اكتفت الصحف الأخرى بخبر عابر. ويورد الجواهري تصديقا لدعواه، ما نشره (الحسني) في كتابه (تاريخ الوزارات العراقية)، وهو يؤرخ وفاة الهاشمي[1] ببرقية وصلت إلى (بغداد) من (بيروت) صباح الخميس الموافق (21) كانون الثاني (1937)، ويستعرض بعدها مواقف الصحف العراقية، حيث يقول (الحسني): ((أما صحف بغداد فقد اكتفت بنشر خبر الوفاة كما تكتبه عن أصغر رجل، متناسية مقام الفقيد في السياسة والخدمات التي أسداها للعراق[2]، والى هذا تشير جريدة الانقلاب للأستاذ (محمد مهدي الجواهري) بالكلمة التالية الصادرة في جريدة الانقلاب: ((وإذا كانت هناك عبرة تفوق عبرة نهاية الهاشمي المحزنة فهي موقف زميلة من الزميلات- يريد جريدة البلاد- التي لم يجف بعد حبر كتابتها ولم يضمحل صدى تقديسها وعبادتها للهاشمي...فليس لمعنى موت الرجل أو تدهوره أن يذهب الوفاء))[3]. ويذكر الدكتور الاعرجي: ((أن رثاء الجواهري للهاشمي، لم يكن نابعا من وفائه له كما أرادنا الجواهري أن نظن، وإنما كان إيذاء للانقلاب، وإمعانا في الانتقام من رجاله، عما فعلوا به؛ سواء أكان ذلك في وعيه أم في لاوعيه))[4] ويتضح ذلك من خلال لفظة (العبرة) الواردة في كلمته، فهو لم يقصد الهاشمي نفسه بل يريد أن يفهم الآخرين بان يتعظوا من موته فلا يتمادوا في طغيانهم، ويذكر (الواعظ) أنه بعد مرور (عام) على وفاة (الهاشمي) اتصل الجواهري بأحد أصدقائه مبديا رغبته في إلقاء قصيدة يؤبّن بها المغفور له (ياسين الهاشمي) في الحفل الذي سيقام لتأبينه في بغداد بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته، فنصحه- وكان هو أحد أعضاء اللجنة - بعدم المشاركة في هذا الحفل خشية الاعتداء عليه وإهانته، بسبب موقفه المعروف من الانقلاب، كما أخبره بأنّ العراقيين ما زالوا يتذكرون بأنه كان في ضمن المتظاهرين

---

(1) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 3 : 240.

((بعد خمس سنوات على وفاة الملك فيصل فجع العراق بالهاشمي أحد القوميين، وأجري له حفل تأبين)) ينظر: سليمان فيضي ودوره الثقافي والاجتماعي والسياسي: 169، وجريدة الناس العدد (328) في27 كانون الثاني 1938،والاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 259،ومذكراتي: 1 : 321.

(2) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 3 : 240.

(3) جريدة الانقلاب: العدد (21) كانون الثاني 1937، وينظر: مذكراتي: 1 : 322.

(4) الجواهري دراسة ووثائق: 141.

المتظاهرين الذين حاصروا دار الهاشمي بعدما توعدوه بالويل والثبور، ثم أعلمه الناصح بأنه إذا كان مصرا على ذلك فليذهب إلى الحفل التأبيني الذي سيقام في البصرة، وفعلا ذهب إلى هناك وألقى قصيدته[1]، وكانت بعنوان (ذكرى الهاشمي) وفيها يقول:

وفّـاكَ مـا يُقـضى مـن التكـريمِ — بلـدٌ يُـوفّي حـقَّ كـلِّ زعـيم
البـصرةُ الفيحـاءُ ضـاقَ خِناقُهـا — ومَـشتْ بقلـبٍ مقـرحٍ مكلـوم
عطفتْ على الـذكرى الأليمةِ عطفةً — نمّـتْ علـى شَجَـنٍ هنـاكَ أليـم[2]

ويعطف هو على ذكر ياسين، ويشير إلى الانقلاب الذي أخذه على حين غرة فأذاقه الجور والهوان وكان هو العراف بأحوال البلاد، وكان هو السياسي القدير الذي اشتهر بالحكنة والدهاء، ولكن هذه الأمور المحتومة قد تغلب أحيانا كل مقدرة ودهاء وتخفى حتى على أصحاب التنجيم:

ياسـينُ إنَّ هـضيمةَ مـا ذقتـهُ — غـدراً ولم تـكُ قبـلُ بالمهـضوم
مـا كنـتَ بالرجـلِ الـذي يمـشي لـهُ — ختـلاً كمـشيةِ قانـصٍ لظليـم
أسـفاً فكـلُّ عظيمـةٍ غلّابـةٌ — مغلوبـةٌ بمقـدَّرٍ محتـوم
يكفيـك فخـراً أن تُكـادَ بمثلهـا — مـستورةً خَفيـتْ علـى التنجيـم[3]

وبعد ذلك يحاول الشاعر أن يبرر سلوكه بالنسبة إلى موقفه الذي ناصر فيه هذه الحركة الانقلابية - وهو في هذا كمن يريد أن يقدم اعتذاره عن هذا الموقف- فيشير إلى الفوضى السياسية التي كانت طابع الحكم في البلاد ويؤكد أن المستعمرين هم الذين كانوا يتحكمون في مصيره:

سـايرتُ حكمـكَ ناقمـاً لم اعتنـقْ — حزبـاً ولم أدخـلْ بظـلِّ زعـيم
حاشـا ولم أهتـفْ لغـيركَ داعيـاً — أو أنْ أخُـصَّ سِـواكَ بالتّقـديم

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 260.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 367.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 367.

ونـــراكَ جبَّـــاراً يكـــون لفِكـــره في المُعـــضلاتِ مـــردُّ كـــلّ جـــسيم
ولقـــد يكـــونُ العـــذرُ أنّـــا طُمَّحُـــو ولقـــد تكـــون وأنـــتَ غـــيرُ ملـــوم
إذا الـــبلادُ تفرَّقـــتْ آراؤهـــا شـــيعاً بـــلا نهـــجٍ لهـــا مرســـوم [1]

ويذكر د.(الاعرجي) بأن الجواهري كان صادقا بوفائه هـذه المرة؛ لأن القصيدة قيلت بعد سقوط الانقلاب وان لم يفرغ نفسيا من عقابيله[2] بذلك يكون الجـواهري قـد طـوى صفحة من صفحات تأريخ العراق الحديث، وكان نصيبه منها حصادا مرّا كما في كل مرة، وما أصدقه حين يقول: ((لم استفد من تجاربي وخيبات أملـي، ولم اتعـظ مـن ذاتـي، وقـد حاسـبتها علـى سقطاتها وتدافعاتها وتهورها وسرعة اتخاذ قراراتها والى ذلك فلم استفد حتى مـن النـدم الـذي عانيت منه الكثير))[3].

حركة رشيد عالي الكيلاني (1941)

لا شك في أنّ كل الشعوب في الأرض تبحث عن حريتها واستقلالها، والشعب العراقـي واحد من هذه الشعوب التي صارعت كثيرا مـن أجـل الاسـتقلال الـوطني، فعلـى الـرغم مـن وجود حكومة وطنية في العراق.إلاّ ان البريطانيين كانوا هم الذين يسيرون دفّة الحكم في العـراق حتى نهاية (الأربعينات)، وذلك لأهميـة العـراق الإسـتراتيجية في المخططـات البريطانيـة قبـل الحرب العالمية الثانية وخلالها، لـذا ضـاعف البريطـانيون مـن تدخلـهم في شـؤونه الـسياسية، وتوجيهها وجهة يرتضونها في الحرب ضد دول المحـور[4] فـضلا عـن عامـل التـدخل فقـد اتهـم الرأي العام الانكليز باغتيال الملك (غازي)[5]، كما أن فشل الجهود التي بـذلت للحـصول علـى تعهد من بريطانيا حول القضية الفلسطينية، والآمـال في تحريـر سـوريا. إن هـذا الفـشل شـجع

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 367.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 142.

(3) مذكراتي: 2 : 169.

(4) ينظر: الأسرار الخفية في حركة مايس : عبد الرزاق الحسني : 1 : 89.مطبعة العرفان: صيدا: 1971. وينظـر البصرة خلال ثورة مايس (1941): زينب كاظم العلي : 26 ،29. رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمـة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة: 1981.

(5) ينظر: الحرب العراقية البريطانية (1941): 101.

المفتي (الحسيني) وجماعته على إثارة المشاعر القومية ضد بريطانيا، كما تغيرت لهجة الصحف العراقية تجاه بريطانيا، فبدأت جريدة (الاستقلال) تندفع نحو (الألمان) بعد أن ترأس تحريرها الكاتب السوري (عثمان قاسم)، وتبعه في ذلك صاحب جريدة (البلاد) و(الزمان) فأصبحت لهجة الصحف مؤيدة للألمان كرها لبريطانيا[1] ورأت حكومة (رشيد عالي الكيلاني) نتيجة تلك الأسباب أن الفرصة مؤاتية للتخلص من مخالب الاستعمار، لذا رفضت الحكومة طلب بريطانيا بقطع علاقاتها مع إيطاليا التي كانت تقف إلى جانب الألمان، مما أثار استياء البريطانيين الذين قرروا– وكرد فعل سريع –عدم تزويد الجيش العراقي بالسلاح. وأرسل العراق ممثله(ناجي شوكت)إلى تركيا للتفاوض مع السفير (الألماني) للوقوف إلى جانب العراق، ونيل استقلاله بعد الانتصار[2].وبعثت الحكومة الأمريكية بمذكرة إلى العراق ، وفيها تنصح العراق بالتعاون مع بريطانيا، لاعتقادها أنّ (بريطانيا) إن خسرت الحرب فسيخسر العراق استقلاله[3]، كما استنكرت الحكومة المصرية تصرفات (رشيد عالي الكيلاني) تجاه بريطانيا[4]، ونتيجة لذلك – وبإيعاز من بريطانيا – طلب الوصي من الحكومة الاستقالة[5]، إلّا أن (الكيلاني) رفض طلبه فعد الوصي الحكومة غير قانونية. ووقف الجيش والشعب إلى جانب الكيلاني[6]، ووزعت منشورات تدعو إلى التظاهر، وهرب الوصي إلى الديوانية، ودرءا للفتن قدم (الكيلاني) استقالته إلى الوصي، وقوبلت بمعارضة شعبية واسعة، وتشكلت حكومة (طه الهاشمي)[7]، ولما رأى (الكيلاني) أن الشعب يؤازره، وأن البلاد تؤيده من جنوبها إلى شمالها[8]، شكل بعد

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 21.

(2) حديث مع ناجي شوكت في (25)، حزيران (1973).

(3) ينظر: الأسرار الخفية: 79، وتطور الحركة الوطنية في العراق: 21.

(4) ينظر: نفسه: 70، 71. وينظر: التطورات السياسية في العراق: 28.

(5) ينظر: في دراسة العراق المعاصر: زكي صالح: 111. بغداد مطبعة الرابطة: 1953، ومحاضر مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي: 270،لسنة 1940.

(6) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 293. وجريدة الاستخبارات السياسية، سرية للغاية، العدد(6) 8 شباط 1941.

(7) من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث: إبراهيم الراوي: 212(بيروت مطبعة دار الكتب– 1969).

(8) ينظر: محاضر مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1940.

استقالته مع بعض أنصاره جمعية سرية باسم (اللجنة السرية العربية) [1]، وحينما شعر الضباط الأحرار بأن الحكومة ستقطع علاقتها مع الايطاليين، وأنها عازمة على تصفيتهم، بأمر من الانكليز[2]. اجتمع العقداء على إثر ذلك، وأعلنوا حالة الطوارئ في معسكر (الرشيد) ووزعوا الجنود في نقاط مهمة في بغداد، مما أدى إلى هروب الوصي إلى الحبانية، ومنها إلى البصرة[3]، وعدّ ذلك انقلابا على حكومة الهاشمي، وتم تشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة (رشيد عالي الكيلاني)، وأعلن غزله لألمانيا[4] وبعد أن فشل البريطانيون في إعادة الوصي (عبدالاله) إلى الحكم ، نقلوه إلى (فلسطين) و(الأردن) بواسطة سفينة حربية تابعة لهم [5]. وقد اختير الشريف (شرف) وصيا [6] بديلا، وأوعز إلى الكيلاني بتشكيل الحكومة، وقوبلت الحركة الجديدة بترحاب بالغ من قبل الشعب والمنظمات القومية في البلاد العربية[7]، أما بريطانيا فاعتبرت ذلك محاولة نازية[8].

وعدّت بريطانيا عُدّتها استعدادا لغزو البصرة، ثم بغداد، وبالفعل فقد احتلت منطقة (الميناء) و(مشروع الكهرباء) بعد أن جردوا الشرطة من الأسلحة، فانتشر النهب والسلب[9]، ثم سقطت (الفلوجة) بأيديهم، وأصبح الطريق ممهدا نحو (بغداد)؛ لأنهم وصلوا إلى منطقة (خان ضاري)، ثم على مشارف (بغداد)، وعندما أدرك القادة خطورة الوضع، أقدموا على

---

(1) ينظر: الأسرار الخفية في حركة مايس: 101.

(2) ينظر: محاكمتنا الوجاهية : علي محمود الشيخ علي : 88، صيدا: المكتبة العصرية: (بلا تاريخ).

(3) فرسان العروبة في العراق : صلاح الدين الصباغ : 45 ، دمشق : 1956 .

(4) تنظر: جريدة الاستقلال العدد(4007)، نيسان 1941، وتأريخ العنف الدموي في العراق: 305.

(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 45.

(6) تنظر: جريدة الاستقلال العدد(4012)، 11نيسان: 1941. وكتاب الوصي إلى رئاسة مجلس الأعيان من البصرة: 20 في 8 نيسان : 1941.

(7) تنظر: جريدة الرأي العام، العدد (478)، (13) نيسان : 1941.

(8) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 47.

(9) تنظر: مجلة أخر ساعة القاهرية : 13: العدد1977، 13 أيلول: 1972. وينظر: الحرب العراقية البريطانية: 270، 272. والأسرار الخفية: 155. ومذكراتي: عبد الله بن الحسين: 228، القدس: مطبعة بيت المقدس: 1945.

تشكيل (لجنة الأمن الداخلي في العاصمة)[1] لمواجهة الطوارئ، وأيقن الكيلاني أنّ أمل النجاح ضعيف، ولتجنيب الشعب المخاطر دخل القادة الأربعة (إيران) لاجئين سياسيين[2]، بعد أن خاضوا معارك باسلة مع الجيش البريطاني، استمرت (30) يوما[3]، وعاد(الوصي) إلى العراق في (22) مايس تحت حراب الانكليز يوم (1حزيران 1941) ((وبفشل ثورة مايس (1941) انتصر الحكم البوليسي، ونصبت المشانق، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس))[4] ((فقد بلغ إلارهاب في العراق حدًا لا يتصوره إنسان متمدن في هذا العصر))[5] وأعدم الضباط الأربعة، وكان لإعدامهم أثر عميق في نفوس العراقيين[6]. وقد كرّهت الأحداث تلك العائلة المالكة للشعب[7]، ونتيجة لذلك خرجت (كتائب الشباب) تهتف بسقوط (الوصي) عميل الانكليز[8]((وقد استغلت بريطانيا تلك الظروف السيئة لفرض إرادتها المطلقة عليهم))[9] لاسيما على (نوري سعيد) كون بريطانيا صاحبة فضل وجميل عليهم، فنفذّ لهم كل ما يبتغونه، فقد صفّى الجيش من العناصر الوطنية، وأحال عددا كبيرا منهم على التقاعد، وأعاد الضباط الاستشاريين البريطانيين، وقطع العلاقات مع إيطاليا، وأبعد الفلسطينيين عن العراق، وأعاد جميع من فصلتهم الحكومة السابقة من وظائفهم، وأصبح هدفه المحافظة على الأمن الداخلي من خلال الانسجام التام مع السفير البريطاني؛ لتعميق نفوذهم في العراق[10]. بذلك فشلت الحركة، وانتهت بالخذلان والخسران[11] ولكنّها أجّجت النفوس، وأيقظت الضمائر، مما عجل بقيام ثورة (1958).

---

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 62.

(2) ينظر: أوراق أيامي: طالب مشتاق: 1 : 405.بيروت: دارالطليعة: 1968.

(3) تاريخ العنف الدموي في العرق: 305.

(4) نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار: 13. ملحق جريدة المدى: دار المدى للثقافة والنشر: 2007.

(5) العراق الجديد: حسين جميل : 38، بيروت دار منيمنة للطباعة: 1958.

(6) ينظر: صفحات من الأمس القريب: عبد الرحمن البزاز: 172، بيروت دار الملايين: 1960.

(7) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 305.

(8) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 121. وتنظر: جريدة الاستخبارات السياسية العدد(23)، 7 حزيران: 1941.

(9) قضيتنا الوطنية: فهد يوسف سلمان: 36، بغداد مطبعة الجامعة، دار الفكر الجديد.

(10) ينظر: العراق أمسه وغده: 69.والحرب العراقية البريطانية: 275.والتطورات السياسية في العراق: 87 و 109.

(11) ينظر: من شعرائنا المنسيين: 120.عبد الله الجبوري: دار الجمهورية للطباعة والنشر : بغداد : 1966.

دور الجواهري في حركة رشيد عالي الكيلاني

إنّ موقف الجواهري من حركة مايس يشوبه الغموض، وتكتنفه الضبابية، لأسباب سوف نأتي على توضيحها. ومن يقرأ (مذكراته) يجده يهجم على الكيلاني، ويحمّله أوزار الحكم الملكي، لكونه كان من المقربين من البلاط لاسيما في عهد (عبدالإله)، فقد كان (الكيلاني) يشغل منصب رئيس الديوان الملكي[1]، وهو صاحب تواقيع الولاء والخضوع للعائلة المالكة[2]، فكيف ينقلب عليه؛ليصبح بين ليلة وضحاها نازيا، هتلريا؟!!، ثم إن الجواهري يتحفظ على تسمية ما قام به الكيلاني بالثورة، لأنها كثيرة في حقها، فهي لا تعدو كونها حركة[3]. بعدما استغل بها طيب بعض الضباط والجنود، ليقول بأنه سيحارب بريطانيا ((أقول ذلك ليقيني أن هذه وغيرها من الحقائق مدفونة في طي الصمت قدر ما هي محرفّة بقصد التضليل وقلب المقاييس والشغف بحظوة التقرب والزلفى على يد من هم أكفاء لذلك.)) [4]

إنّ تهجم الجواهري هذا لا يغير من حقيقة تأييده لحركة الكيلاني في بادئ أمره، حيث اعترف الجواهري بذلك قائلا: ((كنت انساق بعفوية وبراءة مع كل من يملك نفسا ثائرة مندفعة ...وهذا ما حدث مع حركة رشيد عالي الكيلاني))[5]، ومما يؤكد هذا التأييد أن الجواهري بعد فشل حركة مايس (1941) غادر العراق مع من غادر إلى إيران[6] إنّ هذا التضارب في الأقوال مرده في حقيقته لا يتعلق بفلسفة الحركة من حيث المبدأ، وإنما لكونها اعتمدت على (ألمانيا) الهتلرية التي يبغضها الجواهري بغضا شديدا ويعدها خصما لدودا للبشرية، كما في قوله : ((كانت بريطانيا خصما مباشرا لوطني ... أما ألمانيا النازية ، فقد كانت خصما للبشرية كلها))[7]، ومما زاد من عداء الجواهري لألمانيا، هجومها على (الاتحاد السوفيتي)، الذي هو كعبة الشاعر، وملهمه أفكاره الاشتراكية، التي يريدها أن تسود على المعمورة كلها. بذلك نجد

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 366.

(2) ينظر: نفسه.

(3) نفسه: 365: 1.

(4) نفسه: 367: 1.

(5) نفسه: 169: 2.

(6) الأعمال الكاملة: 7. (المقدمة)

(7) مذكراتي: 1 : 370.

في أشعاره – في تلك المرحلة – ميلا واضحا إلى دول الحلفاء لكونها ناصرت الاتحاد السوفييتي في حربه ضد الألمان ففي قصيدة: (تونس)، يظهر إعجابه الشديد بالقائد البريطاني (مونتغمري) بما حقق من نصر على(رومل) قائد جيوش دول المحور قائلا:

ويأمونتكُمْري لو سقى القولُ فاتحاً	سقتْكَ القوافي صَفوَها السلسلَ العذْبا
ولو كان ذوبُ العاطفاتِ نثارةً	نثرنا لكَ الإعجابَ والشُكرَ والحُبّا
نضتْكَ لدرءِ الشرِّ عضباً صياقلٌ	أعدَّتْ لِلُقيا كلَّ مستكبرٍ عضبا
حللتَ على روميلَ كرباً، وقبلها	أحلَّ بأدهى منهُ ولنكتن كربا
وأنت انتزعتَ النصرَ من يدِ قادرٍ	عليه، ولم ترحمْ معنىً به صبًّا
ودحرجتَه عن مصر وهو مُعرِّسٌ	بأحلامِهِ، يُحصي الخراجَ الذي يُجبى
وغرَّته من ريحِ الصحارى قبولُها	فكيفَ رآها وهي مُعرِضةٌ نكْبا
دحا أرضَها، وانصبَّ كالموتِ فوقَها	ولُحْتَ له موتاً على الموتِ مُنصبّا
تركتَ الذي رامَ السما يلمِسُ الثرى	ومَن كان يشكو بطنةً يشتكي السَّغْبا
وبصرئه لما تصعَّرَ خدُّه	بأنَّك أعلى من أخادعِه كعبا[1]

أمّا لماذا الحلفاء دائما على حق في نظر الشاعر؟ فلأن بين هذه الدول دولة كان اسمها (الاتحاد السوفييتي)[2] . إذا أن غزو ألمانيا (لروسيا) هو العامل الرئيس لتنكّر الجواهري لحرة مايس (1941)، ولم ينفرد الجواهري بهذا الرأي، وإنما هو موقفكل (اليسار) في العراق، ((فقد أيدّ الحزب الشيوعي حركة(رشيد عالي الكيلاني) بوصفها حركة وطنية، معادية للاستعمار البريطاني، فأدّى هذا الموقف إلى التسامح مع (الشيوعيين)، مما ساعد على انتشار الشيوعية[3] ((فوقفوا إلى جانب الشعب الذي أصبح هدفا للقنابل البريطانية، وفي الوقت

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 414.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 148.

(3) ينظر: الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي: 4 : 770. والتطورات السياسية في العراق: 347.

ذاته وقف التقدميون ضد استغلال (ألمانيا) لهذه الحركة، وضد ما رافقها من التحريض على بعض السكان))[1]

فهم في حيرة من أمرهم بين ولائهم للعراق وكرههم لألمانيا لذا جاءت مواقفهم مؤيدة لحركة مايس على استحياء؛ فقبل وقوع الصدام بين ضباط حركة مايس وبريطانيا كانت العناصر التقدمية (جماعة الأهالي، الشيوعيون): ترى أن التصادم مع بريطانيا لم يحن أوانه في (1941)، نظرا إلى الخطر (الهتلري) الجاثم على كل أذهان العالم، ولأنّ العراق مهدّد بالخضوع إلى استعمار (جرماني) - فيما لو اندحرت بريطانيا - أشد من الاستعمار الأول قسوة، وأعظم شراسة، ولكن عندما وقعت حرب مايس وضعت الديمقراطيين في موقف حرج، فإما أن يكونوا مع الشعب، أو مع بريطانيا، فكانوا مع الشعب[2].ولكن هذا التأييد لم يدم طويلا، فقد((تغير موقف الحزب تجاه الحرب، بعد مهاجمة الجيوش الهتلرية لروسيا[3]في(حزيران1941)، فوصف الحرب بأنها(حرب الإنسانية)، ودعا شعوب العالم إلى تحمل نصيبها من الحرب[4]، وأدى هذا الموقف إلى التخفيف من شدة الإجراءات التي تتخذ عادة ضد الشيوعيين؛لأن أعمالهم كانت في حينها ضرورية لمقاومة النازية والفاشية في البلاد)) [5]، وهذا الذي كان من الشاعرالجواهري، إذ أيّد الحركة، ولكنه لم يكن متحمسا كما في ثورة (بكر صدقي)، ولهذا لم نجد في ديوانه أنّه قد نظم شيئا في ضباط (مايس)، غير أنّه لم يخف فرحه بـ (يونس بحري)، الذي كان يقرأ أبياتا من شعره على الشعب عبر المذياع، يقول الجواهري:((عند الغروب، وقبل ليلة من توجهي إلى بغداد، عرجت على نادي الموظفين في (النجف)، وجلست استمع إلى المذياع، الذي كان يلتقط القسم العربي من محطة (برلين)، وكان صوت المذيع يهدر، ولم يكن ذاك سوى المذيع الرهيب (يونس بحري) الذي استطاع أن يبسط سلطانه على القسم العربي في الإذاعة الألمانية، واستمعت في نادي الموظفين، وأنا بين صفوة من أترابي وزملائي،

---

(1) موقفنا من بريطانيا وألمانيا والاتحاد السوفييتي ومن حركة مايس(1941) عزيز شريف: 18. بغداد: مطبعة السلام: 1948.

(2) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 118.

(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 372.

(4) تنظر: جريدة الشرارة العدد،(5) السنة الثانية شباط1942.

(5) الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي: 4 : 770.

صفوة من أترابي وزملائي، إلى صوته يخترق أسماعنا: يا أهل العراق، يا جيش العراق، لا تستسلموا ولا تهنوا، تذكروا ما خاطبكم به شاعركم الجواهري في ثورة العشرين))[1] وراح ينشد:

لعلَّ الذي ولَّى من الدَّهرِ راجعُ ... فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلا المطامعُ
جرى ثائراً ماء الفراتِ فما وَنى ... عن العزمِ يوماً موجُهُ المتدافع
حرامٌ عليكم وِردهُ ما تزاحمتْ ... على سفحهِ تلك الوحوشُ الكوارع[2]

يقول الجواهري: ((كنت موزعا بين إعجابي بان تدوي كلماتي في تلك الساعة، وبين مستسلم لواقع الأمر غير مكترث بعواقبه، وأعني أن أكون في ذلك الظرف العصيب الجديد، وانتصار القوات البريطانية مثيرا للجماهير، ولكن على لسان مذياع نازي))[3]، ثم يذكر الجواهري انه تنصل من (الكيلاني) عندما طلب منه قصيدة بالمناسبة، حيث يقول الجواهري :((اتصل بي (رشيد عالي الكيلاني) هاتفيا بمقري في إدارة الجريدة (الرأي العام) طالبا حضوري....قابلته كما أراد....وطفق يحدثني عن إعجابه بـ (الرأي العام)، وموقفي الوطني منها، وبخاصة موقفي من بريطانيا، وسرعان ما التقطت (بيت القصيد) مما أعده هو بالذات، ومما حزرته من قبل، ليقول لي، ولكنك يا جواهري تعرف قبل كلّ أحد أن الناس يطلبون منك ما ألفوه في مثل هذه المواقف من شعرك الجميل....فأجبته:أنت تعرف أنّ لكل شاعر مزاجه الخاص وانفعالاته الوجدانية، مما لا يسهل معهما الارتجال، ردّ عليّ....وإن أبياتا قليلة؟ قلت: طيّب، أحاول))[4]، ولملم الجواهري أمتعته، ليشدّ رحاله إلى مدينة (النجف) هربا من (الكيلاني)، ومكث فيها حتى عودة الأمير (عبد الإله) ومن معه من أتباعه، وتمّ على وجه السرعة تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة (جميل المدفعي)، ولم تمض سوى أيّام قلائل، حتى يتصل به (نور الدين داوود) مدير الدعاية العام، وهو أحد أقرباء رئيس الوزراء الجديد، طالبا منه عودة جريدة (الرأي العام) إلى الصدور، فكان جوابه أن كيف يعود إلى جريدته، وفي كل

---

(1) مذكراتي: 1 : 368، 398.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.
(3) مذكراتي: 1 : 398.
(4) مذكراتي: 1 : 367.

بيت مناحة، فلو فرش الطريق إلى الجريدة ذهبا لما أصدرتها[1]. وأنـي طويـت الجريـدة في أيـام ذلك الرجل وما تزال مطويّة حتى الآن، يقول الجواهري:((ذاك أرادنـي أن أبـارك، علـى نحـو غير مباشر النازية مستغلا غـضبي علـى الانكليـز، وهـذا يريـدني مادحـا لـه وفي ظـل الحـراب البريطانية مستغلا كرهي للنازية))[2].

وكانت حكومة المدفعي تسعى وراءه لمضايقته، كما ضويق من قبل، فلم يكـن ثمّـة بُـدّ من الإفلات، وترك العراق ليستقر بـه الحـال في (إيـران) ويومهـا دخلـت القـوات (الألمانيـة) الأراضي (السوفيتية) وراح الجواهري يتجول في شوارع طهـران، يقـول الجـواهري: ((وخـلال تجوالي وجدت نفسي أمام بناية واسعة، هي بين المقهى والمغنى، تحمل اسـم (كافيـة اسـتانبول) ...وقد أخذت مجلسي على كرسي وثير فارغ، وإذا بي أرى أشباحا تخيلـت أنهـا مألوفـة لـدي، ولم تطل الرؤية، تقدم أحد الأشباح رويدا رويدا وكانـت المفاجـأة - إن لم تخـني الـذاكرة - هـو (حكمت سليمان)، وإلّا بالضبط فـ (نـاجي الـسويدي) واحتـضنني وعـانقني واقتـادني معـه إلى (الشلّة) من أترابه هناك وإذا هم : (يونس السبعاوي) و(علي محمود الشيخ علي) فانهـالوا علـيّ ترحابا وتقبيلا))[3]، ثم يستطرد الجواهري: ((وتفرست فيهم وجها بعد وجه، وقرأت على كلّ واحد منها - وبكل وضوح - ما يتناهبه من قلق وفزع على المصائر التي تنتظـرهم...ولا بـد لـي أن أشاركهم وضعهم هذا تسلية وتصبيرا، وبعـد سـاعتين غـادرت المكـان مودّعـا... وفي اليـوم الثاني قال لي هادي الهاشمي: ((لقد قبض عليهم وجرى بعد ذلك أن نفي من نفي، وشنق مـن شنق، وسجن من سجن))[4]وظلّ الجواهري يترقّب الأحداث من هناك حتى إذا ما اطمأنّ عـاد إلى العراق، لاسيما بعد أنْ تيقن بأنّ العراق قد شـهد مـا لم يـشهده في (ربـع قـرن) مـن الحكـم الوطني من انطلاق الكلمة الحرة والمعارضة فمن وجهة نظره كان فتحا جديدا للصحافة الوطنية، مما كان لها من ضمانة في تلاقي الحلفاء، بما فيهم (الاتحاد السوفييتي) وكان ذلـك في نظـره كافيـا لردع الحاكمين، مما كـانوا عليـه مـن غطرسـة الـتحكّم في الكلمـة[5]، ونتيجـة تلـك الأوضـاع

(1) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 368.

(2) المصدر نفسه: 1 : 370.

(3) المصدر نفسه: 1 : 373.

(4) مذكراتي: 1 : 374.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 375.

الايجابية، وبتشجيع من صاحبيه (عبد الفتاح إبراهيم) و(ناظم الزهاوي) عاد إلى العراق لإصدار جريدته (الرأي العام) من جديد، وليس سوى أيام معدودة على إصدار صحيفته حتى يفاجأ بأنّ اسمه في ضمن القائمة السوداء، وأنّه مطلوب من قبل (الأمن)، فاستجار بالسيد (الصدر) بعد أن بات ليلة قلقة، وتدخل السيد (الصدر) له عند (صالح جبر) وسوّي الأمر، ولكن طلب منه مقابلة (صالح جبر)، وعند مقابلته تبين أن التهمة الموجهة إليه هي بسبب قصيدته التي أذيعت من إذاعة(برلين) فأخبره بأنه قد نظمها في (العشرينات) بمناسبة (ثورة العشرين)[1] وبعد عتاب متبادل بين الاثنين أخبره (صالح جبر) بأنه ضمن من تعتز بهم الحكومة إشارة منه ليكون بديلا صالحا عن (الرصافي) المغضوب عليه، بسبب مواقفه السلبية من بريطانيا، ولم تمض سوى مدة، حتى أصبح الجواهري شاعر (البلاط) ثانية، كما مرّ ذلك في موضوع رحلة الجواهري مع الوصي (عبد الإله) الذي وهبه مقعدا في المجلس النيابي، ولم يمكث الجواهري فيه سوى بضعة أشهر حتى كانت انتفاضة معاهدة (بورتسموث)1948 .

الجواهري واتفاقية بورتسموث(1948)

عاصر الجواهري جميع الاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة العراقية مع الجانب البريطاني. وتعدّ اتفاقية (بورتسموث:1948)[2] من أهم الاتفاقيات التي أبرمت في عصره. ولم يكن الجواهري ببعيد عن مجريات الساحة السياسية، حيث واكب تلك الاتفاقية، منذ أيامها الأولى، مدركا في الوقت نفسه أن بريطانيا قد أجهدت نفسها طويلا، تمهيدا لخلق أجواء تمكّنها من توقيع تلك الاتفاقية.وأنّ استبدالها حكومة (أرشد العمري) القمعية بحكومة (توفيق السويدي) الوطنية[3]، ومن ثم احتضانها لـ (صالح جبر) والترويج له أعواما طويلة، لم يكن إلا لغرض

(1) ينظر: المصدر نفسه: 379، 380، 381.

(2) ((وقعت المعاهدة العراقية البريطانية في (15 كانون الثاني1948) على ظهر الباخرة (فكتوري) في ميناء بورتسموث)). جريدة العراق: العدد7313، 17 كانون الثاني1948.

(3) ينظر: الجواهري صحفيا: 207.

تنفيذ تلك الاتفاقية، التي أعدت للعراق بعد الحرب العالمية الثانية، بغية ربطه بعجلة الاستعمار لسنوات طوال[1].

وبعد تشكيل وزارة (صالح جبر) بإيعاز من الانكليز، استقبلت بمعارضة كل الأحزاب السياسية التي أعلنت، أن الهدف من مجيء الوزارة الجديدة تنفيذ السياسة الاستعمارية[2]. ولكي يمهد(صالح جبر) لانجاز ما هو مطلوب منه، فقد عمد إلى حل المجلس النيابي، وإجراء انتخابات جديدة، وقد اختير (الجواهري) في ذلك المجلس نائبا عن (كربلاء)[3]، وكان في حينه على علم تام، ببنود الاتفاقية قبل إبرامها بعد ما أطلعه (الوصي) على مسودتها في (لندن) طالبا منه بيان رأيه فيها. يذكر الجواهري أن الوصي قال له: ((أحبَّ وأنت في الطليعة فيمن أحب، أن أخصك بشيء، اعتبره بمثابة تصديق لهذا الحب، أن أطلعك على ما يهم الناس من نصوص المعاهدة ...أريد أن تبين لي نقاط الضعف فيها))[4] ولقد تركزت ملاحظات الجواهري على ما يتعلق بالقواعد العسكرية البريطانية في العراق وعلى ما يشبه التملك لطرق المواصلات....على طول مدة هذه المعاهدة الجائرة[5]. وفي ذلك إشارة واضحة منه إلى أنّها تكبّل العراق في حاضره ومستقبله، وسالبة لاستقلاله، ومنقصة لسيادته[6]. غير أن الوصي لم يعبأ بما قاله الجواهري، مفهما إياه في الوقت نفسه، أنْ ليس بالإمكان أفضل مما كان، ثم أن الانكليز يخوفونهم بين آونة وأخرى بـ (السوفيت)[7]، عندها أدرك الجواهري بأنّ الاتفاقية حقيقة واقعة، وأنّ الأسباب التي ذكرها (الوصي) لم تعد مقنعة له، وبات يحاسب نفسه:((كيف أعود مع

---

(1) ينظر: المعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية1922 –1948 فاروق صالح العمر: 393 –43 ، بغداد: 1948. وينظر: الجواهري صحفيا: 211.

(2) تنظر: جريدة صوت السياسة: العدد : 89 ، نيسان1947. وجريدة صوت الأهالي العدد1368، 30 اذار1947.

(3) ينظر: الجواهري صحفيا: 210.

(4) مذكراتي: 1 : 470.

(5) ينظر: نفسه: 1 : 471.

(6) تنظر: جريدة صوت الأحرار العدد46، 20 كانون الثاني1948.

(7) ينظر: مذكراتي: 1 : 471.

حاشية عبد الإله؟ كيف سأواجه الجماهير المشدود بها، وماذا ستكون مسؤوليتي.))[1] فكان لا بد من موقف يسجّله لنفسه، كي يميزه منهم، لذا فقد حاول الفرار منهم والانفصال عنهم، ولكن أسبابا قاهرة حالت دون ذلك. ولتبرئة ساحته لجأ إلى جريدته ((فكتب فيه مقالا يتهجم على السلطة معارضا اتفاقية (بورتسموث) تحت عنوان (صفقة خاسر)، وقبل أن يخرج العدد من المطبعة أغلقت الجريدة))[2] بذلك يكون الجواهري، قد فضح للناس ما أمّنه الوصي عليه من أسرار الاتفاقية: ((الأمر الذي استقبله الناس بدهشة إذ كيف يصح لي أن أذيع ما كنت مؤتمنا عليه من أمر خطير))[3]، وعمق الجواهري من مواقفه الوطنية اتجاه ما يحاك للعراق. وكخطوة فاصلة بينه وبين الحكومة، قدم استقالته من (البرلمان) وذلك حين ((هبّ بعض النواب يعارضون معاهدة (بورتسموث)، وهي لا تزال تصاغ في (لندن) انضمّ إليهم في تقديم استقالاتهم احتجاجا على تلك المعاهدة))[4]، وما أن أعلن (محمد فاضل الجمالي) بنود معاهدة (بورتسموث) في كانون الثاني (1948) للناس-وبشكل رسمي- حتى قامت مظاهرات في كل مكان منددة بالمعاهدة، وبإسقاط حكومة (صالح جبر)، وهاجم المتظاهرون بناية التحقيقات الجنائية، وبناية مطبعة (التايمس) وأشعلوا فيهما النيران[5].

واندفع الشاعر (محمد مهدي الجواهري) كعادته عنيفا، يتقدم صفوف المتظاهرين محرضا إياهم على الثورة ((وراحت صور وثبة كانون تمده بالغرر من قصائده السياسية المخلدة، التي كانت أعظم وقعا، وأكثر صدى من مقالاته اللاهبة، التي ظل يوالي نشرها في الرأي العام))[6] حتى أمست قصائده السياسية آنذاك شعارات يرددها المتظاهرون، ضد معاهدة (بورتسموث)[7]، ومما زاد من غضب الجواهري، وانحيازه الكامل للجماهير، هو مهاجمة الشرطة للطلبة المتظاهرين، وإطلاق النار عليهم، فنتيجة لذلك كتب الجواهري مقالا افتتاحيا

---

(1) نفسه.

(2) الجواهري شاعر العربية: 63.

(3) مذكراتي: 1 : 470.

(4)الجواهري صحفيا: 211. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 384.وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 8.

(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 549. وتنظر: مجلة الوطن العدد12 السنة الاولى20 تموز1945.

(6) الجواهري صحفيا: 211.

(7) ينظر: شعراء عراقيون: 38.

مثيرا في جريدته (الرأي العام) يحمل فيه على تجاوزات رجال الشرطة للقانون، ومما أثار حفيظة الوصي (عبد الإله) ووزارته فاتصل به (جمال بابان) نائب رئيس الوزراء آنذاك، محاولا إقناعه بالكف عن تحريض الجماهير، غير أن الجواهري ردّ قائلا: ((إنّ جريدتي منتمية إلى الجماهير، وإذا كانت مواقفها وأفكارها واتجاهاتها لا تروق بسياستك، فبإمكانك إغلاقها))[1]، وظل الجواهري يشحن الشباب، والشارع العراقي بالحماسة والثورة، مطالبا إيّاهم الانتقام من رموز النظام آنذاك[2]، وقد انقلبت المظاهرات إلى هياج جنوني مسلّح، ينذر بقيام ثورة داخلية في بغداد[3]، عندها اضطرت الحكومة الملكية - تحت ضغط الواقع وخشية وقوع الأسوأ -إلى إصدار بيان: ((بأنّ المعاهدة العراقية البريطانية التي وقعت في (بورتسموث) لا تعبّر عن المصالح الوطنية للبلاد، وليست طريقا صحيحا من أجل تقوية الصداقة العراقية البريطانية، ووعد الشعب بعدم إبرام أي اتفاقية لا تضمن حقوق البلاد))[4] وانتهى الأمر بإسقاط حكومة (صالح جبر) وتشكيل حكومة جديدة برئاسة (محمد الصدر) الذي أصدر قرارا بعدم الموافقة على هذه المعاهدة[5] فابتهج الشعب بذلك كل الابتهاج، وتصدّرت جريدة (الرأي العام) قصيدة الجواهري: (قف بأجداث الضحايا) التي باركت الشعب بطولاته التي أسقطت تلك المعاهدة، وفيها يقول:

حضَنَ" التاجُ " بنيهِ فتعالى ... وتعالى "حارسُ التاجِ" جلالا
وتعالتْ أمّةٌ لم تنحرفْ ... عن مدى الحقّ ولا زاغتْ ضلالا
أمّةٌ تكرهُ من مستعمرٍ ... فرضةُ النصرَ! وتأبى الانخذالا
وتخطّتْ جمرةُ الغيضِ إلى ... "وقدةِ" الموتِ فزادتهُ اشتعالا
ومشتْ "للهُلْكِ" تدري أنّه ... يسألُ الرُّوحَ عن الدُّنيا زوالا

---

(1) مذكراتي: 2 : 16.

(2) يذكر الجواهري أن (نوري السعيد) قد لقيه بعد انتكاسة الوثبة على متن طائرة للسفر قد جمعتهما مصادفة، ليقول له شامتا ومتحديا أمام الجميع وبلهجة تطغى عليها السخرية: ((ماذا تريدون؟ وكلمة ماذا تريدون إشارة إلى هتافات الجماهير في الوثبة حيث كان يهتف مناد...ماذا تريدون؟ فترد الجماهير إعدام صالح جبر ونوري السعيد)) مذكراتي: 2 : 35.

(3) ينظر: التطورات السياسية في العرق: 475 -549.

(4) المصدر نفسه: 542. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 53.

(5) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 22. ومذكراتي: 2 : 21.

والـــــذين اســــتنزفُوا طاقــــاتِهِم   في المــشقّاتِ هــمُ كــانوا الرجــالا
حــضنَ التــاجُ بنيــه حــضنةَ اللَّيــثِ   لا يبغــي عــن "الــشِّبلِ" انفــصالا
وتحــدّى مَــن تحــدّى مُعلنـــاً   أنــّه يقــبلُ فـــي الحــقِّ النِّـــزالا
وانـــبرت كــفٌّ هـــي البُــرء مــشى   فــشفى مـــن "مـــزمنٍ" داء عـــضالا
تمــسح الدمعـــة ســـالت حــرّة   فــوق جــرح فــاح بــالعطر وســالا [1]

ثم يعرج الجواهري إلى تلك الجموع، التي جاءت من كل حدب وصوب متحدية الطواغيت، مسترخصة الدماء والأرواح؛ من أجل فخار الأمة وعزتها، فهم بذلك كتبوا صفحة من صفحات التاريخ التي كشفت عن زيف عهد الزعامات المتحلة، والادّعاءات الكاذبة، فنراه يقول:

يــا حُمــاةَ الطُّهــرِ فــي مُعتــركٍ   زحــمَ الطهــرَ بــه الرجــسُ فمــالا
نــسلُوا مـــن كــلِّ حــدبٍ نُــسوةً   ورجـــالاً، وجنوبـــاً، وشمـــالا
يــا شبابـــاً صبَغُـــوا الأرضَ دمـــاً   كــان في "وجنــة" سِفــرِ المَجــدِ خــالا
منـــحَ الباغــــي هوانـــاً وصــغى   وحبـــا الأمَّـــةَ زهـــواً واختيـــالا
واكتبوهـــا صـــفحةً إنْ ذُكـــرتْ   كنـــتمُ الأمثـــالَ فيـــها والمـــثالا
واختِمُـــوا عهــدَ "زعامــات" عــفتْ   كاذبـــاتٍ لفَقُوهُـــنَّ انتحـــالا
مـــن حُطـــامٍ لُـــمَّ مـــن كـــلٍّ خنـــا   وادِّعـــاءٍ صـــارخٍ قيـــلا وقـــالا [2]

بذلك يكون الجواهري قد جسد صفحات مشرقة من تأريخ هذا الشعب، الذي يأبى الخنوع والركوع والهوان على مدى التأريخ. ويعترف المراقبون، بأن العراق لم يشهد في تأريخه الحديث تماسكا بين أبناء الشعب. من مختلف الطوائف والقوميات وتضامنا في مقاومة المخطط الانكليز، مثلما شهده في أثناء وثبة (الثامن والعشرين) من كانون الثاني سنة (1948) التي نسفت معاهدة (بورتسموث) الاستعمارية وقبرتها إلى الأبد.

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 498.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 499.

الجواهري وشهداء الوثبة

واجهت الحكومة الملكية المظاهرات المنددة باتفاقية (بورتسموث) بالرصاص، مما أدّى إلى وقوع شهداء وجرحى، لا سيما تلك المظاهرة التي أرادت الجماهير المتظاهرة في بغداد العبور من على جسر الرصافة – الكرخ، حيث حصدتهم الرشاشات والبنادق، بأمر من (صالح جبر) فكانت معركة شعبية امتزجت فيها دماء الشباب الثائر، وسميت بـ(معركة الجسر)[1]. ومنذ اليوم الأول من الوثبة بارك، الجواهري انطلاقتها، وناصر مبادئها، ورثى شهداءها، إيمانا منه بانتصار الدم على السيف، لذا نجد أن الجواهري، كتب أروع قصائد الدم والشهادة في تلك المرحلة، التي جاءت معبرة - بشكل متسلسل تاريخيا- عن الأحداث الدامية في تلك المرحلة فاضحا فيها: ((جرائم السفاكين الذين أراقوا دماء الأبرياء في سبيل التمسك بكراسي الحكم ولخدمة المستعمر))[2] مطالبا في الوقت نفسه بإنزال العقاب بهم، ليكونوا عبرة لغيرهم من الذين استهتروا بأرواح الناس، منذرا إياهم بان أشباح تلك الدماء ستظل تطاردهم، وتقلق مضاجعهم، وتهزّ عروشهم، فنجد كل تلك المعاني وغيرها في قصيدة: (قف بأجداث الضحايا)[3] و(أخي جعفر)[4] و(يوم الشهيد)[5] و(الشهيد قيس)[6] و(دم الشهيد)[7]. وهذا يعني أن الشهادة قد احتلت حيزا كبيرا في فكر الجواهري، فهي تعني – على وفق منظوره – بأنها قيمة عليا يفرزها صراع الأضداد والنقائض في المجتمع .وهي فكرة استمدها الجواهري من الفكر (الماركسي) القائم في فلسفته على قواعد الصراع الطبقي[8]. وقد اتخذ الجواهري من الشهادة سلاحا لمقارعة الطغيان، وكان الحكام يفقهون تماما فلسفات قصائده ومقالاته. فلا

---

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 537. والتيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 120. والثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 193. وتاريخ العنف الدموي في العراق: 305. والأعمال الكاملة: 4 : 622.

(2) جريدة الناس (العدد)274، في 8، كانون الثاني: 1952.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 498.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 498.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 507.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 516.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 517.

(8) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 105.

غرابة بعد ذلك أن يصدر مجلس الوزراء قرارا بإغلاق جريدة (صوت الأحرار) للسيد (لطفي بكر صدقي)، لأن الجواهري نشر فيها مقالا بعنوان (جنازة) إثر مشاركته بمظاهرة تشييع شهيد مات في السجن[1].

لقد وجد الجواهري في رحاب (الشهداء) آفاقا واسعة، تمكنه من تجسيد آرائه وفلسفاته، لذا كان سباقا في قيادة تشييع شهداء (الوثبة) وتعظيم شعائرهم ففي (يوم 23 من عام 1948) اجتمع مع عدد من الصحفيين في بناية (نادي الطيران) لأجل الذهاب إلى مقبرة (باب المعظم) لوضع إكليل من الزهور على قبور الشهداء الذين قضوا في مظاهرات الوثبة[2]، وألقى الجواهري قصيدة (قف بأجداث الضحايا)، مصورا فيها طهر الشهداء وبطولاتهم، التي يفوح منها عطر العزة وأريج الكبرياء، ثم يرسم آدابا وطقوسا تنسجم في مضامينها مع قداسة الموقف والمكان، فيأمر بخفض الجناح في حضرتهم تعظيما لهم، وقول ما يلق بمنزلتهم. فهم المحسودون لنيلهم شرف سبق الشهادة، وهم المشاعل الوضاءة التي تنير دروب الأجيال، وصولا إلى شواطئ النصر والأمان، فنراه يقول:

قِفْ بأجداثِ الضحايا لا تُسِلْ ... فوقَها دمعاً ولا تبكِ ارتجالا
وتلقَّفْ من ثَراها شمَّةً ... تملأُ المِنخرَ عزّاً وجلالا
وضعِ الإكليلَ زهراً يانعاً ... فوقَ زهرٍ من ضميرٍ يتلالا
ثمَّ خفِّضْ من جناحَيْك بها ... ثمَّ أبلغها إذا شئتَ مقالا
أيّها الثاوون في جولاتكم ... أطبتمُ مثوىً، وعطَّرتمْ مجالا
كلُّنا نحسدكم أنْ نِلتُمُ ... شرفَ الفرصةِ – من قبل – اهتبالا
كلُّنا نمشي على آثاركم ... بالضّحيّاتِ خفافاً وثقالا[3]

(1) ينظر: مذاكرتي: 782.

(2) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 534.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 499.

ويمضي الجواهري في رثاء شهداء الوثبة، واحدا تلو الآخر، معلنا بأنّ دم الشهيد هو تكريم للوطن الذي يستجير بشباب من مثله، في المدلهمات والخطوب، وأنّ الذين سفكوا دمه، سينتقم منهم على يد الثوار إن عاجلا أو آجلا، فيقول:الجواهري في قصيدة، (الشهيد قيس)[1]:

يـــا قــيسُ: يـــا رمـــزَ الــشهادةِ عُطِّـــــرتَ بـــــدمٍ خَــــضيب
كرُمــــتَ بـــالكَفَنِ المُخـــضَّبِ منــــك والخـــدّ التريـــب
وطنـــاً بمثلِـــك مـــن بنيـــه يـــستجيرُ مـــن الخُطـــوب
ويـــرد أنــــصبةَ إلــــيهم مـــا حبَـــوه مـــن نـــصيب
بالمجــــدِ تَخلعُــــهُ الحُقـــوب علـــيهمُ تِلـــوَ الحقُـــوب
يـــا قـــيسُ يـــا قـــيس المُلـــوِّح في شـــبابك بـــالحروب
الـــشعبُ يثـــأرُ مـــن رُمـــا تـــك في بعيـــدٍ أو قَريـــب [2]

ولعل الحدث الاكبر الذي هز كيان الجواهري وغير من مسار حياته ، هو استشهاد اخيه (جعفر) الذي كان قد ترك دمشق قادما الى (بغداد) للمشاركة في احداث الوثبة ، فخر على الجسر سريعا (27كانون الثاني 1948) وقد صدقت نبوءة الجواهري باستشهاد اخيته (جعفر)، يا لمرارات نبوءات الشعراء، وما ان تيقن الجواهري نبأ استشهاد أخيه من الإذاعة العراقية التي أذاعت النبأ، حتى ثارت ثائرته[3]، وثارت معه الجماهير الغاضبة، والجماهير الموالية للأحزاب، بعد زحفت من كل حدب وصوب، فاكتظت بهم طرقات (الكرخ) و(الكاظمية) متدافعة لتشييع جثمان جعفر، ثم زحفت الحشود عبر(الأعظمية)عابرة جسر الأحرار الواصل بين الجانبين إلى حي (الصالحية)[4].فالشاعر الذي وتره النظام بأخيه، وتحداه بهذه الفعلة النكراء، ما كان له وهو يرى الجموع تهدر في الشوارع كالطوفان، وتغلي بغضبها كالمرجل العملاق إلاّ أن يلتحم معهم ذاتيا، وراح يقود الجموع على صعيد الحلم

---

(1) وهو(قيس الالوسي) الذي استشهد في معركة الجسر، يوم 27 كانون الثاني: 1948.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 516.

(3) ينظر: الجواهري صحفيا: 121.

(4) ينظر: مذكراتي: 2 : 19.

والتصور الشعري، وتفريغ الغضب، وكان بإمكانه أن يحيلها إلى ثورة حقيقية[1]، ولكنه لم يكن ليعيها بعد. ووارت الجموع جثمان الشهيد بالثرى في مقبرة (آل الجواهري) بالنجف وألقى الجواهري، بعد مراسم الدفن كلمة مؤثرة وقال للحاضرين: إنّكم ستسمعون في الأسبوع القادم قصيدة في رثاء أخي جعفر[2]. يقول الجواهري: ((والله ما كنت عازما على إلقاء القصيدة ولكنهم أرادوا منّي. قالوا لي غدا تشييع جنازة أخيك جعفر، وسهرت الليل بطوله أدخن، ثم قلت لنفسي..غدا تشييع جنازة أخي جعفر، وعار عليّ ألّا ألقي قصيدة عن أخي، ولكن لم تكن لديّ أي تجربة شعرية!ثم تساءلت مع نفسي وقلت:أتعلم يا جواهري أم لا تعلم؟وأمسكت برأسي من الدوار:وهنا أمسكت بالقلم، وقلت أتعلم أنت أم أنت لا تعلم))[3]، وفي رواية أخرى يذكر الجواهري أنه بعد عودة المواكب الحزينة، عاد معها إلى بغداد ليقيم مجلس(عزاء)على روح أخيه وفي اليوم (الثالث)من العزاء، وفي صباحه تحديدا ترك مجلس(العزاء)على خلاف ما ينبغي، ودخل بيته الكئيب، الواقع على بعد أمتار من جامع(الحيدرخانه)، وأغلق الباب على نفسه، وبدأ الحداد بصراخ لم يمارسه من قبل، حتى خط ما تنزل عليه من الهام شعري، فكانت قصيدة (أخي جعفر)[4]. وفي عصر اليوم نفسه، وفي الجلسة الختامية للعزاء، ومن سطح المسجد، ومن مكبرات الصوت، ألقى الجواهري قصيدته، وما أن فرغ من أبياتها الأولى، حتى سد الجمهور مداخل (شارع الرشيد) ليستمع إلى صوت شجيّ، وهو يؤبّن شهداء الوثبة عام (1948)[5]، وفيها يقول:

أتَعْلَمُ أمْ أنتَ لا تَعْلَمُ	بأنَّ جِراحَ الضَّحايا فَمُ
فَمٌ ليس كالمُدَّعِي قولةً	وليس كآخَرَ يسترحِم
يصيحُ على المُدْقِعينَ الجياع	أريقُوا دِماءَكُم تُطْعموا
ويهتفُ بالنَّفرِ المُهطعِين	أهينوا لِئامكُم تُكرموا
أتعلمُ أنَّ جِراحَ الشهيدِ	تظلُّ عن الثأرِ تستفهم

(1) ينظر: تطبيقات نقدية: 21.

(2) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 147.

(3) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 121.

(4) ينظر: مذاكرتي: 2 : 17.

(5) ينظر: الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 137. وينظر: رحيل آخر للعمالقة: 238.

أخـــي 'جعفـــراً' يـــا رواءَ الربيـــع إلى عفـــــنٍ بـــــــاردٍ يُـــــسلَم
ويـــا زهـــرةً مـــن ريـــاضِ الخُلـــودِ تغوَّلهـــــا عاصـــــفٌ مُـــــرزِم
لثمـــتُ جراحـــكَ في 'فتحـــةٍ' هـــي المُـــصحفُ الطُّهـــرُ إذ يُلـــثم
أخـــي جعفـــر لا أقـــولُ الخيـــالَ وذو الثـــأر يقظـــانُ لا يحلُـــم
تعلمـــتَ كيـــف تمـــوتُ الرجـــال وكيـــفَ يُقـــامُ لهـــم مَـــأتم(1)

في تلك الأبيات انصهر الجواهري بالجماهير انصهارا تاما ففيها ((التحم الخاص بالعام في الفاجعة، ولم يعد التفريق بينهما ممكنا، حتى على صعيد التأمل، وأصبح الشاعر من فرط حساسيته يلتمس نفسه في كل النفوس، وتلتمس النفوس فيه صوتها الأصل، النابع من لاوعيها الجمعي))(2)، كما تداخل البعد الوطني فيها مع القومي، فتمازجت المشاعر وأزيلت الحواجز أمام لشعور القومي الفياض، حيث تآخت المشاعر الشاميّة مع العراقية(3)، كما في قوله:

صُـــرعتَ فحامـــتْ عليـــك القُلـــوبُ وحـــفَّ لـــك المـــلأُ الأعظـــمُ
وأبلـــغَ عنـــك الجنـــوبُ الـــشمال وعـــزَّى بـــك المُعـــرقَ المُـــشئم(4)

وتعد هذه القصيدة من أكثر قصائد الجواهري شعبية وتألقا، حيث حفظها عن ظهر قلب مئات الآلاف من أبناء الشعب العربي، وعلى الرغم من ذلك فلم تشف تلك القصيدة غليل الجواهري، فشفعها بـ (قصيدة يوم الشهيد)، وألقاها في أربعينية الشهيد (جعفر) وفيها يقول:

يـــومَ الـــشهيدِ تحيَّـــةٌ وســـلامُ بـــك والنِـــضالُ تـــؤرِّخُ الأعـــوامُ
بـــكَ والـــضَّحايا الغُـــرَّ يزهـــو شـــامخاً عِلـــمُ الحـــساب وتفخـــرُ الأرقـــام

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 502.
(2) الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 137.
(3) ينظر: رحيل آخر للعمالقة: 238.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 505.

بــكَ يُبعــثُ الجيــلُ المُحــتَّمُ بعثُــه | وبـــك القيامـــةُ للطُغـــاةِ تُقـــام
ســـيُنكَسُ المُتذبــــذبونَ رقـــابهم | حتَـــى كـــأنَّ رؤوسَـــهم أقـــدام
يــوم الــشهيدِ طريــقُ كــلّ مُناضــلٍ | وعـــرٌ، ولا نُـــصُبٌ ولا أعـــلام
يــوم الــشهيدِ! لــسوفَ تعقِــبُ في غــدٍ | يومـــاً تُحـــارُ بكُنهـــهِ الأفهـــام
يــوم الــشهيدِ بــك والنُفــوسُ تفتَّحــتْ | وعيـــاً كمـــا تتفـــتَّحُ الأكمـــام[1]

إنّ استشهاد (جعفر) كان إيذانا بافتراق الجواهري كليا عن رجالات الحكم[2]، والتنازل الطوعي عن طموحاته السياسية؛ ليعلن بذلك عن بداية مرحلة جديدة في حياته، وهي مرحلة الثار والانتقام، ممن كان سببا في استشهاد أخيه، ويتجلى ذلك بوضوح، من خلال مقدمته التي وجهها إلى أخيه، قائلا:((أحب أن أخبرك يا جعفر أن الشعب هو الذي سيأخذ بثأرك.. توثق يا أخي أن دمك ودماء رفاقك تفور، وستظل تفور، حتى يثلجها دم الخونة المراق))[3].

وبدأ الجواهري رحلة المشاق من جديد متهجما على رجالات السلطة بلا هوادة، ويتجلى لنا ذلك في قصائده التي نظمها في أواخر (الأربعينات) وبداية (الخمسينات)، كما في قصائده (غضبة)[4] و(يا ثمر العار)[5] و(هاشم الوتري)[6] و(أطبق دجى)[7] و(في مؤتمر المحامين)[8] و(ما تشاءون)[9] و(كفارة وندم)[10] و(يا أم عوف)[11] و(خلفت غاشية

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 509.
حين كان الشعب يودع جثمان جعفر، منذ ذلك الحين، والجواهري فوق أكتاف الناس، يرفع رايتهم وأصواتهم...في خضم الناس، كان الجواهري يجد نفسه. يصير الشعب هو الشاعر، ويصير الشاعر هو الشعب. ينظر: رحيل آخر العمالقة: 239.
(2) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 187.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 501. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 120.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 524.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 528.
(6) الأعمال الكاملة: 3 : 561.
(7) الأعمال الكاملة: 3 : 567.
(8) الأعمال الكاملة: 4 : 617.
(9) الأعمال الكاملة: 4 : 634.
(10) الأعمال الكاملة: 4 : 657.
(11) الأعمال الكاملة: 4 : 664.

غاشية الخنـــوع)[1] و(ذكرى المالكي)[2]. لقد حاولت الحكومة، جبر ما كسر بينهما عن طريق المغريات، وذلك عندما ((أرسل الوصي (عبد الإله) ممثلا عنه في تشييع الجنازة، فقصده الجواهري ليشكره على موقفه، وإذا بالوصي يفاجئه بقوله (إن مكانك محفوظ)، وكان يقصد المجلس النيابي، فأجابه الجواهري(ينتخبني الشعب) في إشارة منه للتزوير والتزييف لإرادة الناخبين))[3] ويبدو أن الجواهري عازم هذه المرة على قطيعة لا رجعة فيها، إذ كيف يمد يدا لأيد تلطخت بدماء أخيه، وزيادة على ذلك أن فيهم من راح يتاجر بدمه، طلبا للمناصب وقد فضحه الجواهري بقوله: ((أجل استغللت دم أخي...فأصبحت وزيرا وغدوت نائبا...وتصرفت بما عهد إليك من مسؤولية الحكم أسوأ تصرف، ولست أنا الذي زهد في كل ذلك.واكتفى بالسواد والدموع، وبذل كل ما يملك من حطام لمحاولة إنقاذ أخيه))[4]. وقد صور ذلك في قصيدته: (غضبة)، وفيها يقول:

عَـــرَتِ الخُطـــوبُ وكيــف لا تعْـــرو ... فـــصبرتَ أنـــتَ ودِرعُـــك الـــصَّبر
عَـــدَتِ الـــضِّباعُ عليـــك عاويـــةً ... ظنًّـــا بأنّـــك مأكـــلٌ جَـــزر
وزعـــيمُ قـــومٍ كـــالغُرابِ بـــه ... صِـــغرٌ وفي خَطواتـــه كِـــبر
يغـــترُّ أنْ ألقَـــوا بمِعدتِـــه ... عَفَـــنَ الطعـــامِ فـــراحَ يجـــترّ
اِضـــحى وزيـــراً فاغتـــدى رهِقـــاً ... مثـــلَ الحمـــارِ يـــؤودُهُ الـــوِزْر
والتـــفَّ عـــن أطرافـــهِ همـــجٌ ... مثـــل النعـــامِ يـــسُودُها الـــذُّعْر
مـــن فـــاجرين بكـــلِّ قارعـــةٍ ... حلْـــو تحـــدُّثَ عـــنهم العُهـــر
ومفـــرقين مـــذاهب جمعـــت ... وحنـــا عليـــه الآي والـــذكر
مثـــلَ اللـــصوصِ يلـــمّ شملَهُـــم ... خـــيطُ الـــدُّجى ويحلُّـــه الفجـــر
ياعبـــدَ ســـوءٍ في مزاعمـــه ... يـــشتطُّ حيـــث تحـــرَّرَ الفكـــر[5]

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 672.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 689.

(3) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 54. وينظر: الجواهري جدل الشعر والحياة: 214.

(4) جريدة الحضارة العدد64 في24 تموز1948.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 524.

وبعد مضي سنوات (ثلاث) يعاود الجواهري هجومه كرة أخرى على (صالح جبر) المتهم بسفك دم جعفر، والمتاجر به، وبدم رفاقه مذكّرا الحاضرين، كيف تجرأ ذلك العميل على حصد أرواح تلك الزهور، التي دافعت بطهرها عن كرامة العراق بثورتها التي أوشكت على أن تعصف بعروش الطغاة إلى الأبد؟ ، فيقول:

أبثُّكُم: لا أحبُّ الشَّكاةَ ... ولكنَّها همسةُ الحائر
تُريكُم يدَ الغاصبِ المُختفي ... وراءَ يدِ الخائنِ السافر
مضى أمسِ يسحبُ من خلفِهِ ... شباباً كزَهْرِ الرُّبى العاطر
على الجسرِ يَمحونَ عن شعبهم ... وتاريخِهِ، فجرةَ الفاجِر
ولمّا أمالُوا خيامَ العُتاةِ ... بعاتٍ من العاصفِ العاصر
وكادتْ تُطيحُ بأوتادها ... إلى "حيث" و"الأبد الداهر"!
تنصَّلَ من نحرِهم غاصبٌ ... وأومى إلى "عبده" الناجِر(1)

وظل دم جعفر يصرخ في ضمير الجواهري على مر الأيام والسنين، ليوقظه كل مرة على حكم لم يتحقق(2) بعد حتى إذا قامت ثورة (1958) بعد (عشر) سنوات، يستفيق الجواهري على عهد جديد؛ ليلوذ بمفجر الثورة بالانتقام من قتلة شهداء الجسر، حيث نراه يقول:

لا تَستَحِيَنْ حيثُ النَّكالُ ضرورةٌ ... ولقد يكونُ نِكايةً إسجاحُ
وتَذكَّرَنْ ما أسلَفُوا، وتجرَّمُوا ... في الرافدينِ وأهرَقُوا، وأباحوا
في الجسرِ مِن عَبَقِ الدماءِ زكيّةٌ ... رصَدٌ لجُرمِ مُبيحِها فضّاح
ناحتْ بيوتُ المُستباحِ ذِمارهم ... فلْيعلُ في بيتِ المُبيح نُواح

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 622.

(2) عندما ضاقت الأحوال بالشاعر في العراق في أوائل (الخمسينات) غادر إلى مصر، وقبيل مغادرته زار الشاعر أمه وقال فيها أبياتا، يصفها بأنها عظيمة؛ لأنها أنجبت فتى هماما مثل (جعفر)،حيث يقول:

تعالى المجد أيام الرزايا ... تمخض عن جبابرة ضخام
تملي القبر منها أي عطر ... ووجه الأرض أي فتى همام

الأعمال الكاملة: 4 : 614.

وَلْتَـــزِكُ بالـــدَمِ مُجَـــدِياتُ ضَـــمائرٍ		مَـــوتى ويُعـــشِبُ أجـــردٌ صِحــــصاح
أجهـــزْ علـــى الإفـــسادِ تُنجِـــزْ عـــبرةً		للمفـــــسدين، ويكمُــــلُ الإصـــــلاح
وهِـــبِ الجمـــوعَ رُؤوسَـــهمْ تَـــنفَحْهُمُ		ولأنـــــتَ مَنَّـــــاحُ الجَـــــدا نَفَّـــــاح
واقطِـــفْ زروعَ الـــشرِّ في ريعانِهـــا		فهُـــمُ أتـــاحُوا قَطفَهـــا والاحُــــوا[1]

وما أن غادر الجواهري أرض العراق إلى براغ على اثر خلاف مع (عبد الكريم قاسم)، الذي لم ينصفه في قتلة أخيه، ونتيجة الغربة والفراغ باتت الفواجع القديمة الكامنة في لا وعي الشاعر تعاود نفسها من جديد؛ ليعيش كوابيس مفزعة في تلك البقعة المطلّة على بساط أخضر طرزته الأزاهير اليانعة من فندق (انترناشنال) الشهير في (براغ) ليكتب من خلال أرقه قصيدة (يا دجلة الخير)، التي يتفجر فيها الشاعر دما، ولحنا وهو يستعيد الذكريات العذبة، والأحاسيس الحلوة في دارته هذه فهي مجمع الشمل من صحب عزيز فجع به، ويريد أخاه الشهيد (جعفر) ووالدته التي توفيت في السنة الأولى من تغربه عن الوطن، وهما الآن ضجيعا كرى أعمى يلفهما معا، رأسا إلى رأس وروحا إلى روح في مطمورة دون، هو قبرهما الحزين في مقبرة (آل الجواهري) وهو يشتد في حزنه، إذ يقول أن طيفي هذين الحبيبين لا ينفك أبدا يطيف به، وأنه قد تراءى له الطيف ماشيا إليه على مهل ليحييه، وليجدد عهدا به فإنه – الشاعر– ليترفع إجلالا لهذا الطيف واعتزازا به من أن يفتح عينيه ليراه، إذ إنّ في ذلك إضاعة بعض الشيء للرؤية الكاملة، وإنما يطبق جفنا على جفن ليراه على حقيقته في ذهنه، في قلبه، في صفاء الرؤية، وهي تجمع إليها هذا وذاك، حتى لكأنّ بريق الموت الخاطف المخيف يعيشه، فيلجأ إلى أن يراه على تلك الشاكلة من الرؤية، فيقول:

يا مجمعَ الشّملِ من صحبٍ فُجعتُ بـه		وآخـــر رُحـــتُ أبلـــوه ويبلـــوني
لا ضـــيرَ كـــلُّ اخـــي عُـــشٍّ مُفارقـــهُ		وأيُّ عـــشٍّ مـــن البـــازي بمـــأمون
ويـــا ضَـــجيعيَ كَـــرىً أعمـــى يلفّهمَـــا		لـــفُّ الحبيـــبين في مَطمـــورةٍ دون
حـــسبي وحـــسبُكما مـــن فرقـــةٍ وجـــوىً		بلاعـــجٍ ضـــرمٍ كـــالجمرِ يكـــويني
يـــا صـــاحيَّ إذا أبـــصرتُ طيفَكُمـــا		يمـــشي إلـــيَّ علـــى مهْـــلٍ يحيّـــيني

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 716.

أطبقتُ جفناً على جفنٍ لأبصرَهُ حتى كأنَّ بريقَ الموت يُغشيني
إنّي شممتُ ثرىً عفناً يضمُّكما وفي لُهاثيَ منه عِطرُ دارينِ[1]

ويختم الجواهري رحلته مع أخيه الشهيد (جعفر) في قصيدته (إليك أخي جعفر) فيشكوه فيها مدلهمات الحياة وخطوبها، وفيها يقول:

دبَّتْ عليك زواحفُ الأعوام وبرئتَ من جُرحٍ وجُرحيَ دامي
شوهاءُ غصَّتْ بالفظائع كأسُها وأمرُّهُنَّ فظاعةُ الأوهام
مَن ذا يصدِّقُ أنَّ يوميَ عِندها شهرٌ وشهريَ قيدُهُنَّ بعام[2]

ثورة14 تموز(1958)

على إثر السياسات الخاطئة، التي اتبعها النظام الملكي، تلك السياسات التي تمثلت بالاعتماد الكلي على إرادة المحتل وقوته، والابتعاد عن طموحات الشعب وتطلعاته، انقطعت الصلة بين الشعب والحكومة[3]، مما أدى إلى بروز تطورات شهدها العراق خلال تلك المرحلة، قد أثرت في مسيرة الحركة الوطنية اللاحقة، حيث مهدّت السبيل لقيام ثورة1958[4]. وذلك بعد السيطرة على قصر (الرحاب)، واستسلام من فيه للثوار[5]، ثم صفي جميع أفراد العائلة، وسحلت الجماهير جثة (عبد الإله) في الشوارع، ثم أحرقت وقذفت في نهر (دجلة) أما (نوري السعيد)، فقد حاول الهرب إلى السفارة (البريطانية)، ولكن اكتشف أمره، فهاجمته الجماهير وقتلته بعد التمثيل به[6]، وما أن سمع الناس بالبيان الأول، حتى انطلقوا في الشوارع يهتفون بحياة الثورة والثوار؛ لكون البيان الذي تضمن أهداف الثورة قد تمثلت فيه أماني الشعب

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 785.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 874.
(3) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 39.
(4) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 742.
(5) ينظر: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين: 68.
(6) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 310.

تمثلت فيه أماني الشعب وأهدافه[1]، ولم تكد تمضي أيام معدودات على ثورة (14 تموز) ((حتى لاحت في الأفق سحب حمر تحمل معها مناخا مرعبا، لم يألفه العراق من قبل. ومع إطلالة (1959) مهدّ (عبدالكريم) لتنفيذ خطة تستهدف القضاء على الوعي القومي، وحركته وطلائعه وإحلال الشعوبية، كتيار حاقد على العروبة))[2]، فقد استغل(اليساريون) الجو السياسي الجديد، لإظهار آرائهم المناقضة لأهداف القوى الوطنية والقومية[3] ((وأخذوا يتكلمون- بشكل استفزازي - وكأنهم أصحاب الثورة، والقائمون بها أصلا وفعلا، ويصفون من يعارضهم بعدو الشعب والعميل))[4]، وقد ارتكب الشيوعيون مجازر كبرى في (الموصل) و (كركوك) من خلال (المجالس العرفية) التي تشكلت في زمن (عبد الكريم)، وقد اعترف (قاسم) بأنّ عداءه لـ (عبد السلام) هو الذي اضطره إلى هذا التحالف مع الشيوعيين[5]، ونتيجة الصراع بين الزعيمين ناصر الشيوعيون (عبد الكريم قاسم) وأخذوا يهتفون بالزعيم الأوحد، وتمجيد الاتحاد السوفيتي والمطالبة بالاتحاد الفدرالي[6] وراحت صحف اليسار تحاول النيل من (الجمهورية العربية المتحدة) وقيادتها[7]، وعندما أيقن (الضابط الأحرار) بأنّ (عبد الكريم) قد خان الثورة، وعاث بمبادئها وأهدافها، حين استبدل بهم رموزا دخيلة على الثورة، قاموا بالثورة عليه كما في ثورة (الشواف) التي جاءت تصحيحا لثورة (1958)[8]، وحين أخفقت الثورة ((حكم على عدد كبير منهم بالإعدام منهم (ناظم الطبقجلي) و (رفعة الحاج سري) والأخير هو من أول الثائرين على العهد المباد، وأول من بدأ تنظيم الضباط الأحرار))[9]، ثم

(1) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 32.

(2) محاضرات في الشعر العرقي الحديث: عبد الكريم الدجيلي: 162.

(3) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 32.

(4) الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين: 45.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 91.

(6) المصدر نفسه: 69.

(7) ينظر: حقيقة وإسرار الشيوعية المحلية: 81. لمعي المطبعي: دار الكرنك: القاهرة: 1961.

(8) يقول الشواف: ((قلت لقاسم إنّ القرآن مزق مرتين مرة في عهد هولاكو عندما أباح بغداد ومرة ثانية في الموصل في عهدك...)) الصراع بين عبد الكريم والشيوعيين: 115.

(9) سقوط النظام الملكي في العراق: 39.

دبر القوميون عام (1959) محاولة لاغتياله ولكنها باءت بالفشل[1]، واستمر (عبد الكريم) في حكمه (أربع) سنوات أخرى، منفذا سياسة الحكم الواحد حتى أطيح به وبحكمه، على يد رفيق دربه (عبد السلام عارف) في (14 رمضان عام 1963)[2].

الجواهري وثورة (1958)

كان الجواهري قبيل قيام الثورة (14 تموز 1958) يعمل مزارعا في منطقة (علي الغربي)[3]. في أثناء قيام الثورة – بعدما اهتز العراق من أقصاه إلى أقصاه – أسرع الجواهري بالعودة إلى بغداد، لزيارة بيته الواقع في منطقة (الأعظمية)[4]، وبينما هو في الطريق، وإذ به يرى على واجهة السيارة التي تقله صورة ضابط عسكري مكتوب تحتها: (الزعيم عبد الكريم قاسم)، فتمعنها جيدا ثم عرف صاحبها على الفور، بأنهما التقيا في السفارة العراقية في (لندن) سنة (1947)[5]، إذ لم يدر بخلده يوما أن يصبح ذلك الضابط الشاب الخجول، المنطوي على نفسه، زعيما لهذه الثورة العظيمة. وعندها قرر الجواهري تهنئة الثوار، ويفاجأ أنّ الإذاعة تنتظره لإلقاء قصيدة، وعندما اعتذر، أبلغ بأن (الزعيم) في انتظاره في وزارة الدفاع[6]، يقول الجواهري: ((دخلت وزارة الدفاع لأجد في القاعة الأوسع والأفخم منها صاحبي القديم (الزعيم) الذي تلقاني بكل ترحاب، وطوّقني بذراعيه، وأصعدني إلى المنصة، وأجلسني بجانبه لأرى القاعة مليئة بصور متلاحمة... هي صور أعضاء مجلس الوزراء))[7]، ويستطرد الجواهري بأنّ (عبد السلام) قال له: ((يا أستاذ جواهري لقد كنا – ونحن نقطع مراحل مسيرتنا – نتغنى

(1) ينظر تأريخ العنف الدموي في العراق: 156.

(2) ينظر: الجواهري شاعر القرن العشرين: 72. وينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق: 157.

(3) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 71. وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 9.

(4) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 152.

(5) يقول الجواهري: ((أنا قماش أخلع نفسي على كل الأطراف السياسية والوطنية، وهذا من حسن حظي كانت هناك بعثة عسكرية، تضم ملحقين وموفدين من ضباط، يتسابقون عليّ ويجرّني الواحد بعد الآخر...وكان بينهم ضابط شاب، أشد إلحاحا عليّ بأخذ حصة أكبر، فأخذني إلى شقته المتواضعة وكان هو عبد الكريم)) ينظر: مذكراتي: 1 : 473.

(6) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.

(7) مذكراتي: 2 : 192.

– نتغنى بأشعارك))[1]، كما أن (عبد الكريم قاسم) كان من أشد المعجبين بشعر الجواهري، وبمواقفه الجريئة[2]. وكان (الزعيم) قد أرسل سيارة عسكرية خاصة للجواهري لهذا الغرض، لذا لم يكن أمامه من سبيل إلا إلقاء قصيدته التي كان يتمتم بها، وهو في طريقه إلى بغداد، عبر الإذاعة العراقية، وكان مطلعها:

سدِّدْ خُطايَ لكي أقولَ فأُحسِنا فلقد أتيتَ بما يجلُّ عن الثَّنا

جيشَ العراقِ ولم أزلْ بكَ مؤمناً وبأنَّكَ الأملُ المُرجَّى والمنى[3]

ولم تمض سوى أيام، ويفاجأ الجواهري بأنّ الزعيم يزوره في بيته؛ ليعلن للملأ ((أن هذا البيت قد أنضج الثورة))[4]، وأنّ زيارته للجواهري، هي زيارة لكل أديب، بوصفه كبير شعراء العراق. وردًا على زيارة (عبد الكريم قاسم) شكل الجواهري وفدا من الأدباء العراقيين برئاسته؛ لتقديم التبريكات إلى قائد الثورة، والتهنئة بالعهد الجديد[5]، ثم اختير الجواهري رئيسا لاتحاد الأدباء العراقيين، وبعدها نقيبا للصحفيين، فضلا عن ترؤسه لجريدة (الرأي العام)[6]، وأصبح الجواهري من اقرب المقربين إلى (عبد الكريم قاسم) فكان لا يرد له طلبا، ولا يناديه إلا بالأستاذ (الجواهري)، ويذكر الجواهري أنه اطّلع على جريدة (اللوموند) الفرنسية في أحد أعدادها وفي الأسبوع الأول أو الثاني من قيام (الجمهورية) ما يكاد يكون بالحرف الواحد أنّ أقوى شخصية لها الكلمة المسموعة لدى الزعيم (عبد الكريم قاسم) هو

---

(1) المصدر نفسه: 2 : 194. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 174.

(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 706. ونشرت حينها في مجلة الفكر (العدد) الثاني(آب)1958.

(4) مذكراتي: 2 : 207.

ويبدو أن كلا من (عبد الكريم القاسم) و(عبد السلام عارف) كانا يتنافسان على كسب الجواهري، فكل منهما يريده أن يكون إلى جانبه في الصراع الدائر بينهما، لذا نجد – ومن باب رد الفعل– أن عبد السلام قال للجواهري: ((سأزور بيتك كما زاره قاسم)) وفي الطرف الآخر طلب (وصفي الطاهر) مرافق (قاسم) من الجواهري عدم استقبال (عبد السلام) في العمارة، فكان الجواهري من حصة (قاسم) لودّ عميق بينهما. ينظر: مذكراتي: 2 : 211 : 212.

(5) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 154.

(6) ينظر: الجواهري صحفيا: 217.

الجواهري[1]، وبلغت العلاقة بينهما حدودا بعيدة، حتى أصبح موطن سره، وعلاقة قلبه، يخشى عليه أكثر ما يخشى على نفسه، فقد أنقذ الجواهري حياة (عبد الكريم قاسم) عندما أبلغه بما اخبره به السفير السوفيتي من وجود محاولة لاغتياله من قبل (عبد السلام)[2]، كما كان ينبهه باستمرار ومن خلال أشعاره بأنّ أجهزة أمن (جمال عبد الناصر) تسعى لإسقاط جمهوريته الفتية، كما في قصيدة (المستنصرية)، كما يقول:

أبا الشعبِ لا أخفيكَ بثّاً يهزُّني ... وما أنا للخلّي الصريحِ مُروّب
تسرَّبَ همسٌ أنّ فقْعاً بقرقرٍ ... يعدُّ شراكاً للهزبرِ وينصب[3]

وبلغ حرص الجواهري على زعيم الثورة، ودفاعه عنه، هو أنّه قاطع إحدى جلسات الدورة (الرابعة) لمؤتمر أدباء العرب في دولة (الكويت) لمجرد أن إحدى الصحف قد اعترضت على استخدام الجواهري لعبارة (الزعيم الأوحد) بحق (عبد الكريم قاسم) في معرض حديث للجمهور من أنّه يحمل رسالة من الزعيم الأوحد إلى أمير الكويت[4] وقال في الحاضرين: ((أنا عراقي، وأنا انطق بلسان رئيس البلاد...وعار أن أحاسب على لفظ...فإما أن تعاقب الجريدة، وإما أن نعود إلى العراق، وعطّلت الجريدة ليوم واحد))[5]. وأن الجواهري كان صادقا في حبه[6] وفي دفاعه عن زعيمه، لأنه وجد لمكبوتاته النفسية القديمة متنفسا، ولطموحاته الشخصية تحققا على أرض الواقع، فضلا عن قواسم مشتركة أخرى مازجت بينهما، كالفكر، والمزاج، والفقر، يقول الجواهري: ((حال عبد الكريم يشبه حالي في الفقر، وهذا ما انسحب

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 173.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 2 : 217.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

(4) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 165 -168.

(5) مذكراتي: 2 : 227.

(6) بعد نجاة (قاسم) من محاولة الاغتيال، ألقى الجواهري كلمة (اتحاد الأدباء) في حضرته، وفيها يمدح (قاسم) بكلمات، تظهر مدى حبه له، حيث يقول: ((لك الحياة رفاها أيها البطل المعافى، والأكف استطابت لحمك برصاصها الشلل، وللجماهير وللوطن وللثورة وللجمهورية وللأمة العربية كلها البشرى بسلامتك...يا أعز الناس علينا وعلينا...)): مجلة الفكر (العدد) الخامس، السنة الثانية: 1959.

على كل قراراته لاحقا، ولكنه كان حي الضمير نزيها، أكثر الرؤساء وطنية وأشدهم انتماء للفقراء؛ لأنه عاش فقيرا فثار للفقراء، فحوّل صرائفهم إلى عمارات))[1]، وهذه شهادة حق يقولها الجواهري برغم ما أصابته من ويلات فيما بعد على يد (عبد الكريم قاسم) ونظامه. وأنّ موقف الجواهري من الثورة هو موقف كل إنسان وطني طموح كان يقوده حلمه وتفاؤله، بأنّ العهد الجديد سينقله من مرحلة العبودية والتخلف والاستغلال، إلى مرحلة الانعتاق والتحرر، فليس غريبا ما لاحظناه عليه من حالة النشوة والاستبشار.

عبد الكريم قاسم في شعر الجواهري بين المدح والهجاء

أولا: المدح

لقد وجد الجواهري ضالته المنشودة -التي طالما بحث عنها عقودا طويلة- في شخصية (عبد الكريم قاسم) الذي بهر الملايين بأطروحاته وأفكاره، التي جاءت متوافقة - في إطارها العام- مع ما يؤمن بها الشاعر من أفكار وأيدلوجيات، فضلا عن كون (عبد الكريم قاسم) هو أول شخصية عراقية، يتولى زمام أعلى سلطة في العراق، منذ قرون طويلة، ومن ثمَّ أنّ من أطاح بهم (الزعيم) هم ممن جاء بهم المحتل، وهذا يعني أن حكومة (قاسم) هي حكومة وطنية، مستقلة معبّرة عن طموحات الشعب وأمانيه. فلتلك الأسباب وغيرها اندفع الجواهري نحو (قاسم) اندفاعا لا مثيل له، ويمكن تشبيه موقف الجواهري مع(قاسم) بموقف الشاعر (جون ملتون) مع (كريمول) الذي ثار ضد ملك انكلترا سنة (1649) بسبب استبداده وطغيانه، ليعلن على أنقاض تلك المملكة الخاوية جمهورية ذات مبادئ سامية. وكان الشاعر وقتئذ من أصدق المناصرين لها، كما كان أفصحهم لسانا في الدفاع عنها[2]، ومن يتطلع إلى قصائد (الجواهري) في تلك المرحلة يجد أنّ ما قاله الجواهري في (عبد الكريم) لم يقله في أحد سواه من قبل ومن بعد. ومن أشهر تلك القصائد: (جيش العراق)[3] و(باسم الشعب)[4] و(أزف الموعد)[5] و(عيد

---

(1) مذكراتي: 2 : 176.

(2) ينظر: ملتن: لورد ماكولي: 66. ترجمة محمد بدران: مطبعة الخانجي: القاهرة: 1946.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 706.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 716.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 719.

أول أيار)[1] و(أنشودة السلام)[2] و(المستنصرية)[3]، فهذا العدد من القصائد الطوال، يبدو كبيرا إذا ما قيس بالعمر الزمني، الذي عاشه الشاعر في ظل جمهورية ممدوحه، والذي كان بحدود (ستين وأربعة أشهر)، ويبدو العدد أكبر مما مضى، إذا ما قورن بقصائده المدحية في الملوك والأمراء في مرحلة ما قبل الثورة.وهذه النتيجة تقودنا إلى مدى انشغال المادح بممدوحه[4] وانهماكه به، لدرجة انه خلع عليه من الألقاب والصفات، ما لم يخلعه على أصحاب التاج والصولجان من أهل العروش، ففي قصيدة(جيش العراق)يقول الجواهري:

عبد الكريم وفي العراقِ خصاصةٌ ... ليدٍ، وقد كنتَ الكريمَ المُحسنا
أسديتَها بيضاءَ لا مُتنفجاً ... بالنعمةِ الكُبرى ولا مُتمنِّنا
وعرفتَ كيف تمدُّ جسراً من عنا ... لتُطلَّ منه على مروجٍ من هنا
وبصرتَ كيف تُغلُّ نقمةَ أمّةٍ ... مكبوتةٍ لتكون فتحاً بيّنا
وغدا الخيالُ بك الحقيقةَ نفسَها ... تسعى، وعادَ المُستحيلُ الممكنا
من بعدِ ما أرخى الجُحودُ عنانَهُ ... غيّاً، وخامرَتِ الشكوكُ المُؤمنا
عمدَ الطغاةُ الغابرونَ فهدَّمُوا ... مجداً، ترعرعَ في دمٍ فتمكّنا
فجمعتَ من هَنّا وهَنّا لبنةً ... فبنيتَهُ إنّ المكارمَ تُبتنى
غضرُ الفتوّةِ كالصِّبا خشنُ الشّبايا ... كشبا الحِمامِ، وكالمُروّةِ ليّنا
جامعَ الضدَّينِ ليلا وادعاً ... مكراً، وصبحاً من جراحٍ مثخنا[5]

إنّ الشاعر قد اختزل جيش العراق في شخص ممدوحه، وهو من باب إطلاق لفظ العموم، الذي يراد به الخصوص، ثم يسرد مآثره وحسن فعاله، فهو صاحب اليد البيضاء من

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 729.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 725.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 752.

(4) يقول د. ماجد أحمد السامرائي: ((تلك المواقف كانت عابرة، وجاءت في ظروف معقدة، وفي ظل الإرهاب، أو لدوافع حزبية، أو لإرضاء حكام ذلك العهد، ولم تكن مواقف شعرية صادقة..فالشاعر الحقيقي ملتزم قوميا واجتماعيا.)) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 159.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 706.

غير منّة، فقد استطاع بثاقب فكره مد جسور المحبة بين أبنائه لتتحول الثورة إلى فتح مبين، بها أصبح الخيال حقيقة ممكنة، من بعدما خامر اليأس النفوس، فراح يبني بهمته ما هدم الأشرار، فهو صاحب المآثر المتباينة، والمناقب المتناقضة، ذو باس شديد مع الطواغيت والمستبدين، وهيّن رحيم مع الفقراء والمحرومين.

أما في قصيدة (باسم الشعب) فيسمو الشاعر بممدوحه إلى آفاق بعيدة، فيصفه بأنه السيد الذي صفع الطواغيت، وأذل الأوغاد، بعد أن فك العراق من أسرهم من بعد ظلم دام طويلا، فهو مهديّ هذا الشعب ومنقذه، ثم يتوجه إلى فتية العهد الجديد، ويأمرهم بالوحدة وبالمودّة والحرص على (الجمهورية) الفتية، وانجازات مؤسسها الذي هو رمز نهضة هذه الأمة، فيقول:

عصفتْ بأنفاسِ الطُّغاةِ رياحُ ... وتنفّستْ بالفرحةِ الأرواح
جدعتْ عرانينا غِلاظا فتيةٌ ... من يعربٍ غُرُّ الجباهِ صباح
ومشتْ على هامِ العبيدِ جحاجحٌ ... شُمُّ الأنوفِ يقُودها جحجاح
يا ماسخاً حلمَ الفراعنِ بكرةً ... شمطاءَ، وهي لدى العشيِّ رداح
السامريُّ بك استُذِلَّ وعجلُه ... و-الأجنبيُّ- وكبشُه النطّاح
يا مُهديَ الشعب المبرح نعمةً ... نِعَمُ الحياةِ بدونِها أتراح
يا فتيةَ العهدِ الجديدِ يضمُّهم ... في حومةِ العهدِ الجديدِ كفاح
لا تتركوا الوطنَ الحبيبَ لفُرقةٍ ... نهباً يُجاءُ بسرحِه ويراح
وتحضَّنُوه، وان تفرّى دونه ... حضنٌ، وإنْ يَبَستْ عليه الراح
لُمّوا الصفوفَ عليه يتّسع المَدى ... بكمُ وترحُبُ بالصفوفِ الساح
عبدِ الكريمِ وربَّ فردٍ باسمه ... عن كنهِ نهضةِ أمّةٍ ايضاح(1)

أمّا في قصيد(أنشودة السلام) فيصف الجواهري ممدوحه بالصقر، والشجاع، والواثق، والحذر، والألمعي، والعبقري، والحكيم، والمتواضع، والزاهد، والمحسن، فيقول:

جيشٌ من السِّلْمِ مدَّ الجانِحين له ... صقرُ العراقِ الشُّجاع الواثِقُ الحذِر

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 716.

الألمعـــيُّ، فـــسوحُ الفِكـــرِ زاهيـــةٌ والعبقـــريُّ فـــؤادي عبقـــرٍ نـــضِر
مـــوزّعُ الـــنفسِ بـــين الأمـــرِ يعقِـــده والأمـــرُ يجـــسمهُ كـــلٌّ لـــه قـــدر
لا يزدهـــي أنَّ هـــذا الكـــونَ يعرفُـــه كمـــا تُعَـــرَّفُ فيـــه الـــشمسُ والقمـــر
ولا يُـــدِلُّ بمـــا أســـدى لأمّتـــه مـــن الجميـــلِ ولا يحتـــازه البطـــر
كأنّمـــا كـــان يعنيـــه "ابـــن باهلـــةٍ" ويـــصطفيهِ وإنْ طالـــتْ بـــه العُـــصُر!
"طـــاوي المـــصيرِ علـــى المعـــزاءِ مُنجـــردٌ بـــالقومِ ليلـــةَ لا مـــاءٌ ولا شـــجر"[1]
تكفيـــهِ حلـــزة فلـــذانٍ ألمّ بهـــا مـــن الـــشواءِ، ويَـــروي شـــربهُ الغمـــر"[2]

أما في قصيدة (عيد أول أيار) بعد أن يبارك للعمال عيدهم، ونتيجة كفاحهم استقامت لهم دولة، تناصر مبادئهم، وتساند قضاياهم، وهي رمز للصلاح، ونموذج يحتذى بها، ثم يأمرهم بلم الشمل، وتوحيد الصفوف؛ ليتخذوا من ثورة (تموز) قاعدة الكفاح، ومنطلقا للنضال، متأسين بزعيمها الذي سيهزم في معركته دولة أصحاب الكروش المترهلة، والرقاب الغليظة، التي أقامت مجدها الكاذب، وإمبراطوريتها الموهومة، على أنقاض ملايين الجثث، التي تساقطت مثل أوراق الخريف في الحفرات، نتيجة القمع والاستغلال، فنراه يقول:

حيّيـــتُ أيّـــاراً بعطـــرِ شـــذاتي وخصـــصتُه بـــالحضِّ مـــن نفحـــاتي
مـــنكم علـــى الجثـــثِ اســـتقامتْ دولـــةٌ هـــي في الـــصَّلاحِ نمـــوذج الـــدُّوَلات
حبـــتِ الـــصعاليكَ الحيـــاةَ وركـــزَّتْ أقـــدامهم في قمَّـــةِ الـــدَّرجات
يـــا أيُّهـــا العمـــالُ لُمُّـــوا شملَكُـــم وتوزَّعُـــوا فـــرقاً علـــى الوَحَـــدات
مُـــدُّوا بــــ "أيّـــار" وجمـــرَ كفـــاحكُم "تمـــوز" فهـــو مُـــسَعِّرُ الجَمَـــرات
وتنظَّـــروا بطـــلاً وســـيعاً حلمُـــهُ يـــسطيعُ مَحْـــوَ تظـــنني وشـــكاتي[3]

---

(1) هذا البيت والذي يليه من قصيدة لأعشى باهلة.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 722.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 730.

وفي قصيدة (في عيد العمال)، يشير إلى ذات المعاني السالفة، ويذكرهم انه برغم ما تحقق على يد زعيمهم (قاسم) من انجازات لهم، غير أن أمامهم طريقا طويلا سيخوضونه بقيادة قائد ثورة (تموز) للقضاء على المستغلين، ولإقامة دولة الكادحين في الأرض كلها، فيقول:

مضى أمسِ حيث يقُصُّ الشيوخُ لأبنائهم كيفَ عاش العبيد..!
مضى أمسِ اسودَ...من خلفِه وجوهٌ مضتْ تنطفُ اللؤمَ سُود
وفي يومِ تموزَ شُقَّتْ له وللعاكفينَ عليه، لُحود
وفي وهجِ الثورةِ المزدهاة تهرَّتْ من المُتخمينَ جلود
وأنتم وإنْ حُمَّ[1] فرضُ الوفاءِ بأنْ حلَّ عهدٌ...وولَّتْ عُهود
وأنْ قد تبنَّاكُم أصيدٌ زعيمٌ بما يتبنَّى عَميد
فإنَّ وراءكُم غاية ستُطوى مفاوزُ منها وبيد
غداً إذ تجرّ الصفوفَ الصفوفُ وإذ يستثير الوقيدُ والوقيد[2]
وإذ يستقيمُ من الكادحين المستغلين حكمٌ وطيد[3]

لقد خيّم طيف (الزعيم) على عالم الجواهري، فرأى فيه أنّه يصلح أن يكون نموذجا تحتذي به الشعوب التي تبغي الخلاص والانعتاق، لذا نراه يوجه تحية إلى(الجزائر) باسم ثوار العراق، وباسم الذي أطاح بالعهد الملكي. فتحدى القيود والسجون، انقض كالنسر يهدم عروش الاستبداد والعار، ويزرع فيما بين النهرين الحب والخير، فيقول:

أحيّيكَ باسمِ الثائرينَ وباسمِ مَن تحدّى قيودَ السجنِ وانقضُّ كالنسر
يدكُّ عروشَ الظُّلمِ والعارِ والخنا ويزرع وادي الخصب بالحب والخير[4]

---

(1) حم: حان ووجب.

(2) الوقيد: الحطب المشتعل.

(3) الأعمال الكاملة: 742.

(4) بحثت عنها في دواوينه فلم أجد لها أثرا، ووجدتها في كتاب (الثورة الجزائرية في الشعر العراقي): 65.

أمّا في قصيدة (المستنصرية) فيبلغ الجواهري الذروة في وصف ممدوحه، متجاوزا فيها كل مقاييس العقل والمنطق، وفيها يقول:

أعِــدْ مجــدَ بغــداد ومجــدك أغلــبُ ... وجــدِّدْ لهــا عهــداً وعهــدُك أطيــبُ
وأطلــعْ علــى المستنــصريةِ كوكبــاً ... وأطلعتــه حقــاً فإنّــك كوكــب
أقمــتَ بهــا عــزّاً عريقــاً مكعّبــاً ... وكــان بهــا ذلٌّ عريــقٌ مكعّــب
ويــا ربَّ تمــوز نزلــتَ بليلــهِ ... علــى الــسحرِ الريّــانِ نــاراً تلــهب
بأســحارِ بغــداد تغنّــى عــوالمٌ ... وذِكــرك مــن أســحارِ بغــداد أعــذب
وقفــتَ بــه التــاريخَ تحــصي ثوانيــا ... بهــا رُحــتَ تُملــي والمقــاديرُ تكتــب
أبــا كــلِّ حــرٍّ لا أبــا الــشعبِ وحــدَه ... إذا احتــصنَ الأحــرارَ في أمّــة أب
ورائــدُها "عبــد الكــريم بــنُ قاســمٍ" ... يبــاركُ يومَيــه "الحــسين" و"مُــصعب"
لــك الخــيرُ إنَّ الــشعر كــالنبعِ سَلــسَلا ... إذا فــاضَ منــه جــدولٌ يتــشعّب
مــشت بــي "ســتون" ومــاذا وراءهــا ... ســوى المــوتِ يبغــي اجنــفَ الخطــوِ أشــيب
كــأنّي فــيهنَّ ابــنُ يــومٍ فلــم يكــنْ ... ســوى يــومِ تمــوز مــن العُمــرِ يُحــسب[1]

وأقرّ (الجواهري) بمبالغته تلك في مذكراته قائلا: ((قدّمني عبد الكريم إلى الحشد الحاشد وليقول بالحرف الواحد، ها نحن نعيد أمجاد (المستنصرية) وبيننا الأستاذ (الجواهري) والتي زايدت فيها أنا بالذات أيضا حتى على أبلغ ما بالغ به (المتنبي) في أجمل مواقفه مع سيف الدولة))[2]. ومهما يكن من قول فإنّ هذه القصيدة كانت آخر قصائد الجواهري في ممدوحه، حيث غادر بعدها العراق لجفوة بينهما، ليبدأ بذلك مرحلة جديدة في حياته ألا وهي هجاء (عبد الكريم قاسم).

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 749.

(2) مذكراتي: 2 : 277.

يذكر الدكتور(الاعرجي) أن القصيدة كانت ردا على خطاب (عبد الكريم قاسم)، الذي ألقاه في نقابة الصحفيين، والذي لمح فيه بأنه سيستوزره، وبجملة أخرى فقد داعب (عبد الكريم قاسم) أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته (اربعين) عاما في أن يصبح وزيرا. ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 176. وينظر: مذكراتي: 2 : 267.

ثانيا : هجاء (عبد الكريم قاسم)

مرة أخرى يجد الشاعر نفسه في مواجهة الحاكم، وهذه المرة فقد شاءت الأقدار أن يصبح الشاعر الذي أنضج الثورة، خصما مباشرا لقائد الثورة الأوحد، لتكون ثورة تموز- التي استبشر الشاعر بها خيرا - أشد مأساة نزلت به على مدى مسيرة حياته، فهي عرسه الذي أصبح مأتمه، بعد أن كرس كل طاقاته الشعرية من أجلها[1]؛ ليكتشف الجواهري بعد فوات الأوان، أن تأييده لـ (عبدا لكريم) كان خطأ؛ لأنّ الاندفاع في القضايا الكبرى - على وفق مفهومه - يؤدي إلى المرارة لكون المجتمع الذي يحياه مجتمع أحقاد ومصالح وعلاقات غامضة لا يسمح لمثله بالتألق[2]، بل يتجاهل وبشكل متعمد آثاره، محاولا في الوقت نفسه إزاحته بأي شكل من الأشكال، نتيجة الخوف من أرائه المتحررة، بوصفها حجر عثرة[3] فضلا عن الغرور الذي أصاب حاكم الثورة، مما أدى به إلى ارتكاب حماقات متكررة في حق شاعره[4]، الذي اعترف أنّ معاناته في زمن (قاسم) إنّما كانت بسبب مزاجيته، وارتجاليته، وحبه للانتقام، والتفرد بالسلطة. فشخصيته على الرغم من وطنيتها إنها متناقضة، مزدوجة، لا تخلو من العقد والميكافيلية[5]. يقول الجواهري: ((فعقلي يعجز عن إدراك ما وقع، إذ كانت الأحداث تسير بعكس المنطق، ولم تبق إهانة إلّا ذقتها، اندفعت بعفوية وراء (قاسم) لحماية من معي، ولكني دفعت الثمن، نتيجة الارتجال والتعجل، وتحملّت ما لم يستطع احد تحمّله.))[6] ومما ينبغي ذكره في هذا المجال أنّ الجواهري قد اتهم في أقل من (عامين ونصف) بأكثر من تهمة في العهد (الجمهوري)، وسيق إلى أكثر من محكمة، وأكثر من (ست) صحف أو (سبع) صحف تشتمه كل يوم. إذ في كلّ لحظة مرارة كانت تدفعه إلى الفرار من الحاكم المطلق[7]غير أنّ الحقيقة التي أود قولها، أنّ هناك أسبابا جوهرية أخرى تكمن في تدهور العلاقة بين الشاعر والحاكم، منها

---

(1) ينظر الجواهري وسيمفونية الرحيل : 270.

(2) ينظر: مذكراتي : 2 : 170.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 2 : 256.

(4) ينظر: في رحاب الجواهري: 64.

(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 183، 205.

(6) المصدر نفسه: 2 : 244.

(7) ينظر: مذكراتي: 2 : 240، 250، 264، 171.

مقالاته الصحفية، التي كانت تمس النظام الحاكم مباشرة، مثل مقالة(مظلمة)و(إلى الزعيم العبقري) و(ماذا في الميمونة)، مما أثار حفيظة(عبد الكريم) وبعد احتدام النقاش بينهما، قال له الجواهري: يا سيادة(الزعيم)ثورة وبشرطة(نوري سعيد) فرد عليه(عبد الكريم وأنت من بقايا(نوري سعيد)سأكشف أوراقك يا جواهري، فقال له(أتحداك) يا سيادة (الزعيم)[1].وليست هذه الحادثة هي الوحيدة التي وقف فيها الجواهري، متحديا عبد الكريم((فقد سبق في الماضي افتتاح مؤتمر نقابة(الصحافيين)أن هاجم (قاسم) الصحافة، وكان الجواهري في أثنائها نقيبا(للصحافيين)فما كان منه بعد أن انتهى (عبد الكريم) من كلمته حتى لفّ الجواهري ورقة خطابه المكتوب الذي كان يزمع إلقاءه، وارتجل خطابا آخر، يصفه الذين سمعوه بأنه:فيه من الجرأة شيء فظيع.))[2]، يقول الجواهري: ((لقد امتنعت الصحف عن نشر الكلمة المرتجلة، وقد دفعت ثمن المواجهة))[3]، واتهم الجواهري عبد الكريم بأنه قد شن حملة شعواء على الصحف النظيفة[4]، ويقصد بها صحف المعارضة، فكان ذلك المؤتمر بداية لنهاية علاقته بقاسم[5]، وتوسعت هوة الخلاف بينهما بعد ذلك، وكتب الجواهري في جريدته مقالا:(ماذا بعد أيها الزعيم، متهما فيه(الزعيم)بأنه يحارب الكلمة الحرة، مستذكرا إياه بأنّ ما كان مسموحا نشره في أيام العهد البائد، قد منع في عهده[6]، ونتيجة لتلك الانتقادات ضيّق عليه من قبل أجهزة أمن الدولة، بعدما أحاطوه بعيونهم، لتراقب حركاته وسكناته[7]، واتهم الجواهري عبدا لكريم بتحريض أتباعه على ضربه بآلة جارحة، وسرقة أثاث بيته، وإجباره على بيع أثاث جريدته، لسداد دينه، نتيجة مؤامرة، كما استدرج بالتهجم على شخص (عبد الكريم)

---

(1) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.وينظر: الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 143. وينظر: مذكراتي : 2 : 63.

(2) الجواهري ذكريات أيامي: 63.

(3) مذكراتي: 2 : 245.

(4) ((كان الحزب (الشيوعي)يسيطر على الصحف التالية: ويوجهها في خدمة أغراضه: البلاد، صوت الأحرار،الأخبار،صوت الشعب، الرأي العام))الصراع بين عبد الكريم والشيوعيين: 124.

(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 251.

(6) ينظر: مذكراتي: 2 : 178.

(7) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 184

شخص (عبد الكريم) في منزل (أحمد الأوقاتي) ليسجل حديثه في شريط يقدم إلى عبد الكريم، يتحدث فيه طويلا عما كان من (المتنبي) مع كافور وما كان من (كافور) مع (المتنبي) حتى ليلة هربه تحت جنح الظلام[1]، وقد صور الجواهري تلك الحادثة في مقطوعة شعرية ثم نشرها، ثم وضعت أمام الزعيم في إطار أحمر، وفيها يقول :

سيـــسبُ الـــدَّهرُ والتـــأ ريـــخُ مَـــن أغـــرى بـــسبِّي
لا الأولى ســـبُّوا فهـــم عبـــ ـــدان عبـــدان لـــرب
يـــالخزي المـــشتلي كـــل ـــبا لـــسبٌ المتـــني
ـــعِرض 'كـــافور' تهـــرَّى ولـــه مليـــونُ كلـــب[2]

ولم يكن الجواهري ليتجرأ على زعيمه، لولا أنه وجد أرضيّة ممهدة، تمكّنه من قول ما لا يقال فيه. إذ أنّه على الرغم من جرأته، فقد كان يقيس الأمور بمقاديرها، فلا يتجاوزها إلا بعد اختبار، وصولا إلى النهايات المسموح بها، لذا نجد أنه قد مهدّ لمقطوعته تلك بمقطوعتين يخز فيهما (قاسم) بوخزات تمكنه من الوقوف على حدود صبر مهجوه، ومدى تحمله، حيث قال في الأولى:

قـــالوا انتـــصرَ الطبيـــب علـــى العـــسيرِ مـــن الأمـــور
زرعَ الجمـــاجِم والقلـــو ب وشـــدّ أضـــلاع الـــصدور
فـــأجبتهم: ومتـــى تلـــوحُ طلائـــعُ النـــصر الأخـــير
زرع الـــضمائر فـــي النفـــو س العاريـــات عـــن الـــضمير[3]

وقال في الثانية :

عنـــدما أبـــصرتُ نـــيرا نـــاً مـــن البغـــيِّ تُـــشبّ
والى القمّـــة مـــن في كفِّـــه زيـــتٌ يـــصبّ

---

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 267، 269.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 747.

والى الهــــــوة مـــــــن يـــــدفع عنهـــــا ويـــــذب
قلـــت - والـــسجن بغـــيضٌ - ربـــيَّ الـــسجنُ أحـــب!![1]

لقد ضاق كلاهما ذرعا بالآخر وأخذ كل واحد منهما يصعّد مـن مواقفـه تجـاه الأخـر في معركة غير متكافئة، فهذا يخوض غمار معاركه بـسلاح شـعره، وذاك بقـوة سـلطانه وجبروتـه، وبطبيعة الحال وبحكم المنطق لم يـستطع الـشاعر الثبـات طـويلا بعـد أن تحـوّل الحـاكم إلى شـبح مرعب يطارده في نهاره، وكابوس مخيف يخيم عليه في ليله، حتـى بـات يجـد في المـوت حـلاوة تنقذه من مرارة الحياة، إذ كان ينادي كل صباح: (ألا موت يباع فاشتريه.)[2] وقد وضعه الحـاكم بين خيارين أحلاهما مُرّ، إمّا الموت في الداخل، وإما الموت في الغربة، ولم يكن أمامـه مـن بـدّ إلا اختيار ما هو أقل مرارة وهو الفرار من البلاد والنجاة بحياته اتقاء الأسوأ، وفي ذلك يقول :

ذممـــتُ مقـــاميَ في العـــراق وعلّـــني متـــى اعتـــزمْ مـــسراي أن أحمـــد المـــسرى
لعلّـــي أرى شـــبراً مـــن الغـــدرِ خاليـــاً كفـــاني اضـــطهاداً إنّـــي طالـــبٌ شـــبرا [3]

وتوافقت رغبة رحيله من العراق، مع ما أبلغ بـه مـن وفـد الممثليـة (الألمانيـة) مـن أنّ هناك معلومات مؤكدة تفيد بأنّ (عبد الكريم قاسم) يبغي تصفيته جسديا، فوجد مـن الأنـسب التعجيل بمغادرة العراق لا سيما أنّه في الوقت نفسه قد وجهـت لـه دعـوة مـن (لبنـان) لحـضور حفل تأبين الشاعر (الأخطل الصغير)، فاتّخذ منها ذريعة؛ كي لا يقال إنّ الجواهري قد هـرب، وبعد أن نال جوازه وحلّقت به الطائرة إلى (لبنان) ومنها إلى (براغ)[4] لم يكن الجواهري ليـصدق

---

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 748.

(2) مذكراتـــي: 2 : 283.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 270.

(4) ينظر: مذكراتي: 2 : 281، والجواهري شاعر التجديد والثورة: 108، والجواهري دراسة ووثـائق: 193، وفي رحاب الجواهري: 138، والجواهري فارس حلبة الأدب: 188.
يقول الجواهري: ((عنادي ومزاجي الحاد العنيف، كان يقيني في العراق، كنت اسـتطيع الخـروج منـذ (30) سنة قبل هذا)) الجواهري ذكريات أيامي: 57.

ليصدق ذلك ، حيث يقول :((إنّ كل شيء لم يترتب حتى والطائرة مرتفعة عاليا عن أجواء (بغداد) قبل أن تحط في مطار (بيروت) فما يدريني أنْ قد تنبّه جهاز أمن (كريم قاسم) لخلاصي من براثنه بأنْ تؤمر الطائرة لتعود إلى بغداد))[1] وهذا النص يكشف لنا بوضوح عن مدى رعب الشاعر من حاكمه آنذاك[2]، ومما يعضد هذا القول، هو أننا لم نجد في هجائيات الجواهري في أثناء وجوده في ظل حكم (قاسم) تلك النبرة القاسية التي كان يهجو بها ملوك العهد السابق ورجالاته، بل وبعد تحري قصائده لتلك الحقبة لم أجد ما يدل على هجاء (قاسم) إلّا تلك المقطوعات الثلاث، التي ذكرتها، وهي في حقيقتها لا تدل على الهجاء، إلا بالإشارة البعيدة. وهذا يعني أنّ الشاعر كان مدركا تماما، بأنّ حاكمه لم يكن ليتورع عن قتله، إذا ما أوغل في هجائه[3]، لذا كان حذرا ومحتاطا فيما يقول، ولكنه ما أن غادر العراق في عهده، حتى انفجر كما ينفجر (البركان)، ليصبّ حمم شعره على رأس مهجوه، وليقول فيه ما لم يقله في أحد من الحاكمين. ففي قصيدة، (لبنان يا خمري وطيبي) يشكو لصنوه الشاعر اللبناني (بشارة الخوري) حالته التي كان عليها في العراق ، أيام (قاسم) بقوله:

لبنانُ يا وطني إذا حُلِّئتُ[4] عن وطني الحبيب
أبشارةٌ وبأيِّما شكوى أهزُّك يا حبيبي؟
هل صكَّ سمعك أنني من رافديَّ بلا نصيب
في كربةٍ وأنا الفتى الـ ممراح فرَّاجُ الكروب[5]

إنّ تلك الأبيات لم تكن إلا بمثابة مقدمة يعري بها حكومة (قاسم) لتعريف المجتمع العربي، بحقيقة ما آلت إليه الأمور داخل العراق، من قمع، واضطهاد. وما أن أراح ركابه في (براغ) حتى راح الجواهري يشرح للآخرين تفاصيل الظلم الذي لحق به، مبتغيا من ذلك

(1) مذكراتي: 2 : 281.

(2) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 76.

(3) إنّ عبد الكريم الذي أقدم على سجنه دون تردد أفرج عنه بكفالة نقدية زهيدة مقدارها درهم واحد إمعانا في إهانته واحتقاره، هو نفسه الذي لم يكن ليتردد في قتله إذا تجاوز حدوده.ينظر: المصدر نفسه: 77.

(4) حلئت: منعت.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 754.

تجسيد البشاعات، وتمثيل المواقف وتصويرها في قوالب أدبية تهز الروح، وتأسر الوجدان ، كما في قوله:

آبى الهضيمةَ واستباحَ هضيمتي | فيما استباحك أحمقٌ متجرِّمُ
ألوى بمن عندي وعندي صفوةٌ | هي من أبيه وذويه أكرم
ورمى بهم خلفَ الحدودِ كأنّهم | بُرْدٌ إلى الأمصارِ عجلى ترزم
وأشاع لحمي للذِّئابِ ولحمُه | وحمى لحوماً بالنّتانة تزخم
ودعا الجباةَ إلى حُطامِ حُويشةٍ | لتُباع ملحفةٌ ويُشرى محزم[1]

وعندما انتهى الجواهري من قصيدته سأله (التيجاني)[2] الذي كان من أشد المعجبين بـ (عبد الكريم): ((أحقا ما تقول يا جواهري قلت له ياسيدي كما سمعت ، .. فما كان منه إلّا أن لطم جبهته بيده))[3] ثم راح الجواهري، يرنو إلى آفاق بعيدة مفهما من حوله، بأنّ موقفه من (عبد الكريم) لم يكن نابعا من مسألة شخصية، وإنما كان موقفا سياسيا يشاركه فيه الآخرون))[4]فهو في ذلك يبغي تأسيس قاعدة جماهيرية منضبطة بأفكار وأيدلوجيات، تمكّنه من خلالها القضاء على ثورة(قاسم)، كما في قصيدة:(أيه شباب الرافدين)وفيها يقول:

ضمّوا صفوفكم ولُمّوا | مجداً إلى مجدٍ يُضَمّ
إيهٍ شبابَ الرافدين | وأنتمُ الشرفُ الأشمُّ
يا موقدي سُرُجَ الدماءِ | إذا دجا ليلٌ أغمّ
ومشى الصريخُ يهزُّكم | يا فتيةَ الوادي هلمّوا[5]

ثم يتوجه إلى (قاسم) ليصفه بالصنم الحقود، الذي سيكون مآله كمآل (فرعون) و (نيرون) وغيرهما من الطواغيت ممن تلعنهم الأجيال، حيث يقول في القصيدة نفسها

---

(1) مذكراتي: 2 : 302. بحثت عنها فلم أعثر عليها في ديوانه ولعلها من قصائده المحذوفة.
(2) ينظر: مذكراتي: 2 : 281.
(3) مذكراتي: 2 : 302.
(4) الجواهري دراسة ووثائق: 193.
(5) الأعمال الكاملة: 5 : 759.

يـــا أيهـــا الـــصنمُ الحقـــو دُ أأنــــتَ للتـــــاريخِ خـــــصم
لم يبـــقَ مـــن جـــبروت ' فـــر عـــون ' ولا ' نـــيرون ' رســـمُ
حرفـــان للتـــاريخ يعـــــ ـــــتورانه ' بـــئس ' و' نعـــم '
وبمـــا تـــصرّف منهمـــا في النـــاس تمـــدح أو تـــذم[1]

ومن ثم راح يتميز غيظا على أبناء قومه، وقد طال سكوتهم على الظلم الذي دخل كل بيت عراقي، ثم راح يتساءل، لماذا تثور شعوب وتخمد أخرى؟ لذا نراه يقول في قصيدته، (يا نديمي):

يا نديمي كـلُّ الحروفِ تخيفُ
في دساتيـرَ شرَّعتـها السيوفُ

يـــا نـــديمي :وأمـــة تثِـــبُ ثـــم تغفـــو لَقِـــصَّةٌ عَجَـــب
عجبـــاً كيـــف ينخـــرُ الـــسغبُ في عظــــامٍ كأنهـــا قـــصب
نهـــزةٌ للريـــاحِ تنتحـــب فـــإذا هـــزّ عودهـــا غـــضب

آذنـت للعُيـونِ بالـشرر
ثـم تغفـو فليس من خبر[2]

وعندما استيأس من خطابه المحرض على الثورة، ((توجه به إلى الواقع الموضوعي، المتمثل بدجلة الغاضبة، التي تلسعها سياط البغي، فتلوث ماءها وصفاءها))[3] إنّ يعلم ويلم بكل ما يغلي فيها من حنق، إن سياط البغي والبطش بالناس تنقع وترطب في مياهها الطاهرة، وخيول العدوان والبطش تلغ – وكأنها الكلاب العاوية – فيها لتغير على القرى والمدن الآمنة.وإنّه يدري بكل ما تطفح به مساربها ومجاريها من بؤس وألم وتمزق.إنّ دجلة على الرغم من كرّ الدهور واختلاف العصور، وتبدل الأنظمة تبتلى بحكم السلاطين المستبدين، وتهزأ بهم

(1) الأعمال الكاملة: 5: 792.
(2) الأعمال الكاملة: 792: 5.
(3) المكان الأليف في نونية الجواهري : عبد الهادي الفرطوسي: 3، بحث مقدم إلى اتحاد الأدباء والكتاب في العراق بتاريخ 27/ 3/ 2003.

وبحكمهم، وأنّ أرواح الفراعنة الطغاة، ما زالت ترفرف على سماء الشرق العربي كله، وكأنها تتفلت من توابيتها ونواويسها فيقول:

يادجلة الخيرِ ما يُغليك من حنق ... يُغلي فؤادي، وما يُشجيكِ يشجيني
ما إنْ تزالُ سياطُ البغيِ مُصبحةً ... في مائكِ الطُّهر بين الحينِ والحين
ووالغاتٌ خيولُ البغيِ مصبحةً ... على القرى آمناتٍ والدهاقين
أدري بأنك من ألفٍ مضتْ هدراً ... للآن تهزَيْنَ من حكم السلاطين
تهزينَ إنْ لم تزلْ في الشرقِ شاردةً ... من النواويسِ أرواحُ الفراعين[1]

ثم يسرد الجواهري صورا يستهزئ فيها بطغيان (قاسم) وجبروته، كما استهزأت به (دجلة) حيث يقول في قصيدة (يانديمي)

يانديمي: وقلْ لطاغٍ عتيٍّ ... إقضِ ما شئتَ لا تشلُّ يداكا
وزِعِ الموتَ بين حيٍّ وحيٍّ ... جعل اللهُ من عَداكَ فِداكا
تجِدِ الناسَ كلَّهم ما عداكا ... لا يساوون من نعالٍ شِراكا[2]

ثم يمضي الجواهري ليقول بأنّ عهد (قاسم) من أشر العهود التي مرت على العراق، وأنّ الورى، باتوا يحنون إلى العهد الملكي البائد، لما لاقوه من بطش على يد الحاكم، الذي أخذ كل مساوئ العهد الملكي وزاد فيها، حتى لجم الافواه وكتم الأنفاس

ياندیمي أمسِ استبدَّتْ طغاةٌ ... سُلِّطتْ أربعينَ عاماً وعاما
لُويتْ بالجموعِ منهم قناةٌ ... بعدها عنَّتِ الحياةُ لِماما
حُلُماً ثم بدَّدتْه عتاةٌ ... سنَّتِ البغيَ من جديدٍ نظاما
فتمنَّتْ خلائقٌ أن تُساما ... بغيَ ماضين هم أخفُّ انتقاما[3]

---

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 775.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 812.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 811.

ثم يكشف الجواهري أنّ رحيله عن أرض العراق، إنّما كان بسبب ذلك الظلم الذي يأباه، وليس من العار الهروب من منحطين، فهو كالنسر يتعالى على من هو ليس بكفءٍ له، ومن كان هذا مقامه ودأبه، فإنّه يأبى مداراة الزنيم الذي لا يساويه في شيء، أنى وهل تساوي الديدان الصغار صقور البيد، فنراه يقول :

تخـــــــذَ الغربـــــــةَ داراً إذ رأى الـــــــذُّلَ إســــــارا
إذ رأى العــــيش مــــدارا ة زنـــــيمٍ لا يـــــدارى
يــــا غريــــبَ الــــدار يــــا مَــــن ضـــــربَ البيـــــدَ قِمــــارا
لــــيس عــــاراً أنْ تــــولّى مــــن مــــسفِّين فِــــرارا
جــــافِهمْ كالنَّــــسرِ إذ يــــأ نــــفُ ديــــداناً صِــــغارا
ونفـــوسٍ جُبلـــتْ طينتهــــا خزيــــاً وعــــارا
خلّهــــا يــــستلُّ منهــــا الــــ حقــــدُ صُــــلباً وفقــــارا
خلّــــي مــــسعوراً ومــــا استكــــ لــــبَ ..لا تــــشْفِ الــــسُّعارا[1]

إنها قصيدة تطفح عليها هموم جائرة، وتتدفق بالآهات الحائرة مع أنه يحيا حياة عزيزة كريمة في (براغ)، ولكن إحساسه بالبعد عن أهله وصحبه ووطنه قد جعل من تلك الحياة الهانئة جحيما لايطاق، ولولا عزة نفسه، وإباء شخصه، لما اختار الغربة دارا له، وإنها لأهون عليه - برغم ما فيها - من أن يعيش أسيرا في وطنه لدى كل وغد زنيم من المتسلطين على ذلك الوطن. غير أنّه - برغم رضائه المرّ- توجه باللوم والعتاب على بلده، وعلى المقربين من أهله وصحبه ممّن رضوا بمنطق الجور المجانب لنواميس الكون ومقاييس المجتمع، إذ كيف يصح في لغة أهل المنطق، وأرباب اللب، أن يصبح النابغ ضحية البليد، والصقر طريدة الغراب؟!!! إنّ هذا لشيء عجاب، لذا نراه يقول :

أنـــا في عـــزّةٍ هنـــا غـــيرَ أنّـــي في فـــؤادي ينـــزُّ جـــرحُ الـــشريد
لـــي عتـــابٌ علـــى بـــلادي شـــديدٌ وعلـــى الأقـــربين جِـــدُّ شـــديد
أفـــصقرٌ طريـــدةٌ لغـــرابٍ ونبيـــغٌ ضـــحيةٌ لبليـــد

(1) الأعمال الكامل: 5 : 837.

يـا لبغـداد حـين يتـصفُ التـأريخُ مـن كـلٌ نـاكرٍ وجَحُـود[1]

ثم ينصرف الجواهري قليلا عن همومه؛ ليستمتع بما هـو فيـه مـن نعيم مقيم، وظـلال وارفة، وحور عين، وكؤوس مترعة، أعتقت روحه من أسار الغربـة، وهمـوم الماضـي؛ ليجـد نفسه حرا طليقا، حيث لا وغد يبتليه، ولا واش يعكر صفوه، فيقول في قصيدة، (أحرام):

أحـرامٌ علـيَّ مـونخُ أنْ أشـربَ كأسـاً وأنْ أغنِّـي حياتـا
دون أنْ ابتلـى بوغـدٍ وأنْ أخـشى رقيبـاً، وأنْ أخـاف وشـاتا؟[2]

وفجأة يستفيق الجواهري من غفوته؛ ليجد نفسه ثانية في زحام الكـوابيس الـتي عكـرت صفو حياته، ليلوذ ببغداد ثانية، علّ الشمس تشرق عليهما من جديد، بزوال حكم الطواغيـت ليرتاحا معا، وتلك هي النهاية المرضية لهما، إذ يقول :

يـا دجلـة الخـير كـمْ مـن كنـزِ موهبـةٍ لـديكِ في القُمقـمِ المـسحورِ مخـزون
لعـلَّ تلـك العفاريـتَ الـتي احتجـزت محمّـلات علـى أكتـافِ
لعـلَّ يومـاً جارفـاً عرمـا دلفـين آتٍ فترضـيكِ ويُرضِـيني[3]

ولم تمض سوى أشهر، وإذا بنبوءة الشاعر، تأتي كفلق الصبح، إذ يخبره صـاحبه (عزيـز الحاج) يوم (8) شباط، بمصرع (عبد الكريم قاسـم) وزوال (جمهوريتـه) ليقـول لـه الجـواهري: ((بشرك الله بالخير، سأسرج الشموع))[4]، إنّ هذه الكلمات لتعبر بوضـوح عـن مـدى المـرارة التي كان يعانيها الشاعر على مدى سنوات عجاف، تحمّـل فيهـا مـا تحمّـل مـن ويـلات الغربـة وعذابات الحرمان .

---

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 771.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 831.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 776.
(4) مذكراتي: 2 : 301.

الفصل الخامس

الجواهري والخصائص الفنية في شعره السياسي

الفصل الخامس

الجواهري والخصائص الفنية في شعره السياسي

تمهيد: أثر الشعر في تطور اللغة

تؤدي اللغة دورا مهما في عملية الخلق الفني؛ لكونها الوعاء الذي يحوي مضامين الأفكار والمعاني، وإنّ مهارة الشاعر تكمن في قدرته على ((ملاءمته الدقيقة بين ألفاظه ومعانيه بحيث لا يطغى فيها جانب على جانب))[1]؛ لأنّ القصيدة ((كجنين كامن أو نطفة، فإنّ الشاعر يبحث عن الكلمات الملائمة التي تشكلها))[2]، ومعنى هذا على الشاعر أن يختار فيتحرى الجميل المناسب، والأليق الحسن[3]، بل عليه البحث عن الألفاظ الموحية والارتفاع عن المبتذلة منها، وإنْ كانت سهلة ومن لغة العصر[4]. والأهم من ذلك كله، هو أنْ لا تستعمل تلك الألفاظ بدلالتها التقليدية التقريرية، بل عليه أن يمنحها حياة مشعّة بما يحدثه فيها من تأثيرات وانفعالات وعالمه الشعوري الخاص[5]؛ لأنّ المفردة ليست مجرد رمز إلى معنى أو فكرة، وإنّما وعاء مشحون طاقة ومشاعر بفضل التجارب الإنسانية[6]. ((إنّ الألفاظ في كتب اللغة هي مواد كالأدهنة والحجارة، مواد يابسة مركونة كالحطب صامتة كالقبور، ولا تتكلم قبل أن تنتقل من الظلمة إلى النور من مضاجعها في كتب اللغة إلى وظائفها في دولة الفن، حيث يخضر يبسها ويمرع جدبها))[7]، وإنّ الموهبة هي التي تعطي الألفاظ قوتها الحية ومعناها[8]، لذا ينبغي على الشاعر

---

(1) في النقد الأدبي: د.شوقي ضيف: 113، دار المعارف القاهرة: 1966.

(2) مقالات في النقد الأدبي: ت.س اليوت: 78: ترجمة: د.لطيفة الزيات، مكتبة الانجلو المصرية..(بدون تاريخ).

(3) ينظر: لغة الشعر بين جيلين: إبراهيم السامرائي: 87. مطبعة الثقافة: بيروت: 1980.

(4) ينظر: شظايا ورماد: نازك الملائكة: 4: مطبعة المعارف بغداد: 1949. وتنظر: جريدة الهاتف(العدد)438، 29ت2، لسنة1946.

(5) ينظر: مفهوم الشعر: جابر عصفور: 40. المركز العربي للثقافة: 1982.

(6) ينظر: نقد الشعر العربي الحديث: عباس توفيق: 297.

(7) وردة وحجارة: يوسف سعد غانم: 10: جريدة العصبة: العدد(9)ت2 لسنة: 1951.

(8) ينظر: دفاع عن الأدب: د.جورج ديهاميل: ترجمة: محمد مندور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، عيون الأدب الغربي: 1942.

((إن يعتني كثيرا باختيار ألفاظه وتأليفها للتعبير عن المعاني؛ لأنّ هذه الألفاظ المنتقاة تدل بجرسها وبمعناها على ما تصور من أصوات وألوان أو نزعات حية))[1]؛ يجب النهوض باللغة إلى مستوى تكون صالحة لأفكارنا[2]، وذلك باستغلال القوى الكامنة وراء ألفاظها، التي لم تستغل إلا حديثا لدى عدد من الشعراء، إذ بقيت الألفاظ طيلة قرون الحقبة الراكدة، المظلمة، تستعمل معانيها الشائعة وحدها[3]، إذ أن للشعر لغته الخاصة المجاوزة للغة الحياة العادية، ((ولا بد للشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا، يستطيع فيها أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول))[4]، لذا أنّ القيمة التاريخية للشعر تكمن في أنّه الرافد الحي الذي ينعش اللغة ويجددها، ويسعى إلى توسيع آفاق وعي الإنسان في نظراته إلى الطبيعة والحياة ومظاهر الوجود[5]((وأنّ شاعرا واحدا قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين، ذلك أنّ الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق يمد الألفاظ بمعانٍ جديدة لم تكن لها))[6]، ومن أجل ذلك فقد أبيح للأديب ((أن يخرق قاعدة لغوية، أو يبتدع تعبيرا مدفوعا بحسه الفني شريطة أن يكون عميق الثقافة))[7] ومن تلك النظرة الأدبية المتحررة برزت الدعوة إلى((حرية اللغة والتجاوز بها من الخاص المقيد إلى العام المطلق شريطة أن تكون ذات دلالة فنية، وليس ضربا من العبث والفوضى))[8]ومن هنا ((حين تمرد أصحاب هذه التجربة الخلاقة على اللغة أو أسس التعبير، كان تمردهم الشعري يعني الانتقال بهذه اللغة، أو محاولة نقلها من طور الجمود والتحجر إلى طور الحركة والتطور، والتطلع إلى آفاق جديدة في ابتداع وابتكار قوالب وصور جديدة))[9]، تنسجم مع روح العصر، إذ ليست اللغة سوى واسطة،

---

(1) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 375.

(2) ينظر: دروس في تاريخ آداب اللغة العربية: معروف الرصافي: 58. مطبعة دار المعارف: بغداد: 1960.

(3) ينظر: حياة وشعر وأفكار: نازك الملائكة: 3، ملحق جريدة المدى،دار المدى للثقافة والنشر، بغداد: 2007.

(4) لغة الشعر بين جيلين: 87.

(5) ينظر: مستقبل الشعر وقضايا نقدية: عناد غزوان: 13، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد: 1994.

(6) حياة وشعر وأفكار: 24.

(7) شظايا ورماد: 4.

(8) الشعر والفكر المعاصر : 18.

(9) مستقبل الشعر وقضايا نقدية: 15.

نعرب بها عن أفكارنا وحياتنا اليوم مختلفة تماما عن زمن (امرئ القيس)، فكيف نتقيد بلغته، إذ لا بد من تغيير اللغة؛ لتوافق متطلبات الحياة[1]، ((لان اللغة ألفاظ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم وأفكارهم، والأغراض لا تنتهي، والمعاني لا تنفد، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرسا، وهم يرون الأغراض تتجدد، والمعاني تتولد، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل ساعة بمصطلح))[2] وانّ هذه المهمة لا يضطلع بها غير شعراء هذه الأمة، لأنّ((ثراء اللغة وتطويرها عند كل الأمم لا يتم إلا بجهود الشعراء في المرتبة الأولى، بسبب أنّ كل الذين يتعاملون باللغة من غير الشعراء يخضعون لقوانينها خضوعا صارما، بينما يعطى حق الإبداع والخلق والتوليد للشاعر وحده، لإقامة علاقات جديدة في تعامل خاص به يفرده عن غيره من الشعراء))[3] وقد كان للجواهري في هذا المجال دور بارز، ونحن في بحثنا في هذا، سنحاول جاهدين إثبات حقيقة مفادها، أنّ الجواهري قد قام بتوسيع آفاق مفردات اللغة وأساليبها، إلى أبعد مدى، لاسيما في الجانب السياسي منها، وذلك نتيجة لثرائه اللغوي ولاملاءات عصره المتغير.

اللغة الشعرية في قصائد الجواهري السياسية (اللغة والأسلوب)

لا يختلف اثنان في أنّ الجواهري قد حظي بمخزون لغوي غزير بسبب قراءاته الطويلة في الموروث الشعري[4]، ويتجلّى ذلك بوضوح من خلال إسدائه النصح للأدباء الشباب قائلا: ((إنّ شاعرا أو أديبا عراقيا لم يحفظ (البحتري) و(أبا نواس) و(ابن الرومي) و(أبا تمام) و(المتنبي) أو لم يدرس (الجاحظ) و(الأخطل) و(الكامل) و(ابن قتيبة) و(ابن الأثير) و(أبا الفرج) و(دعبل) و(نهج البلاغة)، لا يمكن أنْ يكون شاعرا ولا كاتبا أبدا))[5]، وديوانه الضخم الذي

---

(1) ينظر: دروس في تاريخ آداب اللغة العربية: 58.

(2) الصراع الأدبي بين القديم والجديد: علي العماري: 10، دار الكتب الحديثة: مطبعة دار التأليف: القاهرة: 1965.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 182.

(4) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 315.

(5) المفردة حياة حافلة وليست حروفا: تنظر: مجلة الأديب العراقي(العدد) الأول شباط،1961.

يقع في (سبعة) أجزاء، يشكل ثروة لغوية هائلة، ويعكس طاقة شعرية فريدة[1]. فالنص الشعري لديه ليس جواهريا خالصا، بل نسيجا حبكه الشاعر بتضمينات مباشرة، أو إشارة إلى نصوص شعرية قديمة[2]، يقول الدجيلي: ((إنّ الجواهري كان يستنزف جميع الكلمات في القاموس))[3]، ونتيجة لذلك الجهد المضني، والتاريخ الطويل في رحاب المفردة، ((أصبحت لها في ذهنه وروحه مكان خاص وسحر خاص يقف منها موقف الانفعال والإعجاب، فهو يعرف الكلمة وتعرفه، وينطلق بها فتعرف به، وتصير من مواده))[4]، وإلى ذلك يشير د. ابراهيم السامرائي، إذ يقول: ((فيصبح منها عنصرا مخالطا كالماء والخمرة، كالدم المطابق، منقولا إلى الدم، وكلقاح الشجرة محمولا إلى شجرة أخرى))[5]، وهذا يعني أنّ الجواهري أصبح يعتقد - بعد تلك الرحلة الطويلة مع الكلمة - بأنّ اللغة أصبحت ملكا له، ينبغي أن يصرفها كما يشاء لا أن تصرفه كما تشاء، وكأنّه يريد أنْ يقول أنا اللغة، ((يريد أنْ يكون له مطلق الحرية في أنْ يختار من الألفاظ ما يوافق ذوقه سواء رضيت اللغة أم كرهت، مادام يرضي ذوقه هو، فلا عليه ولو غضب ألف لغوي))[6]، يقول الجواهري:((وأنا عندي فرائد فنية أرى فيها معينا أتذوقه، وأجد فيه راحتي ولذتي))[7]، فشأنه في ذلك شأن الشعراء العظام في كل أمّة، ممن ولّدوا ألفاظها، وابتدعوا معاني ، لقد قال النقاد الغربيون: ((إنّ شكسبير ولّد ألفاظا انكليزية ومثل هذا جرى للأدباء الكبار من الفرنسيين))[8]، وقد صب الجواهري تلك الفرائد الفنية، والزاد الوفير من مفردات اللغة بين أثناء قصائده السياسية، التي عكست واقع الساحة السياسية

---

(1) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: د.علي ناصر غالب: 13. في ضمن البحوث المقدمة إلى الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في29/ 7/ 2003.

(2) أشار إلى قسم منها الدكتور: احمد خطاب عمر في بحث سماه ((معان سبق إليها الجواهري)) ينظر: مجلة الكتاب: 12(العدد)9،س9، بغداد: 1975.

(3) الجواهري شاعر العربية: 45.

(4) لغة الشعر بين جيلين: 181.

(5) لغة الشعر بين جيلين: 118.

(6) الصراع بين القديم والجديد: 37.

(7) مع الجواهري والحديث ذو شجون: 357.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

(8) المصدر نفسه: 371.

آنذاك، ((ذلك لأنّ القصيدة – من حيث هي عمل فني- ليست إلا تشكيلا خاصا لمجموعة من ألفاظ اللغة، ولهذا فإنّ لدلالة الألفاظ خصوصيتها النفسية والشعورية مع دلالة الحث الخارجي الذي يتعامل معه الشاعر، وهو ما أطلق عليه النقاد القدماء موافقة الحال))[1]، لذا فإنّ مفردات الجواهري في شعره السياسي قد تميزت بنمط خاص يتناسب وطبيعة الأحداث السياسية الجسام في العراق، ((فجاءت ألفاظ قصائده حادة ومباشرة، ممزوجة بالانفعال الصادق، ذي النبرات القوية الصارمة، تتمثل فيها استثارة الجماهير واستنفارها، لمواجهة الأخطار المحيطة بالوطن، كما يبرز فيها أسلوب الوعد والوعيد بحق خونة الأمة من الحكام))[2] فقد تعامل الجواهري مع المفردة السياسية تعاملا خاصا؛ لأنه كان يعلم أنّها أداته التعبيرية التي يرتبط بها من خلالها بجمهوره، ويحقق تأثيراته بهم، مدركا في الوقت نفسه((أنّ إمكانيات التعبير اللغوي تفوق إمكانيات التعبير التشكيلي الصرف؛ لأنّ الشاعر يستخدم اللغة مستدلا على موقعها الزماني والمكاني في آن واحد))[3] فالشاعر حين يعتمد اللغة لا يستخدمها في قصيدته بدلالتها التقريرية، بل يمنحها حياة جديدة مشعة من خلال أدوات إبداعه، وهذا ما ميّز الجواهري من غيره، حيث تمكن في قصائده السياسية من تفجير طاقات اللغة اللا متناهية نحو آفاق واسعة سار بها منحى جديدا مغايرا في الدلالة والمفهوم، وذلك من خلال((الخروج على المألوف اللغوي، لا في استعمال المفردة فحسب، وإنما في صحة التركيب والقياس والتصريف))[4]، أو من خلال ((التحويل والتطوير والمزج))[5] أو من خلال وضع المفردة في ضمن سياق جديد، ((والذي يعني النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم))[6]،

---

(1) مفهوم الشعر: 62.

(2) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 420.

(3) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د.عز الدين إسماعيل: 49. دار العودة بيروت: 1981.

(4) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 319.

(5) لغة الشعر الحديث في العراق: 348.

(6) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان: 54. ترجمة كمال محمد، المطبعة العثمانية: 1973.

((لتؤثر بعضها في البعض الأخر على أكبر نطاق ممكن))[1] ((وصولا إلى إبراز علاقات لم نرها من قبل أمام أعيننا))[2]، فضلا عن اختيار الكلمة الصالحة ((لأنّ اللفظ القبيح هو الذي لا يلائم السياق الذي جاء فيه))[3]، ذلك أنّ لكل كلمة في القصيدة موضعا يحسن استعماله، ((فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحرب، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيق فيستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودّات

وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك))[4]، كما عمد الجواهري إلى استخدام((كل حيل اللغة من البساطة الكاملة إلى البلاغة المعقدة، لخلق لغته الشعرية، من خلال الإيجاز آنا، وآنا من خلال الأطناب، وآخر عن طريق حذف التفصيلات، وطورا عن طريق التكرار))[5]، وطورا آخر عن طريق اللجوء إلى الإيقاع؛ ((لأنّ بين معنى الشعر وموسيقاه ارتباطا حيويا، فقد يضيع المعنى إذا فقدت القصيدة موسيقاها))[6]، لذا يتجاوز الشاعر الحاذق أوزان (الخليل) الظاهرة إلى أنواع أخرى من الإيقاعات، كالتقسيم الداخلي للبيت الشعري، أو جعل القصيدة مقاطع، مع الاستعانة بالزخارف العروضية، بعد إضفاء دلالات جديدة عليها كالترصيع، والتصريع، وما شاكلهما، مع تخير القافية المناسبة، والابتعاد عن الزحافات والعلل، والتجافي عن الضرورات الشعرية المجوجة، والتوسل بالأساليب البلاغية المختلفة، كالجناس، والطباق، والمقابلة، وحسن استغلال علم الصوت، ودلالاته المتنوعة من حيث تقارب الحروف وتباعدها في المخارج. إذ أن الشاعرية في منظور الجواهري هي إشراك جميع عناصر اللغة ومقوماتها الأساسية في بناء القصيدة، وذلك نظرا ((لما تحدثه في الكلام من تأثير عاطفي أو انفعالي، فالنبر والإيقاع، والتنغيم واختيار الكلمات واللواحق، ونظام ترتيب الكلمات

---

(1) مبادئ النقد الأدبي: ريتشاردز: 194. ترجمة وتقديم مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة: 1963. مراجعة لويس عوض، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

(2) الشعر والتجربة: ارشيبالد مكليش: 95. ترجمة سلمى الخضراء، دار اليقظة، بيروت: 1969.

(3) قضية الشعر الجديد: د.محمد النويهي: 22. دار الفكر: مكتبة الخانجي: 1971.

(4) المثل السائر: ابن الأثير: 1 : 240. مطبعة النهضة مصر سنة1959. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 375.

(5) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: 87.

(6) قضية الشعر الجديد: 20.

ومواقعها في الجمل والعبارات-هذه الأشياء كلها-لها نصيب في إحداث هذا التأثير))[1]، فضلا عن تلك الأساليب اللغوية المكتسبة، يجب أن لا ننسى موهبة الشاعر وصوته المعبّر عن نفسه، ((مما يجعل اللغة معبرة عن حقيقة نفسه في اللحظة التي يكتب بها، حتى لكأنّه يخلق عالمه في قصيدته، مثلما يخلق لغته، بحيث نجد الألفاظ القصيرة والطويلة الحسية متناسقة حية))[2]، أشبه بسبيكة انصهرت معادنها جميعا في تآزر إيقاعي حاد، يمتزج فيه الحسي بالمجرد، والزمني بالمطلق، ليخلق من قديمه جديدا. يقول الطعّان:((كنّا نأخذ على الجواهري إغرابه...واختياره للأوابد، وحوشي الكلام، ثم صرنا إلى حيث نعتقد أنّ الجواهري بثّ حياة في هذا كله))[3]، لأنّ اللغة على لهاة الجواهري، ((تبدأ رحلة جديدة، فالمفردة رغم غرابتها بعض الأحيان، إلّا أن النسغ الحي الذي تمتلئ به، يجعلها قادرة على أن تكون جديدة باستمرار))[4]، فهو بطرقته هذه يبث الحياة في كلماته؛ ليجعلها تتلألأ كما يتلألأ النجم المنعكس على صفحة الماء[5]، لذا جاء معجمه الشعري ثريا كل الثراء، وغنيّا كل الغنى بالمفردات الحية المتطورة التي لم نجدها في معجم أي شاعر آخر سواه[6] ذلك لأنه قلب معادلات المعاني اللغوية بعد أن ((ألبس الشاعر ألفاظه معاني لا تدل عليها في حقيقة وضعها.))[7]، كما في قوله:

بماذا يُخوِّفني الأرذلون ومِمَّ تخافُ صلالُ الفلا

أيُسلبُ عنها نعيمُ الهجيرِ ونفحُ الرِّمالِ وبذخُ العرا [8]

فيا ترى هل للهجير نعيم؟ وللرمال نفح؟ وللعراء بذخ؟! ولهذا بدأ الشاعر بيته الثاني باستفهام إنكاري اتبعه بالفعل يسلب، ثم أورد الألفاظ التي أشرنا إليها (نعيم، نفح، بذخ)، لأنها في حقيقتها لا وجود لها في مثل تلك الأجواء مع ملاحظة أن الشاعر لم يقل (لفح) وإنّما

---

(1) دور الكلمة في اللغة: 92.

(2) المصدر نفسه: 100.

(3) الجواهري والتراث: هاشم الطعان: 139. في ضمن كتاب(محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية)

(4) رحلة الجواهري ورحيله: عبد الرحمن منيف213. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(5) ينظر: الإبداع في العلم والفن: د.حسن احمد عيسى: 16: مطبعة اليقظة: 1979.

(6) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 13.

(7) ملامح من شاعرية الجواهري: 130.

(8) الأعمال الكاملة: 3: 478.

(نفح)، لأنّ اللفح يكون للشيء الحار و(النفح) للشيء البارد، وهكذا تصرف الجواهري بلغته ليعطينا شيئا جديدا[1]، ((فهو لا يتحرج في استعمال الكلمة القديمة، فهو يقتنصها من بعيد إذا لمح فيها الصورة الجميلة، فيعيدها قريبة مأنوسة بعد أن يضفي عليها شيئا جديدا لا تراه في القديم ولا تجده عند القائلين بالجديد))[2]، كما في قصيدته (أجبْ أيّها القلب)، حيث يقول :

ومستنكرٌ شيباً قُبيلَ أوانهِ   أقولُ له:هذا غبارُ الوقائع [3]

إذ أنّ تركيب (غبار الوقائع) كناية عن الشيب، أخذها الجواهري من شعر (ابن المعتز)[4]، وكما في قصيدة، (أخي جعفر) عندما يقول:

يصيحُ على المدقعينَ الجياعِ   أريقوا دماءكُم تُطعَموا
ويهتفُ بالنفرِ المُهطعين   أهينُوا لئامكُم تُكرموا
ئقحُّمْ، لُعنتَ، أزيزَ الرصاصِ   وجرِّبْ من الحظِّ ما يُقسَم[5]

إنّ الجواهري ومن خلال ((استخدامه المبدع للفظة (المهطعين) قد أيقظها من رقودها، بعد أن نفخ فيها شيئا من روح العصر، من خلال أدواته اللغوية الخاصة. (المهطعين) كلمة معجمية قديمة استخدمها الشاعر استخداما حديثا، وجاءت القرينة في الشطر الثاني من البيت لتوضح معناها، (أهينوا لئامكم تكرموا)[6]، كما نجد الجدّة في قوله: (ئقَحَّمْ لُعِنْتَ) إذ قبل أن يذهب ذهن متلقّيه إلى صورة المعارك القديمة يبادر الشاعر، باستعمال القرينة، مما تكشف حداثة المعنى بلفظ (أزيز الرصاص)، وإذا المعاني القديمة للألفاظ تلقي بظلالها وثقلها ودلالاتها

---

(1) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 130.
(2) لغة الشعر عند الجواهري: 186.
(3) الأعمال الكاملة: 3: 392.
(4) وقالت كبرت وشبت قلت لها   هذا غبار وقائع الدهر.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 502.
(6) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 217.

على لغة الشاعر، وتدخل في نسيجه الجديد))[1]، بعد أن ينقلها من مجال إلى آخر عن طريق الإيحاء، لتعود المفردة مفهومه واضحة من خلال جاراتها من الكلمات، كما في قوله:

عَـــدَتِ الــــضِّباعُ عليـــك عاويـــةً ظنّـــاً بأنّـــك مأكـــلٌ جَـــزِرُ[2]

إنّ لفظة (المأكل الجزر) تعني:المأكل السهل، ولكنّني لا أظن أن هنالك حاجة بالقارئ أن يعرف معنى هذه الكلمة المعجمية (الجزر) ليهتدي إلى معنى البيت، فقد استبان معنى البيت عن طريق الإيحاء من قوله (ظنّا بأنك مأكل)، ومن قوله (عدتِ الضِّباع)، وذلك أنّ الضّباع مولعة في العادة بأكل الميت من الفرائس[3] ومثل ذلك قوله

تحلَّـــبَ أقـــوامٌ ضـــروعَ المنـــافع ورحـــتَ بوســـقٍ مـــن أديـــبٍ بـــارع [4]

إنّ لفظة (وسق) تكاد تكون غريبة، والتي تعني (حمل حمير) ولكننا فهمناها دون عناء من خلال البيت الذي يوضح معناها.

إنّ الجواهري يزاوج باقتدار بين الغة موغلة في القدم، ولغة معاصرة بنسيج لغوي متين يوائم بين اللغتين، فتبدو اللغة المعاصرة كما لو أنّها تفسر اللغة القديمة مثل قوله:

تـــسرَّبَ همـــسٌ أنْ فقعـــاً بقرقـــر يعـــدُّ شـــباكاً للـــهزبرِ وينـــصب[5]

و(أذل من فقع بقرقرة)، مثل يصعب على كثير من الناس أن يعرفوه، ولكنه لن يصعب عليهم أن يعرفوا، وهم يقرؤون قوله (يعد شباكا للهزبر وينصب) أنّ هذا (الفقع) هو دون منزلة الأسد. ولكن إذا أخذت القصيدة، بظروفها التي ألقيت فيها وجدت أن (الفقع) هو (جمال عبد الناصر)، وما يعد لقلب نظام (عبد الكريم قاسم)[6]. ومثله في قصيدته المقصورة:

بَـــنيَّ إذا الـــدَّهرُ ألقـــى القنـــاعَ وصـــرَّحَ مـــن حـــسْوِهِ مـــا ارتغـــى[7]

---

(1) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 217.

(2) الديوان: 3 : 310.

(3) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 251.

(4) الديوان: 3: 24.

(5) الأعمال الكاملة: 3: 349.

(6) الجواهري دراسة ووثائق: 251 -254.

(7) الأعمال الكاملة: 3: 476.

وجملة (وصرح من حسوه ما ارتغى) جملة بدوية لا علاقة لها بالحضارة، إذ هي مأخوذة من مثل جاهلي يقول (يُسِرّ حسواً في ارتغاء)[1] يقولونه في الرجل الذي يستغل الآخرين، ولكن الذي قربها من حياتنا المعاصرة قوله (ألقى القناع) فصار المثل الجاهلي يعني انتقال الأمر من حال إلى حال، ونقل مثل جاهلي إلى حياتنا المعاصرة تم تحميله معنى الثورة بأن يصرح اللبن عن رغوته، هو لغة الجواهري، ومن هنا صارت صور الجواهري القديمة صورا جديدة. أقول هذا لأن الشاعر لم ينظر إلى المثل على أنّ فيه شيئا من الاستغلال، وإنما حوّل دلالته مما وضع له، إلى أنّ الحاكمين هم الرغوة التي تزول، وأنّ الشعب هو اللبن الذي لا يزول[2].وهذا ما يدل على وضوح بروز مفردات جديدة ذات دلالات تطورية من منابع الموروث، لا بنصوصها المباشرة، وإنما بصداها المؤثر في نفس الشاعر فتفجّر في تلك النصوص الطاقات الكامنة، حيث يجدد كل شاعر موقفه الشعري من خلال تأثيرها في أعماق الشعر العربي المعاصر[3]، فضلا عن استحداثها للموروث اللغوي، فقد أدخل الجواهري كما هائلاً من الألفاظ غير العربية في معجمه السياسي، بذلك زاد ثراء اللغة ثراء، كما نلاحظ ذلك من خلال عناوين قصائده مثل(سواستبول)[4] و(ستالينغراد)[5] فضلا عن أسماء أشخاص مثل (أم غوركي) و(تولستوي) و(استالين)، ((فإنّ تلك الأسماء قد انطبعت في أذهان الناس حتى قبل أنْ يطلعوا على (الأدب السوفيتي) الذي شاع بعد ثورة (14 تموز 1958) فإنّ أسماء المدن والأماكن السوفيتية قد انتشرت في قصائد الجواهري، حتى أصبح اسم (سواستبول) شهيرا مثلما هو اسم مدينة (خاركوف) و(القفقاس)[6]، كما شاعت في قصائد الجواهري في الحقبة تلك كلمات سياسية كانت تستعمل في الوسط السياسي آنذاك (العملاء)، (الاستعمار)، (الأذناب)، (الانتهازية)، (الكادح)، (الوسام)، فضلا عن مفردات الحرب التي استعملها الجواهري في قصائده بشكل

---

(1) ينظر: جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري: 2 : 237. دار الكتب العلمية: بيروت: 1988.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 254.

(3) ينظر: الشعر العربي المعاصر: 30.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 408.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 767.

(6) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 30.

واضح مثل:(المدفع)، (السلاح)، (الأعداء)، (الجرح)، (الضرب)، (الدم)، (الوطن)، (الرصاص)الخ. إن مثل تلك الألفاظ هي الطاغية على قصائد الجواهري السياسية[1]

بذلك يكون الجواهري قد ابتعد عن استعمال الألفاظ المعقدة الغريبة التي لم تألفها الأسماع في العصر الحديث، ذلك لأنّ الأحداث السياسية المتعاقبة لم تترك له فرصة انتقاء المفردات من بطون المعجمات اللغوية ولعل السبب الأهم هو أن الشاعر في شعره السياسي يهدف إلى وصف حالة وتقرير واقع هو مصدر غضبه وهجومه على السلطة السياسية، فلا تشغله ألوان الصناعات اللفظية[2]، فيختار لموضوعاته أسهل الألفاظ وأبينها، للدلالة على معانيها[3]، ((لأن المقصود بهذا الشعر هم أبناء الشعب، وهؤلاء يختلفون في مداركهم وثقافتهم، فلكي يكون قريبا إلى أذهانهم، يجب أن يكون واضحا))[4] لأنّ الوضوح التعبيري هو الضرورة القصوى في المعركة الكبرى مع الأوهام والقدرية، والأفكار البرجوازية، والوجودية الساقطة، فهذا الاتجاه (الواقعي الجماهيري) من أبرز خصائص الشعر السياسي[5]، لذا نجد أن الشاعر السياسي، لم يعد يحفل بالمطلع التقليدي للقصيدة، وإنّما هو يدخل موضوعه ويمسه مباشرة منذ البيت الأول، إذ يقول (ألا فانتبه)، وهو الشائع، وأحيانا أخرى يمهد لما يريد قوله.وقد اتبع الجواهري الأسلوبين معا، ففي قصيدة(عبد الحميد كرامي)كشف اللثام عن قصده منذ البيت الأول فقال:

باقٍ- وأعمارُ الطُّغاةِ قِصارُ- مِن سِفرِ مجدِكَ عاطرٌ مَوَّار[6]

---

(1) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 421، 423.

(2) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 113.

(3) ينظر: النقد الأدبي: د.داود سلوم : 1 : 168، مطبعة الزهراء: بغداد: 1967.

(4) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 380.

(5) ينظر: الشكل والمضمون في الشعر العربي الحديث: د.عناد غزوان في ضمن الشعر والفكر المعاصر: 19. وينظر: دراسات في الشعر العربي الحديث: امطانيوس ميخائيل: 11. بيروت: 1968. وينظر: الشعر العربي الحديث وروح العصر: جليل كمال الدين: 32، 33. دار العلم للملايين، بيروت: 1964.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 592.

بينما في قصيدة: (هاشم الوتري) جاء المطلع هينا لينا سلسا ليستولي على انتباه القوم، يجرهم معه حتى يصل بهم إلى المطلع الأساس (أبيات القصيد) فينقض على فريسته[1]، حيث بدأ المطلع بقوله:

مجـدّتُ فيـك مـشاعـراً ومواهبـا　　　وقـضيت فرضـا للنوابـغ واجبـا[2]

ويسترسل الجواهري في مقدمة قصيدته حتى يصل بهم إلى ما يريد قوله لاسيما أن الحضور هم من الوزراء والأعيان، وممثلي القصر، وسراة القوم، فقال:

إيـهٍ عميـدَ الـدار كـلُّ لئيمـةٍ　　　لابـدَّ واجـدةٌ لئيمـاً صـاحبا
ولكـلِّ فاحـشـةِ المتـاعِ دميمـةٍ　　　سـوقٌ تتيـحُ لهـا دميمـاً راغبـا
ولقـد رأى المـستعمرونَ فرائـساً　　　منّـا، وألفَـوْا كلـبَ صـيدٍ سـائبا!
فتعهّـدوه، فـراحَ طَـوعَ بنـانِهمْ　　　يَبْـرُونَ أنيابـاً لـه ومخالِبـا
أعرفـتَ مملكـةً يُبـاحُ شـهيدها　　　للخـائنينَ الخـادمينَ أجانبـا
مـستأجرينَ يخرِّبـونَ ديـارهُم　　　ويكـافئونَ علـى الخـرابِ رواتبـا
مُتنمِّـرينَ يُنـصِّبونَ صُـدورَهُم　　　مثـلَ الـسِّباعِ ضـراوةً وتكالُبـا
حتـى إذا جـدَّتْ وغـىً وتـضرَّمتْ　　　نـاراً تلـفُّ أباعـداً وأقاربـا
لزمـوا جحـورهم وطـارَ حلـيمُهُم　　　ذُعْـراً وبُـدِّلتِ الأسـودُ أرانبـا[3]

وقد أكد الدكتور (الاعرجي) ذلك عندما بين بأنّ الجواهري لم يكن ليهتم بمطالعه لأنه يريد أن ينتقل إلى الطلب على عجالة ليفرغ عواطفه في المقصود، لذا جاءت مطالعة نثرية باردة[4]، وقد ذهب آخرون إلى أعمق من ذلك، حيث اتهموا الجواهري انه بسبب نقل المعاني المألوفة من العامة إلى قصائده السياسية، دون إضافة لمسات فنية إليها، قد حوّل شعره السياسي

(1) ينظر: جواهريات في الذاكرة: 183. في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل) وينظر: لتذكر الجواهري: 45، 46 ، ملحق جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر،بغداد: 2007.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 564.

(3) الأعمال الكاملة: 4 : 564.

(4) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 246.

السياسي إلى ركام نثري[1] أفقدت القصيدة قيمتها الجمالية والأدبية، ومزقت نسيجها العام[2] ونلاحظ ذلك في قصيدته، (قف بأجداث الضحايا) حيث يقول:

والـــــذين افتخــــــروا أنهـــــــم   يلبسون(الشعب) ما شاؤوا نعالا [3]

إنّ البيت الشعري الذي سبق ذكره هو تعبير سطحي غير أنّ الدكتور (علي عباس علوان) يرفض مثل ذلك التعميم السلبي على قصائد الجواهري السياسية، لأنّ أغلبها تندرج في ضمن القصائد الفنية المبدعة فيقول: ((إنّ الأحداث السياسية في العراق والوطن العربي وتغيّرها اليومي لم تغب عن ذهن الشاعر الذي كان يرصدها ويعيش في وسطها، إلّا أنّ تلك الأحداث لم تجر الشاعر إلى نثرية الشعر السياسي فلم تطغ على نسيجه روح الخطابية والوعظ، ولم تنحدر لغته إلى مستويات رديئة من الركة والابتذال، وقد نجد شيئا من روح الخطابية، وشيئا من برودة النثرية في قصيدته (تنويمة الجياع)[4] التي يدمر فيها الشاعر جو القصيدة بتكرار لفظة (نامي) .. ونجد مثل ذلك في قصيدته (ما تشاؤون)[5] وكذا في قصيدة (الشهيد قيس)[6]، لكنها قصائد قليلة جدا، أمام مجموعة كبيرة من قصائد الشاعر العالية النسيج))[7] إنّ الجواهري لم يكن بهذه السطحية ليترك قصائده دون ملامح فنية ، أو لمسات جمالية، فعلى الرغم من استعمال المصطلحات السهلة العامية أحيانا، كما في بعض قصائده ((إنّ لكلماته أصداء جماهيرية مشهودة توازن بين الفنية الشعرية العالية، وبين الموقف السياسي المطلوب الذي ينهل من حركة الشارع، صدقه وتدفقه وتجلياته))[8]، صحيح أنّ مجمل قصائده تدور في إطارها العام، حول الأحداث السياسية في العراق والوطن العربي، ((غير أن رؤية الجواهري الفنية هي التي أنقذت قصائد من وهدة الشعارات، وفخ الحماس الطاغي، فإذا ما رثى (جعفر

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 304.

(2) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 431.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 500.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 610.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 634.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 516.

(7) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 293.

(8) آخر الشعراء العباسيين في القرن العشرين: لامع الحر: 24.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

أبو التمن)[1] أحد القادة الوطنين في العراق فإنّه لا يتناول الواقع السياسي، إلّا من خلال لوحات دامية للوطن في صراعه ضد الحكام والمستعمرين... أمّا قصيدة (أخي جعفر)[2] و(يوم الشهيد)[3] و(في مؤتمر المحامين)[4] فهي لوحات دامية يقفز الشعر خلالها بالعواطف الوطنية إلى أعلى درجات التأثير))[5] والحقيقة التي يمكن قولها في هذا المجال إنّ جميع القصائد السياسية التي نظمها الجواهري عبر مسيرته الفنية، هي قصائد تتسم بالإبداع الفني، باستثناء قصائده السياسية في مرحلة (العشرينات)؛ لأنها جاءت مقلدة لغيرها في جلّها[6]، وكذلك بعض قصائده في مرحلة (الثلاثينات)، التي كانت حقبة ممهدة لمرحلة التجديد، ولكون الشاعر عاش مرحلة عصيبة مرّ فيها بحالات نفسية مضطربة نتيجة مضايقات سياسية، دفعته نحو عدم الاكتراث بالجانب الفني، فيما ينظمه من قصائده، لذا جاءت مضطربة بعض الشيء في ألفاظها وأساليبها، غير أنّ الجو العام في دواوينه ظل محتفظا بخصائصه الأصيلة. إذ كان متساوقا في لغته مع هذه الأحداث ومؤتلفا مع طبيعة الظروف التي أنشدت فيه فجاءت ألفاظه منسجمة الأغراض في معانيها، فهي قوية هادرة صاخبة في موضع الشدة والحماسة والانفعال، وهي مقتصدة هادئة رصينة في موضع الهدوء النفسي، وهي خفيفة ورشيقة هازئة في موضع السخرية والتهكم، وكان يستتبع ذلك كله فخامة في التراكيب أو سهولة في التعابير، وهو بعْد ذلك دليل على تأثير هذه الأحداث في لغته وأسلوبه. لقد استطاع الجواهري من خلال نظرته الواعية وقدرته الفائقة على أن يصرف الألفاظ في قنوات تعبيرية مكّنته من انتشال مفردات لاحظ لها من الشاعرية، لخلوها من رنين النغمة، وحرارة العاطفة وبسبب جمودها واستخداماتها المتكررة ليصيّرها المألوف في ضمن لغة العوام والسوقة، غير أن براعة الشاعر، وقدرته على تطويع

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 501.

(3) الأعمال الكاملة : 3 : 507.

(4) الأعمال الكاملة : 4 : 617.

(5) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 294.

(6) إنّ الجواهري في بداياته الشعرية قد استعمل الألفاظ الغريبة في قصائده السياسة.ينظر : الجواهري دراسة ووثائق : 250.

مفردات لغته، تمكنه من التحكم بصنعته في خلق الصورة الشعرية، فيمنح تلك الألفاظ ظلالا تجعلها تموج حيوية وحركة، كما في قوله:

قمْ حيِّ هذي المُنشآت معاهِدا | النّاهضاتِ مع النّجوم خَوالِدا
الشامخات أنوفهنَّ إلى السّما | والمُطلعاتِ لفرقدينِ فَراقدا
والفاتحاتِ على الخلودِ نوافِذا | والمُجرياتِ مع الحياةِ روافِدا [1]

إنّ الشاعر ((قد استعمل ألفاظ (المنشآت، معاهدا، أنوف، نوافذ، روافد) وهي ألفاظ شائعة التداول، لكن الشاعر جعل تلك الألفاظ في قوله تنساب انسيابا جميلا ففيها ما فيها من خفة جرس وسلاسة وقع مما يجعل اللسان يرددها بسهولة، ونلاحظ كيف سعى الشاعر إلى تكثيف صوره، مشيدا بذلك الصرح العلمي الذي شمخ، فعقد هذه المقابلات الجميلة، فإذا بتلك المنشآت يشمخ بناؤها عاليا، فتطال النجوم لتخلد معها وتكون فراقدا إلى جانب الفرقدين.))[2]، كما لم يخف الجواهري استعمالاته لجملة من الألفاظ العامية في بعض قصائده، التي عدّها بعض النقاد إساءة للأدب العربي وذما للقصيدة السياسية، بوصفها خلّفت مستويات ضحلة من الألفاظ السوقية على الساحة الأدبية[3]، غير أنّ الجواهري وبحكم خبرته في مجال اللغة كان يرى غير ذلك ، إذ ليست العبرة لديه باللفظة، بل بجمالها الذي يتوالد من سياقات الأبنية اللغوية، لذا لم يجد الجواهري حرجا من أن يجعل من لفظة (طرطرة)[4] عنوانا لقصيدته، فضلا عن أنّه كررها بين أسطر أبياته (إحدى عشرة) مرة. إنّ اللفظة تلك على الرغم من عاميتها، إنّ براعة الشاعر في حسن استعمالها، قد ينسي القارئ ابتذالها، وربما أنّ جمال موقعها في القصيدة، قد سلب عنها صفة العامية، حتى ليخيّل إلى من لا يملك باعا في العربية بأنّها من أفصح الفصيح. يقول الدكتور (السامرائي): ((إن كلمة (طرطرة) هذه فصحها الشاعر.أقول:وقد يقف غير العراقيين من العرب على هذه الكلمة فلا يدركونها ولا يصلون إلى

(1) الديوان: 3 : 195.

(2) ملامح من شاعرية الجواهري: 129.

(3) ينظر: هذا الشعر الحديث: 102. والاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 380. والصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي: د.محمد حسين الأعرجي: 184.وزارة الثقافة والفنون: 1978.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 438.

المراد من معناها))[1]. غير أنّ جمال موسيقاها وحسن موقعها ليدلان بشكل واضح على المراد منها، إنّ الجواهري في ذلك يشبه إلى حد كبير الشاعر (أبا العتاهية)، حين عابه أحد الجهال بأن ألفاظ قصائده سوقية، فأجابه: ((والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها))[2]، لقد كسر الجواهري بذلك القاعدة المأثورة التي تقول: ((إن للشعراء ألفاظا معروفة، وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها))[3]، فعمد إلى أساليب اجتهادية في لغته السياسية، إيمانا منه بأنّ الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه متى شاؤوا، وكيف أرادوا، دون قيد أو شرط، ((فكما أثرى الشاعر العربي القديم المعجم العربي بعدد من المفردات، عن طريق استعماله لها، فإنّ بإمكان الشاعر الحديث أنْ يثري عربيتنا المعاصرة بعدد جمّ منها))[4] لاسيما من استوت عدته، ونمت ثقافته، فكيف بمن أكلت القوافي لسانه؟ أما يحق له أن يولّد أو يشتق من الألفاظ ما يراها ((من خلال نظرته الحرة الواعية لمكان اللفظة الشعرية من البيت والقصيدة أن يضيف ثروة للعربية الجديدة في قالبها الفني الأنيق))[5]، ومن ذلك قوله في قصيدة، (جيش العراق):

وغـــدا لنـــا بفجـــرٍ موعـــدُ ينجـــابُ عـــن صـــبحٍ أرن أروَنـــا[6]

يقول د.(السامرائي): ((فقلت له ما المراد بـ (أرون)، فقال: مثل (الأرن) فقلت:ليس لنا في العربية (أرون)، بل لنا فيها (أرونان) في قولهم: (يوم أرونان)، بمعنى شديد في حره أو برده، بينما لفظة (أرن) تعني المشرق جدا، فقال في هذا ما يدفعني إلى توليد الكلمة، فقلت له لقد ابتدعتها، فقال:ألا يحق لي؟ قلت:يحق لك، ولو أن أهل اللغة يعرفون لأخذوا كلمات الشعراء الكبار، كما يتبع الانكليز كلمات شكسبير))[7] وفي قصيدة (جمال الدين الأفغاني) يقول

(1) مع الجواهري والحديث ذو شجون: 349. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(2) الأغاني: 4 : 95.

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق: 1 : 107. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: مطبعة الحجازي القاهرة: 1934.

(4) الصراع الأدبي بين القديم والجديد: 36.

(5) الشعر بين جيلين: 119.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 706.

(7) مع الجواهري والحديث ذو شجون : 36.

تجشَّمْتَ المهالكَ في عسوفٍ   تجشَّمَهُ سِواكَ فما استَقادا[1]

إنّ (استقاد) ترادف معنى (انقاد)[2]، لكنّ الشاعر آثر الصيغة غير المألوفة في عربيتنا المعاصرة[3]. وفي قصيدة (يا دجلة الخير) يقول:

تهزينَ أنْ لم تزلْ في الشرقِ شاردةً   من النواويسِ أرواحُ الفراعين[4]

حيث جمع الشاعر (فرعون) على (فراعين)، بدلا من الجمع المألوف (فراعنة)[5]، وأغلب الظن أنّ الشاعر اقترض هذا الاستعمال من اللهجة الدارجة، وهكذا مثلها لفظة (ماعون) جمعها على (مواعين)، كما في قوله:

يا دجلة الخيرِ كم معنىً مزجتُ له   دمِي بلحمي في أحلى المواعين[6]

وكذلك جمع (مسجون) على (مساجين) كما في قوله:

أقولُ ليت كفافاً والكفافُ به   رُحْبُ الحياةِ وأقواتُ المساجين[7]

فضلا عن ذلك التمرد على مفردات اللغة، فقد سعى الجواهري إلى إيجاد نوع من العلاقات بين الألفاظ؛ لخلق لغته الشعرية، ((لأنّ المفردات لا قيمة لها وحدها، وإنما تأتي أهميتها حين يخلق الشاعر بينها مجموعة من العلاقات، تكوّن الصور من خلال عملية الحدس والتخيل، وهذا ما أفاد منه الجواهري))[8]، فقد أدرك الجواهري قبل غيره أنّ اللفظة لا يصح لها الحكم بالجودة والرداءة، فهي ((تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر))[9] إنّ اللفظة لا يمكن تقويمها مجردة دون النظر إلى ما تؤديه من

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 429.

(2) في اللسان: 3 : 37. (قدته فانقاد واستقاد إذا أعطاك مقاده).

(3) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 11، 12.

(4) الأعمال الكاملة: 5 : 775.

(5) جمع فرعون: فراعنة: ينظر: اللسان: 13 : 323.

(6) لم يرد جمع(ماعون) في اللسان ولا في القاموس المحيط. ينظر اللسان: 13 : 410. والقاموس المحيط: 4 : 271.

(7) السجين: المسجون، جمعه(سجناء، سجنى): ينظر: اللسان: 13 : 203. والقاموس المحيط: 4 : 233.

(8) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 288.

(9) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: 33. تعليق وشرح عبد المنعم الخفاجي مكتبة القاهرة: 1969.

من معنى، وهذا يعني الاعتناء بطاقة اللغة الإيحائية، ((فعلى قدر مساندة الكلمات بعضها لبعض، وعلى نوع التأليف بينها، تتجلى درجة إبداع الشاعر...إنّ مزاوجة الألفاظ فيما بينها عملية دقيقة لا تقوم بها إلا بصيرة المنشئ بعد كل كلام))[1] لإدراكه المسبق بأنّ ((اللفظة جزء من حركة عامة تشمل القصيدة كلها، ولابد لها أنْ تجد مكانا في تركيب جديد للبيت الشعري))[2] وقد أنتج الجواهري من خلال تلك العلاقات، تنظيما لغويا مغايرا للغة الشعر العادية[3]. فانطلق بالمفردة إلى آفاق عصرية بعد تطويعها للأساليب الشعرية الجديدة، التي وفرت أمامه فرص الإبداع وإمكاناته في بناء قصيدته[4]. حيث يقول:

كأنَّ بلادَ الحرُّ سجنٌ لمجرمٍ ... وما جرمُه إلّا العُلى والترفّع[5]

يقول الدكتور سحاب الاسدي: ((لقد أورد الشاعر في قوله مفردتي (الحر، سجن) ومعروف ما بينهما من تضاد وتنافر، وفرق في الامتداد الزماني والمكاني، فالحر حر لا تتقيد حريته بمكان أو زمان، أما السجين فحريته مقيدة بمكان وزمان، غير أن الشاعر هنا قصد إقامة التوازن بين طرفي المعادلة، فإذا بالبلاد على امتدادها سجن كبير، وإذا ما تحولت بلاد الحر إلى سجن لم يبق للحرية من معنى، وما أقسى أن يحسب الإنسان حرا، وهو مكبل بقيود القهر والظلم لا لذنب اقترفه، سوى سعيه المشروع نحو العلى والمجد))[6]، ثم يمضي الدكتور (الأسدي) في القصيدة نفسها مستدلا على الأساليب الفنية التي يبلغ بها الجواهري لغته الشعرية، ويورد قوله:

ستحملُني عن مسكنِ الذُّلِ عزمةٌ ... بوطأتِها السّبع السوائرُ تخشع[7]

---

(1) الأديب والالتزام: 16.

(2) لغة الشعر بين جيلين: 18.

(3) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 63.

(4) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 436.

(5) الديوان: 1 : 112.

(6) ملامح من شاعرية الجواهري: 126.

(7) الديوان: 5 : 88.

((لاحظ كيف تصرف الشاعر بمفردات لغته، فاستعار لها دلالات أخرى، فجعل للذل مسكنا يأوي إليه من هانت عليه نفسه، فينأى الشاعر عنه بما يمتلك من عزيمة قوية، تجعل وقع أقدامه شديدة الوطء، لها تخشع السبع السوائر))[1].

إنّ الجواهري كان يدرك أنّ اللغة في الشعر تحمل معاني أوسع من اللغة خارج الشعر، بعد سبك صياغتها في ضمن تركيبة فنية، ((لتشكل وحدة قائمة تفرز قدرة تعبيرية معطاة إلى اللغة تكتسبها؛ لكي تفسح مجالا أوسع للمعاني، مجالا معنويا أكثر بكثير مما تحمله الكلمات نفسها من معانيها الاعتيادية خارج القصيدة، وهذا هو أحد العناصر التكوينية في تحقيق المعجزة الشعرية))[2]، ونجد ذلك بجلاء في قصيدة: (رسالة إلى محمد علي كلاي) وفيها يقول:

يا مُطعمَ الدُّنيا – وقد هزلتْ – لحماً بشحمٍ منه مقطوبِ
شِبعٌ لنعلكَ كلُّ موهبةٍ وفداءُ زندِكَ كلُّ موهوبِ
من كلِّ ما هجسَ الغواةُ به عن فرطِ تسهيدٍ وتعذيب
يا سالباً بجماعِ راحتِه أغنى الغنى، وأعزَّ مسلوبِ
ما الشِّعرُ؟ ما الآدابُ؟ ما بدعٌ للفكر؟ ما ومضات أسلوب[3]

لقد اتخذ الجواهري من (كلاي) الملاكم رمزا للطاغية، الذي يتخذ من قوته وسيلة لبناء مجده، وتثبيت دعائم سلطانه، ((فكلاي هو لدى الناس رياضي احترف الملاكمة، ولعل أحدا لم ير فيه صورة طاغية. هو رياضي، ولكن الشاعر في ساعة بعينها، وجد فيه محورا صالحا أن تدور عليه جملة أفكار ومشاعر، تخرج به من حيز الرياضة وتقذف به إلى سعة العالم، وتجعله في طرف يقابل صاحب الموهبة))[4]، ثم يتسع الرمز ليشمل كل طاغية، فالشبيه يستدعي الشبيه، فقد قام مجد هذا الملاكم على قوته التي يسحق بها خصمه... والطاغية أقام مجده على قوة حمقاء لا تتجه إلا إلى الدمار...ثم إنّ بين الاثنين سببا خفيا، فما أكثر ما انتفع الطاغية بالملاكم ومن

(1) ملامح من شاعرية الجواهري: 126.

(2) الشعر بين الواقع والإبداع، صبحي القصاب: 9 دار الحرية للطباعة والنشر: بغداد: 1979.

(3) الأعمال الكاملة: 7 : 1022.

(4) الجواهري والطغاة: د.سعيد عدنان: 6. في ضمن مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان الجواهري الأول، في26–30/ 7/ 2003.

يشبهه، إذ يصنع منهم نجوما زائفة تلهي الناس عن جرائمه))[1]. ونحن إذا سلمنا بما سلف من تفسير للقصيدة، فهذا يعني أنّ الجواهري استطاع أنْ يكسر بلغته الشعرية أبواب البلاغة القديمة؛ ليصل بها إلى مدارج مدرسة (الأسلوبية الحديثة)، لأنه من خلال قصيدته تلك تمكن من تجاوز حدود (الكناية) إلى آفاق بلاغية أوسع مدى، اصطلح عليها حديثا بـ (الكنايات العظيمة)، التي تشتمل على كناية دلالات كثيرة تشكل بعضها مع بعض صورة كنائية شاملة، وهذا ما أنجزه الجواهري عبر ((التحول بالكناية من الاستعمال الضيق إلى الاتساع بما يغطي نصا شعريا بأكمله مع الاحتفاظ بطبيعة تعبيرية، لا تحتكم في كل مفرداتها إلى ما تقرره الكناية بأنواعها، فهذا الإجراء الفني يجترح افقاً تعبيريا، يباين الأصل في المحدودية مع انتمائه له في السمات الجذرية))[2]، وكذلك تتجلى براعة الجواهري البلاغية في قصيدته (على قارعة الطريق)[3]، وعدّها (جبرا) من أجمل ما كتب الجواهري، وذلك ((لأنه يعيد صوغ الكثير من كناياته على غرار خاص))[4]، وقصيدة (المستنصرية) يجد فيها الدكتور (الاعرجي) تفوقا فنيا بارعا اخترق فيها حجب البلاغة القديمة، إلى آفاق أوسع وأرحب، يقول الجواهري:

ويا ربَّ تموز نزلْتَ بليلهِ ... على السَحرِ الريّانِ ناراً تلهّب
بأسحارِ بغدادَ تُغنّى عوالمٌ ... وذكركَ من أسحارِ بغدادَ أعذب
وأسودَ داجٍ كالغرابِ كسوته ... غبارَ السرايا فهو كالنّسرِ أشهب[5]

لقد وقف د.(الأعرجي) عند تلك الأبيات طويلا قائلا:((يبدو من السذاجة أن يقف المرء عند مثل هذا القول فيعالجه معالجة أهل البلاغة حين يستشهدون؛ لأنه نتاج موهبة ضخمة ودربة في رياضة القول، وإذا كان للبلاغي أن يقف عند قوله:

وأسودَ داجٍ كالغرب كسوته ... غبارَ السرايا، فهو كالنّسر أشهب

---

(1) المصدر نفسه: 6.

(2) الكنايات الكبرى في شعر الجواهري: د.فائز الشرع: 2. في ضمن مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان الجواهري الأول، في26–30/ 7/ 2003.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 387.

(4) الحاكم والشاعر والمدينة: 77.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

ليقول لنا إنّ في هذا البيت مقابلة بين: اسود، أشهب، غراب، نسر، فمن أين له أن يأتينا بمصطلح يتحدث به عن هذا الميزان الدقيق في تقسيم البيت وفي تناظره:

وأســود داج كالغـــراب

كسوتــه غبــار السرايــا

فهـــو كالنسر أشهـب

ثم من أين له أن يستجلي حيوية هذه الصورة النابضة المدهشة؟ ومن أين له أنْ يلمس الوتر النفسي في تشبيه آخر ليلة من العهد الملكي بالغراب الناعب الذي هو رمز كل سوء، وبالرمز إلى فجر الحرية المنتظر بالنسر، الذي هو الرفعة والعزة))[1].

لقد توسل الجواهري بكل أدوات اللغة، للوصول بشعره إلى مدارج الإبداع، بعد أن استخدمها استخداما مغايرا للمألوف، حيث نراه قد استعان في قصائده السياسية بالتكرار ((وهو من المظاهر التي نجدها في أسلوب القصيدة القومية. والتكرار اللفظي له محاسنه في البناء الموسيقي والإيقاعي للقصيدة، إذا استخدم استخداما جيدا، وجاء عفويا من دون صنعة، وهناك شعراء نجحوا في تحقيق هذه الغاية الايجابية وفي مقدمتهم الجواهري في قصيدته (أتعلم أم أنت لا تعلم)[2]؛ لكونه مثّل مركزا موسيقيا يقابله مركز موسيقي آخر، يضفيان على البيت تنغيما داخليا، فضلا عن ذلك أنّه وثيق الصلة بالمعنى العام[3] وقد نجح الجواهري عندما اتخذ من أسلوب التكرار وسيلة لربط مقاطع قصائده[4]، كما في قصيدة (يانديمي)[5]، ولكنه لم يوفق في تكراره في قصيدة (أطل مكثا)[6] نتيجة تكلفه[7] وهكذا في (تنويمة الجياع)[8] و(ما

---

(1) الجواهري دراسة ووثائق: 259.

(2) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 172.

(3) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: 231.

(4) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 5.

(5) الديوان: 5 : 119.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 534.

(7) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 311.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 610.

تشاؤون)[1]، حيث إن التكرار فيهما قضى على جمال القصيدة كما أسلفت؛ لأنه أدى إلى تقطيع أوصالها وعرقلة انسيابها، ومن ثم فشل وروده لعدم تحقيق فلسفة التكرار الإبداعية، كما لجأ إلى تكرار حرف النداء للتعبير عن الحسرة والألم من جراء ما لحقه من ظلم سياسي كما في قصائد: (يا أم عوف)[2] و(يا دجلة الخير)[3] و (ياغريب الدار)[4] ولتكراره لحروف (الهجاء) في ضمن البيت الواحد ، إبراز للإيقاع وانسجام مع المناسبة، كما في قصيدة (عبد الحميد كرامي)[5]، حيث كرر (الراء) في البيتين الأوليين (عشر) مرات، ولعل من أبرز الظواهر الفنية في شعر الجواهري السياسي، هو تكرار الأفعال بصيغها المختلفة؛ ذلك لان الفعل في اللغة صورة الحركة في الوجود، إذ ليس غير الفعل وسيلة لرسم الحركة، لذا كانت الغلبة في الصياغات الشعرية الحية للفعل في اللغة؛ لأنه هو زمان الكينونة وتتابعها، حالات وأوضاعا، ولبعث الحركة في الحدث فقد غلّب الجواهري الجملة الفعلية والفعل بأزمانه المتعددة على عباراته الشعرية حتى أننا، إذا أضفنا الزمن المستمر اسم الفاعل واسم المفعول وشبيه اسم الفاعل وشبيه اسم المفعول وصيغ المالغة إلى الأزمان الثلاثة للفعل في لغتنا، خرجنا بنسبة تتجاوز الـ60٪ من مجمل ما يعتمد الشاعر من مفردات في قصائده ومقطعاته لصالح الفعل[6] فمثلا في قصيدة (أمم تجدّ ونلعب)، يعرض أحوالا مختلفة: حال الأمم والشعوب التي توجهت للبناء والثورة على العبودية، ثم ينتقل إلى حال أخرى خص بها الشعب العراقي والعربي بالضمير (نحن) بقوله:

ونعـيشُ نحـنُ كمـا يعيـ ـش علـى الـضفافِ الطُحْلُـبُ[7]

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 634.

(2) الديوان: 4 : 197.

(3) الديوان: 5 : 81.

(4) الديوان: 5 : 913.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 576.

(6) ينظر: تطبيقات نقدية: 28.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 404.

ويتكرر في هذا المقطع الفعل المضارع المبدوء بنون المضارعة التي تخص جماعة المتكلمين: (نعيش، نعوم، نوحي، ننعب، نرسب، نبث، ندس، نكذب، ندعو، نتحبب، نهوى، نحشد، نؤلب)، وتركيز الشاعر على صورة المضارع دال على الإمعان في تصوير حالة الاستقرار، واستمرار العيش الذليل القائم على الخضوع للمستعمر[1]. وهكذا في قصيدة (أخي جعفر)، حيث برز النمط الفعلي في بناء الجملة حيث شكلت الأفعال نصف قوافي القصيدة، لأن جسامة الحدث في هذه القصيدة هي التي سيطرت على الشاعر، وجعلت انفعالاته تطفح بهذا السيل المتحرك الهادف إلى التحريض على الثورة[2] أمّا استخدام فعل الأمر، فهو يهدف إلى التحريض، وهو صيغة شائعة في قصائد الجواهري[3] يستخدمها حتى مع من هو أعلى مقاما منه وذلك لأنه كان يعتقد بأنه أعلى منهم مقاما، وأشرف منزلة ، كما في قصيدة (هاشم الوتري)[4]، حيث يفصح بأنّ الحكّام لا يبلغون مهما بلغت قاماتهم من الطول أن يبلغوا كعب حذائه، وفي قصيدة (ذكرى عبد الناصر)[5] و(القوتلي)[6] قد استخدم الأمر معهما (سبع عشرة) مرة، كما لجأ إلى نبرة الأمر مع الملك (فيصل) في قصيدة (الملك والانتداب)[7]، وأن الجواهري كان يقصد ما يقوله، بدليل أنّه لم يستخدم أسلوب الأمر مع (عبد الكريم قاسم) في قصيدة (المستنصرية)[8] إلا مرة (واحدة) بعد أن مهد له (بثمانية) أبيات وذلك لودّ بينهما، كما أنّه لم يستخدمه في قصيدة (آمنت بالحسين)[9] إجلالا وتوقيرا لشخص (الحسين بن علي)(ع)[10]، وكذلك كان يستخدم صيغة الأمر مع الشعب، عندما يراه خانعا ذليلا، كما في (أطبق دجى)

---

(1) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 4.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 11.

(3) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 148.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 561.

(5) الأعمال الكاملة: 6 : 942.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 704.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

(8) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

(9) الديوان: 3 : 233.

(10) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق : 171-175.

حيث كرر الفعل (اثنتي عشرة) مرة، مما أشاع جوا شديد التوتر في هذا المقطع المكون من (سبعة) أبيات فقط[1]، كما استخدم الأمر في قصيدته (الجزائر)[2]، وقد خفف من وقعه، باستخدام أسلوبين أحدهما: سبب ذكر هذه الأوامر، فهو يقترب مما يعرف بـ (حسن التعليل) أما الثاني: هو التعرض بصورة غير مباشرة إلى تجربة الأمة العربية في التاريخ، وكأنه يطلب من (الجزائر) أنْ تعيد مجد العرب[3]. ومن أساليبه الفنية في شعره السياسي أنه يستخدم (التصريع) في شعره، ليتخذ منه سلّما للانتقال من فكرة إلى أخرى، كما في قصيدة: (ذكرى أبو التمن)[4] وقصيدة (هاشم الوتري)[5]، فالتصريع في الأولى إيذان بالانتقال من (الرثاء) إلى (السياسية) وفي الثانية، انتقال من (التكريم) إلى الحديث عن (شهداء الوثبة)[6] ، وكذلك اتبع الجواهري في قصائده السياسية أسلوب السخرية والاستهزاء، كما في قصيدة (تنويمة الجياع)[7] و(طرطرة)[8]، وفي (ما تشاؤون)[9]، وهي منحى جديد في شعره السياسي، إيمانا منه بأنّ هذا النوع من الأسلوب يزيد من وعي الناس، وفيه دلالة على مدى استخفافه بالطغاة، علاوة على ذلك أنه يزيد شعره جمالا[10]، ولعل أهم ما ميز الجواهري من غيره في شعره السياسي، هو طول القصيدة الذي ينسجم مع مضمون القصيدة السياسية، وقد أشار (الخليل بن أحمد الفراهيدي) إلى ذلك فقال: ((الطوال للمواقف المشهورات.))[11]

---

(1) http: www. AL-bayan. coac\AL-bayan\culture\

(2) الديوان: 3 : 215.

(3) ينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: 84.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 561.

(6) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 249.

(7) الأعمال الكاملة: 4 : 610.

(8) الأعمال الكاملة: 3 : 438.

(9) الأعمال الكاملة: 4: 636.

(10) ينظر: الجواهري والطغاة: 2. وينظر: تنوية الجياع وعصرية الإغراض الشعرية: 4.

(11) العمدة: 1: 186.

وقد عبر الجواهري في شعره عن أحداث مهمة ارتبطت بحركة التغيير في المجتمع العراقي والعربي والإنساني[1]، غير أنّه كان يلجأ في أبيات قصائده أحيانا إلى الجمل القصيرة داخل البيت الواحد، وذلك انسجاما مع حالته النفسية المنفعلة، كما في قصيدة، (هاشم الوتري) حيث نجد العبارات (ماذا يضر الجوع)، (أنا حتفهم ألج البيوت)، (أغري الوليد بشتمهم) فهو في ذلك كمن في يده سوط يجلد به الحكام، بعدما هدّه التعب فيلهث فلا يستطيع الإتيان بجمل طويلة.[2] كما استخدم الجواهري جملا وتراكيب نحوية؛ لتعضيد لغته الشعرية في شعره السياسي، وهي غاية في الفن، وروعة في الجمال ، تكمن خلفها فلسفة الإبداع الأدبي في شعره، ففي قصيدة، (ابو العلاء المعري) إذ فصل بين المبتدأ والخبر بـ (سبعة) أبيات حيث ذكر المبتدأ (هؤلاء) ثم جاء بالخبر (أوسعتهم) كما في قوله:

وهؤلاءِ الدّعاةُ العاكفونَ على	أوهامهمْ صَنَماً يهدونهُ القُرَبا
الحابطونَ حياةَ الناسِ قد مسخوا	ما سَنَّ شرعٌ وما بالفطرةِ اكتُسِبا
والفاتلونَ عثانيناً مهرّأةً	ساءتْ لُمحتطِبٍ مرعىً ومُحتَطَبا
والملصقونَ بعرشِ اللهِ ما نسجتْ	أطماعُهُم: بدعَ الأهواءِ والريبا
والحاكمونَ بما توحي مطامعُهُم	مؤَوّلينَ عليها الجدَّ واللَّعبا
على الجلودِ من التدليسِ مَدْرعةٌ	وفي العيونِ بريقٌ يخطفُ الذّهبا
ماكانَ أيُّ ضلالٍ جالباً أبداً	هذا الشقاءُ الذي باسمِ الهُدى جُلبا!
أوسعتهُم قارصاتِ النقدِ لاذعةً	وقلتَ فيهم مقالاً صادقاً عَجَبا[3]

أمّا في قصيدة، (ظلام)، فقد استعمل الشاعر أداة الشرط (مهما) ثم أتى بجملة (فعل الشرط) طويلة عبر تتابع العطف، وتكرار الأداة أكثر من مرة، ولا يأتي (جواب الشرط) إلا

(1) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 4.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 168.

(3) الأعمال الكاملة: 3: 425.

في الشطر (الخامس عشر) بعد الأداة الأولى، كما في (فإنك مهما) فجاء جواب الشرط في قوله(فلست ببالغ رعب البرايا)[1] كما في أبياته الآتية:

فإنّكَ مهما تشِعْ من سوادْ
وتُلبسُ دياجيك ثوبَ الحدادْ
ويُذرُ مع الرِّيحِ منك الرّماد
ومهما ارتمتْ خافقاتُ الظّلال
فُويْقَ السهوبِ وبين الرِّمال
تُرَجِّفُها بين آلٍ.. وآل[2]
كآبةُ ديْجورِكَ الزّاحفِ
ووحشةُ زنجيِّكَ الرّاجف
وملهمُ قيثارِكَ العازف
ومهما ترامتْ رؤوسُ الجبال
تثيرُ من الرّعبِ مثل الخيال
بحيثُ تهيمُ بناتُ الخيال
وقد آد[3] منهنّ وزرُ الخطايا
حواسرَ، من فرطِ هولٍ، عرايا
تجوسُ الثرى .. وتجوبُ الثنايا
فلستَ ببالغِ رُعب البرايا [4]

بعد هذا العرض الوافي لأساليب الجواهري، يتكشف لنا سبب إخفاق الآخرين في اللحاق بشاعريته ، ذلك لأنهم لم يمتلكوا أسلوب الجواهري الذي امتاز بالفن العالي، والأسلوب هو الرجل[5]، فهو لكي يكون جديدا ، عليه أن ينحت لا أن يرصف الآجر[1]،

---

(1) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 15،16.

(2) الآل: السراب.

(3) آد: أثقل.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 640.

(5) ينظر: الجواهري دراسات ووثائق: 230.

ذلك أن اللغة ليست أداة توصيل وواسطة نقل للأفكار والمعارف والتجارب في العمل الإبداعي كما هي في العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى، بل هي التجربة نفسها، هي الإبداع نفسه، ويعرف ذلك كل من مارس الإبداع باللغة. فكل قصيدة مبدعة هي لغة مبدعة، وبدون لغة مبدعة قد تكون القصيدة أي شيء إلا عملا إبداعيا[2]، وقد نال الجواهري تلك المنزلة، لأنه كان ((يملك ثروة هائلة في المفردات والتراكيب، وبسبب قراءاته الطويلة في الموروث الشعري، وحفظ غالبية دواوين (البحتري) و(أبي نواس) و(ابن الرومي) و(أبي تمام) و(المتنبي))[3]. بهذا المنهج القاسي والطريقة المضنية، بلغ الجواهري ما بلغ، لأنه أدرك قبل غيره، أنّ طرائق التركيب اللغوي ومستوياته البلاغية، لا يمكن أن تكون من إبداع الفطرة، بل لا بد من معاناة ومشاق، وهو القائل: ((أن أتعبوا أنفسكم لتحوزوا شرف الكلمة، وفخر المفردة، وعقبى القافية))[4]

إبداع الجوهري في صور شعره السياسي

لا شك في أنّ الصورة الشعرية تعد أخطر أدوات الشاعر، لكونها تتعلق بعملية الخلق الفني التي تنقل التعبير الأدبي، من التقريرية المباشرة، إلى عمل إبداعي، من خلال الخيال الذي يمكّن الشاعر من التقاط الصور وخزنها في نفسه واستحضارها للموضع المناسب، لتجسيد المعاني المنثالة علية تجسيدا تصويريا بديعا، يشعر متلقيه أنّه يتلمس ما يقرأ[5]

(1) ينظر: الشعر والفكر المعاصر: 19.

(2) ينظر: التراث كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي: طراد الكبيسي: 65. دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978. وينظر: نقد الشعر العربي: 89.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 315.

(4) المفردة حياة حافلة وليست حروفا: الجواهري: 5: تنظر: مجلة الأديب العراقي (العدد)ا لأول، شباط : 1961.

(5) ينظر: دروس في تأريخ آداب اللغة العربية: 282.وينظر: نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 282. ويعرف (الرصافي) الخيال بقوله: ((انه قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة)) الرصافي في الأدب العربي: 77.

وقد أهتم القدماء اهتماما بالغا بالصورة، لكونها النتاج النهائي لعملية التخيل، يقول (الجاحظ): ((فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير))[1]، ويقول (قدامة بن جعفر): ((إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، ومن أنْ لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجار والفضة للصائغ.))[2]

إذاً إنّ الصورة عند (قدامة) هي الشكل الفني الجديد الذي يصاغ من (مادة الشعر)، وبالتالي إنّ مقياس جودة الشعر أو رداءته تكون على وفق جودة الصورة أو رداءتها[3] فجودته تتوقف إذا على براعة الشاعر الخيالية في رسم صوره وتفرده في ذلك الخيال. ولا تختلف تلك التعاريف في مفاهيمها عن المفاهيم الحديثة للصورة، وقد عرفت ((بأنها تشكيل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها))[4] أو هي ((الهيئة التي تبرز عواطف الشاعر وتجسد أفكاره، وتشرك معه عواطف متلقي شعره، وتشخص لهم ما يريد نقله إليهم في التعبير الذي ينقل شعور الشاعر وأفكاره معتمدا على التجسيد لا التصريح ولا على التجريد.))[5] فهي في ذلك تتعلق بالجانب الحسي، أي الرؤية البصرية بالدرجة الاولى. ويبدو أنّ هذه الدلالة ذات علاقة بمصطلح الخيال، الذي عُدّ مسؤولا عن خلق الصورة البصرية بأنواعها المختلفة[6] وبناء على ذلك فان الصورة:هي المرآة العاكسة لعواطف الشاعر وتجاربه وأفكاره من خلال، ((صياغاته اللفظية التي تعتمد في جمالها وقوة تأثيرها على التوائم والائتلاف بينها وبين التجربة الشعرية))[7].

---

(1) الحيوان: 3 : 131.

(2) نقد الشعر: 17.

(3) ينظر: مستقبل الشعر وقضايا نقدية: 115.

(4) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها: د.علي البطل: 345.بيروت 1983.

(5) الجواهري وهوية المعاناة الفكرية: 12.

(6) ينظر: مستقبل الشعر وقضايا نقدية: 117.

(7) الإسلام في شعر شوقي: د.احمد الحوفي : 273. مطابع الأهرام: القاهرة: 1972.

ولما كان الحدث السياسي هو الطاغي على الساحة السياسية، فقد ترك أثرا في نفس الشاعر، لما كان يراه في واقعه من التخلف الاجتماعي والقهر السياسي، فضلا عن التجزئة والهزائم النفسية، وقد اختلف الشعراء في أداء مهامهم الرسالية في تلك المرحلة، فقد ظن فريق منهم أنّ مجرد التصوير أو الوصف يكفي لأداء هذه الرسالة من دون الإفصاح عن مشاعرهم الخاصة، بينما رأى آخرون أن لا بد من الدعوة الصريحة في الشعر إلى المبادئ التي يروجون لها[1] وقد نجح أصحاب الرؤية الأخيرة من خلق الإبداع في صورهم؛لامتزاج تجربتهم الذاتية مع الواقع الموضوعي لامتهم ومجتمعهم[2] فاستطاعوا إعادة رؤية الأشياء الخارجية على وفق رؤى خاصة في دواخلهم. وان الرؤية المعاكسة تفقد الصورة حميميتها، فتأتي مطابقة للواقع، لخلوها من الخيال الذي يفعل فعله على الجمع بين الأشياء والتصورات والانفعالات بعضها إلى بعض، فيحلل ويكبر ويصغر[3] ((ليبدع في رسم الصورة الشعرية العميقة التي لا تشكل في جزئياتها الصغيرة المباشرة شكلا مألوفا، بل تؤدي إلى خلق صورة تفاجئ المتلقي))[4]؛ لأنّ الألفاظ الحسية هي وسيلة الشاعر لحفز المشاعر، واستثارة الحواس، وتنشيط ملكة التخيل عند المتلقي[5]

إذ إن مهمة الشاعر ليس نقل الصور الواقعية والحقائق كما هي، بل عليه صياغة الصور الواقعية، بما تتركه عليها أحاسيسه ومشاعره من خلال خياله المبدع، الذي يؤدي الدور البارز في النشاط السياسي ((والعناصر الأساسية التي تشكل الخيال هي: الشعب، والمجتمع الإنساني، والمعاناة، والعاطفة، وألوان الضرورة التي تنطوي عليها الحياة الإنسانية))[6]، لذا نلاحظ أن صور الشعر القومي السياسي وأخيلته قد صاحبها الحالة التي عاشها هذا الشعر بمرحلتيه التقليدية والمتجددة، وأنّ خصوصية الغرض السياسي لم تقف عائقا أمام قدرات الشعراء المبدعين، بل لقد كان لتراكمات الواقع المأساوي أثرها في توليد الصور الشعرية الجديدة المعبرة

---

(1) ينظر: في الأدب والنقد : محمد مندور: 37. مطبعة لجنة التأليف والترجمة: القاهرة: 1956.

(2) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 440.

(3) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 41 ،205.

(4) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 448.

(5) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 47.

(6) الممارسة والشعر: 36.

عن الواقع الإنساني في تلك المرحلة[1] بعدما توحّد تمزق الشاعر النفسي مع تمزق الحياة اليومية للمواطن العربي. لقد أثارت الواقعية السياسية وجزئياتها في نفس الشاعر، مشاعر الرعب والقلق، والتشاؤم، فسادت الصور القائمة الكئيبة على مجمل القصائد الوطنية[2]، كما نجد ذلك عند الجواهري بوضوح في جل قصائده السياسية، لاسيما تلك التي نظمها في مرحلة (الثلاثينات) و(الأربعينات) مثل: قصيدة (ذكرى أبو التمن)[3] و(المقصورة)[4] و(أخي جعفر)[5] و(يوم الشهيد)[6] و(هاشم الوتري)[7] و(في مؤتمر المحامين)[8] و(الدم يتكلم بعد عشر)[9]، هذه القصائد تفجرت صورها المبدعة بعد أن عاد الشاعر صفر اليدين من كل ما كان يأمله، لأنه عندما تنعدم الأماني للوصول إلى مقاصد معينة، تنفتح القريحة على مصراعيها، لتقول ما تريد أن تقول، بعيدا عن أي اعتبارات أخرى، ويكون الصدق طريقها الأولى، إلى ابتكار صور شعرية، تعبّر عن ألم الشاعر، عن المأزق الكبير الذي تعيشه البلاد[10]. إنّ ذاتية تلك الصور وصدقها لتثير في نفوسنا دوافع الثورة على واقع النظام السياسي القائم، ((لأنّ الشاعر يساعدنا على تنسيق مشاعرنا من خلال الاثارات المتنوعة التي تثيرها فينا صوره الموحية))[11]، وليست الألفاظ في قوتها وشدتها هي وحدها التي تصور مثل هذه الثورة والسخط، وإنما يضاف إليها كذلك صور وظلال متناسقة تشع من خلال تعابيره الثورية، فتزيد

(1) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 451.

(2) تنظر: مجلة الآداب البيروتية(عدد)5 لسنة1960.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 476.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 501.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 517.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 561.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 617.

(9) الأعمال الكاملة: 4 : 272.

(10) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 24.

(11) التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل: 72.دار العودة: بيروت: 1963.

تعابيره الثورية، فتزيد إلى جرس الكلمة وإيقاعها معاني صاخبة، وطرقا ثائرة، بذلك يكون قد استوفى صوره الثورية[1]، كما نجد ذلك في قصيدة، (يوم الشهيد) حيث يقول:

والسوطُ يحترشُ الظهورَ ووقعُهُ ... في سمع محترسٍ به أنغام
وكأنّهُ للمستغيث إغاثةٌ ... وكأنّهُ للجائعينَ إدام[2]

انظر إليه كيف يجعل (السوط)، وهو أداة السجان اللعين حياة تتحرك، لتبعث في جسد المسجون روحا وثابة، لمواصلة الكفاح. ونجد مثل تلك الصور أيضا في قصيدته، (أخي جعفر)[3] فهو لا يعبر فيها بالأوصاف المجردة، وإنّما يعبر في أغلب الأحيان بالصور الحسية الشديدة الحسية. إنّ أصابعه الشعرية لا تتوقف أبدا عن ملامسة تضاريس جسد الحياة في مظاهره المختلفة ومعايشتها والتعبير عنها...ولهذا تكثر في شعره ((مفردات وصور تقطر دائما غضبا، ورفضا، ودماء، وصداما، وتفاؤلا، وتلاقيا، وتناقضا، مما يرتفع بشعره إلى المستوى الدرامي الحاد بل الملحمي))[4].

إنّ مهارة الجواهري اللغوية[5] وقدرته على اصطياد الصور[6] وذاتيته، عوامل رفعته إلى قمة إبداعه الأدبي، ولعل العامل الأخير كان له الأثر الأكبر، والحظ الأوفر في تطوره الإبداعي، وقد تنبه (محمد الجزائري) إلى ذلك عندما قال للجواهري: ((إنّ القصيدة عندك إذا خلت من الذاتية، خلت من الوهج...الجواهري هذا صحيح. وعبر تازم نفسي..فالصورة التي أعطيها من ذاتي، هي عصارة ذوات المجتمع، خذ (هاشم الوتري) إذ لما خلعت عليه من صفات أخذتها من نفسي فالمثال الصارخ والمركز في نفسي هو للناس، أو لما يجب أن يكونوا عليه سواء هكذا أو لا. لكن الصور التي أخلقها للناس هي التي يجب أن تكون. إنها الصورة المثال حتى (يوم الشهيد) أنا خالع عليها من نفسي، ولكن ليس من نفسي بذاتية أنانية، بل

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 378.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 509.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 501.

(4) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 31.

(5) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 114.

(6) الأعمال الكاملة: 7 : 1020.(الهامش.)

تعبير عن سمو وشموخ. (يوم الشهيد طريق كل مناضل وعر) تصوّر الطريق الذي نحن مشيناه، أو الناس التي يجب أن تخوضه))[1].

من خلال تلك الذاتية، تمكن الجواهري من الانتقال من مرحلة اجترار المألوف القديم، إلى مرحلة الخلق والإبداع في العمل الفني؛ لتتحرر الصورة من مفهومها القديم ((الذي يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز))[2]، إلى مفهوم أعمق وهو الانتقال بالصورة ((من الوصف التقريري والبرهان العقلي، ليكون أقرب إلى التجريد منها إلى الواقعية، تلك الصورة التي لا تكتفي بوصف الشكل واللون، فتتعداهما إلى وصف الحركة، أي تطور الصورة الشعرية من وضع جامد تقريري، إلى وضع دينامي حي))[3]، ولم يبلغ الجواهري هذه المرحلة إلا بعد أن تجاوز مرحلتي (العشرينات) و(الثلاثينات)، اللتين كان يحاكي فيهما الشعر العربي القديم في صوره الحسية المباشرة، لأنّ الصورة هي شارحة للمعنى، ومضافة إليه[4]، لذا اعتمد على تصوير المحسوسات المستند أساسا إلى محصوله التراثي، والى خزينه الشعري، لا الشعوري، فصوره محاكاة عنده عن طبع، لا عن خبرة حياتية وجهوده كلها مركزة على استعادة صور الأقدمين، كما في قصيدة:(الثورة العراقية)، التي كتبها الشاعر عام (1921).

لعلَّ الذي ولّى من الدَّهرِ راجعُ ... فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلّا المطامِع
غُروراً يُمنّينا الحياةَ وصفوها ... سرابٌ وجنّاتُ الأماني بلاقع
نُسَرُّ بزهوِ من حياةٍ كذوبةٍ ... كما افترَّ عن ثغرِ المُحبُّ المخادع
هو الدّهرُ قارعْهُ يصاحبْكَ صفْوه ... فما صاحبَ الأيّامَ إلّا المُقارع[5]

(1) جريدة الجمهورية(العدد)2485، الملحق الأسبوعي، السبت ت2 : 1970.
(2) الصورة في الشعر العربي: 15.
(3) الجواهري وهوية المعاناة الفكرية: 12.
(4) ينظر: مفهوم الشعر: 80.
(5) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

إن من مظاهر التقليد فيها أنّه - وجريا على العادة - قد بدأ قصيدته بالحكمة، وهي لا تناسب سن الشاعر، ثم هو بعد ذلك يقلد الشاعر (الفرزدق) في مجموعة من عينياته[1] كما في:

ولكنْ هُما عمّاي من آلِ مالكٍ فاقع فقد سدّت عليهِ المَطالعُ [2]

ويكرر (الفرزدق) صورة (المطالع المسدودة) في القصيدة نفسها كما في قوله :

غداةَ أتتْ خيلُ الهذيلِ وراءكُم وسدّتْ عليكم من إرابِ المطالع [3]

وإنّ صوره (الدهر راجع) و(صفوها سراب) و(مقارعة الدهر) و(مصاحبة الأيام) شائعة في الشعر العربي القديم، كما نجد التشابه بين الشاعرين في مواضع أخرى حيث يقتفي أثره في المفردة والبناء والوزن والقافية كما في قوله:

كميٌّ مشى بين الكماةُ وحولَهُ نجومٌ بليلٍ من عجاجٍ طوالع[4]

إنّ البيت في حقيقته هو معارضة لما أورده (الفرزدق) في قوله:

أخذنا بآفاق السّماءِ عليكمُ لنا قمراها والنجومُ الطّوالعُ [5]

يبدو أنّ الجواهري في تلك المرحلة كان يورد الصور المقتبسة، ويركمها بعضها فوق بعض دون رابط أو صلة بينها، لأنّ القصيدة في منظوره هي الاهتمام بالشكل دون المضمون، لذا جاءت صورها مفككة، متناثرة بين ثنايا القصيدة دونما خلق أو إبداع؛ لاتكائها على الموروث.ومن يقرا ديوانه الأول، يجد بوضوح بصمات (المتنبي)، و(أبي تمام) و(البحتري) و(الشريف الرضي) و(الفرزدق) و(بشار) وغيرهم[6]. ولكنه في مرحلة (الثلاثينات) ونتيجة صراعه مع السلطة، بدأ مرحلة جديدة، بيد أنها كانت ضبابية؛ لكونها مرحلة مترجرجة بين قديمه الذي شب وترعرع عليه، وجديده الذي يفرض عليه الواقع، تعرية الحكام بتبيان ما

---

(1) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 260. وينظر : الجواهري دراسة ووثائق: 237.

(2) شرح ديوان الفرزدق: 518. تحقيق عبد الله الصاوي: القاهرة : 1936.

(3) المصدر نفسه والصفحة

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(5) شرح ديوان الفرزدق: 518.

(6) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 294.

أصابه من ظلم وحيف بأسلوب عصره، ولا يتأتى ذلك إلّا من خلال التعبير عن ذاته، مما يعني تقريبه من أساليب الواقع ومفرداته وخصوصياته، والابتعاد عن الصياغات الكلاسيكية الجاهزة، التي لا تنتمي إلى واقع المجتمع ومتغيراته، لذا نجد في قصائد تلك المرحلة صورا – على الرغم من ضعفها من الناحية الفنية – إنّ قيمتها تكمن في أنّها من خلق الشاعر ذاته، كما في قصائده في(سبيل الجماهير)[1] و(حالنا اليوم)[2]و(تائه في حياته)[3]و(عبادة الشر)[4] و(عتاب مع النفس)[5]و(المحرقة)[6]و(الشاعر ابن الطبيعة الشاذ)[7]و(الحزبان المتآخيان)[8] و(الدم يتكلم بعد عشر)[9]و(ثورة النفس)[10]، وقبل أن ندخل إلى أعماق صور قصائده، نكاد نلمس الجدة في عنوانات قصائده السالفة، حيث نجد الاستعارات المألوفة المستمدة من واقع الحياة، لا من معجم ألفاظه القديمة، كما في قصائده في العشرينات مثل: (هجرت الديار)[11] و(الشباب المر)[12] و(الليل والشاعر)[13] و(العزم وأبناؤه)[14] و(على أطلال الحيرة)[15] و(تذكر العهود) [16] ، فتلك الألفاظ كثيرا ما كانت تترد في دواوين الشعر القديم، حتى لتكاد الأذن أنْ تملّها لنضوب

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 239.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 276.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 312.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 244.

(6) الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(7) الأعمال الكاملة: 2 : 247.

(8) الأعمال الكاملة: 2 : 259.

(9) الأعمال الكاملة: 2 : 272.

(10) الأعمال الكاملة: 2 : 326.

(11) الأعمال الكاملة: 1 : 95.

(12) الأعمال الكاملة: 1 : 96.

(13) الأعمال الكاملة: 1 : 67.

(14) الأعمال الكاملة: 1 : 57.

(15) الأعمال الكاملة: 1 : 107.

(16) الأعمال الكاملة: 1 : 110.

طاقاتها الإيحائية ولمكروريتها. أمّا صور قصائده، فنجد الجدة في قصيدة(لعبة التجارب)، حيث الأساليب الآتية :(حققت لعبة لاعب) و(يسمون ترقيعاته) و(أرباب المواهب) و(سهلا قياما بواجب) و(مشى الشعب منهوك القوى) و(قد أثقلت بالضرائب) وفي قصيدة: (في سبيل الحكم) نجد صيغا على النمط الآتي :(عن طريق التآمر) و(قوم للكراسي الشواغر) و(يضحك الثكلى تناقض شارع) و(هذي الجماهير تقتفي) و(طباع للعشائر ترتجى) و(بطون الدفاتر) و(سنضحك قرّاء التاريخ) ومن قصيدة: (في السجن)[1] قوله:(ماذا تريد من الزمان) و(بالرفاه والأمان) و(إنّ الصحافة حرة) و(لكن على شرط الضمان) إذ لم نجد في أساليبه وصوره، تلك النبرة العالية، والجرس القوي، وقوالب الصور التقليدية الجاهزة، المستمدة من تجارب الآخرين، بل نجد ألفاظه وصوره من خلال تجربته الشعرية، التي راح يذيعها على أسماع الآخرين، فضلا عن ذلك فقد تغيرت أغراض قصائده، لقد تغير موضوع المدح، والهجاء، والوصف، وجاءت موضوعات جديدة (الظلم الاجتماعي) (الإقطاع) (حقوق الشعب) ونتلمس ذلك في قصيدته (الأوباش)[2]. القصيدة توضح في أبياتها ((أنّ الشاعر بدأ يطلع على (أيدلوجية) جديدة تصور صراع الطبقات، وتدعو إلى العدالة الاجتماعية، بالدعوة إلى أخذ حقوق الفقراء المعدمين بالعنف، إنّ هذه الأفكار الجديدة التي يطلع عليها الشاعر تغربه ببساطتها وعدالتها، وتحرك في أعماقه، إحساسه بواقعه الاجتماعي، فيجد نفسه مع الناس أي مع الضعيف، مع المظلوم من الناس، وهكذا تدخل قاموس الشاعر تراكيب وصور جديدة لا يجدها في مخزونه الثقافي حين يرتد إليه))[3]، وبدأ الشاعر- وبشكل فعلي- يمهّد لمدرسة جديدة في الشعر العربي، لم تعرف ملامحها بعد، وذلك عن طريق لغته السهلة القريبة إلى اللغة المحكية، كما في قصيدته (الرجعيون)

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 365.

(2) الأعمال الكاملة: 2 : 252.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 276.

نبــذَ القـــشرَ نحـــوَهم باحتقـــارِ   وحـــوى اللُّـــبَّ وحـــدهُ والخِيـــارا
دفعـــوا غُـــنمهُم إليـــهِ وراحـــوا   يحملُـــــونَ الأثقـــــالَ والأوزارا[1]

أو عـن طريـق رسـم صـوره الـشعرية المستمدة مـن واقعـه المعـاش، لاسـيما صـور (المخترعات) التي انتشرت في عـصره كالمنطـاد، والطـائرة، والبـاخرة والمـدفع، واستخداماته للألفاظ الـسياسية، والاجتماعيـة، والعلميـة الحديثـة، كمـا في قولـه، بإشـارة منـه إلى نظريـة (دارون)

كمالُـــك جـــرٌ عليـــك الفنـــاءَ   أخـــا القـــردِ ليتـــك لم تكمُـــل[2]

ومن إشارته إلى انتصار(البروليتاريا) قوله:

وإذ يـــستقيمُ مـــن الكادحيـــ   ـــنَ المـــستغلّينَ حكـــمٌ وطيـــد[3]

كما لجأ في تلك المرحلة إلى عملية نقل الصورة من حالة إلى أخرى مثل قوله:

وكـــذا يـــدري الجبـــان وغـــى   فيُـــسمّي الحـــربَ بـــالحَرَبِ
وتـــرى نفـــس الـــشّجاعِ بهـــا   لـــذةً كالحـــكِّ في الجَـــرب[4]

إذ البيتان يكادان يكونان تفصيلا لما أجمله المتنبي في قوله:

فحـــبُّ جبـــان الـــنفسِ أوردَهُ الـــرّدى   وحـــبُّ الـــشجاع الـــنفس أوردَهُ الحَربـــا[5]

إنّ الصورة لدى الجواهري تبدو جديدة في شعره((لأنّه ينقلها من مجـال إلى مجـال آخـر، فالحرب التي تحدث عنها (المتنبي) استحالت لدى الجواهري (ثورة) وليس (حربا) وهـذا واضـح لمن يقرأ القصيدة كاملة))[6].

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 206.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 80.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 742.
(4) الديوان: 4 : 260.
(5) ديوان المتنبي: 327. دار صادر بيروت: 1964.
(6) الجواهري دراسة ووثائق: 238.

واستمر الجواهري في تدرجه الإبداعي، واستغرق مرحلة (الثلاثينات) كلها، حتى بلغ قمّة إبداعه في مرحلة (الأربعينات) وما بعدها، لينطلق منها إلى العالمية، حيث حدثت النقلة الفنية الكبرى في حياته الأدبية بعدما أدرك خلال مسيرته المترجرجة بين القديم والجديد جملة من الحقائق التي مكنته من الانسلاخ عن موروثه القديم منها:

1. الصورة ليس أمر مجازات، أو تشبيهات، ولكنها تشكيل فني لأنه خلق فني[1].
2. الاهتمام بالخيال وإعلاء شانه إيمانا منه بأنّ الخيال وظيفة خالقة[2].
3. الاعتماد على الرمز في تعميق الصورة السياسية[3].
4. التمرد على الأساليب البلاغية القديمة، كالتحول من المجاز إلى الحقيقة في رسم الصورة[4].
5. الاعتماد على الجمل الطويلة من خلال تجاوزه على وحدة البيت الشعري، تحقيقا للصورة الشعرية[5].
6. هضم الصور الموروثة، وإعادة خلقها من جديد، بعد تكثيفها[6] وتهذيبها، لتتخذ نسقا جديدا في نسغ القصيدة.
7. التمرد على رؤيته القديمة للأشياء، برؤية جديدة وزاوية جديدة، كما عند المدرسة الرومانسية[7].
8. شحن الصور القديمة ببعد بنيوي؛ لإقامة مجموعة من العلاقات بين عناصرها[8].
9. النوائب والمحن أغنتا تجربته الشعرية بالصور الجديدة، لتصبح ذاته خالقة لصوره الشعرية.

---

(1) ينظر: الصورة في الشعر العربي: 30.

(2) ينظر: الصور الأدبية: مصطفى ناصف: 124. دار ناصف، دار الأندلس بيروت1983.

(3) ينظر: حوار مع الجواهري: مجلة الكلمة العدد الثاني لسنة: 1972.

(4) ينظر: الشعر والتجربة: 61.

(5) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 7.

(6) ينظر: الجواهري وهوية المعاناة الفكرية: 12.

(7) ينظر: الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها: محمد غنيمي هلال: 137.دار نهضة مصر: 1973.

(8) ينظر: تطبيقات نقدية: 22.

10. حسه الفطري بجمال الأشياء وروعتها، منحه صورا غير مألوفة فيمجال الأدب.

11. غزارته اللغوية ومهارته فيها مكنتاه من النهوض بالصورة، كما لو أنها جديدة في جمالها.

تلك بعض الركائز التي أسهمت في صناعة الصورة السياسية المبدعة لدى الجواهري، لذا كان حريصا على تجسيد مشاعره، ونقلها من منطقة اللاوعي إلى عالم الألفاظ والموسيقى والصور، دون أن يكرر التشبيهات ويكدس الصور بقصد تنمية الصورة إلى درجة يتركها مثقلة هزيلة.

لقد أدرك الجواهري في هذه المرحلة: ((أنّ الشاعر الحق ليس مطالبا فقط بجعل استدعاء الصور القديمة مطية لإيصال فكره وإيضاح رؤيته للعمل الأدبي، بل هو مطالب بجعل الصور القديمة مطيته لخلق عالم من الصور تتفاعل وكأنما صوره القديمة المخزونة في ذاكرته تثير في ذهنه صورا جديدة، فتحول الألفاظ التي تولّد الصور في حافظته إلى طاقة جديدة))[1] كما في قوله:

يا مصرُ لم تبخسْ جمالَكِ ريشةٌ ... مرّتْ عليهِ ولم يخنْك مُصوِّرُ

للهِ جوُّك أيُّ مبعث فتنةٍ ... حتّى الطبيعةُ عندَه تتمصّرُ[2]

الليلُ عندكِ غيرُ ما عرفَ الدُجى ... في أرضِ غيرِك، والصباحُ المُسفر

لقد بلغ البيت الثالث من جمال التصوير، بحيث أغرى (السياب) أن يأخذه في قوله:
الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام. -حتى الظلام- هنالك أجمل فهو يحتضن العراق[3]

على أن السياب هبط بقول الجواهري (حتى الطبيعة عنده تتمصر) من عليائه الفنية الرفيعة إلى وحدة النثر في قوله: (فهو يحتضن العراق)[4] وكما في قوله:

كم هزَّ دوحكَ من قزمٍ يطاولُهُ ... فلم ينلْهُ، ولم تقصرْ ولم يطلِ[1]

---

(1) الجواهري وهوية المعاناة الفكرية

(2) الديوان: 4 : 222.

(3) ديوان السياب: 1 : 320. دار العودة: بيروت: 1971.

(4) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 237.

فقد بدا الشاعر، وكأنّه يدرك أنّ (الدوح) و(القزم) الذي يريد أنْ يطاوله من مألوف القول، وأنّه لا يؤلف فنا، فاستعان بمهارته اللغوية فيما قرر من نتيجة:ولم تقصر ولم يطل، فنهض بالصورة ليصل بها إلى منزلة فنية، فضلا عن جمال المعنى[2].

لقد كان الجواهري يعرف كيف يخلق صوره الشعرية الجديدة من الواقع، فهو لا يحاكي تلك الصور بحقائقها، وإنما بما تتركه من تأثير خاص في النفس، يقول في تحليل أسباب نكبة (فلسطين):

حماةَ الدّارِ ما النكساتُ سرٌّ ... ولا شيءٌ تلفُّف في بجاد[3]
فما ذهبتْ فلسطينٌ بسحرٍ ... ولا كُتبَ الفناءُ بلا مداد
ولا طاحَ البناءُ بلا انحرافٍ ... ولا بنَتِ اليهودُ بلا عِماد
وما كانتْ فلسطينٌ لِتبقى ... وجيرتُها يُصاحُ بها بداد[4]

وللجواهري صور مبتكرة بارعة كما في قوله:

ستعودُ تصهرُ طلقةً وقذيفةً ... ترمي الطّغاةَ سلاسلُ السجناء[5]

ومن صوره الجديدة قوله في قصيدة (هاشم الوتري):

حشدوا عليَّ المغرياتِ مسيلةً ... صغراً لعابُ الأرذلينَ رغائبا
بالكأسُ يقرعُها نديمٌ مائلٌ ... بالوعدِ منها الحافتين وقاطبا
وبتلكمُ الخَلَواتِ تُمسَخَ عندها ... تُلْعُ الرّقاب من الظباءِ ثعالبا
وبأنْ أروحَ ضحيّ وزيراً مثلما ... أصبحت عن أمرٍ بليلٍ نائبا

---

(1) لم أعثر عليه في الديوان بيد أن الدكتور: محمد حسين الاعرجي قد أورده في كتابه (دراسات ووثائق): 245.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 237.

(3) البجاد: نوع من الاكيسة التي يتغطى بها.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 529.

(5) الديوان: 4 : 222.

حـشدوا عليـهِ الجـوعَ ينـشبُ نابَـه		في جلـدِ "أرقـطَ" لا يبـالي ناشـبا[1]

إنّ الأبيات في صورها مألوفة، ولكن بعد أنْ أضفى عليها بعض أدوات فنه الشعري، كالجمع بين الصور المتناقضة والذاتية، خرجت الصورة من مسارها المألوف، إلى اللامألوف بفعل تأويل الشاعر، ((لأنّ التوتر في قصيدته يشد شطري البيت في تضاد حاد يقوم على التباس في الوصف بين صورتين:صورة الشاعر عن نفسه التي تظهر بقرينة تشير إليها صفات الأعداء، وصورة الأعداء التي تحدث مشاكلة بين اللفظ ووظيفته. فأفعال الأعداء في ظاهرها لا تدل على عدوانيتهم، ولكن شحنة التأويل في قول الشاعر تحولها مسارا آخر))[2]، كما أننا نشعر في الوقت ذاته ((بنبرة عالية يقوم الإيقاع فيها على أفعال عنيفة، حتى ولو كان في الأصل لا تملك هذه الطاقة. أننا نكاد نسمع صوت حشد المغريات، وقرع الكؤوس، ونرى رقاب الظباء، وهي تتعرض للنهش))[3] ثم أننا نجد دقة التصوير في قوله: (حشدوا عليّ المغريات) حيث وجد فيه دلالة دقيقة على صورة تلك المغريات، وهي (سقط متاع) أتستحق أن يبيع مواهبه ليظفر بها. وبسبب تمسكه بهويته الوطنية (حشدوا عليه الجوع)((وصورة الحشد هذه على النقيض من صورة الحشد التي مرّ ذكرها، فإذا كانت المغريات في كل ما يرغب الإنسان ويشتهي، قد حشدت في الصورة الأولى، فإنّ كلّ ألوان الحرمان قد حشدت في الصورة الثانية، وإذا بالجوع يبدو بهيئة حيوان مفترس، يبحث عن صيد ينشب فيه نابه، ولكن أي صيد يظفر، وليس أمامه سوى (جلد أرقط لا يبالي ناشبا)[4] . ثم يمضي الجواهري في قصيده بحشد صوره لإتمام لوحته الفنية، حيث يقول:

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 562.

(2) من مقال: (كتب بمخيلة عباسية وجاور المتنبي وصار محطة تاريخية): فاطمة المحسن: 299. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(3) نفسه.

(4) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 133.

حتّـــى إذا عَجَمـــوا قنـــاةً مُـــرَّةً شـــوكاءَ، تُـــدمي مـــن أتاهـــا حاطِبـــا
واستيأســـوا منهـــا، ومـــن مُتخـــشّبٍ عتَتـــاً كـــصلِّ الرّمـــلِ يـــنفخ غاضـــبا[1]

يقول الدكتور (الاسدي):((ولم يكتف الجواهري بتلك الصورة الموحية بألوان الأذى، بل ألحق بها صورة أخرى لم تدع مجالا للشك في اليأس من إقناعه، لأنه (متخشب عتتا كصل الرمل ينفخ غاضبا) ولمَ ينفخ صل الرمل؟ وكيف هي صورته لحظة غضبه؟ أنّه يكون بمثل تلك الهيئة حين تستفزه تحديات المتربصين))[2] وهنا يتجلى إبداع الجواهري عندما يختار صورة قديمة ليقابلها بصورة مضادة تناقض أختها لتشكل الصورتان معا معركة الجواهري مع الطغاة في تجربة شعرية صادقة تسهم إلى حد كبير في استقلالية الصورة عن مفهومها القديم، ففي قصيدة (النشيد الخالد)[3] يكتشف الجواهري صورا بلاغية لا تندرج ضمن أبواب البلاغة القديمة، لأنه تجاوز فيها حدود المصطلحات الأدبية للصورة، وقد أطلقوا عليها تسمية (التضادات) داخل الصورة الواحدة أي أنّه يخلق صورا من صورة واحدة، لا تنطبق على التعاريف الأدبية، وهو من استكشافات الجواهري الشعرية؛ لأنّ الشاعر يرسم صوره الشعرية بطريقة مغايرة تماما لكل التعريفات والمفاهيم المتعارف عليها سلفا، لأنّه منفلت تماما وغير خاضع، لأي من الأوصاف والتسميات سوى (الظاهرة)، خصوصا فيما يخص الصورة الشعرية في شعرنا العربي، وحتى في تجارب الشعراء الأوربيين، لأنّ الصورة لدى لجواهري هي رسم قوامة الكلمات وينطلق هذا القوام من حسه الفطري في شعره[4].

إن التجربة الصادقة التي ولدتها صدمات القدر الموجعة وغيرها من العوامل، هي التي أغنت تجارب الجواهري ووسعت من خياله، وطبعت نفسه بالسمة التي تتسم بها نفوس

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 562.

(2) ملامح من شاعرية الجواهري: 133.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 102.

(4) ينظر: محمد مهدي الجواهري(الظاهرة): خالد البابلي: 9، في ضمن البحوث المقدمة إلى اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في26 / 7 / 2003.

الذاتيين، أي أن ذاته أصبحت كافية لأنْ تكون المصدر الوحيد لبناء صوره الفنية[1] كما في قوله:

أقــولُ لنفــسي إذا ضَــمَّهَا   وأترابَهــا محفــلٌ يُزدهــى
ولم تــستطعْ همــمُ المُدّعيــ   ـــن صــبراً علــى جمــرة المُــدَّعى
خلــصتِ كمــا خلــصَ ابــن ُ القيــون ُ   ترعــرعَ في النّــارِ ثــم اســتوى [2]

فهو في معرض محاسبته لنفسه، بأنْ تتسامى على الآخرين؛لأنها خير النفوس، كونها تحتكم إلى ضميره النابض بالطهر والنقاء، على نقيض ضمائر الآخرين التي كشفت الأحداث زيف ادعاءاتها، ولاستجلاء أبعاد الصورة التي رسمها الشاعر لنفسه: ((فإنه يرى أن نفسه وقد خلصت مما تشابك عليها من ملمّات، في صورة ذلك السيف الذي برع الحداد في صقله وتهذيبه؛ ليكون سيفا لامعا، لا يثلم ولا يخطئ هدفه، وكيف لا يكون كذلك وقد ترعرع في النار والشاعر - هنا - استعمل لفظة (ترعرع) وهي لم تكن قد وضعت لمثل هذه المعاني، لكن الجواهري التقطها التقاطا لامعا، أدرك ما فيها من ظلال موحية بدقة المعنى وتركيزه، وتكثيف صورته؛ لأنّ السيف - هنا - يكون قد تشبع بالنار حتى أصبح جزءا منها.))[3] بذلك نجد قدرة الجواهري على اقتناص المفردة، وتوليد الصور منها دون الرجوع إلى مخزون الموروث، بل اعتمد على خياله الخصب وانفعاله العفوي الصادق، فهو عندما يحس بتراكم الأفكار في ذاته فتصبح وكأنّه شيء يصعب مقاومته، عندئذ يحصل تكامل في ذهنه للمادة التي ينسج منها صوره، بحيث يغنيه ذلك التكامل عن اللجوء إلى موروثه من الصور، وإذا حضر من ذلك الموروث شيء فإنما كأنّه مادة جديدة تم صهرها في إطار الشاعر ومتغيراته ونشاهد ذلك بوضوح في قوله من قصيدة، (كما يستكلب الذيب):

(1) ينظر: الجواهري وهوية المعاناة الفكرية: 12.
(2) الأعمال الكاملة: 3 : 476.
(3) ملامح من شاعرية الجواهري: 135.

والعـــالفونَ حـــصيدَ الـــذُّلِ راكِمَـــةُ   هـــم والجـــدودُ ، فمـــوروثٌ ومكـــسوبُ
علاهـــم ، فَعَلَـــوْا بـــالجورِ غيرَهـــم   ســوطُ الــولاةِ علــى الظُّهــريْنِ ملــهوبُ[1]

يقول د. (الأسدي) : ((حين نقرأ هذه الأبيات نستحضر صورة الدواب، التي يقدم لها العلف لتأكله، فإذا بالشاعر يستعيرها لهؤلاء، ولو أنّه جعلهم يعلفون نوعا من الأكل لهان الأمر، ولكنه جعلهم (العالفون حصيد الذل)، ويبدو أنّ لديهم نصيبا وافرا، فهو متراكم بما عندهم، وبما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، ذلك لأنّهم ارتضوا الذل لأنفسهم، فاستحقوا أنْ يسلط على ظهورهم سوط الولاة. فهو يستعير لصوره الشعرية مفردات يتماثل تشكيلها مع طبيعة المضمون الذي تؤديه))[2] أضف إلى ذلك أن الصورة عند الجواهري لا تمثل إلا جزءا يسيرا من لوحته الفنية، إذ لا يمكن فهم قصائد الجواهري السياسية إلا من خلال النظرة الكلية إليها، وذلك بضم أجزاء الصورة وربط بعضها ببعض، لأنّ ((الصورة تعيش ضمن علاقات))[3]، والشاعر يقوم بعملية اختيار فائقة لاستبعاد ما هو دخيل، وتنظيم وتكثيف ما هو أصيل وحيوي، فليست كل الأشياء ذات قيمة متساوية[4]، والقصيدة تنسيق للعلاقات الحية والصور التي يقوم بها الشاعر ليجعلها تثير وتسند وتنسخ بعضها البعض[5] ونجد ذلك بوضوح في قصيدته (إلى الشعب المصري) يقول فيها الجواهري:

يـــا "مـــصرُ" تـــستبقُ الـــدّهورَ وتعثـــرُ   والنيـــلُ يزخـــرُ والمـــسلّةُ تُزهـــرُ
وبنـــوكِ والتـــاريخُ في قـــصبيهما   يتـــسابقان فيُـــصهرون ويُـــصهَر
هـــذا "الـــصعيدُ" مـــشتْ عليـــه مواكـــبٌ   للـــدّهرِ مُثقَلَـــةُ الخُطـــى تتـــبختر
وســـعتَ أشـــتاتَ الفنـــونِ كأنّهـــا   فلَـــكٌ يـــدورُ.وأنـــتِ أنـــتِ المِحـــور[6]

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 650.

(2) ملامح من شاعرية الجواهري: 136.

(3) الشعر والتجربة: 68.

(4) ينظر: مبادئ النقد الأدبي: 314.

(5) ينظر: الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: 87.

(6) الديوان: 4 : 160.

إنّ القصيدة هنا لوحة زاخرة بالصورة، مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا، مشدودة في جميعها إلى قاع المؤثر (مصر) التي بدأت تشع في خيال الشاعر، فإذا بالماضي يتداخل بالحاضر من خلال أفعال المضارعة، لمنح الصورة الحركة المستمرة، فالجو الذي يخلقه الشاعر مفعم بالسحر والإثارة، ولعل جماله جاء من هذه العلاقات التي أقامها الشاعر بين الأشياء في ماضيها وحاضرها، فالتاريخ ليس معزولا عن حاضر مصر، ولا النيل جامد، والمسلة ليست قطعة أثرية في متحف، إنّها تزهو بالحياة، ولكل تلك العلاقات معان خفية حرص الشاعر على مسّها، ثم يمضي مخاطبا (مصر) بقوله: (فلك يدور وأنت أنت المحور)[1]. لقد أبرز الجواهري علاقات بين صوره لم نشاهدها من قبل، إذ إنّ الاستعارة لم تعد تحمل مفهوما محددا في ضمن معانيها المعجمية القديمة، وإنما تفهم ضمن سياق منظور، وبنية منتظمة كما أن ((البينة لا تقتصر على الصور وحدها، فهناك أصوات الكلمات التي من خلالها تكون القرائن، ومن خلال القرائن تنبلج، ولكن من خلال العلاقة بين الصور يحس نكهة المعنى في الشعر))[2]. ولعل الجواهري قد اطلع على مثل تلك المفاهيم الحديثة وعكسها في شعره، أو أنّه امتلكها نتيجة الدربة والخبرة الطويلة، وإلّا ((من أين جاء الجواهري بكل هذا الجو الموحي والنغم والصور، فهو قد أفاد من الصور القديمة، لكنه غير علاقات المفردة، كما غير في عناصرها الأساسية، فلم يعد الربيع هو الذي يثمر في الصورة الحركة والحياة، وإنما هي (مواكب الدهر)، فقد أخذت الصور مكانها الحقيقي في النسيج، فتكون من ذلك جو شعري متكامل صنع وسطه الشاعر لوحاته المتناسقة))[3] والقائمة على أساس تركيب فني ((يتكون من نقطة تداعي معينة تمثل مركز اللوحة، ثم تجيء حركة التصاعد بتفاصيلها من الحركة والصور الصغيرة من غير تكدس مع التركيز على عنصر التضاد.))[4]، القابل للاتحاد والشمول مؤديا في الوقت نفسه غرضه الفني الساعي نحو إيجاد صور كلية تتوزع بشكل متجانس يضج بالفوران المبتكر للعمل الشعري، خالقا بوضوح تام لفكرته المعبرة عن إحساسنا الجمعي، بتمظهر الأشياء وحركتها

---

(1) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 91.

(2) ينظر: الشعر والتجربة: 95.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 291.

(4) نفسه: 324.

الفاعلة في أجواء قصيدته، التي تشكل لوحة الجواهري بشكلها الشمولي[1]، يقول الجواهري: ((إنّي لا انتقل من صورة إلى أخرى قبل أنْ انتهي من الأولى؛ لأنّي أشعر أنّي إذا تركت صورة تروح مني، ولم يحدث أن جاءتني صورتان أو أكثر في وقت واحد، وإنّما تأتي واحدة حتى إذا انتهيت من واحدة جاءت الأخرى، والصور تتعدد وتترابط شعوريا، لا أربطها إراديا.. إنّ مدى القدرة على أداء الصورة أو تجسيدها تتبع الموهبة))[2] ويقول في موضع آخر: ((تجيش نفسي جيشانا فظيعا متراكما متشابكا، فأنا أمين في خلع هذا التشابك في كل قصيدة دون تخطيط أو تصميم))[3]وليس هذا حسب، بل كان يلاحق الصورة حتى بعد الفراغ منها، حيث يقول: ((أقرا القصيدة خمس مرات، عشر مرات، أهضمها، وقلما أبدل فيها كلمة، وقد أزيد البيت أو البيتين استكمالا للصورة))[4] إن في النصوص السابقة إشارات مهمة نذكر منها:

1. ملاحقة الصورة الشعرية لبلوغ أشواطها النهائية في القصيدة وإنْ تجاوزت حدود البيت الشعري، ومن أجل ذلك اعتمد نظام المقاطع في قصائده.
2. ربط الصور فيما بينها بجملة من العلاقات بين عناصرها؛ لهدم العلاقات القائمة تحقيقا لوحدة الموضوع في بنائه الفني.
3. دور الخيال بالقيام بعملية الربط والتنسيق في خلق الصورة، وهو ما يعني الخروج على الأبواب البلاغية، والتراكيب اللغوية في بناء صوره.

إنّ النقطة الأولى تقودنا إلى ((إن الجواهري كان يفكر بدءا بالصورة أو النموذج عند كتابة الشعر، لا بالضوابط أو المعايير أو القيم التي يشترطها العمود الشعري، ومن ثم كان خروجه على مبدأ وحدة البيت في بناء القصيدة ... ولعل هذا واحد من أبرز منجزات الجواهري الشعرية على صعيد التقنية الحديثة للشعر العربي المعاصر.))[5]إن الصورة الشعرية عند الجواهري لا تنتظم في القصيدة على أساس وحدة البيت، وإنما تمتد إلى المقطع، وأحيانا

---

(1) ينظر: محمد مهدي الجواهري (الظاهرة): 10.

(2) حوار مع الجواهري: 47.مجلة الكلمة: (العدد) الثاني: لسنة: 1997.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) تطبيقات نقدية: 24.

القصيدة فلا تستكمل أبعادها إلا باكتمال المقطع أو القصيدة، فهي ذات طبيعة تركيبية ممتدة تنمو نموا طبيعيا داخل رحم القصيدة، كما في قصيدته، (ماتشاؤون):

مـــا تـــشاؤونَ فاصـــنعوا	فرصـــــةٌ لا تُـــضَيَّعُ
فرصـــــةٌ أن تحكَّمُـــوا	وتُحطُّـــوا وتَرفعـــوا
وتُـــدلّوا علـــى الرِّقـــا	بِ وتُعطـــوا وتَمنعـــوا
مـــا تـــشاؤونَ فاصـــنعوا	لكـــم الأرضُ أجمـــع
قـــد خُلقـــتُم لتحـــصِدوا	وعبيـــداً ليزرَعُـــوا
تُخـــصَبُ الأرضُ تحـــتَكُم	- مـــا أمـــرتم - وتُمـــرع
مـــا تـــشاؤون فاصـــنعوا	الجمـــاهير هُطَّـــع
مـــا الـــذي يـــستطيعُه	مُستـــضامون جُـــوَّع [1]

إنّ القصيدة تلك تتكون من مقاطع متعددة، كل مقطع يمثل مفصلا في جسد القصيدة، يساعدها على الحركة باتجاهاتها المختلفة، لتسمح من خلالها بنمو الصورة وامتدادها، نحو أشواطها النهائية، حتى لتغدو القصيدة وكأنها لوحة واحدة تحمل من التعبير والقيمة ما تتقدم به أجزاء اللوحة مجتمعة، وليس لك أن تحذف منها أو تضيف إليها، لأنّ ذلك يمس السياق المتنامي للفعل داخل القصيدة المحكوم بالنتيجة المنطقية من خلال مقدمتيها الضروريتين. إنّ هذا الجد الساخر والسخرية الجادة، لهما منطقهما الذي ليس لأحد أن يتجاوزه دون أنْ يخرج على المبادئ الأولية التي تحكم علاقتهما بالنفس البشرية.فالشاعر هنا - وهو يتوجه إلى الحاكمين بخطابه - يحاول أن يموه عليهم ما يضمر من احتقار لهم، وحنق عليهم وسخرية بهم، ويخفي بدهاء ما يقرأ في الأفق القريب من نذر، في الوقت الذي يريد أن يستفز مشاعر الجمهور بما ينبزه به من علامات الاستكانة والذل، ويحمله من تبعات استمرار الأوضاع اللا إنسانية المزرية التي يعيشها ويعاني الأمرّين من استمرارها، لذلك هو يبدأ حديثه بإغراء الحاكمين بقوله: (ما تشاءون فاصنعوا)، ولكي يمكّن لهذا الإغراء في نفوس الحاكمين، يشفعه بحجة منطقية لا يمكن رفضها: (لكم الأرض أجمع) ولكم الناس وذووهم، فماذا تخشون، وهم العبيد، فكونوا

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 634.

مطمئنين. الأرض والناس هطّع، ثم ما الذي يستطيعه مستضامون جوّع[1] على هذا النحو تنمو الصورة فكرا .. ويرتفع الجو النفسي ويكتمل البناء على طريقة قريبة من الأسلوب القصصي، الذي يحاول من خلاله عرض صوره الشعرية، باعتماده على الواقعة، أو الحدث، وإعادته إلى المتلقي، بأسلوب يعتمد المحاورة بين شخصية الشاعر والحدث، عبر أبيات القصيدة المتصلة.

ومثلما اعتمد الجوهري بنائية الصورة أسلوبا في شعره السياسي، فقد اتخذ من (الرمز) أسلوبا للتصوير ((لأجل التطلع إلى ما وراء الصورة الظاهرة عن طريق الإحساس الشديد الجليل والجميل.))[2]، وللجواهري قصائد رمزية معروفة مثل قصيدة: (انتم فكرتي)[3] (1962) و(سواستبول)[4] و(على قارعة الطريق) (1942) التي تعد من أشهر قصائده الرمزية على الإطلاق وقد استخدم فيها رمز (الأب) بمعنى طلائع المجتمع، ورمز (الغابة)يعني الأحزاب، و(الشمس) رمزا للثورة كما في قوله : قال وأبوك؟

فقلت له: إنّه لا يشغل بالي من أمره، إنّه كان يتحمل الألم، ولكن بصمت.قال لي عابر سبيل بعد برهة ..أنّ هناك من ورائنا غابة..أفلا أدلّك عليها فتستريح عندها.. ولو بالرجوع خطوات..وكنت لا أنفك أغني إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس.[5]

ولعلّ عامل الخوف من السلطان، قد يكون هو الدافع الرئيس وراء رمزية قصائد الجواهري في تلك المرحلة، ((حيث أن في مرحلة (الخمسينات) لم يكن ليسمح للشاعر العراقي قبل (14 تموز) بنشر الشعر الذي يحث على الثورة ضد الملكية بالعراق، وبالأخص في تلك الحقبة التي تولى فيها (نوري السعيد) زمام الأمور في البلاد. مما اضطره باللجوء إلى الثورة الجزائرية كما في قصيدته (الجزائر)، يبث من خلالها همسا ما عجز عنه جهرا، ويقول فيها

---

(1) ينظر: تطبيقات نقدية: 20.

(2) نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 308، وينظر: علم النفس الأدب: 6 ، والشعر العربي المعاصر: 190، والشعر والفكر المعاصر: 122، والصراع بين القديم والجديد: 17، والغموض في الشعر الحديث: شكري عياد: 42، ومجلة الفكر المعاصر (العدد) 26 ابريل: 1967.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 767.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 400.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 387.

شعرا يضمّنه تلميحات تعبّر عن سخطه على ما يعانيه وطنه الصغير من نظام حلف بغداد))[1] فهو يصب جام غضبه على الاستعمار الذي ابتلى به وطنه، ويطلب من الجزائر أن تنتقم للشاعر ولكل إنسان ذاق ويلات الاستعمار، كما استخدم في قصيدته تلك مجموعة من الرموز الموحية التي يقصدها الشاعر بين ثنايا أبياته حيث أورد الشاعر لفظة (المسيح) رمزا للاستقامة، ولفظة (الفاجرة) رمزا (لفرنسا) و(يشوع بن نون) الذي رد الشمس، رمزا للأمل بنجاح الثورة، حيث يقول:

خذي الوحشَ من ظُفرهِ وانزعي ... ومن نابه حرداً واقلعي
دعيهِ يذقْ ما أذاقَ الشعو ... ب من الهَولِ والفزعِ الأفظعِ
جزائرُ أسطورةٌ حلوةٌ ... بشمسٍ يُردُّ على يُوشعْ
لكِ الويلُ فاجرةٌ علّقتْ ... صليب المسيحِ على المخدع [2]

أما في قصيدة (عيد العمال) فيقول الجواهري:

مضى أمسِ أسودَ..من خَلفه ... وجوهٌ مضتْ تنطفُ اللؤمَ سود
وفي يوم تموزَ شُقّتْ له ... وللعاكفينَ عليه لُحُود
وفي وهجِ الثورةِ المزدهاة ... تهرّتْ من المُتخمينَ جلود
فإنَّ وراءكُم غايةٌ ... ستُطوى مفاوزُ منها وبِيد
كأنَّ رؤوسَ السعالي بها ... وهامَ الشياطينِ طلعٌ نضيد
إذا ما ركضتُم إلى خُلَّب ... سرابٌ.. تبدّى سرابٌ جديد
فلا تستهينوا بدربِ الكفاحِ ... فدونَ النهايةِ شوطٌ بعيد
فما زال مُستنقعُ الكادحينَ ... يُغَطِّيه للمستغلِينَ دُود[3]

إنّ الجواهري في قصيدته تلك يحيي (العمال) في عيدهم عام (1960) وثورة تموز لم يمض عليها بعد عامان، فيحذّرهم من أنْ يؤخذوا بمظاهر الزيف، فما زال يومهم الذي يوعدون بعيدا ..وما زالت رحى الاستغلال والنهب تطحن عظامهم، وسوف يرون العجب، على الرغم

(1) الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 192.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 679.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 742.

من اصطفاف قائد تموز إلى جانبهم، غير أن الشاعر لم يقل لهم ذلك بأسلوب التقرير والمباشرة، وإنما عن طريق التجسيد بالصور الحية مثل: (رؤوس السعالي) و(هام الشياطين) و(طلع نضيد) و(مستنقع الكادحين) و(يغطيه دود)، غير أنّ النزعة الحسيه في التشخيص والتصوير تكافئها لدى الشاعر نزعة للتجريد ما تنفك تهرب بخياله وذهنه من الوقائع الملموسة بالظواهر المادية اليومية إلى دائرة الإيهام والوهم، حيث تضيق اللغة بمدلولاتها العادية ومضامينها المتعارف عليها، لتكتسب أبعادا فيها من قوة الإيحاء ولا مألوفية الاستخدام ما يركز في حس المتلقي وذهنه طابع اللغة (الزئبقي) المخادع وكينونتها الهلامية التي لم تتخلق بعد، فلا يمسك بملامحها إلا التهرب إلى حيث لا محدوديته المحببة؛ لتبقى تراكيبها سائبة هكذا، مع قوة الخيال الذي اكسب النص من خلال القرائن والعلاقات آفاقا جديدة لم نعهدها من قبل، كما في قصيدة، (محمد البكر) حيث يقول الجواهري:

تعجَّلَ بِشْرَ طلعتِك الأفولُ وغالَ شبابَك المَوعودَ غُول

وطافَ بربعِكَ المأنوسِ ليلٌ تزولُ الداجياتُ ولا يزول

وأثقلكَ الحِمامُ فلستَ تصحو ويصحو الرَوضُ أثقلَهُ الذُّبول

وقاسَمكَ الرَّدَى مَن تصطفيه كما يتقاسمُ الشَّفَقُ الأصيل[1]

فلا تدري كيف يتقاسم (الشفق الأصيل)وهما متلازمان تلازم كينونة ....أأراد بذلك الاشتراك في لحظة الموت والتلازم بين حمرة الشفق - الدم الذي سفك غيلة منهما والأصيل- الغياب إذ هو الأيلولة إلى ظلام الليل وسكونه، أم أراد أن يؤرخ للحظة غيابهما الأبدي غيلة؟؟ ثم أي خيال جامح جمع بين هاتين الصورتين: صورة اقتسام الأصفياء الموت بينهما.. وصورة اقتسام الشفق الأصيل. ولعل الشاعر في هذا المنحى يريد التحرر من السياقات والأنساق التقليدية[2] إلى عوالم الغموض والإيهام تعبيرا عن جوانب نفسه الغامضة، ولإضفاء

(1) الأعمال الكاملة : 7 : 1052.

(2) ينظر: تطبيقات نقدية: 19، 20، 21.

ولإضفاء جو من القداسة التي تنسجم مع ضبابية النصوص، فضلا عن إجهاد القارئ لإشعاره بلذة الاكتشاف لأبعاد النص الأدبي[1]، يقول الجواهري:

أخـــي "جعفـــراً" لا أقـــولُ الخيـــالَ ... وذو الثـــأرِ يقظـــانُ لا يحلُـــم
ولكـــن بمـــا ألهـــمَ الـــصابرون ... وقـــد يقـــرأُ الغيـــبَ مُـــستلهَم
أرى أفُقـــاً بنجيـــعِ الـــدماء ... تنـــوَّرَ واختفَـــتِ الأنجُـــمُ
وحـــبلاً مـــن الأرضِ يُرقـــى بـــه ... كمـــا قـــذفَ الـــصّاعدَ الـــسُّلَم
إذا مـــدَّ كفّـــاً لـــه ناكـــثٌ ... تـــصدَّى ليقطَعَهـــا مُبْـــرم
تكـــوَّرَ مـــن جثـــثٍ حولَـــه ... ضِـــخامٍ وأمجادُهـــا أضـــخم
وكفّـــاً تُمـــدُّ وراءَ الحجـــاب ... فترسُـــمُ في الأفـــقِ مـــا ترسُـــم[2]

هنا يتكافأ التعبير والتفكير في الصورة الشعرية، فتضحى الصورة في أبعادها المكانية والزمانية فكرة، وتضحى الفكرة بتجريدها الذهني ومنطقها الفلسفي صورة .. ويتداخل المنطق والتشكيل ليرسم لنا لوحة رائعة تصور طريق النضال، وحركة الأجيال الصاعدة عبر الفداء إلى السماء.

وبعد هذا العرض الوافي لجوانب إبداع الجواهري في صوره السياسية، تكشّف لدينا أن الصورة عند الجواهري ذات بعدين فيما تؤديها من وظيفة تعبيرية: بعد تقليدي هو بالذات ما يؤديه البيت الشعري التقليدي البليغ من حيث هو مثل، أو حكمة، وبعد عضوي بنيوي يتمثل قيامه بما تقوم الخلية في الجسم الحي، من حيث هي جزء من كل، وشذرة في تركيب حي للأنموذج الذي تتقدم به القصيدة أو الصورة، لان القصيدة في التجربة الجواهرية تشكل وحدة واحدة لا على أساس الموضوع حسب، ولكن على صعيد المضمون والشكل الفني كذلك .

---

(1) ينظر: الغموض في الشعر الحديث: د.شكري عيد : 24 ،49. وينظر: الأسطورة اليونانية: فؤاد حرجي بربارة: 10: مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي: دمشق: 1966. وتنظر: جريدة بريد الجمعة: (العدد) 35 (19 كانون لاول) لسنة: 1947،وينظر: الشعر بين التطور والجمود: 96، وينظر: مقالات في الشعر العربي المعاصر: 49، وتنظر: مجلة الشعر: 11 : (العدد) 1 (مايس،1969) وجريدة العالم العربي: (العدد) 4850، لسنة: 1947، وينظر: الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى: 17، وتجربتي الشعرية: عبد الوهاب البياتي: 130: مطابع دار الكتب: بيروت: 1968، وينظر: لنتذكر الجواهري: 2.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 501.

أثر الأحداث السياسية في أوزان الجواهري الشعرية

يعد الوزن الشعري أحد أهم أركان القصيدة العربية، وذلك لما لـه ((من إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه))[1] به ينتظم الخيال وتتدفق العواطف[2]، فتألفه الأذن السليمة لوزنه المتميز وإيقاعه الخاص[3]، الذي يحفظ للشعر ديمومته في الأمم وبقاءه[4]، ((لذا لم تجد أمّة من الأمم الغابرة ولا الحاضرة تغنت بشعر لا وزن فيه))[5]، وكل نظم لا وزن فيه لا يحيا طويلا، في عصر تقدمت فيه أفكار البشر[6]. فالشعر لا يقال إلا لينشد، فوجوده ضروري في الشعر العربي[7]، ولا يمكن للإنسان العربي، تقبل شعر بدون وزن، وذلك لان الشعر منذ نشأته لـه علاقة بالرقص والغناء[8]، ومن هنا نجد أنّ القدماء اهتموا كثيرا بالجانب الموسيقي للقصيدة، يقول ابن سينا: ((الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال ذوات إيقاعات متفقة، متساوية، متكررة على وزنها متشابهة حروف الخواتيم))[9]، ويذهب إلى مثل ذلك كل من (ابن طباطبا) و(الفارابي)[10]. إذا لقد اجمع القدماء والمحدثون على ضرورة الوزن في المنظوم[11]، حتى عند أولئك الذين دعوا إلى الخروج على أوزان (الخليل) مثل

---

(1) عيار الشعر: محمد بن طباطبا العلوي: 15. تحقيق طه الحاجري، وزغلول سلام، شركة فن الطباعة: القاهرة : 1956.

(2) ينظر: مبادئ النقد الأدبي: 199.

(3) ينظر: مفهوم الشعر: 367. وينظر: هذا الشعر الحديث: 112.

(4) ينظر: نقد الشعر العربي الحديث في العراق: 259.

(5) الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية: عبد الرزاق الهلالي: 76. وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر: 1982.

(6) ينظر: شعراء العصر: محمد صبري: 7. المطبعة الهندية: القاهرة: 1912.

(7) ينظر: الأدب الرفيع في ميزان الشعر: الرصافي: 89. بغداد: 1956. وينظر: دروس في آداب اللغة العربية: 43. وتنظر: مجلة الحرية: روفائيل بطي جـ1، 2السنة الثانية(1)تموز(يوليو)1925.

(8) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 25.

(9) جوامع علم الموسيقى: ابن سينا: 122. تحقيق زكريا يوسف.

(10) ينظر: مفهوم الشعر: 367.

(11) ينظر: هذا الشعر الحديث: 94.

(الزهاوي) و(الرصافي)[1]، غير أن واقع دواوينهم، قد أثبت أن لا بديل للأوزان في الشعر العربي، برغم ما أثير حولها من شبهات وأقاويل. ونظرا لأهمية الوزن الشعري ومكانته، فقد كان محطّ أنظار النقاد قديما وحديثا مع فارق أن النقاد القدامى، ((لم يعطوا أهمية للعلاقة بين الدلالات الصوتية والنحوية أو اللغوية، بل فصلوا بينهما فصلا تاما، واعتبروا الوزن عبارة عن قوالب خارجية، تفرض نفسها على العملية الشعورية لبناء القصيدة في نفس الشاعر، كما أصبحت القصيدة في نظرهم- من حيث شكلها الزماني- هي ما تعطيه من دلالات موسيقية عبر الأوزان الشعرية (البحور) دون اكتراث بالإيقاع الداخلي للكلمات بما فيها من قوة أو لين، ومن طول أو قصر ومن همس وجهر))[2]، غير أنّ الباحث (جابر عصفور) ونتيجة استقرائه لتاريخ الأدب العربي، قد أنكر أن يكون الوزن مجرد قالب تصب فيه التجربة، أو وعاء يحتوي الغرض، وإنما هو بعد من أبعاد الحركة الآنية لفعل التعبير الشعري نفسه في محاولته خلق معنى لا ينفصل فيه المسموع عن المفهوم[3] والى ذلك يذهب الباحث د.(علي عباس علوان) من أن الشاعر القديم، استطاع أن يخلق معادلة فنية بين الوزن، والتجربة الشعرية، كما في قصائد، المتنبي، والبحتري[4]. ومن أجل ذلك احتفى الشعراء العرب بأوزان قصائدهم، لعلاقتها بالموضوع، وبعناصر بناء القصيدة، كالتخيل، والتشكيل المكاني للقصيدة (الصورة الشعرية)[5].

فمهما اختلفت الآراء، وتنوعت الأقوال، فإننا لا يمكن أن ننظر إلى القصيدة نظرة تجزيئية، فعلاقة الوزن بالموضوع علاقة ملتحمة سواء أدركها القدامى أم لا. ذلك ((لأنّ الوزن في واقع العملية الشعرية، ينظم الخصائص الصوتية للغة، ويضبط الإيقاع في النثر ويقربه من التساوي في الزمان، وبالتالي، فهو يبسط الصلة بين أطوال المقاطع الهجائية، فضلا عن كونه يبطئ التوقيت ويطول أحرف المد، بغية عرض لون الطبقة الصوتية، أو النغمة المحدودة....فإنّ

---

(1) ينظر: شعراء معاصرون: 7.

(2) الشعر العربي الحديث: 523.

(3) ينظر: مفهوم الشعر: 419.

(4) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 234.

(5) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 383.

الألفاظ لا تستغني عن الوزن في الشعر؛ لأنّ الـوزن يؤكـد دور الكلمـة، ويـدعم فاعليتهـا))[1]، وهذه النظرة الحديثة تتفق في مفهومها العام مـع مفهـوم (أرسـطو) القائـل: بـأنّ لكـل وزن مـن الأوزان له خصائص تميزه من غيره، وتجعلـه قـادرا علـى محاكـاة الانفعـالات عينهـا، وبالتـالي إثارتها فيمن يتأثر بكيفية التناسب الصوتي للوزن[2]، وأنّ تلك العلاقـة الحميمـة والتـصادي في الأصوات، التي تعج في رأس الشاعر، تلك الاصوات التي تحدثها التجـارب المتنوعـة والمتباينـة في درجة اتقادها، هي التي دفعت بتلك الإيقاعات المتنوعة، وفرضـت وجودهـا، ولـو لم يكـن الأمر كذلك، لاكتفى الشاعر ببحر واحد، دون اللجـوء إلى البحـور الأخـرى[3]، ((فـالأوزان تصنف في مجموعات، كل مجموعة ترتبط بحالة عامة من أحـوال الـنفس في إطـار هـذه الحالـة ، يختاره الشاعر وزنا في إحدى هذه المجموعات اختيارا تلقائيا، هو الذي يوائم حركته النفسية))[4] أمّا القول بأنّ الأوزان شديدة الجهر فهو مـردود، فقـد كتـب بـالأوزان القديمـة شـعر همـس في غزلياتهم كما فعل(العباس بن الأحنف)و(ابن زيدون)[5] وغيرهما

إنّ سبيل الشاعر الحديث، هو سبيل الشعراء (العباسيين) و(الأندلسيين) عليه أن يبتكـر أوزانا، تكون أنسب للمسرحية والأغنية في سرعة الحركة، وحـلاوة النغمـة، وتعـدد البحـور، ومعالجة القصيدة، بوصفها كائنا حيا تتساعد أعضاؤه على أداء تجربة معينة، مـع المحافظـة علـى سلامة الوزن، وتساوي التفعيلات[6] وينـسحب ذلـك علـى الـشعر الـسياسي، حيـث غـيرت الأحداث السياسية، خارطة الأوزان على الساحة الأدبية، إذ (انخفـض الطويـل) بنـسبة عاليـة، بعدما كان يشكل (ثلـث) الـشعر العربـي في الاسـتعمال[7]، وهكـذا تغـيرت نـسب (الكامـل) و(البسيط) و(الوافر) إذ تقدمت بحور وتأخرت أخرى، فعلى سـبيل المثـال أن الـشعر الـسياسي الذي قيل في الثورة الجزائرية، فمن بين (ثمان) قصائد (أربـع) منهـا (رمـل) وواحـدة (بـسيط)

---

(1) نظرية الأدب: رينيه ويليك وواستن وارين: 225. ترجمة محي الدين صبحي، دمشق: 1972.

(2) ينظر: مفهوم الشعر: 412.

(3) ينظر: التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع: 74.

(4) التفسير النفسي للأدب: 59.

(5) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 25.

(6) ينظر: الصراع الأدبي بين القديم والجديد : 75.

(7) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 236.

وثانية (مديد) وثالثة(كامل) ورابعة (الهزج)[1]، ولا شك في أنّ هؤلاء الشعراء لم يكونوا متساوين فيما ينظمونها من قصائد وما يختارونها من أوزان؛ لاختلاف مداركهم وأمزجتهم، غير أنّ الجواهري يتميز من بين هؤلاء في استخداماته للأوزان[2] فكثيرا ما كان يأتي الوزن منسجما مع الموضوع الذي يريد قوله، كما سيتضح فيما بعد، فضلا عن ذلك ((أنّ في شعره السياسي جرسا لغويا فخما لا يشوبه شيء من العجمة، فهو شاعر سياسي فريد في العالم))[3]، وهذا القول يكاد يكون موضع إجماع بين النقاد، لما لمسوه من فخامة في التعبير، وعنف في الموسيقى، وجلجلة الصدى، وصخب العنفوان الذي لم يستطع أن يمنعه مانع، ويحول بينه حاجز، من أنْ يجلجل في آفاق الشعر[4].

إنّ الباحث ليجد في ديوان الجواهري بأجزائه السبعة أكثر من(اربعمائة) قصيدة وقطعة وموشحة، تزيد أبياتها على (عشرين ألف) بيت على وفق ما أحصاه الباحث (عبد الصاحب الموسوي) في دراسته[5]، وقد تبين أنّ شؤون الأمة وهمومها وأيامها، قد استحوذت على هذا الديوان الكبير، مما جعل صوت الشاعر عاليا، ونبراته قوية، وإيقاعاته حادة، لأنّ الشاعر قد أحسن اختيار بحوره لتتلاطم بمشاعره وأحاسيسه[6] ولعل السر الكامن في اختياره لتلك الإيقاعات الهادرة، التي كأنها طبول حرب صارخة بالتصادم، صاخبة بالانفعال والغضب والتقحم وإرادة البتر تعجلا بتحقيق رؤاه، وغاياته الوطنية، فشعره شعر تغيير لا تعبير[7]، لذا نجد أنّ الجواهري قد اختار البحر (الكامل) في أغلب قصائده السياسية؛ لأنه ((وجد فيه

---

(1) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 31.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 357.

(3) الشعر العربي المعاصر، تطوره ومستقبله: د.سلمى الخضراء الجيوسي: مجلة عالم الفكر: 25، (العدد)2 ،مجلد 4، ،الكويت.

(4) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 103.

(5) ينظر: حركة الشعر في النجف وأطواره: د.عبد الصاحب الموسوي: 31،دار الرائد العربي: 1986.

(6) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 118.

(7) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 290.وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 387

تشكيلات موسيقية ذوات نغم دال، وإيقاع أقوى تصلح لتحمل دفقات الغضب والأسى كما في قصيدة، يوم الشهيد 1948))[1] وفيها يقول:

يـــومَ الـــشهيدِ تحيـــةٌ وســـلامُ بـــك والنِّـــضالُ تُـــؤرخُ الأعـــوام
بـك والـضَحايا الغُـرُّ يزهـو شـامخاً علـــمُ الحـــسابِ، وتفخـــرُ الأرقـــام
وبـك العتـاةُ سيُحـشرون وجـوهُهُم ســـودٌ، وحـــشو أنـــوفهم إرغـــام
صـــفاً إلى صـــفٌ طَغامـــاً لم تـــذقْ مـــا يجرعـــون مـــن الهـــوانِ طَغـــام
ويُحاصـــرون فـــلا ً وراء ً يحتـــوي ذنبـــاً، ولا شُـــرَطاً يحـــوز ً امـــام ً
وسيـــسألونَ مـــن الـــذين تـــسخَّروا هـــذي الجمـــوع كأنهـــا أنعـــام
ومَـــن اســـتبيحَ علـــى يـــديهم حقُّهـــا هَـــدْراً ، وديـــستْ حرمـــةٌ وذمـــام [2]

وتتحدر عواطفه بشكل متتابع من خلال إيقاعات الكامل، حتى تبلغ القصيدة (ثلاثة وتسعين ومائة) بيت، فعلى الرغم من هذا الطول فلا ينتاب المستمع أي فتور في التوتر الموسيقي للقصيدة الذي ظل محافظا على نبرته النغمية الحزينة الثائرة المنبعثة من خلال إيقاعاته المتناسقة، وأنغامه المتسلسلة، وأنك حينما تقرأ البيتين الأخيرين من القصيدة:

وإذا بهـــا والـــذُّلُ فـــوقَ رؤوسِـــنا قُبَـــــبٌ مـــــضروبةٌ وخيـــــام
يجتازُهـــا والجـــوعُ يـــنهشُ لحمَهـــا باســـمِ الرغيـــفِ مَعـــرّةٌ وصـــدام[3]

تجد وكأنك ابتدأت من البيت الأول[4]. ومما جاء على هذا (الضرب) قصيدته: (ذكرى أبو التمن) حيث نلمس علو النغم واضحا قويا:

طالـــتْ ولـــو قـــصُرتْ يـــدُ الأعمـــارِ لَرمـــتْ ســـواكَ عَظُمْـــتَ مـــن مُختـــار
والأرضُ بالـــدَّمِ ترتـــوي عـــن دِمْنـــةٍ وتمُجّـــــه عـــــن روضـــــةٍ مِعطـــــار[1]

(1) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 120.
(2) الأعمال الكاملة: 3 : 507.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 507.
(4) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 157.

ومن هذا الضرب أيضا، جاءت قصيدته في تأبين (عبد الحميد كرامي)(2)، فهو حين يستخدم ضربه المقطوع (متفاعل ///5/ه متفاعل ///5/ 5 متفاعل ///5/ 5) يزيد من حدة القرع.... وحين يستخدم مجزوء (الكامل) فإنّه لا يختار ضربه الصحيح، وإنما الضرب المرفل، (متفاعلاتن)///5//5/5 و((وهذا الضرب من أضرب الكامل ذو قابلية موسيقية عالية إذا ما استخدمه الشاعر المقتدر استخداما مناسبا))(3) صار قوي الأداء بتلوينه، وطول إيقاعه وصلح لقصيدة تعبر عن غضب الشاعر وثورته على الواقع الاجتماعي(4). ومن هذا الضرب قصيدته (الدم الغالي):

خلّـي الـدَّمَ الغـالي يـسيل إنَّ المُـسيلَ هـو القَتيـل
هـذا الـدّمُ المطلـولُ يُخـ ـتـصرُ الطريـقُ بـه الطويـل
هـذا الـدّمُ المطلـولُ إنْ عـزَّ الكفيـلُ هـو الكفيـل(5)

ومن أشهر قصائده التي نظمها على ذلك البحر بأوزانه التامة هي:

(الملك والانتداب)(6) و(العلم والوطنية)(7) و(لبنان في العراق)(8) و(الوحدة العربية الممزقة)(9) و(إلى السعدون)(10) و(المجلس المفجوع)(11) و(إلى جنيف)(12) وغيرها كثير. إنّ اختيار

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(3) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 301.

(4) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 122.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 624.

(6) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

(7) الأعمال الكاملة: 1 : 84.

(8) الأعمال الكاملة: 1 : 88.

(9) الأعمال الكاملة: 1 : 89.

(10) الأعمال الكاملة: 1 : 217.

(11) الأعمال الكاملة: 1 : 220.

(12) الأعمال الكاملة: 1 : 222.

كثير. إنّ اختيار الجواهري لتلك القصائد لم يأت اعتباطا، وإنما كان يعرف أن ذلك البحر قادر على استيعاب مشاعره الثائرة وضميره الوثاب، لما تميز به من استطالة في الموسيقى، واتساع في الإيقاع، فهو بذلك قد أجاد في اختيار الألفاظ المركبة التي توحي بنغم عال، وموسيقى حادة، لقد كان الجواهري على علم تام بأوزان الشعر وأسرارها، لذا انساق بتعمد وراء البحور الطويلة، لأنّ فيها مجالا واسعا لاستيعاب المعاني والأفكار التي تحتوي على المحاججة والجدل، والمفاخرة، والمناظرة، وهي أكثر قدرة على التعبير عن هذه الأفكار[1]، لذا نراه في مثل تلك المواضع يلجأ إلى وزن الطويل: (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) كما في قوله:

لعلَّ الذي ولّى من الدّهرِ راجعٍ	فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلا المطامِع
غُروراً يُمَنّينا الحياةَ وصفوها	سرابٌ وجنّاتُ الأماني بَلاقع
نُسرَّ بزهوٍ من حياةٍ كذوبةٍ	كما افترَّ عن ثغرِ المُحبِّ المخادع
هو الدّهرُ قارعْهُ يصاحبْكَ صفْوُهُ	فما صاحبَ الأيّامَ إلّا المقارع[2]

يلاحظ أن الجواهري ((قد اختار لقصيدته هذه بحرا كثير المقاطع وهو بحر (الطويل) الذي يناسب المعنى الذي تحدث عنه، حيث وضع فيه حكمته وتجربته في الحياة، التي تستدعي كثيرا من هذه المعاني والأفكار ولاشك أنّ هذا التوسع الموسيقي في الوزن يصلح تماما لعرضها وشرحها، ثم انظر هل أحوجه هذا الوزن إلى التقديم والتأخير؟ لا أظن ذلك، وإنما جاءت عباراته وجمله منسقة))[3]، وكذلك استخدم الجواهري(البحر الطويل) في قصيدة(الإقطاع) وفيها يقول:

هي الأرضُ لم يُخصِّصْ لها اللهُ مالكاً	يُصَرِّفُها مُستهتراً في الجرائم
ولم يبغِ منها أنْ يكونَ نِتاجُها	شقاوةَ مظلومٍ ونعمةَ ظالم

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 357.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(3) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 358.

عجبــــتُ لخلـــقٍ في المَغـــارمِ رازحٌ　　　يقـــدِّمُ مـــا تجـــني يـــداهُ لغـــانمِ[1]

إن القصيدة من أولها إلى آخرها، فيها عرض متسلسل لأفكار الشاعر بهدوء وانسيابية، كما نجد فيها حكمه ومحاجاته في حواراته مع الظالمين والمظلومين معا. كل تلك المضامين قد استوعبتها أوزان ذلك البحر، وكلما وجد الجواهري ميلا في نفسه إلى تلك الموضوعات، طرق أبواب ذلك البحر.

إن هذا الحضور لبحر الطويل يدل أن الجواهري اعتمده في عدد غير قليل من قصائده وليس في قصيدة واحدة عنوانها (تونس)[2]، ففضلا عن قصيدتيه المشار إليهما، استعمله الجواهري في قصائده:(المستنصرية)[3] و(المحرقة)[4] و(الأنانية)[5] و(عقابيل داء)[6] و(لعبة التجارب)[7] و(في سبيل الحكم)[8] و(عاشوراء)[9].

ولم يكتف الجواهري بذلك بل حاول تكييف البحر الواحد إلى مقاصد مختلفة وأغراض شتى فإذا كانت التفعيلات السابقة على وفق منظوره تتفق في فلسفتها مع التأملات والحكم والمحاجات من خلال إيقاعاتها الهادئة المنبعثة من تفعيلاته المختلفة كما وكيفا غير أن براعة الجواهري تجلت عندما تمكن من تغيير ذلك الجرس الهادئ إلى نغمة عالية، وذلك بميله إلى استعمال (الوصل) بإشباع حركة الروي كالفتحة في (الباء) ويطلقها لتشد من امتدادات الطويل، وتقصر عن انسيابيته[10] كما في قوله:

---

(1) الأعمال الكاملة : 2 : 378.

(2) كما ذهب إلى ذلك د.(علي عباس علوان).ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 300.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(5) الأعمال الكاملة: 2 : 284.

(6) الأعمال الكاملة: 2 : 321.

(7) الأعمال الكاملة: 2 : 329.

(8) الأعمال الكاملة: 2 : 340.

(9) الأعمال الكاملة: 2 : 343.

(10) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 293.

رُدِّي خيولَ اللهِ مَنهَلَكِ العذبا ويا شرقُ عُدْ للغربِ فاقتحم الغربا
ويا شرقُ هل سرُّ الطواغيتَ أنّها فُويقكَ أشلاءٌ مبعثرةٌ إربا[1]

إنَّ ميل الجواهري إلى مثل هذا النمط من الإيقاع، هو لأجل إثارة المحكومين على الحاكمين، من خلال المحافل الشعرية المشجعة للنبرة الخطابية العالية لتحقيق الفعل المطلوب.

ومن البحور الشعرية الأخرى التي كان لها حضور في نظم شعره السياسي، هو (البحر البسيط)، وذلك عندما كان يخيم عليه الحزن لا يتسنى له الأنين الخافت والحنين الصامت، وكأن نبرات حزنه ألسنة لهب تصعد شظاياها في قلبه من خلال تفعيلات البحر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)، التي جاءت متناغمة بشكل يتفق مع معاناته المخيفة وثورته، فمكنته من مد صوته إلى أعلى مدى ممكن[2]، كما في قصيدة: (يا ابن الفراتين) وفيها يقول:

يا ابنَ الفراتينِ قد أصغى لك البلدُ زعماً بأنَّك فيه الصادحُ الغرد
زعمٌ بحبِّك منه الفخرُ إنْ صدقُوا أولا، فواجدُهم بثّ ما يَجد
ولن يُهوِّن بثٌّ ما تجيشُ به وقد تهُونُ على النفّاثةِ العُقد
ما بين جنبَيْكَ نبعٌ لا قرارَ له من المطامحِ يستَسقِي ويَرتفد
اذا تخلصتَ من همٍّ أطحتَ به شبَّتْ همُومٌ على أنقاضهِ جُدُد[3]

ونجد المعنى ذاته في قصيدة (يا أم عوف) وفيها يقول:

إنّا أتيناكَ من أرضٍ ملائكُها بالعُهرِ ترجم أو ترضي الشياطينا
يا أمَّ عوفٍ وقد طالَ العناءُ بنا آهٍ على حِقْبَةٍ كانت تُعانينا[4]

وكذلك في قصيدة (كما يستكلب الذيب) وفيها يقول:

إنّي لأعذِرُ أحرارا إذا برموا بالحرِّ يلويه ترغيبٌ وترهيبُ
مُنافقونَ يرَوْن الناسَ أنّهُم شمٌّ، أباةٌ، أماجيدٌ مصاحيب

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 413.

(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 126.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 907.

(4) الأعمال الكاملة: 4 : 667.

تسعونَ كلباً عوى خلفي وفوقَهمُ ... ضوءٌ من القمرِ المَنبوحِ مسكوب
ممّن غذتهم قوافيَّ التي رضعت ... دمي فعندهم من فيضه كوب
وقبل الفِ عوى الفٌ فما انتقصت ... "أبا محسد" بالشتم الأعاريب [1]

وكما في قصيدة: (سجين قبرص)[2]. و(ثورة الوجدان)[3]. و(الخطوب الخلاقة)[4]. وكذلك في قصيدة (يا دجلة الخير) وكان الشاعر وقتها يمر بأزمة نفسية حادة إثر اضطراره إلى مغادرة العراق هو وعائلته، والإقامة في مغتربه في (جيكوسلوفاكيا) وكان ذلك صيف عام (1961) وفيها يقول:

حييتُ سفحكِ عن بُعدٍ فحييني ... يا دجلةَ الخيرِ يا أمَّ البساتين
حييتُ سفحكِ ظمآناً ألوذُ به ... لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطّين
وأنتَ يا قارباً تلوي الرياحُ به ... ليَّ النسائم أطرافالأفانين
أتضمنين مقيلاً لي سواسيةً ... بين الحشائشِ أو بين الريّاحين
خِلواً من الهَمِّ إلّا هَمَّ خافقةٍ ... بين الجوانحِ أعنيها وتُعنيني
تهزُّني فأجاريها فتدفعُني ... كالريحِ تُعْجِلُ في دفعِ الطواحين
يا دجلةَ الخيرِ:لم نصحب لمسكنةٍ ... لكن لِنلمسَ أوجاعَ المسّاكين
هذي الخلائقُ أسفارٌ مجسَّدةٌ ... المُلهمون عليها كالعَناوين
إذا دجا الخَطْبُ شعَّتْ في ضمائرهم ... أضواءَ حرفٍ بليلِ البُؤسِ مرهون
دَيْنٌ لزامٌ، ومحسودٌ بنعمتِه ... مَن راحَ منهم خليصاً غير مديون
يا دجلة الخير شكْوى أمرُها عجبٌ ... إنّ الذي جئتُ أشكو منه يشكوني
ماذا صنعتُ بنفسي قد أحقتُ بها ... ما لم يُحِقْه بـ"روما" عَسْفُ "نيرون"[5]

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 650.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 138.

(3) الأعمال الكاملة: 1 : 192.

(4) الأعمال الكاملة: 5 : 860.

(5) الأعمال الكاملة: 5 : 772.

في أبياته تلك نلمس بوضوح الطبيعة الإنسانية في ثورتها وهدوئها، في آلامها وأفراحها، في تحرقها وحنينها إلى ما تصبو، والى ما حرمت منه، كما نلمس شوق الجواهري إلى وطنه، إلى دجلته، والى ضفافها، واصطفاف أمواجها، وهو يمني نفسهبأنّ يكفل له عيش بين الحشائش على ضفاف دجلة، إن لم ييسر له عيش بين الرياحين عليها. وعلى النقيض من ذلك البحر فقد كان يستخدم الشاعر بحر(الرمل) (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) في المواقف السياسية المفرحة، لانسجام أنغامه الراقصة مع الحدث السياسي السار، كما في قصيدة(بكرت جلّق) التي ألقاها في المظاهرات التي انطلقت في دمشق، احتجاجا على لجوء المستعمرين الفرنسيين إلى إرغام طائرة (خمسة) من المجاهدين الجزائريين على الهبوط، واقتيادهم إلى سجون فرنسا، ويبدو أنّ الجواهري قد اطمأن إلى انتصار هذه الثورة المؤكد، ففي قصيدته يشيع جوا من البهجة والإعجاب، جعله يصور (الجزائر) وقد وقع عليها الموت (هولة) يخشاها الموت نفسه، بل أنها أغرت الموت بلحم شهدائها ودماء أبنائها، حتى إذا طمع فيها حاصرته، وحالت دون رجوعه، مما اضطره أن يؤاخيها فيرضع معها من ثدي واحد، حيث يقول:

وقــعَ المــوتُ عليهــا فــرأى هولــةً أخــشن منــه موقعــا
ثــمَّ أغرتــه بلحــمٍ ودم ثــم حالــتْ دونــه أنْ يرجعــا
ثــمّ شَــبَّا في حِمــى الــضرُّ معــاً توأمــاً مــن محــضِ ثــدي رَضــعا
الهــداةُ الغُــرُّ مــن لــونِ الــدِّما فجُّــروا للــشمسِ منهــا مطلِعــا[1]

أما سر الاطمئنان وتلك البهجة، فهو أن الشاعر لم ينظر إلى مسالة اختطاف الطائرة، وإنما نظر إلى ما وصلت إليه (فرنسا) من الضيق بهذه الثورة، التي دفعته إلى اختطاف رجالاتها، وفي هذا شهادة انتصار. فلضعفها فقد لجأت إلى اخس الأساليب لأجل إضعاف الثورة:

خمــسةٌ..إنْ بطونــاً حملــتْ ثِقلــهُم مــا عُقِمــتْ أن تــضعا
حَمُــقَ الغــدرُ أيُــثني ســاعدا عــن كفــاحٍ فَقْــدُ كــفٍّ إصــبَعا
خمــسةٌ غــصَّتْ "فرنــسا" بهــمُ نِعــمَ عُقبــى خِــسَّةٍ مُرتجعــا[2]

---

(1) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.

(2) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.

ولنا أن نلاحظ أنّ جو البهجة هذا، قد بدا من خلال وزن القصيدة الراقص نفسه – وهو بحر الرمل – ثم من خلال ما تسمح به ألف الإطلاق الملحقة بالعين من تنفس، يوحي بالراحة بعد كرب، وانفراج بعد ضيق(1). كما يلاحظ أن الشاعر قد استخدم التصريع في مستهل قصيدته بقوله:

رنَّ في القلـــبِ فهـــزَّ الـــسمَعا   إنَّـــه داعـــي المُـــروءاتِ دعـــا(2)

إنّ إلحاق العروض بالضرب، إنّما جاء لإحداث نغمة مضافة إلى النغمات السابقة، ليزيد في سرعة الإيقاع وجرسه، لتتوافق مع نبضات فرحه التي تهز جوانحه، وكذلك استخدم (الرمل) للعلة نفسها في قصيدة، (ستالينغراد)، التي نظمها سنة (1943) تحية للشعوب (السوفيتية) لدفاعها المجيد عن مدينة (ستالينغراد)، وكسر شوكة الجيوش النازية الغازية، إذ لم يستطع أن يخفي فرحه فصبه في قصيدته لتتراقص نفسه مع أنغام تفعيلات (الرمل) الراقصة، التي قد زادها إيقاعا، بعد أن استخدم التصريع في مستهلها، لتتمازج أوتار نفسه المبتهجة مع تلك الإيقاعات الطبولية الحادة، التي تنبعث من رحم تلك التفعيلات، لذا نراه يقول:

نـــضت الـــروح وهزّتهـــا لـــواء   وكـــسته، واكتـــستْ منـــه الـــدماء
واســـتمدّتْ مـــن إلـــهِ الحقـــلِ والـــ   ـــبيتِ والمـــصنعِ عزمـــاً ومَـــضاء
قـــفْ علـــى "القفقـــاس" وانظـــرْ مـــو   كـــبَ المجـــدُ والعـــزّةِ يمـــشي خُـــيلاء
وســـلْ "القـــوزاقْ" هـــل كـــان دمـــاً   لمعـــانُ الـــسيفِ أم كـــانَ طـــلاء
يـــا عـــروسَ "الفلـــغ" و"الفلغـــا" دمٌ   ســـاءتِ البلـــوى فأحـــسنت الـــبلاء
وكفـــــى المحتـــــلَ هونـــــاً أنْ   يُـــرى الآســـرونَ الغُلـــبُ منـــه أســـراء
نحـــنُ أهـــل الأرض لـــو نقـــوى وفـــاءً   لرفعنـــاكَ علـــى الأرضِ سمـــاء
لَجعلنـــا كـــلَّ عـــينٍ- مثلمـــا   كـــلُّ قلـــبٍ-تـــتملاك اجـــتلاء(3)

(1) ينظر: مقالات في الشعر العربي: 88، 89.
(2) الأعمال الكاملة: 7 : 1104.
(3) الأعمال الكاملة : 3 : 408.

ومن البحور التي اعتمدها الشاعر في شعره السياسي هو (المتقارب) وتفعيلاته : (فعولن فعولن فعولن فعولن)، وكان يلجأ إليه في تمجيد الرموز الثائرة، وتخليد الجماعات الكادحة التي قارعت الظلم والاستغلال عبر تاريخها الطويل، وذلك من خلال استخدامه ((للمتقارب بضربه المحذوف (فعو) لإحداث الوقفة الموسيقية المطلوبة، وكأنه ينهي حدّة النغم بهذه الضربة الصوتية في آخر البيت))[1] إشارة إلى أنّ كل بيت شعري، هو مأثرة بعينها، أو موقف جليل يعكس عظمة الموقف وصاحبه، ونشاهد ذلك بجلاء في قصائده: (آمنت بالحسين)[2] و(أخي جعفر)[3] و(إلى المجد)[4] و(ظلام)[5] و(المقصورة)[6] و(إلى المناضلين)[7] و(في مؤتمر المحامين)[8] وفي عيد العمال)[9] و(سلاما عيد النضال)[10].ففي(آمنت بالحسين) يقول:

فداءً لمثواكَ من مَضجعِ تنوّرَ بالأبلجِ الأروعِ

فيا أيّها الوترُ في الخالدين فذّاً إلى الآنِ لم يُشفعِ

ويا عظةَ الطامحينَ العظامِ للاهينَ عن غدِهم قُنَّعِ

(1) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 302.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 491.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 501.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 106.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 640.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 476.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 461.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 617.

(9) الأعمال الكاملة: 5 : 742.

(10) الأعمال الكاملة: 6 : 841.

وجــــدتُك في صـــــورةٍ ولم أرَعْ ... بـــــــأعظمَ منهــــــا ولا أروع
ومـــــاذا! أأروعُ مـــــن أنْ يكــــو ... نَ لحمُــــك وقفـــاً علـــى المبـــضع
وأنْ تُطعِـــمَ المـــوتَ خـــيرَ البـــنينِ ... مـــــن "الأكهلــــين" إلى الرُّضَّــــع
وآمنـــتُ إيمـــانَ مَـــن لا يـــرى ... ســوى "العقــل" في الـشّك مــن مَرْجــع
بــأنّ "الإبــاءَ" ووحـــيَ الـــسَّماء ... وفــيضَ النّبـــوةِ مـــن مَنْبــــع
تجمّــــع في "جـــوهرٍ" خـــالصٍ ... تنـــزّهَ عـــن "عَــــرَضِ" المَطمـــع[1]

ومن قصيدة: (أخي جعفر):

أتعلـــمُ أنَّ جـــراحَ الــــشهيد ... تظـــلُّ عـــن الثـــأرِ تـــستفهم
أخـــي "جعفـــراً" يـــا رواءَ الربيـــع ... إلى عفــــنٍ بــــاردٍ يُــــسلَم
لثمــــتُ جراحـــكَ في "فتحـــةٍ" ... هـــي المُـــصحفُ الطهـــرُ إذ يُلْـــثم
تَنَضَّحُ من صـدركِ المُستطاب ستبقى ... نزيفــــــاً إلى اللهِ يَـــــستظلم
طــــويلاً تَجُـــرُّ الـــدماء ... ولـــن يُـــبرِدَ الـــدّمَ إلّـــا الـــدّم[2]

ومن قصيدة (إلى المجد):

إلى المجـــدِ مـــستقبلٌ يُـــصنع ... ببغـــدادَ مـــن حُـــسنِها أروعُ
تُحـــصِّنُهُ الـــصفوةُ "البـــاعثون" ... حمـــاةٌ كفـــاءٌ لمـــا اســـتُودعوا
وتـــصهلُ خيـــلٌ إلى وقعـــةٍ ... يـــرجُّ بهـــا الموقـــعَ الموقـــعُ
وناغـــاهُ مجـــدٌ طريـــفٌ يلـــوح ... ومجـــدٌ تليـــدٌ ويـــسترجع
وطــافَ بــه مــن دُنــى الموحيــات ... زعـــيمٌ بإنــضاجِهِ مُولـــع[3]

ومن قصيدة (إلى المناضلين) قوله:

أطلّـــوا كمـــا اتّقـــدَ الكوكـــبُ ... ينـــوّرُ مـــا خـــبطَ الغيهَـــب

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 491.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 501.
(3) الأعمال الكاملة: 7 : 1060.

وســـــيروا وإنْ بعُـــدَتْ غايـــةٌ وشـــــقُّوا الطريـــــقَ ولا تتعبـــوا
فمـــا انْ يُليـــقُ بمجـــدٌ النِـــضال ضـــعيفٌ علـــى نـــصرهِ يُغْـــصب
وإنْ غـــداً باسمـــاً يُجتلـــى بـــشِقِّ النفـــوسِ، ولا يُوهـــب
وســـوف تـــضيقُ بكـــم دوركـــم وســـوحُ الـــسجونِ بكـــم ترحُـــب
فـــلا تهنـــوا إنّ هـــذا الأكُـــفّ تُملـــي علـــى الـــدّهرِ مـــا يكتـــب[1]

ومن قصيدة، (في مؤتمر المحامين) قوله:

ســـلامٌ علـــى حاقـــدٍ ثـــائرٍ علـــى لاحـــبٍ مـــن دمٍ ســـائر
يخـــبُّ ويعلـــمُ أنّ الطريـــــــقَ لابـــدَّ مُفـــضٍ إلى آخـــر
ســـلامٌ علـــى جـــاعلين الحتـــوفَ جـــسراً إلى الموكـــبِ العـــابر
ســـلامُ علـــى مُثقـــلٍ بالحديـــد ويـــــشمخُ كالقائـــدِ الظّـــافر
كـــأنّ القيـــودَ في مِعْـــصَميه مفـــاتيحُ مـــستقبلٍ زاهـــر[2]

ومن قصيدة(سلاما عيد النضال) قوله:

سلامـــــــأ : وراحتْ ركاماً ركاما تمدُّ البطولاتِ هاماً فهامـــا.
وتـُلقي علـى كـلُّ دربٍ إماما
تحـاذرُ منهـا الطغاةُ انتقامـــا
وتـرهبُ مـن طيفهِ مـا أقامـا
نظامـــاً يبدّلُ منهـا النظامـــا
سلامـــاً وراحـتْ تثـورُ العظـام و يعصـفُ بالعصفـاتِ الرُكـــام
ويشمـخُ فـي كلُّ جيلٍ إمـــام
يمدُّ البطولاتِ هاماً فهامـــا
وينفخُ في كل روحٍ ضِرامـــا

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 462.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 617.

سلامـــا: وراحـتْ شعوبٌ تثـــوب ويـــزحـفُ غضبانَ حقٌّ سلـــيب[1]

ومن قصيدة، (عيد العمال) قوله:

غـــداً إذ تجـــرُّ الــــصفوفَ الــــصفوف وإذ يــــــستثيرُ الوقيــــــدَ الوقيــــــد
غـــــداً ســـــيذوبون هــــــم والخنــــا ويخلُــــدُ في النــــاسِ مــــسعىً جهيــــد
غـــــدا ســـــيبيدون، إنَّ الـــــشعوب وإنْ أبطـــــأتْ زحفَهـــــا لا تبيــــــد
هنالـــــك ســـــوف يقـــــولُ الــــصغار لقـــد نـــوّر الـــدربَ هـــذا النـــشيد[2]

ومن (المقصورة)[3] قوله:

وإذ أنـــــتَ ترعـــــاكَ عـــــينُ الزّمـــــان ويهفـــــو لجرسِـــــك سمـــــعُ الـــــدُنى
وتلتـــــفُّ حولـــــك شـــــتّى النفـــــوس تجـــــيشُ بـــــشتّى ضـــــروبِ الأســـــى
تـــــروح علـــــى مثـــــل شـــــوك القتـــــاد وتغـــــدو علـــــى مثـــــل جمـــــر الغـــــضا
الم تـــــرَ أنّـــــي حـــــربُ الطغـــــا ة ســـــلْمٌ لكـــــلِّ ضـــــعيفِ الـــــدّما
إذا شـــــئتُ أنـــــضجتُ نـــــضجَ الـــــشّواء جلـــــوداً تعـــــصّتْ فمـــــا تُـــــشتوى
تـــــسامى فإنّـــــك خـــــيرُ النفـــــوس إذا قـــــيسَ كـــــلٌّ علـــــى مـــــا انطـــــوى
ولم ادرِ كيـــــف يكـــــون الـــــزعيمُ اذا لم يكـــــنْ لاصـــــقاً بـــــالثرى
غـــــداً إذ فريـــــقٌ يحـــــوز الثّنـــــا يعـــــضُّ فريـــــقٌ بـــــصمّ الـــــصفا[4]

ومن قصيدة(ظلام) قوله:

أقمْ يا ظلامُ رواق الضباب
أقمْ: لا ختامٌ ولا مطلع
أقمْ أيها الرُعب لا تبرح
وجدِّدْ شخوصَكَ في المسرح
فلستَ ببالغٍ رعبَ البرايا

(1) الأعمال الكاملة: 6 : 841.

(2) الأعمال الكاملة: 6 : 744.

(3) المقصورة في الأصل مشتملة على ما يقارب(اربع مائة) بيت من الشعر، ولكن قسما منها قد اطارته الريح وألقيت في دجلة أثناء اشتغال الشاعر بتنقيحه. ينظر: الأعمال الكاملة: 3 : 476.(الهامش)

(4) الأعمال الكاملة : 3 : 476.

إذا خطرَتْ في بُرودِ الجلال
إذا الفجرُ دغدغَ نهدَ الرِّحَاب
إذا أندفقَ الضوءُ من كلِّ باب
ونفَض بالنورِ وجهَ التراب
إذا الشمسُ مزَّقَ عنها الحجاب
لتَبصُقَ في وجهِ خلق كدود
أجيرٍ ويشمخُ صنعَ العبيد[1]

أما بحر(الوافر) وتفعيلاته :(مفاعَلتن مفاعلتن فعولن)، فقد استعان به الجواهري في أغلب الأحيان في رثاء الشخصيات السياسية المعروفة والشهداء، كما في قصائده(عمر الفاخوري)[2] و(جمال الدين الأفغاني)[3] و(أمان الله)[4] و(دم الشهيد)[5] و(أطل مكثا)[6] وفي أحيان أخرى كان يعتمد في الغرض نفسه وزن(الكامل) كما في قصائده(ذكرى أبو التمن)[7] و(عبد الحميد كرامي)[8] و(ذكرى الهاشمي)[9] و(في الأربعين)[10] و(يوم الشهيد)[11]، كما اتكأ قليلا على بحر البسيط كما في قصيدتيه(ذكرى المالكي)[12] و(أبو العلاء المعري)[13].

---

(1) الأعمال الكاملة : 3 : 664.

(2) الأعمال الكاملة : 3 : 462.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 429.

(4) الأعمال الكاملة: 1 : 202.

(5) الأعمال الكاملة: 4 : 517.

(6) الأعمال الكاملة: 4 : 534.

(7) الأعمال الكاملة: 3 : 447.

(8) الأعمال الكاملة: 4 : 591.

(9) الأعمال الكاملة: 3 : 367.

(10) الأعمال الكاملة: 1 : 225.

(11) الأعمال الكاملة: 3 : 547.

(12) الأعمال الكاملة: 4 : 691.

(13) الأعمال الكاملة: 3 : 422.

ومثلما استخدم الجواهري البحور التامة، فقد استخدم مجزوءاتها لتتناغم أوزانها مع مشاعره وأحاسيسه، وقد استخدم الجواهري الأوزان القصيرة في غرضين واضحين هما:الأناشيد الحماسية والتهكم والسخرية. فمن الأول قصيدته(ثورة العرق) وفيها يقول:

إنْ كـانَ طـالَ الأمـد	فبعـدَ ذا اليـومِ غـدُ
أسـيافُكم مرهفـةٌ	وعـزمُكم متّقـد
هبّـوا كفـتْكُم عِبْـرةً	أخبـارُ مـن قـد رقـدوا
وثـورةٌ، بـل جمـرةٌ	ليعـرب لا تخمـد
واقـسموا إلى العـدا	أنْ لا يلـينَ المِقْـوَد
زيـدوا لقاحـاً حـربكُم	لعـلّ عـزّاً تلـد[1]

لقد اختار الجواهري مجزوء (الرجز) لقصيدته تلك وتفعيلاته: (مستفعلن مفتعلن)، حيث فيه سرعة الإيقاع، وحدة النبرة، وهو ما يؤدي الغرض النفسي للشاعر الهادف إلى بعث الهمة والحماس في نفوس الثوار، ومن ثم التعجيل بالثورة التي هي حلم الشاعر. كما اختار الجواهري البحر نفسه، ولكن لغرض التهكم والاستهزاء والسخرية من رجالات الحكم آنذاك، كما في قصيدة (طرطرا) وفيها يقول:

أي طرطـرا تطرطـري	تقـدّمي تـأخّري
تكـردَي تعربّـي	تهـاتري بالعُنـصر
تعمّمـي تبزنطـي	تعقّلـي تـسدّري
كـوني- إذا رُمـتِ العُلـى	- مـن قُبُـلٍ أو دُبُـر
صـالحةً كـصالحٍ	عـامرةً كـالعُمري[2]

ثم انتقل الجواهري إلى مجزوءات البحور الأخرى مثل قصيدته: (يا غريب الدار)[3] و(كم ببغداد ألاعيب)[1] وهما من مجزوء الرمل، كما استعان بمجزوء بحر الوافر كما في قصيدته

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

(2) الأعمال الكاملة: 3 : 438.

(3) الأعمال الكاملة: 5 : 835.

قصيدته (براغ)[2] و(أزح عن صدرك الزبدا)[3]، غير أن اللافت للنظر أن الجواهري في شعره السياسي كان يكثر من مجزوءات بحر (الكامل) لحدة إيقاعه، وقوة جرسه المؤثر في حواس المتلقي التي يبغي الشاعر تطويعها لفلسفته، عبر استخدامه الفني لتلك الأوزان المشبعة بالأنغام الهادرة، والألحان الساحرة، المنبعثة من تفعيلات تلك البحور الصافية، وفي مقدمتها (الكامل) الذي فضله الشاعر على سواه، كما في قصائده (أرشد العمري)[4] و(الدم الغالي)[5] و(خبت للشعر أنفاس)[6] و(براهـا)[7] و(لبنان يا خمري وطيبي)[8] و(ما تشاؤون)[9] و(إيه شباب الرافدين)[10] و(في يوم التأميم)[11] و(أطبق دجى)[12] و(نامي جياع الشعب)[13] إنّ تلك القصائد هي من مجزوء(الكامل) (متفاعلن متفاعلن)، باستثناء القصيدة الأخيرة التي جاءت على مجزوء الخفيف(فاعلاتن مستفعلن)، وقد وقف الباحث(جبرا إبراهيم جبرا) كثيرا أمام القصائد الثلاث الأخيرة، لأنها تنم عن الإبداع الحقيقي للشاعر الجواهري. إنّ قصيدة(تنويمة الجياع)، ((مونولوغ درامي آخر ينبع عن القلق والشفقة يلبس فيه حس الفاجعة لبوس

---

(1) الأعمال الكاملة: 6 : 1105.

(2) الأعمال الكاملة: 6 : 875.

(3) الأعمال الكاملة: 6 : 1002.

(4) الأعمال الكاملة : 3 : 465.

(5) الأعمال الكاملة : 4 : 624.

(6) الأعمال الكاملة : 4 : 654.

(7) الأعمال الكاملة : 5 : 766.

(8) الأعمال الكاملة : 5 : 754.

(9) الأعمال الكاملة : 4 : 634.

(10) الأعمال الكاملة : 5 : 759.

(11) الأعمال الكاملة : 6 : 954.

(12) الأعمال الكاملة : 3 : 568.

(13) الأعمال الكاملة : 4 : 610.

لبوس السخرية، مما لا نجده كثيرا في شعر الجواهري))[1] فالقصيدة انعطافة فنية في حياة الجواهري، فهو فضلا عن اختياره الأوزان المبتورة، عمد إلى وصل أجزاء الكناية بأضدادها، لتحقيق الإشارة المطلوبة كما في قوله:

نامي جياعَ الشعبِ نامي ... حرستك آلهةُ الطعام
نامي فإنْ لم تشبعي ... من يقظةٍ فمن المنام
نامي على زبدِ الوعود ... يُدافُ في عسلِ الكلام
نامي فإن صلاحَ أمرِ ... فاسدٍ في أنْ تنامي

وفي قصيدة(ما تشاؤون) يقول:

ما تشاؤونَ فاصنعوا ... فرصةٌ لا تُضيّع
فشبابٌ يخفيكم ... للمطاميرِ يُدفع
ولسانٌ ينوشُكم ... بالدنانيرِ يُقطع
ما تشاؤونَ فاصنعوا ... جوِّعُوهُم لِتشبعُوا[2]

يقول جبرا: ((فهو في تحديه مع الحكام قد لجأ إلى سخرية موجعة ليس مثلها الغضب ذاته. فهو يخاطبهم بألفاظ موسيقية، ولكن موسيقاها تكليم وإثخان، كأن يقول في (ما تشاؤون) بوزن يتراقص على الشفاه وطيّه خناجر مسلولة))[3].

أما قصيدة (أطبق دجى) فقد اختار لها الوزن الراقص تشديدا على المفارقة بين الإيقاع ومحتواه، وإبرازا للسخرية والألم[4] ((لقد استعمل الشاعر فيها كل ثقل المجزوء ليكون في صالح الترتيل وجاءت (أطبق) بهذا التكرار المريع وكأنها طبول النذير تتخلل مسيرة النبوءة

---

(1) الحاكم والشاعر والمدينة: 57.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 610.

(3) الحاكم والشاعر والمدينة: 59.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 73.

المخيفة))[1]، حيث ارتفعت موسيقاه عالية تأخذ حدتها وارتفاعها من التكرار والتشكيلات الصوتية المتتالية المنبثعة من الوزن الذي أحسن الشاعر توظيفه باستخدام الضرب (المرفل) من الكامل (متفاعلاتن)، فساعد تلوينه وطول إيقاعه على قوة الواقع[2]، حتى لكأنّ الشاعر قد أمسك بتلابيب المتلقي، منذ قرع سمعه بفعل (الأمر) القاسي (أطبق) الذي اشترك مخارج حروفه في إحداث الشعور بالبطش، كما تشترك حركات تلك الحروف وسكناتها في إعطاء الإحساس بإرادة الحسم[3]من خلال بحره المجزوء المتناسق في حركاته العروضية (أطبق دجى، أطبق ضباب) /5/ /5/ /5/ /5/ /5/ /5 فتلك الأسباب والأوتاد المتجانسة هي التي أثارت في قلب المتلقي وعقله فعلها المطلوب، فضلا عن مؤثرات أخرى لا مجال لذكرها. يقول الجواهري:

أطبقْ دُجىً أطبقْ ضبابُ	أطبقْ جِهاماً يا سحاب
أطبقْ دخانٌ من الضمير	محرَّقاً أطبقْ عذاب
أطبقْ دمار على حُما	ة دمارهم أطبقْ تباب
لم يعرفوا لونَ السّماء	لفرطِ ما انحنتْ الرِّقاب
أطبقْ على هذي المسوخ	تعافُ عيشَتَها الكلاب
أطبقْ دجى أطبقْ ضباب	أطبقْ جهاما يا سحاب[4]

إنّ كل تفعيلة لعنة يصبها الجواهري فوق رؤوس أولئك الخانعين، الذين رضوا بالذلة دينا، وبالسكوت مذهبا، ومن الطريف الذي ينبغي ذكره هو أنّ تلك الإيقاعات السريعة تتماشى في نسق أخاذ مع سرعة اللعنات التي كالها الجواهري لبني قومه بغير هوادة[5]. ومن خلال ذلك التآلف بين الوزن والمعنى يكشف الجواهري ((أنّ القصيدة بنية إيقاعية خاصة، ترتبط بحالة شعورية معينة...إي أنها تعطي للواقع النفساني أهمية في الفن والحياة))[6]، وأنّ اهتمامه الشديد بالوزن واختيار المعنى المناسب له، قد رفع من القيمة الإبداعية لشعره

(1) لنتذكر الجواهري: ملحق جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر بغداد،2007.

(2) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 303.

(3) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 123.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 568.

(5) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 357.

(6) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية: 64.

السياسي؛ لأنه تمكن بواسطته من ردم الهوة بين الشكل والمضمون، فبلغت القصيدة حالة الانسجام والتآلف بوصفها بنية فنية متكاملة[1]. ومن خلال ما مضى تبين لنا، بأنّ الوزن الخليلي لم يكن بمعزل عن الحدث السياسي، فبالرغم من مجيء جل قصائد الجواهري على النمط التقليدي، بوصفها أنّ الشعر السياسي، ينبغي أن يكون عموديا؛ لأنه الصوت الناطق عن نفسية الأمة العربية[2]، إلا أنّ المتغيرات السياسية قد دفعت الجواهري، نحو أشكال جديدة من القصيدة لم نعهدها له من قبل، لملاءمتها الواقع، ولكونها أكثر اتصالا بحياة الأمة العربية في مبادئها وقيمها ومثلها العليا. فاستطاع من خلالها التعبير عن أعماق نفسه الغاضبة المتوترة، ولانسجامها مع نفسيته التواقة للتغيير[3]. فطوّع شكل القصيدة قريبا من فن الموشحات[4]؛ لأنّه عد الموشحات اللبنة الأولى للحداثة[5]، كما أنّه كتب في(المربعات) في محاولة منه لتجديد إطار موسيقى شعره، كما في(زرع الضمائر)[6] و(حكم التاريخ)[7] و(عبر من الإنذار السوفييتي)[8] و(رب السجن أحب) ونورد منها:

عنــــدما أبـــــصرتُ نيرانـــــاً	مـــــن البغــــــيِّ تـــــشب
والى القمَّـــــــةِ مـــــــن في	كفِّـــــه زيـــــتٌ يـــــصب
والى الـــــسجنِ الـــــذي يـــــد	فـــــعُ عنهـــــا ويـــــذب

---

(1) ينظر: نظرية الأدب: أوستن وارين: 181. وتطور الشعر العربي الحديث في العراق: 557.

(2) ينظر: فصول في الشعر والنقد: د.شوقي ضيف: 308. دار المعارف القاهرة1971. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 407.

(3) ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 26. وتنظر: مجلة الكلمة: 4 العدد(ديسمبر) لسنة1973. وينظر: شعراء عراقيون: 6.

(4) يقول الجواهري((عندما أريد الخروج على بحور الخليل واعاريضه الدارجة اكتب الشعر الأندلسي))الأعمال الكاملة: 7 : 107.

(5) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 27.

(6) الأعمال الكاملة : 5 : 747.

(7) الأعمال الكاملة : 5 : 749.

(8) الأعمال الكاملة : 5 : 748.

قلـــــــتُ والـــــــــسجنُ كريـــــــةٌ   ربَّ الـــــــــسجنُ احـــــــبُّ[1]

وابتدع الجواهري في شعره أشكالا جديدة اقرب ما تكون إلى الموشح كما في قصيدة (سلاما عيد النضال)

سلاماً: ومنذ العصورِ الخوالي   مـــُذِ اخضرَّ حقلٌ بسمرِ الغِلال.

ومـذِ حُكِّمتْ سـادةٌ فـي المـوالي

تنسَّمتِ الأرضُ ريـــحَ النضـــال

زهـتْ بالشريـدِ رؤوسُ الجبـــال

وتـاه الثَّـرَى بالدِّمـاءِ الغوالـــي

ودقَّتْ مساميرُ خَجْلى عطاشَى   بكفِّ المسيحِ فطارَتْ رشـــاشا .

بقايـا دَمٍ للعصـورِ التوالـــــي

تُخضِّبُ بـالمجـدِ هـامَ الرجـال[2]

حيث بدأ المقطع ببيت مصرع تام من روي واحد، ثم أربعة أشطار من الروي نفسه، فبيت مصرع من روي آخر، فالعودة إلى الروي الأول بشطرين يكون بهما ختام الفكرة، ويلاحظ أن تغيير الروي في هذا الشكل- وأعني انتقاله من اللام إلى الشين- يكون عادة قمة الفكرة أو روحها، ثم تكون العودة للروي الأول الذي هو اللام-هنا- إيذانا بانتهائها، واستراحة الذي وصل إلى القمة، إذا أن فلسفة هذا الشكل نابعة من أنّ الشاعر كان يدرك مسبقا أنّه لا يستطيع أنْ يضمن لقصيدته الطويلة هذه تماسكها ووحدتها ما لم يبتدع لها شكلا موسيقيا كالذي ابتدعه لها[3]

ثم وجد الجواهري أنّ اعتبار تفعيلة البيت الشعري (وحدة موسيقية) لا تصلح قاعدة انطلاق لبناء القصيدة، لذا انتقل بها من نظام البيت الواحد، إلى نظام المقاطع، ومن قصائده التي خضعت للإحصاء(المقصورة) التي ثبت منها(سبعة وثلاثين ومئتي) بيت، قسمها إلى(تسعة

---

(1) الأعمال الكاملة : 5 : 748.

(2) الأعمال الكاملة : 5 : 841.

(3) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 199.

عشر) مقطعا، والمقاطع تتمتع بحرية مدهشة، فلا تقنين ولا تحديد: مقطع ذو(ثلاثة وعشرين) بيتا، يليه آخر ذو(تسعة) أبيات، (سلام على هضبات العراق)، فثالث ذو خمسة أبيات، (سلام على قمر فوقها)، فرابع ذو(ستة) أبيات، (على الجسر ما انفك من جانبيه) فخامس ذو(ثلاثة عشر) بيتا، (سلام على جاعلات النقيق) وهكذا....((إنّ ما يتحكم في طول المقطع وقصره هو العامل الفني المتصل بالموضوع، أو المشهد:النخل، القمر، الجسر، الضفدع، الخ. القول بأنّ(المقصورة) نص مفتوح تؤيده أسلوبية المقطوعة غير المنتظمة، لتكوّن مع ذوات أخرى البنية الفنية للنص، التي ظلت في تصاعد وتسخين دائبين، لتسمح بدخول اللوحة الشاملة للعراق في قسم القصيدة الأخير))[1]، ونورد منها المقاطع الآتية:

سلامٌ على هَضَبَاتِ العراق ... وشطَّيْهِ والجُرْف والمُنحنى
على النَّخلِ ذي السَّعفاتِ الطوال ... على سيِّدِ الشَجَرِ المُقتنى
على الرُّطَبِ الغضِّ إذ يُجتَلى ... كوشْي العروسِ وإذ يُجْتَبى
بإيسارهِ يوم أعذاقه ... ترفٌ، وبالعُسرِ عند القنى
وبالسَّعفِ والكَرَبِ المُستجد ... ثوباً "تهرَّا" وثوباً نضا
ودجلةَ إذ فارَ آذيّها[2] ... كما حُمَّ ذو حَرَدٍ فاغتلى
ودجلةَ تمشي على هَوْنِها ... وتمشي رُخاءً عليها الصَّبا
ودجلةَ زهوِ الصَّبايا المِلاح ... تخوَّض منها بماءِ صَرى
تريكَ العراقيَّ في الحالتين ... يسرفُ في شحِّهِ والندى

***

(1) معجز الجواهري: سعدي يوسف: 372. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(2) آذي البحر أو النهر: ماؤه الكثير(المواضع العميقة)

سلامٌ على قمرٍ فوقَها	عليها هَفَا وإليها رَنا
تدغدغُ أضواؤهُ صدرَها	وتمسح طيّاتِها والثنى
كأنَّ يداً طرّزتْ فوقها	من الحُسنِ موشيةً تُجتلى
وماءُ النمير لها لُحمةٌ	وذوبُ الشعاعِ عليها سدى
ونجمٌ تغوّرَ من حبِّها	ونجمٌ عليها أدنى فأدلى

***

سلامٌ على بلَدٍ ضمّنا	وإياي من جفوةٍ أو قِلى
كلانا يكابدُ مُرَّ الفراق	على كبدَيْنا، ولذعَ النوى
وكلٌّ يُغذُّ إلى طيِّه	لنا عندَ غايتِها مُلتقى
غداً إذ يطِنُّ فضاءُ العراق	طنينَ الثرى من هَزَبْرٍ خلا
وإذ يستقيلُ بضَبعِي فتىً	يرى الغُنمَ في العيشِ كسب الثنا
ويقدر إنْ ضمَّ منه اليدين	أيَّ ثمينٍ نفيسٍ حوى
غداً إذ فريقٌ يحوزُ الثنا	يعضُّ فريقٌ بصم الصفا(1)

ولا يهمّه أن تأتي هذه المقاطع متساوية أو غير متساوية، لأنه في هذه المرحلة جعل الشكل في خدمة المضمون. فيعتمد طول المقطع على المضمون الفكري، وعلى انفعال الشاعر تجاه ذلك المضمون. وقد لجأ الجواهري إلى هذا النمط من البناء المقطعي، ليترك لنفسه مجالا رحبا، ومساحة واسعة داخل أرضية القصيدة، ليتمكن من تفريغ مضامين أفكاره المتسمة بالمد طورا وبالجزر طورا آخر على وفق حجم الأمواج العاطفية التي يقذف بها الشاعر، لتستقر على شكل مقاطع متباينة. فجبلة الجواهري تتنافى واستقلالية البيت الشعري، نظرا لطول قصائده، التي تعكس واقع أفكاره المتسلسلة، التي صاغها في قصائده عبر جمل طويلة خرج فيها على تراكيب العربية وأساليبها، وذلك كالفصل بين العطف والمعطوف، أو المضاف والمضاف إليه، أو المبتدأ والخبر، بعد سلسلة من الجمل والتراكيب، وصولا إلى تحقيق مرام إبداعية، مما

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 476.

أكسبت الجملة العربية لدى الجواهري طولا لا تسع مضامينها وحدة البيت الشعري. ((هذا النوع من البناء الشعري يشبه إلى حد بعيد نظام حلقات الحلزون التي تتصل عبر دوائر غير مكتملة))[1].

إنّ الجواهري في قصائده السالفة((يرغمنا على التلقي عبر هذه الدوائر غير المكتملة، التي تتصل بما قبلها وما بعدها...وذلك معناه:أننا لا نستطيع أن نحذف أي مقطع من مقاطع قصيدته، من غير أن نترك أثرا يوحي بخلل في بناء القصيدة))[2]، لأنّ بناء القصيدة عند الجواهري، ذو طبيعة تركيبية عنقودية على أن التركيب فيه يقوم على أساس عضوي أو جبري، وليس على أساس الرص والجمع الكمي العددي[3]. إنّ اعتماد الجواهري سياق المقاطع إنما جاء في ضمن نظرته إلى اتساق الوحدة الموضوعية والفنية والموسيقية المتكاملة في شعره[4]، لقد أصبح مدركا في تلك الحقبة، بأن أنغام الدلالة في معاييرها الشعرية مقدمة على تلك الأنغام الرتيبة المنبعثة من الوحدات العروضية بتفاعيلها المعروفة، التي تستغرق المعاني والجمل المختلفة على وتيرة واحدة، وبدرجة متساوية، من دون مراعاة لكمية النغمة التي يقتضيها المضمون، ((لأنّ اللفظ من حيث هو صوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى))[5] فمساواة المعاني المختلفة بكم متساو من الأنغام تناقض الطبيعة الانفعالية في التجربة الشعرية المحكومة بالصعود والهبوط))[6] وعليه ينبغي أن يكون الوزن تبعا لمقاسات عواطف الشاعر المختلفة ((إنّ الإيقاع المعتمد على الوزن أساسا يثير حالة من التوقع والترقب التي يحدثها تتابع المقاطع والتفعيلات، تعلو أو تهبط تساوقا مع طبيعة الطاقة الانفعالية في التجربة))[7] ونتيجة لإيمان الجواهري بصحة هذا المفهوم فقد رحل إلى آفاق أوسع مما مضى، حيث عمد في بعض قصائده السياسية، إلى تفتيت البيت الشعري الواحد بكتابته على طريقة شعر (التفعيلة)، كما في قصيدة (أيها الأرق)

---

(1) الشعر العربي المعاصر: 261.

(2) دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 30.

(3) ينظر: تطبيقات نقدية: 17.

(4) ينظر: الشعر والفكر المعاصر: 19.

(5) مبادئ النقد الأدبي: 22.

(6) قضية الشعر الجديد: محمد النويهي: 22.

(7) جواهريات في الذاكرة: 55. مجلة الثقافة الجديدة ت2 لسنة1997.

((حيث وزع مقاطعها بطريقة تقترب من صنيع شعراء المهجر))[1]، وقد أورد الباحث (علي عباس علوان): ((أن الجواهري نشر من هذه الكتابة بخط يده في ديوانه الأخير (أيها الأرق)، فهو يكتب القصيدة على هذا الشكل))[2]

مرحباً يا أيّها الأرقُ
فُرشتْ أنساً
لكَ الحدَقُ
لك من عينيَّ مُنطلق
إذ عيونُ الناسِ تنطبق[3]

وفي قصيدة (زوربا) وزع الجواهري تفعيلاته على النمط الآتي :

وارتمتْ من شفقٍ دام
على الأرضِ جراحٌ
وجراح
وبعيداً:
في ذرى الشرقِ
نُجيماتٌ....مِراضٌ
وصِحاح
كلُّ آنٍ كان هذا الشرقُ
يزدادُ اشتعالا
وحريقٌ فيه يمتدُّ
ويشتطُّ انتقالا
فتُضويِّ 'اجمةٌ' كانتْ...
ظلاما.....

(1) دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 7.
(2) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 219.
(3) الأعمال الكاملة : 5 : 787.

إثـــر أجمـة

لكـــنّ صـــدري...

ظلَّ مثلَ الـغاب

يزأرُ فيه "نمـــرُ"

وزعاعٌ ســـــودٌ...

تُـمُــرُ

فـي هيكَلي "نمـرٌ"

وفـي شجري تفجـر

متوحشٌ كالبحرِ..

يُــرغي

وكخفقة الوحي الوحيّ[1]

سمعتُ "بوذا" وهو يعزفُ

في لحنِ الاصطبار [2]

بذلك يكون الجواهري قد انتقل من دائرة العروض المكتملـة إلى فـضاء التفعيلـة[3] ومـن أجل ذلك دخل الجواهري عبر كتابات له في محاولات تبتعـد عـن قواعـد العمـود، لـتقترب إلى تنويعات تتلاعب بالتفعيلة، ولعل الجواهري لجأ إلى مثل هذا النمط لتنبيه القارئ بـالتوقف عنـد بعض الكلمات الموحية التي ينبغي الوقوف عندها؛ لأهميتهـا، ولا شـك في أن الجـواهري كـان يدرك أن النص المكتوب بهذه الطريقة يصلح للقراءة أكثـر مـن الإنـشاد. وذهـب الجـواهري في كتاباته الشعرية إلى ابعد من ذلك حيث نوع في البحر الذي يستعمله، فمرة يستعمله تاما، ومـرة مجزوءا، ومرة مشطورا، وهذا التوزيع يأتي من قبيل الخـروج علـى المـألوف مـن أوزان الـشعر العربي[4]. إن تلك الانتقالات في الوزن لم تجيء اعتباطا، وإنما هي جـزء مـن تـداخل الأصـوات

(1) الوحيّ (بالتشديد) السريع.

(2) الأعمال الكاملة : 5 : 919.

(3) ينظر: تطبيقات نقدية: 14.

(4) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 8.

وتشابكها، وهي بقدر ما تعني الجو النفسي في القصيدة، فإنها تمثل قلق الشاعر بالأساس[1]، ذلك أن الحرب العالمية الثانية قد طرحت أمام المثقف العربي في عموم الوطن العربي وفي العراق بصورة خاصة، قضايا مصيرية وحادة، وأصبح الشاعر بوضع قلق، حيث أصبح العالم يتحرك أمامه بقوة نحو الانعتاق، فضلا عن المآسي التي حلّت بالوطن العربي نتيجة الاحتلال والتخلف والمرض، وقد كان للنكبة القومية في فلسطين الأثر الكبير في تعميق الفجوة، وعدم التلاؤم بين الشاعر وواقعه السياسي والاجتماعي[2]، إنّ تلك المؤثرات قد ساعدت الأديب العراقي على البحث عن أدب جديد، ونبهته إلى وجوب نبذ (الرومانتيكية) والاتجاه إلى الواقع، أضف إلى ذلك أن الجواهري كان قد بلغ قمّة إبداعه في شعره الكلاسيكي، إذ لم يجد ما يضيفه إلى إبداعه إلا بالخروج على شكل القصيدة العربية، فوجد في الأغراض السياسية مجالا رحبا، لتحقيق طموحاته الإبداعية، وذلك بالتحول من الشكل إلى المضمون، نزولا للدعوات الداعية إلى التحرر من الوزن والقافية والاستعاضة عنهما بوحدة الشعور والإحساس لاعتبار أن تغيير الوحدة الموسيقية يترافق مع تغيير العبارة وتنوع الإحساس، وأنّ وحدة القصيدة تأتي من خلال تطابق الشعور مع الموسيقى[3].

لقد أدرك الجواهري((أنّ الأشكال الأدبية في صراع، والكلاسيكية بلغ آخر ما يمكنه أن يبلغه، والصراع الآن في تجديد الشكل وعلاقته بالمضمون. قد يطول الزمن حتى يصفي هذا الصراع، والشعر الحديث أقدر من الشعر الكلاسيكي، الذي انحدر إلينا منذ(3000) سنة. القضية ليست تبديل الشكل، وإنّما نقطة انطلاق جديدة))[4] إنّ التجديد الحقيقي هو في البناء والمضمون وأنّ العروض أمر ثانوي...وليس مهما بعد ذلك النظم على الطريقة القديمة أو الحديثة[5]، بذلك يكون الجواهري قد استفاد من كل تقنيات الشعر الحديث فصبّها في قوالب

---

(1) مقالات في الشعر العربي الحديث: 72.

(2) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 399. وينظر: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره: 30 : إحسان عباس: دار الثقافة بيروت: 1972.

(3) ينظر: النقد العربي الحديث: 470.

(4) الجواهري وسيمفونية الرحيل: 390.

(5) ينظر: الشعر بين التجديد والتفاهة: جريدة الشعب العدد3633، ت1 لسنة1956. وينظر: الشعر والأدب: 69. وينظر: نقد الشعر العربي الحديث: 259.

شعره السياسي، لينتج شعرا على نمط جديد، علّه يساهم في تخليص الشعر العربي من التباين بين شكله ومضمونه، الذي قد عانى منه طويلا. وقصيدته (المقصورة) خير دليل على ذلك فهي ملحمة من جمرة وغضب، وقد عدها الأديب (طه حسين) من عيون الشعر العربي[1]، لكونها أكبر انتقاله شعرية في حياة الجواهري، حيث نقل الشعر العربي من محدودية الغرض وموروثيته، إلى غنى الموضوع وحريته، أنها تتخذ الألف رويا أو ما يشبه الروي، فالألف المقصورة ليست سوى فتح مشبع. هذا الروي يساعد أن تنبسط القصيدة، أنها نص مفتوح بامتياز، يتقبل الانتباهة والخلجة واللقطة في حساسية مرهفة. أنّ مثل تلك القصائد لتدلنا أن الجواهري قد جرب الشعر الحديث بوصفه فنا شعريا منبثقا من صلب القصيدة الخليلية، وليس نقيضا لها، باستثناء قصيدته(على قارعة الطريق)[2]، التي كتبها على طريقة الشعر (المنثور)[3] بذلك تمكن الجواهري أن يخطّ لنفسه منهجا جواهريا اهتدى إليه عبر مسيرة فنية شاقة[4]، بعد أن ملأ روحه بالثقافات الجديدة، والآراء الحديثة، فضلا عن موروثه الجم، ليصبح جسر الربط بين مرحلتين، وعهدين، وطريقتين في التعبير، عليه كبرت حركة الشعر العربي الحديث، التي أخذت اسم حركة(الشعر الحر)، وعليه، عبر الشعر العربي القديم، إلى حداثات القرن العشرين.

أثر الأحداث السياسية في قافية الجواهري

لاشك في أنّ القافية تعد أحد أهم الأركان الأساسية في بناء القصيدة العربية، فهي ليست المحطة النهائية لتنظيمات المقاطع الداخلية، ونهاية للمعنى الذي يريده الشاعر حسب، وإنما هي أيضا اللمعة الأخيرة التي تطالعها عين القارئ وتقف عندها الذاكرة[5]. لذا فقد اهتم

(1) ينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 52.

(2) الأعمال الكاملة : 3 : 387.

(3) قال: ((ومتى عهدك بالمدينة وأهلها؟

قلت: منذ تركتها، أما عهدي بأهلها فمنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود قال: وبعد؟؟! قلت: وبعد....فقد استمروا يرقصون حتى بعد ان طردني الحاكم شر الطرد من اجلهم..طردني انا ومن ومعي)). الاعمال الكاملة: 3 : 387.

(4) ينظر: ملامح من شاعرية الجواهري: 23.

(5) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 220.

النقاد قديما وحديثا بالقافية اهتماما بالغا، لاسيما في مجال علاقتها بالمعاني والأفكار. يقول ابن طباطبا:((فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته واعمل فكره في شغل القوافي، بما تقتضيه المعاني))[1]. ويقول(أبو هلال العسكري):((فمن المعاني ما تتمكن في نظمه في قافية، ولا تتمكن منه في الأخرى))[2]

ومن مظاهر اهتمام القدماء بالقافية اختيارهم لمستويات معينة من أنواع القافية. فكثر استخدامهم لقسم منها وقلّ استخدامهم للقسم الآخر؛ لأنهم كانوا يدركون أنّ هناك صلة وثيقة بين كلمات القافية وموسيقى البيت في الشعر العربي التقليدي...وللقافية فيه سلطان يفوق ما لغيره في اللغات الأخرى[3]، والشاعر الجيد هو من يتمكن من تطويع تلك القيمة الموسيقية لصالح معنى البيت الشعري، وقد أجاد الجواهري ذلك بإتقان، فقد أجمع النقاد والباحثون، أنّ الجواهري يعد أحد أعلم شعراء العربية في القرن العشرين على الإطلاق في فن القافية، ولو لم تكن للجواهري إلا هذه الناحية من فنه لكان من أبرز شعراء العربية[4] لأنه((لا يخضع للقافية ولا للفظ، بل أنها طوع قلمه طواعية اللازب لأنامل المثال))[5] إذ يستثمر طاقته اللغوية عبر ما تتيحه اللغة من إمكانات كبيرة، كي يصل إلى القافية. فهو لا يجد صعوبة في اختيار اللفظة التي تتضمن القافية، كما لا يجد عناء في وضع تلك اللفظة في سياق نحوي[6]، بحيث أننا لا نشعر ونحن نقرأ شعره أنّنا أمام قافية أو أننا ننتظرها منه. فهو قد أدرك أسرارها وبلغ فيها ما لاتبلغه إلا القلة. أدرك الجواهري أن للقوافي دلالاتها الخاصة، لذا أنّه كان يستعرض القوافي أنْ ماذا يمكن أن تهيىء له من قول. مثل ما فعل في قصيدته(الفداء والدم)[7] وكان يستخدم الوسائل الفنية للوصول إلى القافية المطلوبة، كما في قصيدة(فلسطين)[1] حيث

---

(1) عيار الشعر: ابن طباطبا: 5: شركة فن الطباعة، القاهرة1956.

(2) الصناعتين: أبوهلال العسكري: 13. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: 1952.

(3) ينظر: النقد الأدبي الحديث: محمد غنمي هلال: 468 دار العودة، بيروت1973.

(4) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 132.

(5) قضايا الشعر المعاصر: أحمد زكي أبو شادي: 127. دار الكتاب العربي: القاهرة: 1959.

(6) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 9.

(7) الأعمال الكاملة : 5 : 879.

قصيدة(فلسطين)[1] حيث استعمل الشاعر أسهل صور الجر شيوعا، وهي صورة الجار والمجرور بالإضافة في(أربعة وسبعين)بيتا، وفي قصيدة، (في مؤتمر المحامين)[2]، اعتمد الشاعر النعت وسيلة للوصول إلى القافية في(86)بيتا، وهكذا في قصيدة(يوم الشهيد)[3]، استعمل العطف فيها في(54)بيتا، والنعت في(عشرة)أبيات، والبدل في(بيتين) لكونه من الوسائل السهلة، وفي قصيدة(أخي جعفر)[4]، القصيدة تقع في(96)بيتا، شكل الفعل قوافي(47)بيتا فيها، بل وعمد إلى استنباط القوافي من ألفاظ ترد في البيت نفسه، أو من مرادفها ومضاداتها، مما يسهل عليه الوصول إلى القافية، كما في(أم عوف)

يا أمَّ عوفٍ عجيباتٌ ليالينا يدنينَ أهواءَنا القصوى ويقصينا[5]

استخدم(الطباق) للتوصل إلى القصيدة، كما في(يدنين) و(يقصينا) أو من خلال اشتقاق القافية من لفظة في البيت وهو ما سمي بالتصدير كقوله:

فيه عطفنا لميدانِ الصبا رسناً كاد التصرم يلويه ويلوينا[6]

---

(1) الديوان: 3 : 319.

(2) الديوان: 4 : 91.

(3) الديوان : 3 : 269.

(4) الديوان: 3 : 259.

(5) الديوان: 4 : 199.

(6) الديوان: 4 : 199.

أو عن طريق (الجناس) كما في قوله:

زحفـــتْ بمدرجـــةِ الخطـــوبِ ففاتهـــا   شـــأوَ المجـــدُ مـــن الـــشعوبُ وفاقهـــا[1]

ففي (فاتها) و(فاقها)جناس ناقص، ومن وسائله السهلة للوصول إلى القافية قدرته الكبيرة على التصرف في المفردة، أو في الصيغ والجموع وغيرها ليجعلها منسجمة مع القافية، فضلا عن قدرته الكبيرة في المناوبة بين المشتمات، أو توليد صيغ حرفية، كما في (يوم الشهيد)، حيث جاءت بعض قوافيها مصادر مشتقة من الفعل الخماسي مثل (اجتراعا) و(ازدراعا) و(ارتجاعا) مؤثرا إياها على صيغة المجرد، للتوصل إلى القافية، ولاختيار لفظة غير مستهلكة في بناء القصيدة[2]، كما عمد الجواهري فضلا عن تلك الأساليب إلى استخدام المفردات السهلة المألوسة في قوافي قصائده، لإظهار مدى التجانس والملاءمة بين القوافي وطبيعة الغرض السياسي الذي يستوجب السهولة والوضوح والإبانة، لكي يكون تأثيره في الجماهير أشد وأقوى، ونجد ذلك بجلاء في جل قصائد الجواهري، لاسيما تلك التي نظمها في مرحلة ما بعد (الثلاثينات)، فنجد القوافي في ضمن الألفاظ الآتية: الجماهير، التمرد، الغضب، التعب، وثب، اللهب، انفجر، الخطر، الدماء، جحفل، ضعيف، المحن، الوطن، متزعم، جياع، ضياع، دفاع، إقطاع، صراع، عجائب، غاصب، أجانب، سليب، شجب، ناصر، ظالم، سغب، يناضل، مقاتل، باسل، باطل، مناصب، جاني، جائر، جرائم، رواجم، ضرب، قراع، رعاع، قلاع، شجاع، أماني، الفزع، نار، حاكم، ضرام، غطى، شهداء، جنود، الحديد، استعمار، الغضفر، كفاح، سلاح، جراح، أقدام، هدام، أندلس، جهاد، عراق، الدولار، سلام،

دخيل[3]. نجد أن الشاعر قد ابتعد في ألفاظ قوافيه عن كل معنى مستغلق إذ ليس في ألفاظه ما يستوجب الرجوع إلى المعاجم، والسبب في ذلك ((أنّ لهذا الغرض ألفاظا ومدلولات

---

(1) الديوان: 1 : 181.

(2) ينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 9، 10، 11. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 33،34 : 289.

(3) ((انه يذيع ما بداخله من تفجير عاطفي في عالم من المصطلحات السياسية والقومية))دور الأدب في الوحدة العربية: د.علي عباس علوان. مجلة المستقبل العربي عدد(1) لسنة: 1980.

اختصت به أكثر من غيره، وجعلت له طابعا يمتاز به من سائر الأغراض الأخرى، فتلك الألفاظ لها دلالات شعورية خاصة نشأت عن طبيعة شعور أفراد المجتمع إزاء هذه الأحداث، وقد شاعت هذه الألفاظ بين الناس، وآثر الشعراء استعمالها في أشعارهم))[1] وقد تميز الجواهري من بين الشعراء العراقيين في دقة اختياره للقوافي، واهتمامه بها اهتماما خاصا، لذا فقد اعتمد في شعره على طائفة من حروف الهجاء دون غيرها - وبنسب متفاوتة- ليجعل منها رويًا لقصائده، أيمانا منه بدلالة الحروف على مضامين سياسية معينة، ونتيجة لذلك فقد أجريتُ إحصاء دقيقا لقصائده السياسية، فوجدت أنّ مجموع قصائده السياسية (187) قصيدة سياسية، استخدم حرف الباء رويا (32) مرة، والراء (27) مرة، والدال (22) مرة، والميم (17) مرة، والعين (15) مرة، والنون (13) مرة والهاء (9) مرات واللام (9) مرات، والحاء (6) مرات، والقاف (6) والهمزة (6) مرات، والسين (5) مرات، والتاء (3) مرات والفاء (2) مرة، وكلا من الألف، والكاف، والشين والجيم، والضاد، مرة واحدة، فضلا عن (13) قصيدة سياسية متنوعة القوافي. ومعنى هذا أنّ الجواهري قد استخدم القوافي الذلل، التي كثرت على الألسن[2]، ولكن مجيئها بنسب متفاوتة لتضع أيدينا - بشكل واضح -أنّ هناك علاقة بين هذه الحروف ومعاني الأغراض المطروقة، فهل من قبيل المصادفة أن تأتي الباء، ثم الراء، ثم الدال، ثم الميم على هذه السعة والشمول في أشعاره[3] ((فالباء مثلا يحقق أعلى نسبة في حروف الروي؛ لكثرة استخدام الألفاظ التي تشير إلى العروبة والتوحد والدعوة إلى النضال(عرب، لهب، هضاب، كوكب الخ)[4] فعكس الجواهري ذلك في قصائده، وجعله رويا كما في:(العزم

---

(1) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 365.

(2) وقد عددها المعري وهي،الباء، والتاء، والدال، والراء، والعين، والميم، والياء، المتبوعة بألف الإطلاق، والنون، والكاف، والقاف، والفاء، والجيم، والحاء، والسين، وتجنب القوافي النفر وهي الصاد، والزاي، والضاد، والطاء، والهاء الأصلية، والواو، وتجنب القوافي الحوش وهي: الثاء، والخاء، والذال، والشين، والظاد، والعين. ينظر: اللزوميات: أبو العلاء المعري: 1 : 30. وينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: عبد الله الطيب: 1 : 46 -55.

(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 366.

(4) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 395.

وأبناؤه)[1] و(الثورة السورية)[2] و(أمم تجد وتلعب)[3] و(عقابيل داء)[4] و(إلى المناضلين)[5] و(أطبق دجى)[6] و(المستنصرية)[7] و(لبنان يا خمري وطيبي)[8] و(يوم السلام)[9] و(يافا الجميلة)[10] و(الثورة العراقية)[11] الخ.

إنّ تلك القصائد في قوافيها هي انعكاسة لألفاظ الناس وقد استقرت في لاوعي الشاعر بعدما تحدثوا كثيرا بحكم الواقع عن الانتداب، والخراب، والأذناب، والإرهاب، والعقاب، ومما يلاحظ أنّ حرف (الراء) يشكل نسبة عالية أيضا من بين حروف الهجاء ومعنى ذلك صلاحيته التامة لاستيعاب كثير من الألفاظ السياسية، التي تصلح أواخرها

أن تجيء رويا مثل:حدود، شهيد، نشيد، صمود، أمجاد، مجاهد....الخ[12]. لذا اختار الجواهري الدال رويا لقصائده:(ثورة العراق)[13] و(الملك والانتداب)[14] و(سبيل الجماهير)[15] و(جمال الدين الأفغاني)[16] و(عدنا وقودا)[17] و(الصحراء في يومها الموعود)[1] و(ويلي لأمة

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 57.

(2) الأعمال الكاملة: 1 : 15.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 404.

(4) الأعمال الكاملة: 2 : 321.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 461.

(6) الأعمال الكاملة: 3 : 567.

(7) الأعمال الكاملة: 5 : 749.

(8) الأعمال الكاملة: 5 : 754.

(9) الأعمال الكاملة: 4 : 722.

(10) الأعمال الكاملة: 3 : 432.

(11) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

(12) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 366. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 394.

(13) الأعمال الكاملة: 1 : 59.

(14) الأعمال الكاملة: 1 : 83.

(15) الأعمال الكاملة: 2 : 239.

(16) الأعمال الكاملة: 3 : 439.

(17) الأعمال الكاملة: 3 : 488.

الموعود)[1] و(ويلي لأمة العرب)[2]، فيتحدث الجواهري في مضامين تلك القصائد عن العهود التي لم يف المستعمرون والحكام بها. فانبرى لهم ينذرهم بوعد ووعيده موضحا أن لا سبيل إلى الإصلاح إلا بالجهاد والثورة لذا نرى انه في قوافي قصيدة(ثورة العراق) قد سرد اغلب الألفاظ، التي تنتهي بحرف الدال، التي تشكل معانيها مجتمعة في تحقيق الثورة مثل:الأسد، المقود، خلدوا، مزبد، مصفد، نفذوا، منجد، يشهد، جلمد، تعضد، الكتد، اجتهدوا، العقد، مهند، تستشهدوا. أما في قصيدة (عيد العمال) يتحدث كثيرا عن الوعود، والبنود، والعهود، والجهود، والعيد، والجدود، والجحود، وكأنه يشير إلى حقوقهم التي سلبت من خلال تلك الكلمات المعبرة، حتى إذا جاءهم العميد (عبد الكريم) بعهده الجديد فأنقذ الحشود فبورك عيد، إذ يقول:

لكُم وحدَكُم سيُزَّف الثنا — وتُزجى المُنى وترِفُّ البنود
فهل ذاقَ طعمَ الثناءِ الجهيدُ — ونامتْ بحُضنِ الوفاءِ الجهود
لأنكدُ ما عاقَ سيرَ الشعوب — جهودٌ يعفَّي عليها جُحود
صحابي:وأنتم لَنِعمَ الصِحاب — إذا نُكِثتْ من صحيبٍ عُهود
أنتم وإنْ حُمَّ فرضُ الوفاء — بأنْ حلَّ عهدٌ وولَّتْ عُهود
وأنْ قد تبنّاكُمُ أصيد — زعيمٌ بما يتبنَّى عميد
وبوركَ عيدُ نضالٍ سعيد — سيتلُوه من حُسنِ عُقْباهُ عيد[3]

ليس هذا حسب، بل نجد إبداع الجواهري في استخدامه للميم رويا، كما في قصيدة (فلسطين)[4] و(سواستبول)[5] و(تنويمة الجياع)[6] و(يدي هذه رهن)[1] و(يا دارة المجد)[2] و(يوم الشهيد)، ومنها نختار قوله:

(1) الأعمال الكاملة: 6 : 995.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 152.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 742.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 529.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 400.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 610.

يـــومَ الـــــشهيدِ تحيّـــــةٌ وســـــلامُ | بـــك والنـــضالُ تـــؤرّخُ الأعـــوام
بـــك والـــضّحايا الغـــرّ يزهُـــو شـــامخاً | علـــم الحـــساب وتفخـــرُ الأرقـــام(3)

لقد جاء حرف الروي (الميم) منسجما انسجاما كليا مع المعاني المأساوية لحادثة مقتل شقيقه (جعفر) في وثبة كانون (1948)(4) ويبدو أنّ الجواهري كان ينفث زفراته وآهاته من خلال ذلك الحرف الذي يتناغم في نبراته الحزينة الهادئة مع همومه المتراكمة، لاسيما في مرثياته للرموز، كما في قصيدة (أخي جعفر)(5) و(قفص العظام)(6) التي قالها في رثاء أمّه، وفي (ذكرى الهاشمي)(7)، ومن استخداماته في الملمات نجده فيقصيدة (من دفتر الغربة)(8) و(سائلي عما يؤرقني)(9)، كما أجاد الشاعر الجواهري، حسن استخدام (النون) رويا لقصيدته (يا دجلة الخير)، تعبيرا عن أنين غربته من خلال رويه الموحي بالحزن والأشجان، كما في قوله:

يـــا دجلـــةَ الخـــيرِ يـــا مَـــن ظـــلّ طائفُهـــا | عـــن كـــلِّ مـــا جَلَـــتِ الأحـــلام يلـــهيني
لـــــو تعلمـــــينَ بأطيـــــافي ووحـــــشتِها | وددتِ مثلـــيَ لـــو أنَّ النـــومَ يجفـــوني
أجُـــــسُّ يقظـــــانَ أطـــــرافي أعالجُهـــــا | ممـــا تحرقـــتْ في نـــومي بـــأتون
وأســـــتريحُ إلى كـــــوبٍ يُطمئـــــنُني | أنْ لـــيس مـــا فيـــه مـــن مـــاءٍ بغِـــسلين(10)

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 226.
(2) الأعمال الكاملة: 7 : 1115.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 507.
(4) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 394.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 501.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 614.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 367.
(8) الأعمال الكاملة: 5 : 759.
(9) الأعمال الكاملة: 6 : 968.
(10) الأعمال الكاملة: 5 : 778.

كما أحسن الجواهري استخدام(الحاء) كما في قصائده:(تذكر العهود)[1] و(النفثة)[2] و(لولا)[3] و(وعد بلفور)وفيها قوله:

ألمَّ القدسِ والتأريخُ دامِ ... ويومِك مثلُ أمسِك في الكفاح
ومهدُك وهو مهبطُ كلُّ وحيٍ ... كنعشِك وهو مشتجرُ الرِّماح
ووادي التيه إنْ لم يأوِ مُوسى ... فقد آوى الصليبُ على صلاح[4]

((فقد استثمر الشاعر حرف (الحاء) في استحضار التاريخ القومي العربي بأمجاده وانتصاراته ليكون حافزا للوقوف بوجه الاستعمار والصهيونية، وجاءت القافية منسابة انسيابا متفاعلا مع المعاني والأفكار التي أرادها الشاعر)) [5] ومن استخدامه(الحاء)رويا أيضا قصيدته: (باسم الشعب) وفيها يقول:

السادةُ الوقحون هَذَّب طبْعَهم ... زَرَدٌ يعضُّ على اليدينِ وقاح
والشائحونَ على الجموعِ تصعُّرا ... خرفونَ يُلوى عنهمُ ويُشاح
والأذؤب الأقحاحُ في جبروتِهم ... وسط السجونِ أرانبٌ أقحاح
كانتْ قِباحاً في الرؤوسِ وجوهُهُم ... واليومَ وهي على الصدورِ ملاح[6]

يشمت الشاعر في قصيدته برجال العهد الملكي، حين وقفوا في قفص الاتهام أمام محكمة الشعب، فمن هذه الصنعة الخفية تجد أن الشاعر قد أوحى بقافية كل بيت في صدره، ولكن دون أن يتوقع أحد على وجه اليقين هذه القافية، مما يحقق للقصيدة عنصري الإثارة والإدهاش، ويزيد من اضطراب المتلقي في التوقع ما يظلله به الشاعر من طرق استنباط القافية، فهو يلجأ في البيتين الأولين إلى عائلة المفردة اللغوية:وقَحَ، ووقْحٌ ثم يفاجئنا بـ (وقاح) التي لم نكن نتوقعها؛ لأنها ترتبط في لغة العرب بالحافر عادة تقول:حافر وقاح بمعنى:حافر صلب، ولكن

---

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 110.
(2) الأعمال الكاملة: 6 : 990.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 193.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 444.
(5) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 395
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 712.

الشاعر نقل المعنى من الحافر إلى القيد، وانتقل من اسم الفاعل (الشائحون) في البيت الثاني إلى فعله المبني للمطاوعة، وإذا اطمأن المتلقي إلى طريقة استنباطه القافية، أعرض الشاعر عن ذلك، فاستنبطها عن طريق رد العجز على الصدر، ثم من طريق المقابلة في البيت (الرابع) بما يجمع بين صورة جبروتهم الكريهة، وصورة ذلهم حين تدلت وجوههم على صدورهم هوانا ومهانة[1] كما أن (الحاء) قد جاء بشكل يتناسب مع الموقف الفرح الذي بـرواحهم قد ارتاح الشاعر واستراحت نفسه بعد عناء طويل. ففي الحاء ظلال موحية من خلال إيقاعه وجرسه، لأنّ الرجل المكدود عندما يلقي رحله بعد عناء يخرج عقيب جلوسه .

وليس هذا حسب فقد انعكست العلاقة القائمة بين القافية ومعنى الغرض السياسي على شكل القصيدة العربية بتنوع قوافيها، فعلى الرغم من أن اغلب الشعراء السياسيين قد التزموا القافية الموحدة في قصائدهم لكون القصيدة القديمة تراعى في المجال الجدي[2]، إلا أن ((اختيار الحدث وصياغة المفردات حولت القصيدة من الرومانسية إلى الواقعية، وتبعا لذلك، فقد تراجعت القافية))[3] لاسيما بعدما اتسعت دائرة الشعر السياسي والاجتماعي عند هؤلاء الشعراء، فلا يكاد يحدث حادث سياسي أو اجتماعي إلا وتلقفوه بصياغته شعرا، ولكنهم وجدوا أنّ القافية الرتيبة تحول بين الشاعر والانطلاق مع أحاسيسه، فظهرت قصائد ذات قوافي متعددة إلى جانب تلك القصائد التي سارت على نظام القافية الواحدة[4].

إنّ تنوع القافية في القصيدة الواحدة، لتدل دلالة واضحة أنّ هناك علاقة بين أفكار الشاعر الباطنية التي تتنوع في منحنيات القصيدة، والقافية، فيختار الشاعر من القوافي بما تناسب فكرته، ((لأننا إذا بحثنا عن الأفكار من أجل القوافي فإنه ينشأ عن ذلك شعر أجوف الرنين، وإذا بحثنا بعناء ومشقة عن القوافي من أجل الأفكار، فإنه ينشأ عن ذلك شعر متكلف،

(1) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 258.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 372.وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 395.

(3) شعراء عراقيون: 8.

(4) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 72. وتنظر: مجلة شعر العدد38 : 60. وينظر: دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 80. وينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 30.

مغتصب لا تطرب له الأذن. أما اذا تتابعت الأفكار، في تسلسل طبيعي مسترسل على إيقاع الكلمات، وتناغم القوافي فإنه يكون للغة الشعر تأثير السحر))[1].

وبناء على ذلك((فإنّ التنوع في قوافي القصيدة يجعل من القافية أن تكون جزءا مكملا للتركيب اللغوي في البيت، فلا تأتي القوافي مقحمة))[2] لذا اعتبروا القافية الموحدة مستبدة لأنها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه في البحث عن عبارات توافق قافيته[3].

وقد أنكر الجواهري أنْ تكون القافية قيدا وعدّ التهرب منها من علامات ضعف الشاعرية، والملكة اللغوية[4] ولكن لا بأس من التطور التدريجي فيها بسبب تطور الحياة ومتغيراتها جريا مع النواميس والسنن، وقد جرب الجواهري ذلك التنوع في بعض قصائده السياسية((ليبلو أثره في نفسه ثم أثره في نفوس المعجبين بشعره، ولم يكن هذا النهج الجديد خروجا كبيرا على الطرائق التقليدية المعروفة، فقد جرب أصحاب الموشحات شيئا من هذا قبل قرون))[5]، ونجد ذلك في قصائده(أيها الاستعمار) فقد تنوعت قوافيها بين اللام، والقاف، والسين، والهاء، والحاء، والدال، والنون.

ونورد منها :

خلِّي شدقَيك يَمصَّان دمي
ويمُجان دماً كالعَلَق
خلِّي عيشيَ مُضغةً من علْقَم
خلِّيه نَهبَ الطَّوى والقَلَق

سمِّنِ الكلبَ على لحمِ الشعوبْ   واكسه من عُريها أبهى حُلَل
واخلعِ البؤسَ عليها والشُّحُوب   وأسِلْ ذوبَ الأسى بين المُقَل

ثم دعْها نُهزةً للألم
تتلظَّى في جحيمِ الحُرَق

(1) في الشعر الأوربي المعاصر: عبد الرحمن بدوي: 138.

(2) دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري: 13.

(3) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: 46.أحمد زكي أبو شادي، دار الكتاب العربي: القاهرة: 1959.

(4) ينظر: نقد الشعر العربي الحديث: 259.

(5) لغة الشعر عند الجواهري: 180.

هل سوى أن تغتدي بالضَــرم
وتلوّى فـي وســــادِ الأرق
أيّها الوحــشُ وما أزكى الوحـوش   تتحدّى الجـوعَ بالمفتــــرس
أيّها الوحـشُ الضروسُ المحتمي
بفصاحات اللّـغى والمـــنطق
أخنق الفكرةَ في صدرٍ يضــوع   ترَها فـــي آخر أذكى تفـــوح
إنّها كالشمسِ إنْ هــمّ طلـوع   صاحَ أو لم يصحِ الديكُ يلـــوح
سوف يهزا الصبحُ بالليل العمى
حين تنداحُ سماءُ المـشرق
أيّها الوحشُ ولا بدّ النُّشــــورْ   إنَّ حـــراً منجزٌ مـــا يعِــــدُ
أيّها الوحش تسمَّـعْ تسمــــع   صرخات الحقدِ تطوي المشرقيــن
أيّها الوحشُ وأشباحُ الجيــــاع   زاحفاتٌ بالبطـــونِ الخاويــــة
ألفُ ويلٍ لك من هذا الصـــراع   يــومَ تشتطُّ الذئاب العاويــة[1]

وفي قصيدة (ظلام)[2] نوع الشاعر قوافيها بين الراء، والنون، والـلام، والفـاء، والبـاء، والعين، والدال، والحاء، والسين، والميم. وفي قصيدة(يا نديمي) نوع الشاعر قوافيهـا (18)مـرة ونورد منها:

يا نديمــي وأينَ أينَ الفِــرار؟
ألنا غـيرَ هــذه الــدارِ دارُ
يــا نديمــي لـم يبقَ مــا أرجُـــي   غيــر ليتَ وليتَ زرعٌ بصخـــر
ليت أنّي لِبربرٍ أو لِزنـــــج   أتغنّى شجونهم طولَ عمــــري
نصفُ قرنٍ مــا بيــن دفٍّ وصنْجِ   أترانـــي كنـتُ أُنتبِذت بقَفـــر؟
تجوهلْــتُ مثل واوِ لعمــرو
لستُ أدري ولا المُنـجِّمُ يـدري

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 601.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 640.

يـا نديمي وكـان ليلٌ فجَـــــالا   فـارسٌ يُبهرُ العيـون اختيـــــالا .
شمتُ فيه ممنْ عرفتُ خيـــــالا   وهو أبهى شكـلاً وأرفـهُ حـــالا
كان يُزهـــى فتوّةً وجمـــــــالا   كـان شهْماً للكـادحيـن مِثالا
كـان رمـزاً لســادةٍ أخر[1]

وفي قصيدة (أطفالي وأطفال العالم) تنوعت قوافيها بين اللام، والميم، والحاء، والباء، والقاف، والدال ونورد منها:

حـطَّ الـطـغـاة عـنـدَه الآمـــــــالا
ثــم الـتـوى بـثـقْـلِـهِ ومـــــــالا
وانتعـــشَ القلبـان ثــم قــــالا
هـبْ مثلـمـا قلـتَ الغمـامُ يـذهـبُ
لِمَ الحـمـامُ سـاكنٌ لا يـلعــــــــب
لا بــدَّ أنَّ قــدْ ليثَ منــه مَشـــرب
فهــو - وهذي أختنا - استحـــالا
رمـزاً لـمـوتٍ يـمـنـحُ الجمـــالا
وانتـهـضـا يستـطـلـعانِ الافـقـــا
ويـرمُـقـانِ مَـغـربـاً ومـشرقـا[2]

أما قصيدة (سلاما عيد النضال) تنوعـت القافيـة فيهـا بـين المـيم، والـدال، والـلام، والباء، والعين، والفاء، والتاء، والحاء، والراء ونورد منها:

سلامــاً:وفي يقظتـي والمـــــنامِ   وفي كلِّ ساعٍ وفـي كـلِّ عــام
تـهـادى طـيـوفُ الـهـداةِ الضِـخام
تـصـايحَ هـامـاً عـلـى إثـرِ هــــام
سلامـــاً:ومـا انفك وقــدُ الضِّـــــرام
مـــن الـدمِ يشخـصُ حيّاً أمامــــــــي

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 793.

(2) الأعمال الكاملة: 4 : 827.

سلامـــا:وفي كلٍّ مـا استعيــد		مــن الذكريـاتِ ومـا استفــيد

من العبـرِ الـموحيـاتِ الدَّوامــي

أحــسُّ دبيبـاً فــي عِظـامـــــي

سلامــاً:ومـنذُ العصورِ الخوالـي		مــذ أخضـرَّ حقلٌ بسمرِ الغـلال

ومــذ حكَّمتْ سـادةٌ فـي الموالـي

تـنسمــتِ الأرضُ ريــحَ النضــال

زهــتْ بـالشريــدِ رؤوس الجبـــال

وتــاهَ الثّـرى بـالـدِّمـاء الغـوالـــي

ودقّتْ مساميرُ خجلـى عُطاشــى		بكــفُّ المسيح فطـارتْ رشاشــا

بـقـايـا دمٍ لـلعـصـورِ التّـوالـــي

تـخـضّـبُ بـالمجـدِ هـامَ الرجــال[1]

وفي قصيدة (فرصوفيا)[2] تنوعـت القافيـة بـين الـلام، والهـاء، والـدال، والميم، وفي قصيدة (عالم الغد)[3] تنوعت القافيـة بـين البـاء، والـلام، والحـاء، والتـاء، والنـون، والهـاء، والميم، والراء، والفاء، والعين، والدال، والهمزة، والسين، والذال، والقاف.

وأخيرا في ضوء ما تقدم بيانه نستطيع القول أن العلاقة بين الأحداث السياسية والقـوافي علاقة محكمة، توضحت خصائصها الفنية من خلال المدلولات السياسية، واللغـة الـسهلة الـتي لا تعقيد فيها ولا التواء، والخروج أحيانا على القافية الموّحدة .

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 841.

(2) الأعمال الكاملة: 5 : 846.

(3) الأعمال الكاملة: 7 : 1074.

الخاتمة

إنّ دراسة شعر الجواهري في صراعه السياسي وإبداعه الأدبي، لتعد من الأمور الصعبة التي يواجهها الباحث خلال رحلة بحثه؛ لأنه يتناول شاعرا عراقيا أشغل الساحة السياسية والأدبية ما يقرب من قرن كامل، عايش فيه الانقلابات السريعة التي حصلت في حياة الأمّة وأدبها، وقد كشفت الدراسة عن نتائج، يمكن حصرها تحت عنوانين رئيسيين:

أولا :النتائج السياسية :

- كان الجواهري جريئا وصريحا في التعبير عن آرائه وأفكاره، ولم يعرف عنه التحفظ فيها، بل تصل صراحته إلى حد التجريح والتهكم.
- لقد مثّل الصراع جزءا مهما من نفسية الجواهري، حتى بات العنف الشعري والجواهري قرينين متلازمين لا يمكن الفصل بينهما، ذلك لأنّ الحرارة التي تشعّها قصائده السياسية تدل من قريب على المصدر الذي خرجت منه، وهو فوهة الانفعال، فقد عاش قرنا من الصراع، وهو يعانق الموج ولا يركبه، قاتل على طريقته في التغرب والمواجهة وعبر صراعه مع الحاكم، متخذا من منابرهم مدخلا لإثارة الناس عليهم، إذ كان الجواهري يكره الحكام بطبعه ويعدهم أندادا في حالة الرضا، وفي حالة سخطه يسخر منهم.
- إنّ المتتبع لشعر الجواهري يدرك بجلاء، أنّ معاركه الشعريّة أخذت منحى هرميا، ابتدأت بالهمز واللمز، كما في مرحلة (العشرينات) وانتهت باللعن والطعن والشتم والسخرية، كما في (الثلاثينات) وما بعدها، إذ لم يكتف الجواهري بالوقوف عند الحد الأدنى عن سلّم الصراع الشعري، وإنّما تسلقه طرديا نتيجة تصاعد الأحداث في سلبياتها. وقد مثلت قصائده صورة العربي الثائر، المدافع عن قيمة عربية إنسانية راسخة في أعماق هذه الأمة.
- بالرغم من كلّ ما تميز به، إلّا أنّه لم يكن سياسيا من الطراز(الأول)، فلم يجد المناورة والمراوغة السياسية، واستغلال الظروف والثغرات لخدمة أغراضه الخاصة، وقد يكون فضلا عن ذلك ثقته واعتداده الكبير بنفسه، ذا أثر بالغ في عدم إسناد أحد المناصب السياسية المرموقة إليه، وقد أثبتت الوقائع والأحداث بأنّ الجواهري كان غير قادر على

التحكّم بانفعالاته الداخلية التي تثيرها الوقائع والأحداث، وقد أثبت العلم الحديث، بأنّ ذلك ناتج من تجمع انزعاجات سابقة، فإنْ أصابت موضعا بعينه من الحساسية انفجر انفجارا عنيفا، فإذا هو يندفع في حديث يلتهب حماسة.

- العنف الشعري مرحلة جددة طرحه الجواهري على الساحة الأدبية في العراق، منهجا بديلا عن الإصلاح الشعري للساسة والمجتمع، مخالفا بذلك ما سار عليه (الرصافي) و(الزهاوي)، إيمانا منه بأنّ الإصلاح يجب أن يبدأ من الكل، وهو تغيير نظام الحكم بالقوة، وينتهي بالجزء، وهو إصلاح الفرد والمجتمع، لذا ابتعد في دواوينه الشعرية عن نمطية (الشعر الوعظي)، بعد أن أدرك بان الشعر الثوري مسهم - وبشكل فعّال- في تغيير المجتمع.
- إنّ نظرية الثقة بحتمية انتصار الشعوب في صراعها مع المحتل التي آمن بها الجواهري، قد استمدها من (الرؤية العلمية للثورة)، فهو غير مكترث بجسامة تضحيات الثورة؛ لأنّها ثمن طبيعي للاستقلال، لقد كان يرى في القوة، طريقا لخلاص الشعوب من المستعمر، لذا كان يتناغم مع الأفكار والفلسفات الداعية إلى الإيمان بآلهة القوة، وقد جاءت دواوينه ترجمة لأفكاره، حيث حفلت بمفردات الثورة والعنف والصراع والدم.
- إن قصائد الجواهري تكشف بوضوح عن مرحلة جديدة في الشعر العربي، هي تجاوز حالة الصراع القومي التي سادت خلال مرحلة الحكم العثماني، إلى حالة جديدة تبشر بالحكم الملكي، بعدما لامس الفرق بنفسه بين العهدين، حث أدرك تماما بأنّ ما أنجز في (نصف قرن) في عهد الملكية، قد عجزت عنه الحكومة (العثمانية) في (أربعة قرون) وربّما يكون هذا السبب وراء مدح الجواهري لمرحلة الحكم الملكي في أشعاره.
-إنّ جميع القصائد المدحيّة، التي قالها الجواهري في ملوك مرحلة الحكم الملكي وأمرائها ، لم تكن نابعة من تجربة شعرية صادقة، بل تختفي وراءها منافع شخصية، ومصالح فردية، تدخل في باب النفاق السياسي، باستثناء تلك القصائد التي مدح بها (عبد الكريم قاسم)، لإيمانه الشديد بالمبادئ، والأطروحات التي جاء بها. ولأجل التنكر لماضيه فقد حذف من ديوانه جُلّ قصائده التي قالها في مدح رجالات الحكم الملكي، لاسيما تلك التي مدح بها (غازي) و(فيصل الثاني) و(عبد الإله) و(نوري السعيد).

- إنّ تقلباته في قصائده تجاه الحكام، لم تكن ناتجة عن نفسيته المضطربة، وإنّما كانت بسبب تحوّل المعنى سلبا وإيجابا، فالقصيدة عنده بنت لحظتها لا تخضع لحسابات آنيّة، تغيرت بواعثها، وتبدلت ظروفها.
- إنّ هجاء الجواهري للملك(فيصل الأول) لم يكن وليد مرحلة (الثلاثينات)، كما يذكر بعض النقاد، وإنّما تمتد جذوره الأولى إلى مرحلة (العشرينات)، عندما كان موظفا في (البلاط)، كما في قصية: (ثورة الوجدان)، التي حطّم فيها كل مقدسات البلاط الملكي من الداخل موحيا لمن كان يجهله، بأنّ ليس كل الشعراء على دين ملوكهم.
- إنّ تعمّد الجواهري لمدح (ابن سعود) بغية إغاظة (الملك) إنّما استمد فكرتها من قصيدة(عبد المحسن الكاظمي)، التي مدح فيها(فيصل السعودي)، وشتم(فيصل الهاشمي).
- إنّ استقالته من (البلاط) لم تكن بسبب تمرده، وإنّما كانت باتفاق خفي بين أطراف الحكومة؛ لإصدار (صحيفة) ناطقة بلسان المملكة.
- أيقن الجواهري، أنّ الفقر سببه الحكام، لا الأقدار، فهو بذلك خالف شعراء عصره من خلال ربطه الأسباب والمسببات. إذ كانت نظرته إلى الواقع تنحو منحى علميا يربط الظواهر بأسبابها الموضوعية.
- اتسمت قصائد الجواهري في مرحلة (الأربعينات) بهدوء نبرتها إذ لا نجد فيها مساسا مباشرا بالسلطة، فهو في ذلك كمن يراجع مسيرته، تحسّبا للمستقبل، مستعينا برجال الفكر والثورة، مستلهما منهم العبر والعظات لمسيرته القادمة، كيما يستطيع السير على ما ساروا عليه، وحتى لا تتكرر عاشوراء (الثلاثينات) وويلاتها.
- إنّ شعره ليُعد سجلا لصفحات تاريخ العراق الحديث بكل ما تنطوي عليه من هزات اجتماعية، واضطرابات سياسية، وانتفاضات وطنية، وانقلابات فكرية، فهو فضلا عن ذلك، فقد كان مسهما وصانعا للتاريخ، فقد قاوم الاحتلال الانكليزي، وعمل في (البلاط)، ووقف إلى جانب انقلاب (بكر صدقي)1936، ودخل البرلمان وأيّد ثورة (رشيد عالي الكيلاني)، وندد باتفاقية (بورتسموث)، وبكى (فلسطين)، ووقف مع الشعوب العربية، بتناول ثوراتها، وتبنّى مواقفها، كما اتّخذ من شعره وسيلة للتعبير

عن أفكار إنسانية، فهو في شعره وطني لا إقليمي، وقومي لا عراقي، وأنساني لا شعوبي.

- اتخذ من الأدب وسيلة لتحقيق مطامحه السياسية، متأسيا بسلفه (المتنبي)، وقد قاتل ما يقرب من (ثلاثين) عاما لنيل كرسي الوزارة، إلّا أنّه باستشهاد أخيه (جعفر) تنازل طوعا عن تلك الطموحات، وابتعد كليا عن رجالات الحكم الملكي؛ ليبدأ مرحلة جديدة من حياته، تمثلت بالثأر والانتقام، ممن كانوا سببا في سفك دم أخيه، ولعلّ قصائد (الخمسينات) خير دليل على ذلك.

ثانيا:النتائج الفنية:

- الأحداث التي وقعت في تلك المرحلة، جعلت الجواهري إزاء مجموعة من المتناقضات وحالات التوتر الشديد تكتنف عمله الفني في بناء القصيدة التقليدية وأسلوبها ومعجمها، توتر بين حدة المضامين، وتعقد المشاكل، وعنف التجارب، ونتيجة لتلك التحولات، نلمس درجة من الجدّة في شعر الجواهري، بسبب ما طرحه من قيم وأفكار ومسمّيات (كالوطنية) و(العدالة الاجتماعية)، إذ أنّ الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، هي التي دفعت الشعراء نحو التخلص من الشعر(الكلاسيكي)؛ليدخلوا بشعرهم مدخلا حسنا، إلى معالجة الموضوعات، والأغراض الجديدة التي اقتضتها ضرورة العصر وأحداثه، وهذه المرحلة يمكن تسميتها بـ(جديد الكلاسيكية في العراق).
- إنّ إعلان الدستور عام(1908)، الذي تحرّر الإنسان العراقي بسببه من الخوف، ممّا دفعه إلى الإبداع في مجال الشعر السياسي، بعدما توسع فيه دائرة الشعر القومي الوطني، الذي أدى بدوره إلى تطور الشعر تطورا واضحا في صوره وأدائه وأساليبه.
- الهاجس الوطني الذي جسدته الحركات السياسية، والانقلابات العسكرية، والأحزاب، وآثار الحرب الكونية الأولى، وسيطرة بريطانيا على العراق، كل تلك العوامل أسهمت إلى حد كبير في قمع الهاجس (الرومانسي) لدى الجواهري.
- تحول الشعر عند الجواهري نتيجة الاحتلال، من الهمّ الإسلامي الذي كان سائدا، إلى الهمّ الوطني، بعد ذوبانه وانصهاره في الرمز(الوطن)؛ لينتج نمطا جديدا لا يعرفه تاريخ الشعر العربي من قبل، ألا وهو (الشعر الوطني)، ويعد الجواهري أول شاعر عربي أرسى قواعد الشعر السياسي فنيا في الوطن العربي، وذلك بعد أن جمع ما بين أسلوب

(شـوقي) فنّيـا، وتمـرد (الرصـافي) سياسـيا في شـعره، فـضلا عـن المـزاج الشخـصي، ودرجات العنف، وحب الناس والتحسين، ومدى القابلية على التطور والتأثر والتـأثير، نتيجة كل ذلك استطاع الجواهري أنْ يبتكر في الأدب العربي موضوعا جديـدا لأول مـرة في تاريخ الشعر السياسي يصح تسميته بـ(الأسس الفنية للشعر السياسي)

- وجد الجواهري في الأغراض السياسية، مجالا رحبا لتحقيق طموحاتـه الإبداعيـة، وذلـك بالتحول من الشكل إلى المضمون، إيمانا منه أنّ التجديد الحقيقي هو في البناء والمـضمون، وليس مهمّا بعد ذلك النظم على الطريقة القديمة أو الحديثة، بذلك يكون الجـواهري قـد أفاد من تقنيات الشعر الحديث، فصبّها في قوالب شعره السياسي؛ لينتج شعرا علـى نمـط جديد علّه يسهم في تخليص الشعر العربي من التباين بـين شـكله ومـضمونه، وقـصيدته (المقصورة) خير دليل على ذلك، حيث نقل فيها الـشعر العربـي مـن محدوديـة الغـرض وموروثيته، إلى غنى الموضوع وحريته.
- الشعر السياسي مـسهم – والى حـد كـبير– في تطـور الجانـب الإبـداعي، إذ لا فجـوة ولا تناقض بين الجانـب الـسياسي والفـني، فالـسياسة والفـن وجهـان لعملـة واحـدة، وأنّ خصوصية الغـرض الفـني لم تقـف عائقـا أمـام قـدرات الـشعراء المبـدعين، وقـد جـسد الجواهري الوحدة بين المحتوى السياسي والثوري، والشكل الفني على أرقى درجة ممكنـة من الكمال، بل وازن بشكل دقيق بين التزامه الوطني والفني، مـن خـل علاقتـه بـالواقع وبأفكاره وبالقيمة الإبداعية، فهـو قـد وفـق أيّمـا توفيـق بـن ثوريـة الموقـف الـسياسي، وثورية الشكل الفني، على هذا النحو وقع الجواهري في نظر الشعراء والنقاد بين نقيضين لا يجتمعان هما:قمّة التقليد، وقمّة الحداثـة، وقـد أنتجـت تلـك العلاقـة تنظيمـا لغويـا مغايرا للغة الشعر الكلاسيكي، لغة حية دراميـة، بـسيطة قـادرة علـى تقـديم منحنيـات التجربة الفنية بين الـذاتي والموضـوعي، مـستفيدا مـن منجـزات الحيـاة اليوميـة، ومـن تنوعات أنماط الوزن والقافية في خلق إيقاعات حيّـة. ولعـلّ هـذه الخاصـية جعلـت مـن الجواهري، بأنْ يصنّف في ضمن أدباء العالم المعروفين.
- إنّ معاناة الجواهري بسبب اضـطهاد النظـام لـه في مرحلـة (الثلاثينـات)، كانـت سـببا في إبداعه الفني، حيث كتـب أجمـل قـصائده الفنيـة مثـل: (المحرقـة) و(عتـاب مـع الـنفس) و(بديعة) و(الأنانية) وقد عدّها النقاد انعطافة حادة في حياة الجواهري الأدبية.

- استخدم الجواهري المفردات السهلة المألوسة في قوافي قصائده؛ لإظهار مدى التجانس والملاءمة بين القوافي، وطبيعة الغرض السياسي الذي يستوجب السهولة والوضوح والإبانة بهدف التأثير بالجماهير، وهذا يعني أنّه كان على دراية تامة بأنّ هناك علاقة بين الحروف ومعاني الأغراض السياسية.
- إنّ اتساع دائرة الشعر السياسي دفع الشعراء بما فيهم الجواهري، إلى اعتماد القافية المتنوعة في القصيدة الواحدة، إيمانا منهم بأنّ القافية الرتيبة، تحول بين الشاعر والانطلاق مع أحاسيسه، كما أنّ تنوع القافية في القصيدة، لتدل دلالة واضحة أنّ هناك علاقة بين أفكار الشاعر الباطنية، والقافية، فيختار الشاعر من القوافي بما تناسب فكرته، وبناء على ذلك فإنّ القافية لتعد جزءا مكملا للتركيب اللغوي في البيت. وأخيرا- في ضوء ما تقدم - نستطيع القول أنّ العلاقة بين الأحداث السياسية والقوافي علاقة محكمة، توضّحت خصائصها الفنية من خلال المدلولات السياسية، واللغة السهلة التي لا تعقيد فيها ولا التواء.
- الوزن عند الجواهري ليس مجرد قالب تصب فيه التجربة أو وعاء يحتوي الغرض، وإنّما هو بعد من أبعاد الحركة الآنية لفعل التعبير الشعري نفسه في محاولته خلق معنى لا ينفصل فيه الشكل عن المضمون، بل أنّ لكل وزن خصائص تميزه من غيره، وتجعله قادرا على محاكاة الانفعالات عينها، إذ أنّ الأوزان تصنف في مجموعات، كل مجموعة ترتبط بحالة من أحوال النفس، في إطار هذه الحالة، يختار الشاعر وزنا في إحدى هذه المجموعات اختيارا تلقائيا، يوائم حركته النفسية، ولو كان الأمر خلاف ذلك لاكتفى الشاعر ببحر واحد دون اللجوء إلى البحور الأخرى.
- استطاع الجواهري أن يكسر بلغته الشعرية أبواب البلاغة القديمة، ليصل بها إلى مدارج مدرسة (الأسلوبية الحديثة)، كما في قصيدة: (إلى محمد علي كلاي)، حيث تمكّن من تجاوز حدود (الكناية) إلى آفاق بلاغية أوسع مدى، أصطلح عليها حديثا بـ (الكنايات العظمى)، التي تشتمل على كناية دلالات كثيرة تشكل بعضها مع بعض صورة كنائية شاملة، وهذا ما أنجزه الجواهري عبر التحول بالكناية من الاستعمال الضيق، إلى الاتساع بما يغطي نصا شعريا بأكمله، مع الاحتفاظ بطبيعة تعبيرية لا تحتكم في كل مفرداتها إلى ما تقرره الكناية بأنواعها.

- إنّ الصورة الشعرية عند الجواهري لا تمثل سوى جزء يسير من لوحته الفنية، إذ لا يمكن فهم قصائده السياسية، إلّا من خلال النظرة الكلية إليها، وذلك بضم أجزاء الصورة وربط بعضها ببعض؛ لأن الصورة لديه تعيش ضمن علاقات، ولعلّ خروج الجواهري على مبدأ وحدة البيت في بناء القصيدة، يعني أنّ الجواهري كان يفكر بدءا بالصورة الكاملة أو النموذج، لا بالضوابط التي يشترطها العمود الشعري، ويعد هذا أحد أبرز منجزات الجواهري الشعرية على صعيد التقنية الحديثة للشعر المعاصر.
- نتيجة لامتزاج تجربة الجواهري الذاتية مع الواقع الموضوعي لأمّته ومجتمعه، فقد استطاع في صوره الشعرية إعادة رؤية الأشياء الخارجية على وفق رؤى خاصة، من خلال صياغة الصور الواقعية، بما تتركه عليها أحاسيسه ومشاعره، عبر خياله المبدع الذي يؤدي الدور البارز في النشاط السياسي، ولقد كان لتراكمات الواقع المأساوي أثرها في توليد الصور الشعرية الجديدة.
- إن نزعة الجواهري الحسية في التصوير تقابلها نزعة للتجريد ما تنفك تهرب بخياله وذهنه من الوقائع الملموسة والظواهر المادية اليومية، إلى دائرة الإيهام والوهم، حيث تضيق اللغة بمدلولاتها العادية، ومضامينها المتعارف عليها، لتكتسب أبعادا فيها من قوة الإيحاء، أو لا مألوفية الاستخدام، ما يركز في حس المتلقي وذهنه، طابع اللغة(الزئبقي) المخادع وكينونة الهلامية، التي لم تتخلّق بعد، فلا يمسك بملامحها إلا التهرب إلى حيث لا محدوديتها المحبّبة، لتبقى تراكيبها سائبة هكذا.
- لقد ابتكر الجواهري صورا جديدة من خلال تكثيف صور بلاغية لا تندرج ضمن أبواب البلاغة القديمة؛ لأنه تجاوز فيها حدود المصطلحات الأدبية، وقد أطلق عليها تسمية(التضادات) داخل الصورة الواحدة، أي أنه يخلق صورا من صورة واحدة، كما أنه أدرك في الوقت نفسه بأنه مطالب بجعل الصورة القديمة، مطيته لخلق عالم من الصور تتفاعل، وكأنما صوره القديمة المخزونة في ذاكرته، تثير في ذهنه صورا جديدة، فتحول الألفاظ التي تولد الصور في حافظته إلى طاقة جديدة.
- أدرك الجواهري مسبقا بأنّ اللفظة جزء من حركة عامة تشمل القصيدة كلها، ولابد لها أنْ تجد مكانا في تركيب جديد للبيت الشعري، وقد أنتج الجواهري من خلال تلك

العلاقات تنظيما لغويا مغايرا للغة الشعر العادية، وهذا هـو أحـد العناصـر التكوينيـة في تحقيق المعجزة الشعرية.

- أمدّ الجواهري المعجم العربي، بكم هائل مـن المـدلولات الجديـدة، عـن طريـق التوليـد، والاشتقاق، والقياس، إيمانا منه بأنّ الشعراء أمراء الكلام، وأنّه يحق له ما لا يحق لغيره.
- قدرة الجواهري الفائقة على تصريف الألفاظ في قنوات تعبيرية مكنته من انتشال مفـردات، لا حظّ لها من الشاعرية؛ لخلوها من رنين النغمة، وحرارة العاطفة، بيد أن براعة الشاعر وقدرته على تطويع مفردات لغته، مكنته من التحكم بصنعته في خلق الـصورة الـشعرية، فيمنح تلك الألفاظ ظلالا تجعلها تموج حيوية وحركة.

آمل أنْ أكون قد وُفّقت في ما عرضت في بحثي بحق الجواهري وبما يليق بمقامه وبمنزلته.

ومن الله التوفيق والسداد

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبداع في العلم والفن. د.حسن احمد عيسى، مطبعة اليقظة، 1979.
- الاتجاه القومي في الشعر المعاصر. عمر دقاق، مطبوعات معهد الدراسات العراقية، القاهرة، 1961.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. د.محمد حسين، مكتبة الآداب، الإسكندرية، 1954.
- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث. د.رؤوف الواعظ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974.
- الأدب الرفيع في ميزان الشعر. معروف عبد الغني الرصافي، بغداد، 1956.
- الأدب العربي المعاصر.د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1997.
- الأدب العربي والفكر الثوري المعاصر. د.يوسف عز الدين، دار العودة، بيروت، 1972.
- الأدب المقارن. د.محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، 1962 .
- الأديب والالتزام. محمود الجومرد، مطبعة المعارف، بغداد، 1980.
- الأسرار الخفية في حركة مايس(1941). عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، 1971.
- الأسطورة اليونانية. فؤاد جرجي بربارة، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1966.
- الإسلام في شعر شوقي. د.أحمد الحوفي، مطابع الأهرام، القاهرة، 1972.
- الأصول الفنية للأدب. عبد الحميد حسين، مطبعة العلوم، القاهرة، 1964.
- الأعمال الشعرية الكاملة. محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 2001.
- الأغاني.أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (ت 356هـ)، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1929.
- الأفكار والأسلوب. أف.تشيتشرين، ترجمة، حياة شرارة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (بلا تاريخ).

- الالتزام والتصوف في شعر عبد الوهاب البياتي. عزيز السيد جاسم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990.
- الانحراف القومي في العراق. عدنان الراوي، القاهرة، 1958.
- الإنسان المتمرد. ألبير كامو، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، لبنان، 1975.
- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر ابن كثير، (ت 477هـ) دار إحياء التراث العربي (12 جزء ط1)، القاهرة.
- بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره. د.إحسان عباس، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1972.
- البركان. د.محمد مهدي البصير، مطبعة المعارف، بغداد، 1957.
- البطولة في ثورة العشرين. عبد الشهيد الياسري، النجف، 1966.
- بلاد ما بين النهرين بين ولايتين. أرنولد ولسن، ترجمة، فؤاد جميل، بغداد، 1922.
- ألبير كامو. جرمين بري، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، دار الثقافة بيروت، 1968.
- تاريخ الشعر السياسي. أحمد الشايب، القاهرة، مطبعة السعادة، 1953.
- تاريخ الشعر العربي الحديث. أحمد قبش، دار الجبل، بيروت، 1971.
- تاريخ العراق بين احتلالين. عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1949.
- تاريخ العراق السياسي الحديث.عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، لبنان، 1948.
- تاريخ العنف الدموي في العراق. باقر ياسين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1999.
- تاريخ القضية العراقية. د.محمد مهدي البصير، بغداد، 1923 .
- تاريخ مقدرات العراق السياسية.محمد طاهر العمري، مطبعة دار السلام، بغداد، 1925.
- تاريخ الوزارات العراقية. عبد الرزاق الحسني، مطابع العرفان، صيدا، 1970.
- تجربتي الشعرية. عبد الوهاب البياتي، مطابع دار الكتب، بيروت، 1968.
- تحرير العراق من الانتداب. مجيد خدوري، مطبعة العهد، بغداد، 1935.
- التراث كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي. طراد الكبيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978.
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. جرجي زيدان، مطبعة دار الهلال، القاهرة، 1922.

- التطورات السياسية في العراق.جعفر عباس حميدي، مطبعة النعمان، النجف، 1976.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق. د.علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1938.
- تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين. د.داوود سلوم، مطبعة المعارف، 1959.
- التفسير النفسي للأدب. عز الدين إسماعيل، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1963.
- تكوين العراق الحديث. هنري فوستر، ترجمة عبد المسيح جويدة، مطبعة الشعب، بغداد، 1938.
- تيارات أدبية بين الشرق والغرب.د.إبراهيم أنيس، مطبعة أحمد مخيمر، القاهرة، 1952.
- التيار القومي في الشعر العراقي الحديث. د.أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
- الثورة الجزائرية في الشعر العراقي. عثمان سعدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981.
- الثورة العراقية الكبرى. عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، 1965.
- الثورة العراقية الكبرى. عبد الله الفياض، وزارة الثقافة، بغداد، 1963.
- الثورة العربية وإسرائيل. فؤاد قازان، مطبعة العرفان، بيروت، 1969 .
- ثورة العشرين في الشعر العراقي. إبراهيم الوائلي، مطبعة الإيمان، بغداد، 1968.
- الجديد في الأدب. حنا فاخوري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.
- الجواهري جدل الشعر والحياة.د.عبد الحسين شعبان، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1977.
- الجواهري دراسة ووثائق.د.محمد حسين الأعرجي، دار المدى للنشر، دمشق، 2003.
- الجواهري ذكريات أيامي. فاروق البقيلي، دار الفارابي، بيروت، (بلا تاريخ).
- الجواهري شاعر التجديد والثورة.د.فاخر ميا، دار المرساة للطباعة والنشر، سوريا، 2006.
- الجواهري شاعر العربية. عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب، النجف، 1972.
-الجواهري شاعر من القرن العشرين.د.جليل العطية، منشورات الجمل، ألمانيا، 1998.
- الجواهري فارس حلبة الأدب. محمد جواد الغبان، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2006.

- الجواهري وسيمفونية الرحيل. د.خيال محمد الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999.
- حبزبوز في تاريخ صحافة الهزل والكاريكتور في العراق. جميل الجبوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- حرب العراق(1914 -1918).شكري محمود نديم، مطبعة البرهان، بغداد، 1948.
- الحرب العراقية البريطانية (1941). محمود الدرّة، دار الطليعة، بيروت، 1969.
- حركة الشعر في النجف وأطواره. د.عبد الصاحب الموسوي، دار الرائد العربي، بيروت، 1986.
- الحركة الوطنية في العراق(1921-1933). عبد الأمير العكام، النجف، 1975.
- الحقائق الناصعة في الثورة العراقية. فريق المزهر آل فرعون، مطبعة النجاح، بغداد، 1952 .
- حقائق وأسرار الشيوعية المحلية. لمعي المطبعي، دار الكرنك، القاهرة، 1961.
- الحكومة العربية في دمشق. خيرية قاسمية، مطابع دار الكتب، بيروت، 1969.
- حماسة أبي تمام. شرح العلامة يحيى بن علي التبريزي، (ت 502 هـ) مراجعة محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة محمد علي صبيح، 1955.
- الحيوان. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، (ت 255 هـ)تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط البابي الحلبي، االقاهرة، 1938.
- الخلافة. توماس آرنولد، ترجمة جميل معلّة، بغداد، 1969.
- خيري الهنداوي (حياته وشعره). د.يوسف عز الدين، القاهرة، 1965.
- دراسات في الشعر العربي الحديث. أمطانيوس ميخائيل، بيروت، 1968.
- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. د.علي الوردي، منشورات سعيد بن جبير، إيران، 1997.
- دروس في تاريخ آداب اللغة العربية. معروف عبد الغني الرصافي، مطبعة المعارف، بغداد، 1960.
- دفاع عن الأدب. د.جورج ديهاميل، ترجمة محمد مندور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني. عبد القاهر الجرجاني، (ت 471هـ) تصحيح محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطي، منشورات، مكتبة القاهرة، 1961.
- دور الكلمة في اللغة. ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد، المطبعة العثمانية، 1973.
- ديوان الجواهري. محمد مهدي الجواهري، المكتبة العصرية، بيروت، 1967.
- ديوان الجواهري. إشراف د.إبراهيم السامرائي، د.محمد المخزومي، د.علي جواد الطاهر، رشيد بكتاش، وزارة الإعلام، بغداد، 1972 -1974.
- ديوان الرصافي. معروف عبد الغني الرصافي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1959.
- ديوان السياب. دار العودة، بيروت، 1964.
- ديوان الشعر العربي. أحمد سعيد أدونيس، صيدا، بيروت، 1964.
- ديوان المتنبي، علي بن أحمد، (ت 468هـ)، شرح الواحدي، دار صادر، بيروت، 1964.
- ربع قرن من تاريخ الحركة النقابية في العراق. طالب عبد الجبار، مطبعة النجوم، بغداد، 1960.
- الرسالة العراقية في السياسة والدين والاجتماع. معروف عبد الغني الرصافي، منشورات دار الجمل، ألمانيا، 2007.
- رسائل إخوان الصفا، دار صادر، بيروت، 1957.
- الرواد يدخلون عالم الأبدية من بوابة المنفى. صبيح جابر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2007.
- الرواية العربية بين الواقع والايدولوجيا. خورشيد فاروق، دار الشرق، القاهرة، ط2، 1975.
- الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، 1973.
- الرؤيا في شعر البياتي.محي الدين صبحي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
- الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية. عبد الرزاق الهلالي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، 1982.
- سقوط النظام الملكي في العراق. فاضل حسين، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974.

- السياسة الدولية في الشرق الأوسط. كونيش رايت، ترجمة جعفر الخياط، أنجلو مصرية، القاهرة، 1953.
- الشاعر والحياة. ستيفن سبندر، ترجمة مصطفى بدوي، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، رقم:258، مكتبة الأنجلو المصرية.
- شرح ديوان الفرزدق. تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة، 1936.
- شظايا ورماد. نازك الملائكة، مطبعة المعارف، بغداد، 1949.
- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي.د.حسين عطوان، دار المعارف، مصر، 1970.
- شعراء عراقيون. منذر الجبوري، دار الطليعة، باريس، 1977.
- شعراء العصر. محمد صبري، المطبعة الهندية، القاهرة، 1912.
- شعراء من بلادي. علي إبراهيم، منشورات حمد، بيروت، 1968.
- شعراء النصرانية. لويس شيخو، مكتبة الآداب، القاهرة، (بلا تاريخ).
- الشعر بين التطور والجمود. العوضي الوكيل، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964.
- الشعر بين الواقع والإبداع. صبحي القصاب، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1979.
- الشعر السياسي العراقي. إبراهيم الوائلي، بغداد، 1961.
- الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر. د.يوسف عز الدين، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1962 .
- الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه. د.يوسف عز الدين، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965 .
- الشعر العراقي مرحلة وتطور. د.جلال الخياط، دار صادر، بيروت، 1970.
- الشعر العربي الحديث وروح العصر. د.جليل كمال الدين، دار العلم للملايين، بيروت، 1964.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه ظواهره الفنية والمعنوية. د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، ط2 ، بيروت، 1981.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه. إليزابيث درو، ترجمة د.محمد إبراهيم الشوشي، بيروت، 1961.

- الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، ترجمة د.سلمى خضراء الجيوسي، دار اليقظة، بيروت، 1969.
- الشعر والثورة. د.جليل كمال الدين، بغداد، 1957.
- الشعر والفكر المعاصر. تأليف مجموعة من الكتاب، منشورات وزارة الإعلام، جمهورية العراق، سلسلة كتب الجماهير، مطبعة الشعب، بغداد، 1974.
- الشعر والمجتمع. علي الحلي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1974.
- الصحافة في العراق. روفائيل بطي، القاهرة، 1955.
- الصراع الأدبي بين القديم والجديد. علي العماري، دار الكتب الحديثة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1965.
- الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشوّاف وضباط الموصل الوحديين. خليل إبراهيم حسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988.
- الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي. د.محمد حسين الأعرجي، وزارة الثقافة والفنون، 1978.
- صفحات من الأمس القريب. عبد الرحمن البزاز، بيروت، دار الملايين، 1960.
- الصناعتين: أبو هلال العسكري، (ت 395هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952.
- الصورة الأدبية. مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، 1983.
- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها. د.علي البطل، بيروت، 1983.
- عدنان الراوي (حياته وشعره). عبد الإله الواعظ، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، 1981.
- العراق الجديد. حسين جميل، دار منيمنة للطباعة، بيروت، 1958.
- العراق دراسة في تطوره السياسي، فيليب إيرلاند، مطبعة الكشاف، بيروت، 1949.
- العراق في دوري الاحتلال والانتداب. عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، 1938.
- العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب. نجدت فتحي صفوت، المكتبة العصرية، صيدا، 1969.
- العراق من الاحتلال حتى الاستقلال. عبد الرحمن البزاز، مطبعة العاني، بغداد، 1967.

- عراق نوري السعيد. ولد مارغلمن، مؤسسة الإنتاج المطبعي، بيروت، 1965.
- العقل الناضج. هـ.أ.أ.أوفر ستريت، ترجمة عبد العزيز القوصي ومحمد عثمان، مؤسسة فرنكلن للطباعة والنشر، 1957.
- على طريق الهند. عبد الفتاح إبراهيم، مطبعة الأهالي، بغداد، 1932.
- علم النفس والأدب. سامي الدروبي، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، 1971.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه. أبو علي الحسن (ابن رشيق)، (ت 456هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحجازي، القاهرة، 1934.
- عيار الشعر. محمد بن طباطبا العلوي، (ت 322هـ)، تحقيق طه الحاجري، وزغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة، 1956.
- فصول في الشعر والنقد .د .شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1971 .
- فلسفة الفن في الفكر المعاصر. زكريا إبراهيم ، القاهرة، 1966 .
- الفكاهة والضحك. شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، الكويت، 2003 .
- فن الأدب .توفيق الحكيم، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1952 .
- في الأدب الحديث. عمر الدسوقي. (جزءان) مطبعة الرسالة، القاهرة، 1964 .
- في الأدب المقارن. عبد الرزاق أحيدة، مطبعة العلوم، بغداد، 1948 .
- في الأدب والنقد.د.محمد مندور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1956 .
- في دراسة العراق المعاصر. زكي صالح، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953.
- في رحاب الجواهري. صباح المندلاوي، منشورات دار علاء الدين ط1 ، دمشق، 2000.
- في الشعر الأوربي المعاصر، د.عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1944.
- فيصل الأول. أمين الريحاني، بيروت، 1934.
- فيصل الأول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق(1883– 1921). علاء جاسم محمد، بغداد، 1990.
- في قضايا الشعر المعاصر(دراسات وشهادات أدونيس)، جمع عبد الله أبو هيف، تونس، (بلا تاريخ).
- في ندوة الأدب والفن. ماوتسي تونج، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1968.
- في النقد الأدبي. د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1966.

- في النقد الأدبي. د.محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، 1949.
- القاموس المحيط. الفيروز أبادي، الطبعة الثانية، البابي الحلبي، القاهرة، 1952.
- قضايا الشعر المعاصر. احمد زكي أبو شادي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1959.
- قضايا الشعر المعاصر. نازك الملائكة، مطبعة دار التضامن، بغداد، 1965.
- قضايا ملتهبة في السياسة العراقية. محمود شبيب، مطبعة عشتار، بغداد، 1984.
- قضية الشعر الجديد. محمد النويهي، دار الفكر، مكتبة الخانجي، 1971.
- قضيتنا الوطنية. فهد يوسف سلمان، بغداد، مطبعة الجامعة، دار الفكر الجديد، بغداد، 1948.
- الكامل في اللغة والأدب. المبرد، (ت 286هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار النهضة، مصر، 1967.
- الكلم المنظوم. محمد جميل الزهاوي، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1955.
- لسان العرب. محمد بن مكرم ابن منظور، (ت 711هـ)، طبعة صادر، بيروت، 1955.
- لغة الشعر بين جيلين. د. إبراهيم السامرائي، مطبعة الثقافة، بيروت، 1980.
- لغة الشعر الحديث في العراق. د.عدنان العوادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985.
- لغة الشعر مقوماتها وطاقتها الإبداعية. د.السعيد الورقي، القاهرة، 1979.
- اللزوميات. أبو العلاء أحمد بن سليمان، (ت 449هـ)، المطبعة التوفيقية، القاهرة، 1342هـ.
- لماذا هجوت الجواهري ورثيته. خلدون جاويد، دار الأضواء، بيروت، 2003.
- ماذا جرى في الشرق الأوسط. ناصر الدين النشاشيبي، المكتب التجاري، بيروت، 1961.
- مبادئ النقد الأدبي. ريتشاردز، ترجمة وتقديم مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963.
- المثل السائر. ابن الأثير، (ت 637هـ)، مطبعة النهضة، مصر، 1959.
- محاضرات عن تاريخ العراق الحديث. عبد الرحمن البزاز، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1955.
- محاضرات في نشوء الفكرة القومية. ساطع الحصري، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1951.
- محاكمتنا الوجاهية. علي محمود الشيخ علي، صيدا، المكتبة العصرية، (بلا تاريخ).
- محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية. إعداد فريق من الكتاب العراقيين، بغداد، 1969.

- مذكراتي. عبد الله بن الحسين، القدس، مطبعة بيت المقدس، 1945.
- مذكراتي عن الثورة العربية والثورة العراقية. تحسين العسكري، مطبعة الغرّي، العراق، 1938.
- مذكراتي في العراق. ساطع الحصري، دار الطليعة، بيروت، 1968 .
- مذكراتي. محمد مهدي الجواهري، دار المنتظر للطباعة والنشر، لبنان، 1999.
- مذكراتي(نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية). توفيق السويدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر، بيروت، 1955.
- مستقبل الشعر وقضايا نقدية. د.عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994.
- المعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية. فاروق صالح العمر، بغداد، 1948.
- المعجم السياسي الحديث. د.أحمد عطية السعيد، بيروت، (بلا تاريخ).
- معروف الرصافي. قاسم الخطاط ومصطفى السحرتي ومحمد الخفاجي، القاهرة، 1971.
- مع السائرين. عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1960.
- مفهوم الشعر. د.جابر عصفور، المركز العربي للثقافة، 1982.
- مقالات سياسية تأريخية اجتماعية. فهمي المدرس، مطبعة الشعب، بغداد، 1931.
- مقالات في الشعر العربي المعاصر. د.محمد حسين الاعرجي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2007.
- مقالات في النقد الأدبي. ت.س.أليوت، ترجمة لطيفة الزيات، مكتبة الأنجلو المصرية (بلا تاريخ).
- مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي. طراد الكبيسي، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1974.
- مقدمة في دراسة العراق المعاصر. د.زكي صالح، مطبعة الفرات، بغداد، 1953.
- ملتن:لورد ماكولي. ترجمة محمد بدران، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1946 .

- الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي الخارجي. جعفر فرج، بغداد، 1987.
- ممارسات في النقد الأدبي. يمنى بالعيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985.
- من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث. إبراهيم الراوي، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1969.
- المنهج الفلسفي للرفض العربي. حازم طالب مشتاق، مطبعة جامعة بغداد، 1977.
- المؤتمر والمهرجان بين بغداد والبصرة. العوضي الوكيل، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1977.
- موقفنا من بريطانيا وألمانيا والاتحاد السوفيتي ومن حركة مايس(1941). عزيز شريف، مطبعة السلام، بغداد، 1948.
- ميثاق بغداد. حقائق يبسطها مجلس العموم البريطاني، ترجمة حسن الدجيلي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956 .
- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. يوسف رزق الله غنيمة، بغداد، 1924.
- نظام الحكم في العراق. مجيد خدوري، ترجمة فيصل نجم الدين الأطرقجي، بغداد، 1924.
- النظام السياسي في العراق. محمد عزيز، مطبعة المعارف، بغداد، 1945.
- نظرية الأدب. رينيه ويليك وواستن وارين، ترجمة محمد محي الدين صبحي، دمشق، 1972.
- النقد الأدبي. د.داود سلوم، مطبعة الزهراء، بغداد، 1967.
- النقد الأدبي الحديث. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، 1973.
- نقد الشعر العربي الحديث في العراق. عباس توفيق، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1978.
- هذا الشعر الحديث. عمر فرّوخ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
- هذه أهدافنا. د.سامي شوكت، مطبعة العاني، بغداد، 1967.
- الوقائع الحقيقة في الثورة العراقية. علي البازركان، ط1 ، بغداد، 1954.

الرسائل

- البصرة خلال ثورة مايس(1941). زينب كاظم العلي، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1988.

- البصرة في ظل الاحتلال البريطاني. حميد أحمد حمدان. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1957.
- سليمان الفيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق. خولة طالب لفتة، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1998.
- الكاظمي (حياته وشعره). محسن غياض، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1966.

الأبحاث

- تطبيقات نقدية. محمد مبارك، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في14/ 11/ 1978.
- الجواهري في بداياته. مهدي شاكر العبيدي، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في27 / 3 / 2003.
- الجواهري وتنويمة الجياع، وعصرية الأغراض الشعرية. محمد أمين محمد، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن مهرجان الجواهري، الدورة الأولى 26/ 7/ 2003، بغداد.
- الجواهري والطغاة. د.سعيد عدنان، بحث مقدم إلى(اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في26/ 7/ 2003، بغداد.
- الجواهري وهوية المعاناة الفكرية. د.يونس عباس الجنابي. بحث مقدم إلى(اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في27/ 7/ 2003، بغداد.
- الخطاب التهكمي في شعر الجواهري. د.قيس كاظم الجنابي، بحث مقدم إلى(اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن مهرجان الجواهري، الدورة الأولى 26/ 7/ 2003، بغداد.
- دعائم القصيدة الطويلة عند الجواهري. د.علي غالب ناصر، في ضمن مختارات الأبحاث المقدمة إلى اللجنة التحضيرية للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق في مهرجان الجواهري الاول26/ 7/ 2003، بغداد.
- الكنايات الكبرى في شعر الجواهري. د.فايز الشرع، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى ي26/ 7/ 2003، بغداد.

- محمد مهدي الجواهري (الظاهرة). خالد البابلي، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في26/ 7/ 2003، بغداد.
- المعارضة الشعرية بين الجواهري والشعراء. د.صدام فهد الاسدي، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في27/ 3/ 2003، بغداد.
- المكان الأليف في نونية الجواهري. عبد الهادي الفرطوسي، بحث مقدم إلى (اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في27/ 3/ 2003.

المجلات

- مجلة آخر ساعة القاهرية، ع130، 16ايلول، 1970.
- مجلة الآداب البيروتية، ع 5، 1960.
- مجلة الأديب العراقي، ع 1، شباط، 1961. ع 3، 13 آذار، 1964.
- مجلة الأستاذ، ع 39، 23 مايو، 1883.
- مجلة الإيمان، ع 5، 1967.
- مجلة الثقافة البغدادية، ع نيسان، 1982.
- مجلة الثقافة الجديدة، ع 10، تشرين الأول، 1972. ع 42، تشرين الثاني، 1974.
- مجلة الجوهرة، ع 1، 2004.
- مجلة الحرية، ع 1، 1 تموز، 1925.
- مجلة الشبكة، ع 3، آذار، 2006.
- مجلة شعر، ع 1، 1 مايس، 1969.
- مجلة الطريق، ع 4، 1997.
- مجلة الطليعة الأدبية، ع 24، 6 شباط، 1985.
- مجلة عالم الفكر، ع 2، 1980.
- مجلة العرفان، ع 748، 1911.
- مجلة الفكر المعاصر، ع 2، 1980.ع 5، السنة الثانية، 1959. ع 21، ابريل، 1967.
- مجلة الكتاب، ع 9، 1975.

- مجلة الكلمة، ع 2، 1972.
- مجلة كلية التربية الأساسية، ع 43، بغداد، 2005.
- مجلة المجلة، الصادرة في لندن، 1985.
- مجلة المستقبل العربي، ع 1، لسنة، 1980.
- مجلة المعرفة السورية، ع 281، لسنة 1985.
- مجلة الهلال، ع 2، ديسمبر، 1937.
- مجلة الوطن العربي، ع 2، السنة الأولى، 20 تموز، 1945. ع 67، باريس، 2 حزيران، 1978.
- ملحق مجلة كلية الآداب، ع 15، البصرة، 1979.

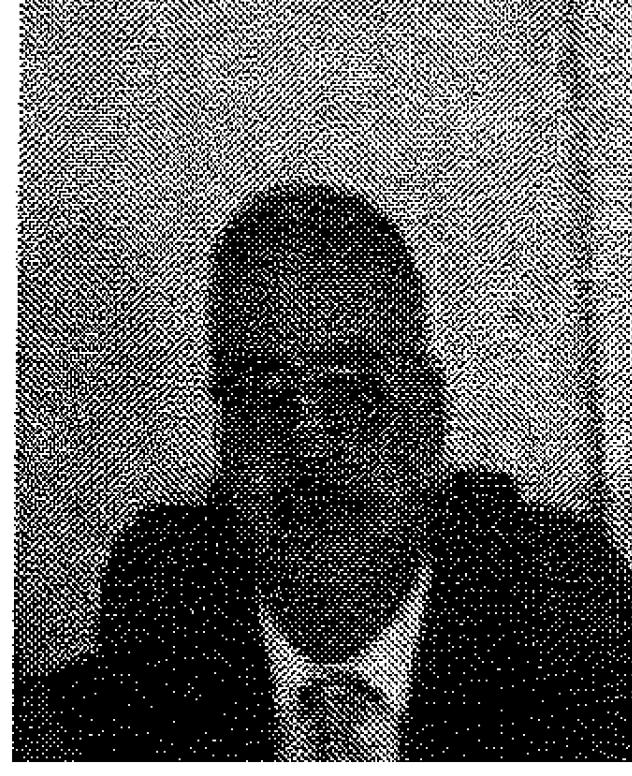
الصحف

- جريدة الإخاء الوطني، ع 24، 28 آب أغسطس، 1931.
- جريدة الاستخبارات السياسية، ع 6، 8 شباط، 1941.ع 23، 7 حزيران، 1941 .
- جريدة الاستقلال، ع 4007، نيسان، 1941 . ع 4012، 11 نيسان، 1941.
- جريدة الانقلاب، ع 16، 7 كانون الثاني(يناير)، 1936. ع 20، 6 كانون الثاني (يناير)، 1937. ع 21، كانون الثاني، 1937.
- جريدة بريد الجمعة، ع 35، 19 كانون الثاني، 1947.
- جريدة الجمهورية، ع 2485، تشرين الثاني، 1975.
- جريدة الحرية، ع 908، 16 حزيران، 1957.
- جريدة الحضارة، ع 64 في 24 تموز، 1948.
- جريدة الرأي العام، 169، 7 أيلول(سبتمبر)، 1937. ع 181، 8 نيسان، 1939. ع 1376، تشرين الثاني، 1945. ع 1557، 19 حزيران، 1946.
- جريدة الزمان، ع 510، 1 أيار، 1939. ع 3639، تشرين الأول، 1949. ع 4728، 8 مايس، 1953.
- جريدة الشرارة، ع 5، شباط، السنة الثانية، 1942.
- جريدة الشعب، ع3633، تشرين الأول، 1956.

- جريدة صدى الدستور، ع1، آب، 1946.
- جريدة صوت الأحرار، ع 46، كانون الثاني، 1948.
- جريدة صوت الأهالي، ع 1368، 30 آذار، 1947.
- جريدة صوت السياسة، ع 89، نيسان، 1947.
- جريدة العالم العربي، ع 485 لسنة 1941.
- جريدة العراق، ع صادر في12 تشرين الأول، 1920. ع صادرفي15 أيار، 1921. ع صادر في2 تموز، 1921. ع3041، 7 نيسان، 1930. ع 7313، كانون الثاني، 1948.
- جريدة العرب، ع 19، تموز، 1917. ع الصادر في8 كانون الأول، 1917. ع 13 أيار، 1920.
- جريدة العصبة، ع47، 1 حزيران، 1946. ع 9، تشرين الثاني، 1951.
- جريدة الناس، ع 328 في 27 كانون الثاني، 1938. ع 274، في 8 كانون الثاني، 1952.
- جريدة الوقائع العراقية، ع 1933، 9 مايس، 1938.
- ملحق جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2007.

المواقع الادبية على(الانترنيت)

1 -http:www AL-bayan coacla bayan\ culture\2003\ ssuel 164\ hay war.htm.
2-www. Sotalirage. Com\i\ aricle 2003\1\25akqi-htm1.
3-WWW.saadiah. com\s\show writing sdetail asp2id=63.



المؤلف في سطور

- الدكتور جلال عبدالله خلف- .
- مواليد 1957 ديالى/ ناحية السعديّه- .
- دكتوراه في علوم اللغة العربية. تخصص في الادب والنقد الادبي الحديث.
- يعمل حاليا استاذا في جامعة ديالى .
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق .
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب .
- نشرت له الدوريات العراقية والعربية والعديد من القصائد والمقالات والدراسات النقدية .
- مؤسس نواة رابطة اتحاد ادباء العرب في مدينة طبرق الليبية- .
- رئيس تحرير مجلة العلوم القانونية والسياسية الصادرة عن كلية القانون والعلوم السياسية/ جامعة ديالى .

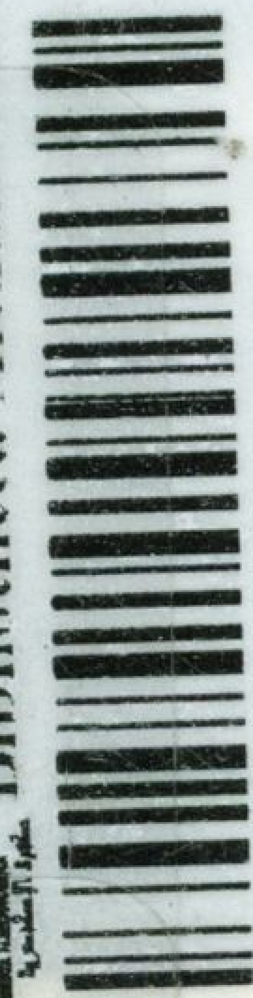
من مؤلفاته- :

التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري- .

أنماط الصراع السياسي والتطور الفني في شعر الجواهري

المشاركات

- شارك في مؤتمرات ادبية عدة.
- له جهود واسهامات في نشاطات سلامة اللغة العربية
- البريد الالكتروني للشاعر dr.jalal50@yahoo.com :





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ خلــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمّان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com
www.darghaidaa.com

